كتاب الأغانى

ألفه

أبو الفرج الأصبهانى

على بن الحسين بن محمد القرشى

٢٨٤هـ - ٣٥٦هـ

طبعة كاملة محررة معها فهارس جامعة

بإشراف وتحقيق

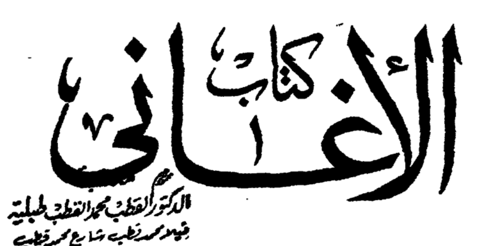
إبراهيم الأبيارى

١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م

المجلد الخامس عشر

طبعة خاصة تصدرها

دار الشعب



الدكتور القطب محمد القطب طبلية
فيلا محمد قطب شارع محمد قطب
المعادي

تأليف

أبو الفرج الأصبهاني

٩ أكتوبر ١٩٧٢

على بن الحسين بن محمد القرشي

٢٨٤هـ - ٣٥٦هـ

طبعة كاملة محررة معها فهارس جامعة

بإشراف وتحقيق

إبراهيم الأبياري

١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م

المجلد الخامس عشر

طبعة خاصة تصدرها
دار الشعب

أخبار

جعفر بن الزبير

ونسبه

نسبه

جَعفر بن الزُّبير بن العَوَّام بن خُوَيْلِد بن أَسَد بن عَبْد العُزَّى بن قُصَىّ بنِ كِلاب بن مُرَّة بن كَعب بن لُؤَىّ بن غالب .

أمه

وأُم جعفر بن الزُّبير : زينبُ بنت بِشْر بن عَبْد عَمرو[1] ، من بنى قيس بن ثَعلبة بن عُكَابة بن صَعْب بن علىّ بن بَكر بن وائل .

هو وما فرضه سليمان للناس

أخبرنى الطُّوسىّ ، قال : حدّثنا الزُّبيرُ بن بكّار ، قال : حدّثنى مُصعبُ بن عثمان ، قال : أخبرنى جدُّك[2] عبدُ الله بن مُصعب ، عن أبى عثمان[3] بن مُصعب ، عن شُعيب بن جعفر بن الزُّبير ، قال :

فَرَض سليمانُ بن عبد الملك للناس فى خِلافته ، وعُرِض الفَرْض .

تجريد الأغانى (١٦٠٧ – ١٦٠٨) مختار الأغانى (٢ : ٣٢٢ – ٣٢٤) .

(١) ب ، ج ، س : « ... بن عبد عمرو بن قيس » . م : « ... بن عبد عزى ، من بنى قيس » ، وكلاهما تحريف . وما أثبتناه من سائر الأصول، وجمهرة أنساب العرب (ص: ١٢٢) وأنساب قريش (ص ٢٣٦) وبشر ، هذا ، هو : ابن عبد عمرو بن مرثد بن سعد بن مالك بن ضبيعة ، وضبيعة ، من أبناء قيس بن ثعلبة . (الجمهرة ٣١٩ – ٣٢٠) .

(٢) ب ، ج ، س : « جدى » . ولا يستقيم بها الكلام ، إذ أن عبد الله بن مصعب هو جد الزبير بن بكار ، فهو : الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير . (وفيات الأعيان ١ : ٣٣٦ ، تهذيب التهذيب ٣ : ٣١٢) .

(٣) م : « عن عثمان » .

١٠٥/١٣ قال : وكان ابن حَزم[1] فى ذلك مُحسنًا ، يَعْلَم الله ، إنَّه كان يأمر الغِلمانَ أن يتطاولوا على خِفافهم ليرفَعَهم بذلك .

قال شُعيب بن جَعفر بن الزُّبير : فقال لى سُليمانُ بن عبد الملك : من أنت ؟ قلت : شُعيب بن جَعفر بن الزُّبير ؛ فقال : ما فعَلَ جعفر؟ فقال له عمرُ بن عبد العزيز : [يا أمير المؤمنين][2] ، على الكِبرَ والعيال ؛ فقال : قُلْ له يَحضُر الباب ؛ فقال لجعفر ، احضُر الباب . فدعا المُنذرَ بن عُبيدة بن الزُّبير ، فرَفع معه رُقعةً وأرسله إلى عُمر بن عبد العزيز ، فيها قولُه :

يا عُمر بن عُمر بن الخطّابْ إنَّ وُقُوفى مِن وراء الأبوابْ
يَعْدلُ[3] عِندى حَطْمَ بَعْضِ الأنْياب[4]

قال : فلما قَرأها عُمر عَذَرَه عند سُليمان ، فأمر له سليمانُ بألفِ دِينار فى دَيْنه ، وألفِ دينارٍ مَعُونةً على عِياله ، وبِرَقيقٍ من البِيض والسُّودان ، وكثير من الطعام الجارى[5] ، وأن يُدَان من الصَّدقة بألفى دينار .

قال : فلما جاء ذلك إلى أبى قال : أعطيتَه من غير مسألة ؟ فقيل : نعم ؛ قال : الحمد لله ، ما أسخى هذا الفتى ! ما كان أبوه سخِيًّا ولا ابن سخىٍّ ، ولكنّ هذا [كأنَّه[6]] من آل حَرْب ؛ ثم قال :

---

(١) ابن حزم ، هو : أبوبكر بن محمد بن عمرو بن حزم، ولى لسليمان كما ولى لعمر بن عبد العزيز. (انظر الطبرى ، والوزراء والكتاب للجهشيارى) . ولعله هو الذى ذكره المسعودى فى كتابه التنبيه والإشراف (ص : ٢٧٥) باسم : محمد بن حزم، وقال : إنه كان قاضى سليمان ابن عبد الملك . (٢) التكملة من ط ، ف ، ل. (٣) س: «يعدلك». (٤) أ ، ط: «بعض أنياب». (٥) ب ، س : « طعام الجارى » ، ط ، ل : « طعام الجار» . (٦) ساقطة من ط ، ل .

فما كنتُ مِدْيانًا[1] فقد دِنتُ إذ بَدَتْ ... صُكوكُ أميرِ المُؤمنين تَدورُ
بوَصْلِ أُولى الأرحامِ قَبْلَ سُؤالهم ... وذلك أمرٌ فى الكِرامِ كَثير

بخل آل الزبير

قال بعضُ مَن رَوى هذا الخبرَ عن الزُّبير :

الناسُ لا يَنظرون فى عَيب أنفسهم ، وما كان لجَعفرٍ أن يَعيب أحدًا بالبُخل ؛ وما رُئى فى الناس أحدٌ أبخل منهم ، أهلِ البيتِ ، ولا من عبد الله بن الزُّبير خاصّة ، وما كان فيهم جَوادٌ غيرَ مُصعب .

شعره فى صكوك دين حرقها الرشيد عن القرشيين

قال الزبير : حدّثنى عمّى ، قال :

كان السُّلطان بالمدينة إذا جاء مالُ الصدقة أدان من أراد من قُريش منه[2] ، وكتب بذلك صَكًّا عليه ، فيَستعبِدهُم به[3] ، ويَختلِفون إليه يُداورونه[4] ، فإذا غَضب على أحدٍ منهم استخرجَ ذلك منه ؛ حتّى كان هارونُ الرشيدُ ، فكلّمه عبدُ الله بن مُصعب فى صُكوكٍ بَقيت من ذلك على غَيرِ واحد من قُريش ؛ فأمر بها فَحُرِّقت[5] عنهم ، فذلك قولُ ابنِ الزُّبير :

فما كنتُ مِدْيانًا[6] فقد دِنتُ إذ بَدتْ ... صُكوكُ أميرِ المؤمنين تَدورُ

شعره فى مقتل عبدالله بن الزبير

قال الزُّبيرُ : وحدّثنى عمِّى مُصعبٌ ، قال :

شَهِد جعفرُ بن الزُّبير مع أخيه عبدَ الله حَرْبَه ، واستعمله عبدُ الله على المدينة ، وقاتل يومَ قُتِل عبدُ الله بن الزُّبير ، حتّى جَمَد الدمُ على يده ؛ وفى ذلك يقول جعفرٌ :

(١) كذا فى ط . والمديان : الذى من عادته أن يأخذ بالدين ويستقرض . والذى فى سائر الأصول ، ومختار الأغانى : «دِيانًا» ، على المبالغة ، من : دان ، إذا اقترض .

(٢) ط ، ف ، ل : «منها» ؛ أى : الصدقة ؛ والعبارة فى المختار : كانت قريش فى المدينة إذا جاء مال الصدقة أدان من أراد منهم شيئاً » . (٣) المختار : «فيستعبدهم السلطان به» .

(٤) أ : «ويدبرونه» . ب ، س : «ويداورونه» . وفى سائر الأصول : «ويديرونه» . وما أثبتنا من مختار الأغانى . (٥) حرقت عنهم : صرفت . وفى الأصول : «حرقت» ، بالقاف ، تصحيف . (٦) انظر (الحاشية الأولى من هذه الصفحة) .

لَعَمْرُكَ إِنِّى يَوم أَجْلَتْ رِكابِى[1] ... لأَطْيَبُ نَفْسًا بالجِلادِ لَدَى الرُّكْنِ[2]

ضَنِينٌ عن خَلْفِى شَحِيحٌ بطاعتى ... طِرَادُ رِجالٍ لا مُطاردة الحُصْن

الحُصن: جمع حِصان . يقول : هذا طِرادُ القتال لا طِراد الخَيل فى الميادين .

غَداةَ تحامَتْنا تُجِيب[3] وغافِقٌ ... وهَمْدانُ تَبْكى من مُطاردةِ الضَّبْن[4]

شعره فى معاتبة بينه وبين أخيه عروة

قال الزُّبيرُ : وحدّثنى عمّى مصعبُ بن عثمان :

أنَّ جعفر بن الزُّبير كانت بينه وبين أخيه عُروةَ مُعاتبةٌ ، فقال فى ذلك :

١٠٦/١٣

لا تَلْحَيَنِّى يابنَ أُمِّى فإنّنى ... عَلُوٌّ لمن عاديتَ يا عُرْوَ جاهِدُ

وفارقتُ إخوانى الذين تَتَابَعوا ... وفارقتُ عبدَ الله والموتُ عائد[5]

ولولا يَمينٌ لا أَزال[6] أَبَرُّها ... لقد جَمعَتْنا بالفِناء المَقاعد

شعره فى رثاء ابن لأسماء بنت مصعب

قال الزُّبيرُ :

أنشدتنى عَمّتى أسماءُ بنت مُصعبِ بن ثابتٍ ، لجعفرِ بن الزُّبير ؛ وأنشدنيه غيرُها ، يَرثى ابنًا لها[7] :

(١) كذا فى أكثر الأصول ، والمختار . والذى فى ط ، ف ، ل : «كتائبى» .
(٢) الركن ، هو: الركن اليمانى ، من أركان الكعبة ، يقال: إن رجلا من أهل اليمن ينتسب إليه . (معجم البلدان) .
(٣) س : «يجيب» ، تصحيف .
(٤) كذا فى الأصول .
(٥) العائد : الباقى الذى يجور عن القصد .
(٦) أ ، ب ، س : «لا أراك» ، تحريف .
(٧) ط ، ف ، ل : «له» .

صوت

أَهاجَكَ بَيْنٌ من حَبيبٍ قد احتَمَلْ[١] ... نَعَمْ فَفُؤادي هائمُ العَقلِ مُخْتَبَلْ[٢]
وقالوا صُخَيْرَاتِ[٣] اليَمَامِ[٤] وقَدَّموا ... أوائِلَهم من آخِرِ اللَّيلِ في الثَّقَلْ[٥]
مَرَرْنَ على ماءِ العُشَيرةِ والهَوَى ... على مَلَلٍ يالَهْفَ نَفسي على مَلَلْ[٦]
فَتَى السِّنِّ كَهْلُ الحِلْمِ يَهتزُّ للنَّدَى ... أَمَرُّ من الدِّفْلَى وأَحْلَى من العَسَلْ[٧]

في هذه الأبيات خفيفُ رَمَلٍ بالبنصر ، نَسبه يحيى المكِّيُّ إلى ابن سُرَيج ، ونَسبه الهشاميّ إلى الأبجر ، قال : ويُقال : إنَّه لابن سُهيل .

بيتان لمغنى فيهما بعض الفتيان شيخاً في سفر فأطربه

فأخبرني الحسنُ بن عليّ ، قال : حدّثنا أحمدُ بن الحارث الخرّاز ، عن المدائنيّ — وخبره أتمّ — قال :

اصطحب قومٌ في سَفر ، ومعهم رجلٌ يُغنِّي ، وشيخٌ عليه أثرُ النُّسك والعِبادة ، فكانوا يَشتهونَ أن يُغنِّيهم الفتَى ويَستحيُون من الشَّيخ ، إلى أن بلغوا إلى صُخَيرات اليمام ، فقال له المُغنِّي : أيُّها الشَّيخ ، إنَّ عليّ يمينًا أن أُنشدَ شِعرًا إذا انتهيتُ إلى هذا الموضع ، وإنِّي أهابُك وأستحِي منك ؛ فإنْ رأيت أن تأذَنَ لي في إنشاده ، أو تَتقدَّم حتَّى أُوفِيَ بيميني ثم

---

(١) احتمل : رحل . (٢) ب ، س : «محتبل» ، بالحاء المهملة ، وهو من وقع في أحبولة .
(٣) قالوا : نزلوا مع القيلولة ، وهي نصف النهار .

(٤) وكذا في السيرة لابن هشام (٢ : ٢٤٩ ، ٢٦٥) . وقد أشار إليها ياقوت عند كلامه على «صخيرات الثمام» ، وقال : «صخيرات : جمع صخرة . والثمام ، بالثاء المثلثة المضمومة : نبت ضعيف له خوص أو شبيه الخوص . . . وهو منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر ، وهو بين السيالة وفرش» . ثم قال : «وفي المغازي : صخيرات اليمام ، بالياء آخر الحروف ، ذكرت في غزوة بدر وفي غزاة ذات العشيرة» .

(٥) الثقل ، محركة : متاع المسافر وحشمه .

(٦) وادي العشيرة : واد به نخل ومياه ، بين ينبع وذي المروة . وملل : موضع في طريق مكة بين الحرمين . (معجم البلدان) . (٧) الدفلى ، بالكسر : نبات شديد المرارة .

نَلحقَ بك ، فافْعَلْ ؛ قال : وما عليَّ من إنشادك ، أَنشِدْ ما بدا لك ؛ فاندفع يُغنِّي :

وقالوا صُخَيرات اليَمام وقَدَّموا أَوائِلَهم من آخرِ اللَّيل في الثَّقَلْ
وردْنَ على ماءِ العُشَيرة والهوى على مَلَلٍ يا لَهفَ نَفْسِي على مَلَل

فجعل الشَّيخُ يَبكي أحرَّ بُكاءٍ وأَشجاه ؛ فقالوا له : مالكَ يا عمّ تَبكي؟ فقال :لا جُزِيتم خيرًا ،هذا معكم طُولَ هذا الطريق وأنتم تَبخَلُون عليّ به[(١)] أتفرَّج به ،ويَقطع عنِّي طريقي ، وأتذكَّر أيامَ شَبابي؛ فقالوا : لا والله ،ما كانَ يَمنعُنا منه غيرُ هيبتك ؛ قال : فأَنتم إذًا مَعذورون . ثم أَقبل عليه ، فقال : عُدْ ، فدَيتُك ، إلى ما كنتَ عليه . فلم يزَل يُغنِّيهم طُولَ سفرِهم حتَّى افترقُوا .

بيت له كان يرقص به ابنته

قال الزُّبير : وأَخبرني مُصعبُ بن عثمان :

أنَّ أُمَّ عُروة[(٢)] بنت جعفرِ بن الزُّبير أنشدتْه لأَبيها جعفرٍ ، وكان يُرقِّصها بذلك :

يا حبَّذا عُروةُ[(٢)] في الدَّمالجِ[(٣)] أَحَبُّ كُلِّ داخلٍ وخارجْ

خروج ابنه للغزاة وشعره في ذلك

قال :

أخبرني أن أخاها صالحَ بنَ جعفرٍ غَزا أَرضَ الرُّوم ، فقال فيه جعفرٌ :

قد راحَ يَومَ السبتِ حِينَ راحُوا[(٣)] مع الجَمَــال والتُّقَى صَلاحُ
مِنْ كُلِّ حيٍّ نَفَرٌ صِباحُ بِيضُ الوُجُوهِ عَرَبٌ صِحَاح

(١) أتفرج به : أكشف همي . (٢) كذا في الأصول . (٣) ط ، ف ، ل : «والروائج» تحريف . وما أثبتناه من سائر الأصول . والدمالج : جمع دملج ، وهو من الحلي ما يلصق في العضد .
(٤) كذا في ط ، ف ، ل . والذي في سائر الأصول : «حين راحوا» .

وفَزِعوا وأخِــــد السَّــلاح   [وهم إذا ما كُرِه الشِّياحُ](١)
مَصاعبٌ بكَرِّها الجراحُ(٢)

١٠٧/١٣

قال الزُّبير :

شعره نحل ابن أبى ربيعة والخلاف فى الأبيات التى فيها الغناء

ولجعفر شِعرٌ كثير قد نُحِلَ عُمرَ بن أبى ربيعة ودخَلَ فى شِعره . فأمَّا الأَبياتُ التى ذُكرتُ فيها الغِناء ،فمن الناس مَن يرويها لِعُمرَ بن أبى ربيعة ، ومنهم مَن يَرويها للأَحوص ، وللعَرْجىّ ؛ وقد أَنشَدنيها جماعةٌ من أصحابنا لجَعفر بن الزُّبير ؛ وأَخبرنى بذلك الحرَمىُّ ، والطُّوسىّ ، وحَبيبُ بن نَصر المُهلَّبىّ ،قالوا :حدَّثنا الزُّبير ،عن أُمّ عُروة (٣) ،قالت : أبى والله القائلُ :

* هل فى ادِّكار الحَبيبِ من حَرَجِ *

وذكر الأَبيات .

وأخبرنيه عمِّى ، عن ابن أبى سعد ، [عن سَعيد بن عمرو ، عن أُم عُروة(٣) بنت جَعفر ، مِثْلَه](٤) .

قال الحرمىُّ :

الناس يَرْوُونها للعَرْجىّ ، وأُمُّ عُروةَ(٣) أَصْدَقُ .

شعره فى امرأة خزاعية تزوجها

أخبرنى الطوسىُّ ، قال : حدَّثنا الزُّبيرُ ، قال : حدَّثنى سَعيد بن عمرو الزُّبيرىّ ، قال :

تزوَّج جَعفرُ بن الزُّبير امرأةً من خُزاعة ، وفيها يقول :

* هل فى ادِّكارِ الحَبيبِ من حَرَجِ *

الأَبيات . وزاد فيها بيتَين ، وهما :

تُسْفِر عن واضح إذا سَفَرتْ   ليس بذى آمَةٍ ولا سَمِجِ (٥)

(١) التكملة من ط ، ف ، ل . والشياح : الجد . (٢) مصاعب : مقلمون يستعصون على غيرهم ؛ الواحد : مصعب ، بضم فسكون ففتح ، وهو فى الأصل : الفحل لم يمسه حبل . وبكرها الجراح ؛ أى : تثخن فى أعدائها الجراح حين تكر . وفى ب ، س : «وبكرها» ، تصحيف .
(٣) انظر الحاشية (٢ : ٥٢٧٦) . (٤) التكملة من ط ، ف ، ل . (٥) الآمة : العيب .

وسقط البيت الآخَر من الأَصل .

خبر موته

قال الزُّبير ، فى رواية الطُّوسىّ : حدّثنى مُصعبُ بن عثمان ، وعمّى مُصعب ، قالا :

كان جماعةٌ من قُريش مُتَنَحِّين[1] عن المدينة ، فصدَر عن المدينة بَدَوىٌّ ، فسألوه : هل كان للمدينة[2] خبرٌ ؟ قال : نعم ، مات أبو الناس ؛ قالوا : وأنّى ذلك ؟ قال : شَهده أهلُ المدينة جميعًا[3] وبُكِىَ عليه مِن كُلِّ دار . فقال القوم : هذا جعفر بن الزُّبير . فجاءهم الخبرُ بَعْدُ أنَّ جعفرَ بن الزُّبير مات .

شعره فى حيلولة عبد الملك بن مروان بين الحجاج وبين بنت عبد الله ابن جعفر

أخبرنى عمّى ، قال : حدّثنا عبدُ الله بن أبى سعد ، قال : حدّثنى إبراهيمُ بن معاوية ، عن أبى محمد الأنصارىّ ، عن عُروة بن هشام ابن عروة ، عن أبيه ، قال :

لمّا تزوّج الحجّاجُ ، وهو أميرُ المدينة ، بنتَ عبدِ الله بن جعفرِ ابن أبى طالب ، أَتى رجلٌ سَعيدَ بن المُسيِّب فذَكر له ذلك ، فقال : إنّى لأَرْجُو أن لا يَجمع الله بينهما ، ولقد دعا داعٍ بذلك فابْتهِل ، وعسى الله ، فإنّ أباها لم يُزوِّج إلا الدَّراهم . فلما بلغ ذلك عبدَ الملك ابن مروان أَبْرَدَ البريدَ إلى الحجّاج ، وكَتب إليه يُغْلِظ له[4] ويُقصِّر به ويذكُر تجاوُزَه قَدْرَه ، ويُقْسِمُ بالله لئن هو مَسَّها لَيقطعنّ أَحَبَّ أعضائه إليه ، وأَمَرَه[5] بتَسْويغ أبيها المَهْر ، وبتَعجيل فراقها ، ففَعَل . فما بَقِى أحدٌ فيه خيرٌ إلا سَرَّه ذلك .

---

(1) ب ، س : « متنحين » . وما أثبتنا من سائر الأصول، والمختار . (2) المختار : « بالمدينة » . (3) المختار : « بعد ذلك » .

(4) تجريد الأغانى ، والمختار : « يغلظ عليه » . (5) ب ، س، والتجريد : « ويأمره» . وما أثبتنا من سائر الأصول ، والمختار .

وقال جَعفرُ بن الزُّبير ، وكان شاعرًا ، فى هذه القصّة :

وجدتَ أميرَ المُؤمنين ابنَ يوسفٍ[1] حَمِيًّا[2] من الأمرِ الذى جئتَ يَنْكَفُ[3]
ونُبِّئتُ أنْ قد قالَ لمَّا نكحتَها وجاءت به رُسْلٌ تَخُبّ وتُوجِفُ[4]
ستَعلمُ أنّى قد أنفتُ لِمَا جرَى ومِثلُكَ منه عَمْرَكَ اللهَ يُؤْنَفُ
ولولا انتكاسُ الدَّهرِ ما نالَ مِثْلَها رجاؤكَ إذ لم يَرْجُ ذلك يُوسفُ
أبِنْتَ المُصفَّى ذى الجَناحَين تَبْتغى لقد رُمْتَ خَطْبًا قَدْرُه ليس يُوصَفُ[5]

* * *

صوت

كأنْ لم يكُن بينَ الحَجُونِ إلى الصَّفَا أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكّةَ سامرُ[6]
بَلَى نحنُ كُنَّا أهلَها فأبَادنا صُروفُ اللَّيالِى والجُدودُ العواثرُ[7]

عروضه من الطويل . الشِّعر — فيما ذكر ابنُ إسحاق صاحبُ المَغازى —

(١) ابن يوسف ، أى : يابن يوسف . (٢) حميا : آنفا .
(٣) كذا فى التجريد . ونكف من الأمر ، من باب فرح : تبرأ . والذى فى سائر الأصول : « تنكف » . وفى المختار : « الذى كنت تنكف » . (٤) تخب ، وتوجف : تسرع وتعدو.
(٥) ذو الجناحين : جعفر بن أبى طالب ، وذلك أنه كان قد قطعت يداه يوم مؤتة فعوضه الله عنهما جناحين فى الجنة .
(٦) الحجون : جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها . والصفا : مكان مرتفع من جبل أبى قبيس ، بينه وبين المسجد الحرام عرض الوادى الذى هو طريق وسوق ، ومن وقف على الصفا كان بحذاء الحجر الأسود ، والمشعر الحرام بين الصفا والمروة . (معجم البلدان) .
(٧) ب : « والجدود البواتر » .

١٠٨/١٣ لمُضَاض بن عمرو الجُرْهمىّ(١) . وقال غيرُه : بل هو للحارث ابن عمرو بن مُضاض .

أخبرنا بذلك الجوهرىُّ ، عن عُمَر بن شَبّة ، عن أبى غسّان محمد ابن يحيى ، عن غسّان بن عبد الحميد .

وقال عبدُ العزيز [بن عِمران](٢) : هو عَمرو بن الحارث ابن مُضاض .

والغناء ليحيى المكّىّ ، رَمَل بالوسطى عن عمرو . وفيه لإبراهيم الموصلىّ ماخورىّ بالبنصر ؛ وفيه لأهل مكة لحنٌ قديم ، ذَكَره إبراهيمُ ولم يُجنِّسْه .

---

(١) الذى فى السيرة لابن هشام نقلا عن ابن إسحاق (١ : ١٢٠ طبعة الحلبى) أن الشعر لعمرو بن الحارث بن عمرو بن مضاض ، ثم أكد ذلك فقال : «وليس بمضاض الأكبر». وقد أورد ياقوت الشعر فى كتابه معجم البلدان فى رسم «الحجون» ، واتفق مع المؤلف هنا فى نسبته إلى مضاض . (وانظر ماسيأتى ، ص : ٥٢٨٩) .

(٢) التكملة من ط ، ف ، ل .

ذكر
خبر مضاض بن عمرو

نسب

* هو : مُضاض[1] بن عمرو بن الحارث الجُرهميّ .

تزويج جده رعلة ابنته من إسماعيل عليه السلام

وكان جدُّه مضَاضٌ قد زوّج ابنته «رَعْلة[2]» : إسماعيلَ بنَ إبراهيم ، خليلِ الرّحمن ، فولدت له اثني عَشَر رجلاً ، أكبرُهم : قيذارُ ، ونابت . وكان أبوه إبراهيم ، عليه السلام ، أمَرهُ بذلك ؛ لأنّه لما بَنى مكةَ وأنزلها ابنَه قَدِم عليه قَدْمةً من قَدَماتِه ، فسمع كلامَ العرب ، وقد كانت طائفةٌ من جُرْهم نَزلت هنالك مع إسماعيل ، فأعجبَتْه لغتُهم واستحسَنَها ، فأمر إسماعيلَ ، عليه السلام ، أن يتزوَّجَ إليهم ، فتزوّجَ بنتَ مُضاض بن عمرو ، وكان سيِّدَهم .

تنازع جرهم وقطوراء سيادة مكة وشعر مضاض

فأخبرنا محمدُ بن جرير ، قال : حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمةُ بن الفَضْل . عن محمد بن إسحاق .

وأخبرني محمد بن جعفرٍ النّحويّ ، قال : حدّثنا إسحاقُ بن أحمد الخُزاعيّ ، قال : حدّثنا محمدُ بن عبد الله الأزرقيّ ، قال : حدّثني جدّي ، عن سعيد بن سالم ، عن عثمان بن ساجٍ ، عن محمد بن إسحاق .

ورواية إسحاق بن أحمد أتمّ ، وقد جمعتُها :

التجريد (١٦٠٩ – ١٦١١) المختار (٧ : ٩٦ – ١٠٤) السيرة لابن هشام (١ : ١١٨ ٢ – ١١٢) أخبار مكة للأزرق (١ : ٤٤ ، ٣ : ٣٩)

(١) قيده صاحب القاموس بالعبارة « بالضم » ولم يعقب عليه الشارح . وكذا جاء في السيرة بالضم ، ضبط قلم . وزاد ابن هشام : « ويقال : مضاض » ، أي بالكسر .

(٢) التي في الروض الأنف للسهيلي : أن أم هؤلاء الأولاد الاثني عشر ، والذين منهم : قيذار ونابت ، اسمها : السيدة . (السيرة لابن هشام ١ : ٥) . وكذلك ذكر الأزرقي في أخبار مكة (١ : ٤٤) .

أن نابتَ بن إسماعيلَ ولِىَ البيتَ بعد أبيه ، ثم تُوُفِّىَ فولى مكانه جدُّه لأُمه مُضاضُ بن عمرو الجُرهمّى ، فضَمَّ ولدَ نابت بن إسماعيل إليه ، ونَزلت جُرهمُ مع مَلِكهم مُضاض بنِ عمرو بأَعْلَى مكّة ، ونزلَتْ قَطُوراءُ مع مَلِكهم السَّمَيْدع أَجْيادَ ، أسفلَ مكة . وكان هذان البَطْنان[1] خرجا سَيَّارةً من اليمَن ، وكذلك كانُوا لا يَخْرُجون إلاّ مع مَلك يُمَلِّكونه عليهم ، فلما رأَوْا مَكَّةَ رأَوْا بلدًا طيِّبًا وماءً وشَجَرا ، فنزلَا ورَضى كلُّ واحد منهما بصاحبه ولم يُنازِعْه ، فكان مُضاض يَعْشُر من جاء مكَّةَ من أعلاها ، وكان السَّميدَعُ[2] يَعشُر[3] مَن جاءها مِن أَسفلها ومن كُدَى[4] ، لا يَدخُل أحدُهما على صاحبه فى أمره ؛ ثم إن جُرهُمَ وقَطُوراء بَغَى كلُّ واحد منهما على صاحبه ، فتنافَسُوا المُلْك حتّى نَشِبت الحربُ بينهم ، وكانت ولايةُ البيت إلى مُضاضٍ دونَ السَّميدَع ، فخرجَ مُضاضٌ منْ بطنِ قُعَيْقِعان مع كَتيبتِه فى سِلَاحٍ شاك[5] يَتقعقع - فيُقال : ما سُمِّيت قُعَيْقِعان إلا بذلك - وخرج السَّميدَعُ مِن شِعْب أجيادَ ، فى الخَيل الجيادِ والرِّجال - ويقال : ما سُمِّيت أَجيادَ إلا بذلك[6] - حتى التقَوْا

(١) البطنان ؛ أى: جرهم وقطوراء ، وكانا ابنى عم .
(٢) وقيده صاحب القاموس بالعبارة فقال : « بفتح السين والميم بعدها مثناة تحتية ومعجمة مفتوحتين . (٣) عشر القوم، من باب كتب(شرح القاموس:عشر): أخذ عشر أموالهم .
(٤) كذا فى ب ، جـ ، س . والذى فى سائر الأصول : « كداء » بالمد ، وهما موضعان بأسفل مكة وأعلاها ، قيل : إن المقصور الذى هو بأسفلها ، وإن الممدود هو الذى بأعلاها ، وقيل العكس . (انظر معجم البلدان) . (٥) سلاح شاك ، وشائك : ذو حدة .(كتب اللغة : شوك ، شكى) . (٦) قال السهيلى : هذا بعيد ، لأن جياد الخيل لا يقال فيها : أجياد ، وأما أجياد فجمع جيد ، وقد ذكر أن مضاضاً ضرب فى ذلك الموضع أجياد مئة رجل من العمالقة ، فسمى الموضع أجياد، لذلك» . وقد نقل ذلك ياقوت فى كتابه « معجم البلدان » فى رسم « أجياد » ، وقال : « وكذا ذكر ابن إسحاق فى غير كتاب السيرة» . وقد ذكر ياقوت قبل هذا نقلا عن الجوهرى : « وأجياد ، أيضاً : جمع جواد من الخيل » ، ثم قال : « ولاشك أن ذلك لم يبلغ السهيلى فأنكره » . وعبارة الجوهرى فى الصحاح (١ : ٤٥٨) : « من خيل جياد وأجياد وأجاويد » ولعل كلام المؤلف بعد (ص : ٥٢٩٣) يؤيد ماذهب إليه السهيلى .

بفاضح[1] ، فاقتتلوا قتالاً شديدا ، وفُضِحت قَطُوراء - ويقال : ما سُمِّي فاضحًا إلا بذلك - ثم تَداعى القومُ إلى الصُّلح فساروا حتّى نزلوا المطَابخ ، شِعبًا بأعلى مكّة ، وهو الذى يقال له الآن : شِعب ابنِ عامر ، فاصطلحوا هناك ، وسَلَّموا الأَمر إلى مُضاض ؛ فلمَّا اجتمع له أَمْرُ مكّة ، وصار مَلِكَها دونَ السَّميدع ، نَحَرَ للناس فطبَخُوا هناك الجُزُر فأكلوا ، وسُمِّي ذلك الموضع : المَطابخ . فيُقال : إنَّ هذا أوّلَ بغْيٍ بمكة ، فقال مُضاض بن عمرو فى تلك الحرب :

وَنحنُ[2] قَتلنا سيِّدَ الحَيِّ عَنْوَةً ... فَأَصْبحَ منها وهو حَيْرانُ مُوجَعُ

يعنى : أنَّ الحيَّ أصبح حَيرانَ مُوجَعًا

109/13

وما كانَ يُبْغَى أن يكون سَواوَنا ... بها مَلِكًا حتّى أتانا السَّميدعُ[3]
فذَاق وَبالاً حين حاوَلَ مُلْكَنا ... وحاولَ[4] مِنَّا غُصَّةً تُتجرَّع[5]
ونحنُ عَمَرْنَا البيتَ كُنَّا وُلاتَه ... نُضارب[6] عنه مَنْ أتانا ونَدْفع
وما كان يَبغى ذاك فى الناس غيرُنا ... ولم يَكُ حيٌّ قَبلنا ثَمَّ يَمنع
وكُنّا مُلوكًا فى الدُّهور التى مَضَتْ ... وَرِثْنا مُلوكًا لا تُرام فتُوضَع

استخفاف جرهم بحق البيت وحديث إساف ونائلة

قال عثمانُ بن ساج فى خبره :

وحدَّثنى بعضُ أهلِ العِلْم أَنَّ سَيْلاً جاء فدَخل البيتَ فانْهدم ، فأعادته

(١) فاضح : موضع قرب مكة عند أبى قبيس ، كان الناس يخرجون إليه لحاجاتهم .
(٢) الأصول : «نحن» ، وعلى هذه الرواية يكون فى البيت خرم ، وهو حذف الفاء من «فعولن» . وما أثبتنا من أخبار مكة للأزرقى (١ : ٦٤) .
(٣) سواء : غير ، مثل سوى ، بالكسر والضم .
(٤) أخبار مكة : «وعالج» . (٥) ا : «يتجرع» . (٦) أخبار مكة : «نحامى» .

جُرهم على بناء إبراهيم ، بناهُ لهم رجلٌ منهم يقال له : أبو الجَدَرة ، اسمه : عامر الجادر[١] ، وسُمِّي بنوهُ : الجَدَرة[٢] .

قال : ثم استخفّتْ جُرهم بحقِّ البيت ، وارتكبوا فيه أمورا عِظاماً ، وأحدثوا فيه أحداثًا قَبيحة ، وكان للبيت خِزانة ، هى بِئرٌ فى بَطنه ، يُلقَى فيها الحُلِيّ والمَتاع الذى يُهدى له ، وهو يومئذ لا سَقْفَ عليه ، فتواعَدَ[٣] خمسةٌ من جُرهمَ أن يَسْرِقوا كُلَّ ما فيه ، فقام على كُلِّ زاوية من البيت رَجلٌ منهم واقتحم الخامس ، فجعل الله عزَّ وجلّ أعلاه أسفَله ، وسَقط منكَّسًا فهلَك ، وفرّ الأَربعةُ الآخرون .

قالوا : ودخل إسافٌ[٤] ونائلة البيتَ ففجَرَا فيه ، فمسخَهما الله حَجَرين ، فأُخرِجا من البيت . وقيل : إنَّه لم يَفجُر بها فى البيت ، ولكنه قَبَّلَها فى البَيْت .

وذكر عثمان بن ساج ، عن ابن أبى الزِّناد[٥] :

أنه إساف بن سُهيل[٦] ، وأنها نائلة بنت عمرو بن ذِئب[٧] .

وقال غيرُه : إنها نائلة بنت ذِئب .

(١) الأصول : « عمر الجارود » ، تحريف . وما أثبتنا من المختار ، والسيرة لابن هشام (١ : ١٠٩) ، والروض الأنف ، وشرح القاموس « جدر » ، وهو : عامر بن عمرو بن جشمة بن بكر بن يشكر بن قسى بن صعب بن دهمان بن نصر بن زهران الأزدى .

(٢) أخبار مكة (١ : ٤٨) : « فسمى عمرو الجادر ، وسموا بنو الجادرة » .

(٣) ب ، س : « فتواعد عليه » . وما أثبتنا من سائر الأصول ، وأخبار مكة .

(٤) وقيده صاحب القاموس بالعبارة : « ككتاب وسحاب » . (٥) الأصول : « عن أبى الزناد » ، تحريف ، وهو : عبد الرحمن بن أبى الزناد . (وانظر أخبار مكة ، ١ : ٥٠) .

(٦) السيرة (١ : ٨٢) : « إساف بن بغى » . وفى الأصنام (ص : ٩) : « إساف بن يعلى » ، وفى معجم البلدان : « أساف بن بناء . . وقيل : إساف بن عمرو » .

(٧) السيرة : « ونائلة بنت ديك » . وفى الأصنام : « نائلة بنت زيد بن جرهم » . وفى معجم البلدان : « نائلة بنت ذئب . . . وقيل : بنت سهيل » . وفى القاموس : « نائلة بنت سهل » .

فأخرجا من الكعبة ، ونُصِبا ليعتبِر بهما من رآهما ويَزدجرَ النَّاسُ من مِثلِ ما ارتكبا . فلمَّا غَلَبتْ خُزاعةُ على مكَّة ونُسِيَ حديثُهما ، حوَّلهما[1] عَمرُو بن لُحيّ بن كِلابٍ بعد ذلك؛ فجعلهما تُجاهَ الكعبة ، يُذبَحُ عندَهما عندَ موضِعِ زَمزم .

تحذير مضاض لقومه جرهم لما بغوا

قالوا :

فلما كَثُرَ بَغْيُ جُرهمَ بمكَّة قام فيهم مُضَاض بن عمرو بن الحارثِ بن مُضاض ، فقال :

ياقوم ، احذَرُوا البغىَ فإنَّه لا بَقاءَ لأهله ، وقَدْ رأيتُم مَن كانَ قبلكم من العَماليق ، استخفُّوا بالحَرَم ولم يُعظِّموه وتَنازعوا بينَهم واختلفوا ، حتَّى سَلَّطكم اللهُ عليهم فاجتحتموهم[2] فتفرقُّوا فى البلاد ، فلا تَستخفُّوا بحقِّ الحَرَم وحُرمةِ بيت الله ، ولا تَظلموا مَنْ دخَله وجاءه مُعظِّمًا لحرُماته أو خائفًا ، أو رَغِب فى جواره ، فإنَّكم إنْ فَعلتم ذلكم[3] تَخوَّفْتُ أن تَخرجوا منه خُروجَ ذُلٍّ وصَغَار ، حتَّى لا يَقدِرَ أحدٌ منكم أن يَصِلَ إلى الحَرَم ، ولا إلى زِيارة البيت الذى هو لكم حِرْزٌ وأمْن ، والطَّيْرُ تأمَنُ فيه .

فقال قائلٌ منهم ، يقال له : مُجَدِّع[4] : ومَن الذى يُخرجنا منه ؟ ألسنا أعزَّ العربِ وأكثرَهم مالاً وسلاحًا ؟ فقال مُضاض : إذا جاء الأمرُ بطَلَ ما تَذكرونَ ؛ فقد رأيتم ما صَنَع اللهُ بالعماليق . قالوا : وقد كانت العماليق بغَتْ فى الحَرَم ، فسلَّطَ اللهُ عزَّ وجلَّ عليهم الذَّرّ[5] فأخرجهم

(١) حديث هنا فى المختار : «دعاهم عمرو بن لحى إلى عبادتهما ، وقال للناس : إنهما نصبا هاهنا لأن آباءكم كانوا يعبدونهما ، ثم حولهما قصى بن كلاب بعد ذلك فجعلهما تجاه الكعبة» . وهذا يتفق وماجاء فى معجم البلدان فى رسم «إساف» . (٢) اجتحتموهم : استأصلتموهم . والتى فى مختار الأغانى : «فأخرجتموهم» . (٣) مختار الأغانى : «ذلك» .

(٤) وكذا فى أخبار مكة (١ : ٤٨) . وفى مختار الأغانى : «مجدوع» .

(٥) الذر : صغار النمل ، وقريب منه ما جاء فى أخبار مكة (١ : ٤٩) .

منه ، ثم رُمُوا بالجَدْبِ ، [وبُعث[1] الغيثُ أمامهم ، فجعلوا يَطلبونه ولا يَجدونه أبدًا ، ويكون أمامهم فيَطلبونه ، ويُساقون بالجَدْب][2] من خَلفهم ، حتّى ردَّهم اللهُ إلى مَساقط رُءوسهم ، ثم أرسلَ عليهم الطُّوفان .

قال : والطُّوفان : الموت .

جرهم وأهل مأرب

قال : فلما رأى مُضاض بن عمرو بَغْيَهم ومُقامَهم عليه ، عَمَد إلى كُنوز الكَعْبة ، وهى غَزَالانِ من ذَهبٍ ،وأسيافٌ قَلَعيّة[3] [وغيرها][4] ، فحفَر لها ليلاً فى موضع زَمزم ودفَنها . فبينا هُمْ على ذلك إذ سارت القبائلُ من أهلِ مأْرِب ، ومعهم طُرَيفة[5] الكاهنة ، حين خافُوا سَيْلَ العَرِم ، وعليهم مُزيقياء : — وهو : عمرو بن عامر بن ثَعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الأَزد بن الغَوث بن نَبْت بن مالك بن زَيد ابن كهلان بن سَبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحطان — فقالت لهم طُرَيفة[5] ، لمَّا قاربوا[6] مكة : حَقٌّ ما أقول[7] ، وما علَّمنى ما أقولُ

١١٠ / ١٣

(١) مختار الأغانى : « ونمت » . (٢) التكملة من ف ، ل ، والتجريد ،والمختار .

(٣) القلعية : نسبة إلى القلعة ، بالتحريك: موضع بالبادية تنسب إليه السيوف . وقيل : هى القرية التى دون حلوان العراق ، وثمة مكان آخر بهذا الاسم ، غير أنه بإسكان اللام ، وهو قلعة ببلاد الهند ، بها معدن الرصاص ، وفيها تضرب السيوف الهندية القلعية . وهى الهندية العتيقة . (انظر : معجم البلدان) . (٤) التكملة من ف ، ل ، والمختار .

(٥) كذا فى أكثر الأصول، والمختار ،والسيرة لابن هشام (١ : ١٦) والروض الأنف، ومروج الذهب (٢ : ٨٤) وشرح قصيدة ابن عبدون ، وبلوغ الأرب (٣ : ٢٨٣) . وأخبار مكة (ص : ٥٣) وشرح مقصورة ابن دريد (٢ : ٩١) . ويقال لها : طريفة الخير . والذى فى أ ، ط ، ل : « طريقة » ،بالقاف .

(٦) أ : « ولما قاموا » . ب ، حـ ، س : « لا تؤموا » . وما أثبتنا من سائر الأصول، والمختار . (٧) كذا فى ط ، ف ، ل ، والمختار . والذى فى سائر الأصول : « حق أقوله » تحريف .

إلا الحكيمُ المحكَّم ، ربُّ جميعِ الأُمم(١) ، من عَرَب وعَجَم ؛ قالوا لها : ما شأنُك يا طُريفة ؟ قالت : « خُذُوا البَعيرَ الشَّدْقَم(٢) ، فخضِّبوه بالدَّم ، تكُنْ لكم أرضُ جُرهم ، جيرانِ بيتِه المحرَّم .

فلمَّا انتهَوْا إلى مكَّة ،وأهلها [جُرْهمُ قد قهرو الناسَ وحازوا ولاية البيْت على بنى إسماعيل وغيرهم](٣) أرسلَ إليهم عمرو ابنَه ثعلبةَ ، فقال لهم : يا قوم ، إنَّا قد خرجنا من بلادنا فلم نَنزِلْ بلدةً إلا فَسَحَ(٤) أهلُها لنا ، وتَزحزحوا عنَّا ، فنُقيم معهم حتَّى نُرسلَ رُوَّادًا فيرتادوا(٥) لنا بلدًا يَحْمِلنا ، فافسَحُوا لنا فى بلادكم حتَّى نُقيمَ قَدْرَ ما نَستريح ، ونُرسل رُوَّادنا(٦) إلى الشَّام وإلى الشَّرق ، فحيثُما بلَغَنَا أنّه أمْثَلُ لَحِقْنا به ، وأرْجو(٧) أن يكون مُقامنا معكم يسيرًا . فأبت ذلك جُرْهمُ إباءً شديدًا واستكبروا فى أنفسهم ، وقالوا : لا والله ، ما نُحبُّ أن تَنزلوا فتُضيِّقوا علينا مَراعِيَنا(٨) ومَوارِدَنا ، فارْحَلوا عنَّا حيثُ أحْببتم ، فلا حاجةَ لنا بجوارِكم . فأرْسلَ إليهم : إنَّه لا بُدَّ من المُقام بهذا البلدِ حَوْلاً ، حتى تَرجع إلىَّ رُسلِى التى أرسلتُ ، فإن أنزلتمونى(٩) طَوْعًا نزلتُ وحَمِدتُكم وآسَيتُكم(١٠) فى الرَّعْى(١١) والماء ، وإنْ أبيتُم أقمتُ على كَرْهكم ثم لم ترتَعوا

(١) المختار : « والنسم » . (٢) الشدقم : الواسع الشدق . (٣) التكملة من ف ، ل ، والمختار .
(٤) ب ، س : « أفسح » . وما أثبتنا من سائر الأصول ، وأخبار مكة . وفسح المكان ككرم ، وأفسح : اتسع ؛ وفسح له ، كمنع : وسع لهما .
(٥) المختار : « روادنا يرتادون » .
(٦) كذا فى ط ، ف ، ل ، والمختار : والذى فى سائر الأصول : « روادا » .
(٧) كذا فى م ، س ، وأخبار مكة . وفى سائر الأصول : « ونرجو » . (٨) كذا فى أكثر الأصول ، والمختار . والذى فى ب ، م ، س : « مرابعنا » . والمرابع : جمع مربع ، وهو موضع الإقامة فى الربيع . وفى أخبار مكة : « مراتعنا » . (٩) المختار ، وأخبار مكة : « تركتمونى » . (١٠) أ ، والمختار : « وواسيتكم » . والمواساة : التسوية ، والثانية لغة رديئة . (القاموس) (١١) الرعى ، بالكسر : الكلأ ؛ وبالفتح ، المصدر .

منى إلّا فَضْلا ، ولم تَشْربوا إلا رَتْقًا(١) ، وإنْ قاتلتُمونى قاتلتُكم ، ثُمّ إنْ ظَهَرتُ عليكم سَبَيْتُ النساءَ وقتلتُ الرجالَ ، ولم أتْرُك منكم أحدًا يَنزل الحَرمَ أبدًا . فأبَتْ جُرْهُم أن تُنزِلَه طَوعًا وتَعَبَّتْ لقتاله ؛ فاقتتلوا ثلاثةَ أيّام أُفرِغَ عليهم فيها الصَّبرُ ، ومُنِعُوا النَّصْرَ ؛ ثم انهزمَتْ جُرْهُمُ فلم يُفلِتْ منهم إلا الشَّريدُ .

رحيل مضاض

وكانَ مُضاض بنِ عَمْرو قد اعتزلَ حربَهم ولم يُعِنْهم فى ذلك ، وقال : قد كُنتُ أُحذِّرُكم هذا وأُحذِّركم منه(٢) . ثُم رحَلَ هو وولَدُه وأهلُ بيتِه حتَّى نَزلوا قَنَوْنَى(٣) وما حَولَه(٤) ، فبقايا جُرْهم به(٥) إلى اليوم ، وفَنِىَ الباقون ، أفْناهم السَّيفُ فى تلك الحُروبِ .

إباء خزاعة عودته إلى مكة ونحرها إبلا له وشعره فى ذلك

قالوا :

فلمّا حازت خُزاعةُ أمرَ مكّةَ وصاروا أهلَها جاءهم بنُو إسماعيل ، وقد كانوا اعتزلوا حَرْبَ جُرْهُمَ وخُزاعةَ ، فلم يدخلوا فى ذلك ، فسألوهم السُّكنَى معهم وحَوْلَهم ، فأذِنوا لهم ؛ فلمّا رأى ذلك مُضاضُ بن عمرو ابن الحارث ، وقد كان أصابه من الصَّبابة إلى مكّةَ أمرٌ عظيم ، أرسل إلى خُزاعةَ يَستأذنُها ، ومَتَّ إليهم برأيه(٦) وتَوْريعه(٧) قومَه عن القتال ،

---

(١) الرتق ، بالفتح والتحريك ، وككتف : الكدر من الماء .

(٢) كذا فى ف ، والمختار . والذى فى سائر الأصول : « وقد كنت أحذركم هذا » .

(٣) كذا فى أكثر الأصول ، والتجريد ، والمختار . وقنونى : واد من أودية السراة يصب إلى البحر فى أوائل أرض اليمن من جهة مكة . والذى فى ط ، ل : « قنوفى » بالفاء . وفى ف : « قنوتا » .

(٤) أخبار مكة : « قنونى ونخلة وما حول ذلك » .

(٥) ط ، ح : « منه » . والمختار ، وأخبار مكة : « بها » .

(٦) كذا فى ل : « بآرائه » ، والرأى : العقل .

(٧) كذا فى أكثر الأصول . والتوريع : الكف . والذى فى ط ، ف : « وتوزيعه » بالزاى ، تصحيف . وفى التجريد والمختار : « ودعوته » .

وسُوء العِشْرة في الحرم ، واعتزاله الحَرَبِيم ، فأبت خُزاعةُ أن يُغزُوهم ونَفَوْهم عن الحَرَم كُلِّه . وقال عمرو بن لُحَيٍّ لقومه : من وجدَ منكم جُرْهُمِيًّا قد قاربَ الحَرَمَ فَدَمُه هَدَرٌ[1] . فنزعتْ إبلٌ لمُضاضِ بنِ عمرو ابن الحارث بن مُضاض بن عمرو من قَنَوْنَى تريد مكة ، فخرجَ في طَلبها حتَّى وجدَ أثرها[2] ، وقد دخلتْ مكَّةَ ، فمضَى على الجبال نحوَ أجياد[3] ، حتى ظهرَ على أبي قُبَيس[4] يتبصَّر الإبلَ في بَطن وادي مكَّة ، فأبصر الإبلَ تُنْحَر وتُؤكل ولا سَبيلَ له إليها ، فخافَ إنْ هَبطَ الوادي أن يُقتَل ، فولَّى مُنصرفًا إلى أهلِه ، وأنشأ يقول[5] :

كأنْ لم يكن بينَ الحَجُونِ إلى الصَّفَا ... أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكَّةَ سامِرُ
ولم يَتربَّعْ واسطًا فجَنُوبَه[6] ... إلى المُنْحَنَى من ذي الأَراكَةِ[7] حاضِر
بَلَى نحنُ كُنَّا أهلَها فأبادنا ... صُروفُ اللَّيالي والجُدودُ العواثر ١١١ / ١٣
وأبْدَلَنا[8] ربِّي بها دارَ غُربةٍ ... بها الذِّئبُ يَعْوِي والعَدُوُّ المُخامِر[9]
أقولُ إذا نامَ الخَلِيُّ ولم أنَم ... أذا العَرْشِ لا يَبْعَدْ سُهيلٌ وعامر

(١) كذا في ط ، ف ، ل ، والمختار . والذي في سائر الأصول : «وقالوا : من دخله منهم فدمه هدر» . (٢) ا ، ط ، ل : «حتى وجدها» ، وما أثبتنا من سائر الأصول والمختار . (٣) انظر الحاشية (رقم : ٤ ص : ٥٢٦٤) .

(٤) أبو قبيس : جبل بمكة . وظهر عليه : علاه . [illegible]

(٥) وكذا في أخبار مكة ، والذي في البداية (١ : ٢٠١) والطبري (٢ : ٣٧) : والذي قال هذه الأبيات ، هو : عمرو بن الحارث بن عمرو بن مضاض ، وليس بمضاض الأكبر . (وانظر الحاشية : ١ ص : ٥٢٨٠) . وقضيتها سيأتي في ترجمة مضاض عودة من المؤلف لهذا الرأي .

(٦) واسط : موضع بالحجاز في طريق منى . (٧) كذا في أكثر الأصول ، والمختار ، وأخبار مكة . وذو الأراكة : نخل بموضع من اليمامة . وفي ط : «من ذي الأريكة» . وفي ف : «من ذي أراكة» . وفي ك : «منحنى ذي أراكة» . (٨) أخبار مكة : «وبدلنا» . (٩) كذا في أكثر الأصول . والمخامر : المستتر . وفي ط ، والمختار ، وأخبار مكة ، والطبري ، وفي ف : «المحاصر» .

قد ابْدِلَتْ(١) منهم أوجُهًا لا أُرِيدُها وحِمْيَرُ قد بُدِّلْتُها واليُحَابِرُ(٢)
فإن تَمِلِ الدُّنيا علينا بكَلْكَلٍ(٣) ويُصبحُ شرٌّ بيننا(٤) وتَشاجُر
فنحنُ وُلاةُ البَيْتِ مِن بَعد نابت نُمشِّى به والخَيْرُ إذ ذاك ظاهر(٥)
وأنكحَ جدِّى خَيْرَ شَخصٍ علمتُه فأبناؤه مِنَّا(٦) ونحنُ الأصاهر(٧)
وأخرجَنا منها المَليكُ بقُدرة كذلك يا لَلنّاسِ تَجْرى المَقادر
فصِرْنا أحاديثًا وكُنَّا بغِبْطة كذلك عَضَّتنا السِّنونَ الغَوابر
وسَحَّتْ دُموعُ العين تَبْكى لبَلْدة بها حَرَمٌ أَمْنٌ وفيها المَشاعر(٨)
ويا ليتَ شِعْرى مَنْ بأَجْيادَ بعدَنا أقامَ بِمُفْضَى سَيْله والظَّواهر(٩)

(١) أ ، ف ، ل ، وأخبار مكة : «وبدلت» . (٢) رواية البيت فى السيرة :

وبدلت منها أوجهاً لا أحبها قبائل منها حمير ويحابر

وحمير ، ويحابر : من قبائل اليمن .

(٣) كذا فى ب ، جـ ، س ، والمختار . والكلكل : الصدر . والذى فى سائر الأصول ، وأخبار مكة : «بكلها» . والكل : الثقل . (٤) أخبار مكة : «وتصبح حال بعدنا» .

(٥) رواية البيت فى السيرة :

وكنا ولاة البيت من بعد نابت نطوف بذاك البيت والخير ظاهر

وقريب منها رواية أخبار مكة .

(٦) أخبار مكة : «فأبناؤنا منه» . ونابت : من ولد إسماعيل ، وأمه جرهمية . يشير إلى أنه بعد موت نابت ، غلبت جرهم على ولاية البيت .

(٧) أ ، ف : «الأياصر» . ف ، ل ، والمختار : «والأياصر» . وأخبار مكة : «الأصاهر» . وما أثبتنا من سائر الأصول ، والسيرة . ورواية الصدر فى السيرة :

« ألم تنكحوا من خير شخص علمته »

وروايته فى الطبرى : « وصاهرنا من أكرم الناس والدا » .

(٨) المشاعر : المواضع المعروفة فى الحج التى يتعبد بها . (٩) فى البيت إقواء ، وهو المخالفة فى الروى بين الكسر والضم . وروايته فى أخبار مكة :

فياليت شعرى هل تعمر بعدنا جياد فمفضى سيله فالظواهر

وعلى هذه الرواية فليس فى البيت إقواء .

قبطنُ مِنَى أَمْسَى كأَنْ لم يَكُنْ بهِ ... مُضَاضٌ ومن حَيَّىْ عَدِىٍّ عَمائر[1]
فهل فَرَجٌ آتٍ بشَىْءٍ نُحِبُّه ... وهل جَزَعٌ مُنْجِيكَ ممَّا تُحاذر

قالوا :

وقال أيضًا :

يأيُّها الحىُّ سِيرُوا إنَّ قَصْرَكُمُ ... أَنْ تُصبحوا ذاتَ يومٍ لاتَسيرونَا[2]
إنَّا كما أنتمُ كُنَّا فغَيَّـــرنَا ... دَهْرٌ بصَرْفٍ كماصِرْنا تَصِيرونا[3]
أَزْجُوا[4] المَطِىَّ وأَرْخُوا[5] مِن أَزِمَّتِها ... قَبْلَ المَماتِ وقَضُّوا ما تُقَضُّونا
قد مال دَهرٌ علينـا ثُمَّ أَهْلَكَنـا ... بالبَغْىِ فيـــه فقدصِرْنا أفانينا
كُنَّا زمانًا مُلوكَ الناسِ قَبلكمُ ... نَأْوِى بلادًا حَرامًا كانَ مَسْكونا

حديث عمرو بن مضاض وتذكر أبى سلمة

[6] قال الأزرقىّ : فحدّثنى محمدُ بنُ يحيى ، قال : حدّثنى عبدُ العزيز ابن عِمْران ، قال :

وخرج أبو سَلَمة بن عبد الأسدِ المخزومىّ[7] قُبيل الإسلام فى نَفَرٍ مِن قُريش يُريدون اليمنَ ، فأصابهم عطشٌ شديد ببَعْضِ الطريق ،

---

(١) العمائر : جمع عمارة ، وهى أكبر من البطن وأصغر من القبيلة .

(٢) قصركم : نهايتكم وغايتكم .

(٣) الصرف : النائبة من نوائب الدهر ؛ والجمع : صروف . ورواية البيت فى السيرة :

كنا أناساً كما كنتم فغيرنا ... دهر فأنتم كما كنا تكونونا

(٤) السيرة : « حثوا » . (٥) كذا فى ط ، ف ، ل ، والسيرة . والذى فى سائر الأصول ، والمختار : « وأزجوا » . وفى أخبار مكة : « ولزجوا » . (٦) أخبار مكة (١ : ٥٩) .

(٧) هو : أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، هاجر بامرأته أم سلمة بنت أمية إلى أرض الحبشة ، وشهد بدرا بعد أن هاجر الهجرتين ، وجرح يوم بدر جرحا اندمل ثم انتقض فمات منه سنة ثلاث من الهجرة . (الإصابة : ت ٤٧٨٢ ؛ الاستيعاب : ت : ١٥٨٩ ، السيرة ١ : ٢٦٩) .

وأمسَوْا على غيرِ الطريق ، فتَشاوروا[١] جميعًا ، فقال لهم أبو سَلمة : إنّي أرى ناقتي تُنازعني شِقًّا[٢] ، أفلا أرسِلُها وأتّبعها ؟ قالوا : فافعَلْ. فأرسلَ ناقته وتَبعها ، فأَصْحَوْا[٣] على ماءٍ وحاضِرٍ[٤] ، فاستقَوْا وسَقَوْا ؛ فإنّهم لَعَلَى ذلك إذْ أقبل إليهم رجلٌ فقال : مَنِ القوم ؟ قالوا : مِن قُريش. فرجَع[٥] إلى شَجرةٍ أمام الماء فتَكلَّمَ عندها بشيء ثم رَجع إلينا ، فقال : لينطلقْ[٦] معي أحدُكم إلى رَجُل نَدْعوه[٧]. قال أبو سَلمة : فانطلقتُ معه ، فوقَفَ بي تحتَ شجرةٍ ، فإذا وَكْرٌ مُعلَّقٌ ، فصَوَّتَ [به][٨] : يا أبتِ[٩] ! فزَعزع[١٠] شيخٌ رأسَه فأجابه ، فقال : هذا الرَّجلُ ، فقال لى : ممَّن الرجلُ ؟ قلتُ : من قُريش ، قال : من أيِّها ؟ قلتُ : من بنى مَخزوم بن يَقَظة ، قال : مِن أيِّهم ؟ قلت : أنا أبو سَلمة بن عبدِ الأسد ابنِ عبدِ الله بنِ عُمر[١١] بنِ مَخزومِ بن يَقَظة ، قال : أيهات[١٢] منك[١٣] ! أنا ويَقَظةُ سِنٌّ[١٤] ، أتدْرى من يقول :

كأنْ لم يكن بين الحَجُونِ إلى الصَّفَا … أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكّةَ سامرُ
بلَى نحنُ كُنّا أهلَها فأبادَنا … صُروفُ الليالى والجُدودُ العواثرُ ١١٢/١٣

---

(١) أخبار مكة : « فساروا ». (٢) شقا : ناحية . والذى في المختار : « وتنازعني زمامها ».
(٣) ب ، جـ ، س ، والمختار ، وأخبار مكة : « فأصبحوا ».
(٤) الحاضر : الحي المقيمون على الماء. (٥) أخبار مكة : « قال : فرجع ». (٦) فى أخبار مكة : « لينطلقن ». (٧) كذا فى أكثر الأصول ، والمختار . والذى فى ط ، وأخبار مكة : « يدعوه ». (٨) التكملة من أخبار مكة. (٩) المختار : « يا أبيه ». أخبار مكة : « فأيه يا أبيه ». (١٠) زعزع : حرك . (١١) الأصول ، والمختار ، والاستيعاب : « عمرو » . والتصويب من الإصابة ، وأسد الغابة ، ونسب قريش (ص : ٢٨٩) وجمهرة أنساب العرب (ص : ١٤١).
(١٢) المختار : « هيهات » ، وهما بمعنى . (١٣) كذا فى ب ، جـ ، س ، والنهيق سائر سائر الأصول ، والمختار : « أنبئك ». (١٤) أى : فى سن وعمر واحد.

قلت : لا ؛ قال : أنا قائلها ، أنا عمرو بن الحارث بنِ مُضاض الجُرهميّ ؛ أتدرى لِمَ سُمِّى أَجيادُ : أجيادَ ؟ قلت : لا ؛ قال : جادت بالدماء يوم التقينا نحن وقَطُوراء ؛ أتدرى لِمَ سُمِّى : قُعَيْقان ؟ قلت : لا ؛ قال : لِتقعقُع السِّلاحِ على ظهورنا لمَّا طَلعنا عليهم منه .

وأخبرنى بهذا الخبر الحَرَمىُّ بن أبى العلاء ، قال : حدّثنا الزُّبير ابن بكّار ، قال : حدّثنى إبراهيمُ بن المُنذِر الحِزامىّ[1] : قال ، حدّثنا عبدُ العزيز بن عِمران ، قال : حدّثنى راشدُ بن حَفصِ بنِ عُمر بن عبدِ الرحمن بنِ عوف ، قال :

قال أبو سَلمة[2] بن عوف :

وخرجتُ فى نَفرٍ من قُريش يُريدون اليمن . وذكر الخبرَ مثلَ حديثِ الأَزرقىّ . والله أعلم .

حديث تنصر ربيعة بن أمية ابن خلف

أخبرنى أحمدُ بن عبد العزيز ، قال : حدثنا عمرُ بن شَبَّة ، قال : حدثنى محمدُ بن يحيى ، قال حدّثنا غسّانبن عبد العزيزِ بن عبدالحميد :[3]

أنَّ ربيعة بنَ أُميَّة بنِ خَلَف كان قد أدْمَنَ الشرابَ ، وشَرب فى شهر رمضان ، فضرَّبه عمرُ ، رضى الله عنه ،وغَرَّبه إلى ذِى المَرْوةِ[4] ،

(١) الأصول : «الخزامى» تصحيف .(انظر : تبصير المنتبه : ٤٩٢ ، تهذيب التهذيب ١ : ١٦٦).

(٢) كذا فى الأصول . ولعله : «قال أبو محمد بن عوف» ، يعنى : عبد الرحمن بن عوف ، وكان يكنى : أبا محمد ، وكانت له هو الآخر كأبى سلمة بن عبد الأسد هجرة إلى الحبشة ، كما شهد بدراً مثله . (الاستيعاب ، ت : ١٧٤٧ ، الإصابة ، ت : ٥١٨١) .

(٣) كذا فى ط . وفى ب ، ج ، س : «غسان بن عبد العزيز» . وفى سائر الأصول : «غسان بن عبد الحميد» . والذى فى تهذيب التهذيب : أن محمد بن يحيى ، هذا ، هو : محمد بن يحيى ابن على بن عبد الحميد بن عبيد بن غسان بن يسار الكنانى ، أبو غسان المدنى ، وممن يروى عنهم : عمه : غسان بن على بن عبد الحميد ، فلعله هو المراد هنا . (تهذيب التهذيب ، ت : ٨٤٦) .

(٤) ذو المروة : قرية بوادى القرى . وقيل : بين خشب ووادى القرى . (معجم البلدان).

فلم يَزل بها حتى تُوفِّى ، واستخلِف عثمانُ ، رضى الله عنه ؛ فقيل له :قد توفِّى عمرُ واستخلِف عثمان ، فلو دَخلتَ المدينةَ ما ردَّك أَحدٌ ؛ قال :لا والله، لا أَدخل المدينةَ فتقولَ قُريشٌ: قد غَرَّبه رجلٌ من بنى عدىّ بن كعبٍ ؛ فلَحِق بالرُّوم وتَنصَّرَ ، فكان قيصرُ يَحْبُوه ويُكرِمه ، فأَعقَبَ بها .

تغنى ربيعة بن أمية ببيت لابن مضاض وخبر ذلك

قال غسّانُ : حدّثنى أَبى ، قال :

قدِم رسولُ يزيدَ بنِ معاوية من بلادِ الرُّوم ، فقال له معاويةُ : هل كان للناسِ خَبر ؟ قال : بينا نحن مُحاصِرون مدينةَ كذا وكذا إذْ سَمِعنا رجلاً فصيحَ اللِّسانِ مُشرِفًا من بين شُرفتين[1] من شُرَفِ الحِصْن ، وهو يُنشِد :

كأَنْ لم يكن بين الحَجُونِ إلى الصَّفَا أَنيسٌ ولم يَسمُر بمكةَ سامرُ

فقال معاوية : ويحكَ ! ذاك الربيعُ بن أُمية يَتغنَّى بشِعْرِ عَمرِو بن الحارثِ بن مُضاض الجُرهمىّ .

رحلة إسحاق الموصلى وأبيه إلى ابن جامع وغناؤه إياهما شعر ابن مضاض وغيره

أخبرنى إسماعيل بن يونُس الشِّيعىّ ، قال : حدّثنا عمرُ بن شَبَّة ، قال : حدثنى إسحاقُ بن إبراهيم ، قال : قال لى أَبى :

مُرْ بالدوابِّ تُسرَجْ سَحَرًا حتَّى نَغْدُوَ إلى ابن جامعٍ نَستقبلُه بالياسِريَّةِ[2] بِسُحْرة[3] لا تأْخذْنا الشَّمْس ؛ قال : فأَمرتُ بذلك ، وركِبنا فى السَّحَر فأَصبَحْنا دون الياسريّةِ ، وقد طلعَتْ علينا الشَّمسُ . قال :

(١) ط ، ف ، ك : « شرفين » .

(٢) كذا فى أكثر الأصول . والياسرية : قرية على نهر عيسى ، بينها وبين بغداد ميلان . وفى ط : « بالباسرية » ، بالباء الموحدة ، تصحيف .

(٣) السحرة : آخر الليل قبيل الفجر .

فجئنا إلى ابن جامع وإذا به مُختضِبٌ ، وعلى رأسِه ولحيته خِرَقُ الخِضاب ، وإذا بقِدْرٍ تُطبخ فى الشَّمس ؛ فلما نَظَر إلينا رحَّبَ بنا ، وقام إلينا فسلَّمَ علينا ، ثم دعا الماءَ فَغَسَل رأسَه ولِحيتَه ، ثم دعا بالغَدَاء ، فَأُتِيَ بغَدائه ، فغَرَفَ لنا من تلك القِدْرِ التى فى الشمسِ ، فتقزَّزْتُ(١) وبَشِعتُ من ذلك الطعامِ الذى طُبِخَ [فى الشمس(٢)] ، فأشار إلىَّ أبى : بأَنْ كُلْ . فأَكلْنا حتَّى فَرَغْنا من غَدائنا ، فلما غَسلْنا أَيدِيَنا نادَى ابنُ جامع : يا غلام : هاتِ شَرابنا ! فأُتِى بنَبيذ فى زُكْرة(٣) ، قد كانت الزُّكرة فى الشَّمس ، فكرهتُ ذلك ، فأَشار إلىَّ أبى : أَنْ لا تَمتنعْ . ثم أَتَوْا بقَدَحٍ جَيشانىٍّ(٤) مِلْءِ الكفِّ ، فصُبَّ النبيذُ فيه ، وهو يُشبه(٥) ماءً [قد](٦) أُغْلِى بالنار ، ثم غَنَّى ابنُ جامع فقال :

كأَنْ لم يكنْ بين الحَجُون إلى الصَّفَا ... أنيسٌ ولم يَسمُرْ بمكَّة سامرُ
بلَى نحنُ كُنّا أَهلَهَا فأَزالنا ... صُرُوفُ اللَّيالى والجُدودُ العواثرُ

* * *

(١) كذا فى أكثر الأصول . والذى فى ا ، ط ، ل ، والمختار : «فتفرت» . (٥) التكملة من المختار .

(٢) كذا فى أ ، ب ، جـ ، س . والزكرة ، بالضم : زق للخمر . والذى فى سائر الأصول ، والمختار : «ركوة» ، تحريف .

(٣) كذا فى أكثر الأصول ، والمختار . والجيشانى : نسبة إلى جيشان ، بالفتح : مخلاف باليمن تنسب إليه الأقداح . والذى فى ط ، ل : «جبسانى» . والذى فى ف : «حبوانى» ، وكلاهما تحريف . (٤) ا ، ط ، ل ، والمختار : «يشوبه» .

(٥) التكملة من ط ، ف ، ل ، والمختار ، ومكانها فى أ : «ثم» .

١١٣/١٣

صوت

ثم غَنَّى للعَرْجِىّ(١) :

لو أنَّ سَلْمَى رَأَتْنـــا لا نِزَاعَ لَنَا(٢) لَمَّا هَبَطْنَا جميعًا أَبْطَحَ السُّوق(٣)
وكَشْرَنا(٤) وكُبولُ القَيْنِ(٥) تَنْكُوُنا(٦) كالأُسْدِ تَكْشِرُ عن أنيابها الرُّوق(٧)

* * *

صوت

ثم تَغَنَّى :

أُجَرَّرُ فى الجَوَامعِ كُلَّ يَوْمٍ فيالله مَظْلِمَتى وصَبْرِى (٨)

ثم أَمَرَ بالرَّحيل. وقد غَنَّى هذه الثلاثة الأَصوات. فقال لى أبى : يا بُنَىَّ ، بَشِعْتَ لِمَا رأيتَ مِن طَعامِ ابنِ جامع وشَرابِه ؛ فَعلَىَّ عِتْقُ ما أَمْلِكُ(٩) إنْ لم يكن شُرْبُ الدَّم مع هذا طَيِّبا(١٠) ، ثم قال: أَسمِعتَ بُنَىَّ(١١) غِناءً قَطُّ أَحسَنَ من هذا ؟ فقلت : لا واللهِ ما سَمعتُ .

---

(١) كذا فى ط، ف، ل . والذى فى سائر الأصول: « العرجى». ولا يستقيم به الكلام .

(٢) كذا فى ط . ولا نزاع لنا ؛ أى : لا نهى لنا ، وفى سائر الأصول : « لا يراع لنا » . والرواية فى ديوان العرجى (ص : ١٣٧) :

* باليت ليلى رأتنا غير جازعة *

وفى أنساب الأشراف للبلاذرى (٥ : ١١٤) : « ياليت سلمى » .

(٣) كذا فى ط ، ل ، والديوان ، وأنساب الأشراف . وأبطح السوق : سهل فسيح بمكة . وفى ف : « أبطح الشوق » . وفى سائر الأصول : « أبطن السوق » .

(٤) كشرنا ؛ أى : لو رأت تكشيرنا عن أنيابنا ، وذلك عند الحنق ، أو الاحتدام .

(٥) الكبول : القيود ؛ الواحد : كبل . والقين : الحداد ، وهو صانعها .

(٦) كذا فى ط ، ف ، ل . وتنكونا : تجرحنا ، والأصل فيه : قشر القرحة قبل أن تبرأ . والذى فى أ : « تبكونا » . وفى سائر الأصول : « تبكرنا » ، وكلاهما تحريف . وفى الديوان « تنكبنا » .

(٧) الروق : الطويلة الأسنان ؛ وصف للأسد ؛ الواحد : أروق . (٨) الجوامع ، جمع : جامعة ، وهى الغل . يصف ما يلاقى من أسر الهوى . (٩) أ ، ط ، ل : « مخضمة أملكه » . وفى المختار : « وأنا أعتقه » . (١٠) المختار : « لطيب » . (١١) المختار : « أى بنى » .

حديث ابن جامع مع الرشيد حين حرمه دونهم ثم أعطاه

قال : ثمَّ خَرجَ ابنُ جامع حتى نزلَ ببابِ أميرِ المؤمنين الرَّشيدِ ليلاً ، واجتمع المغنُّون على الباب ، وخرجَ الرسولُ إليهم فأَذِنَ لهم ، والرشيدُ خلفَ السِّتارةِ ، فَغَنَّوْا إلى السَّحَر ؛ فأَعطاهم أَلفَ دينارٍ ، إلَّا ابنَ جامع فلم يُعْطِهِ شيئًا ، وانصرفوا مُتوجِّهينَ له ، وعَرَضوا عليه جميعًا [أموالَهم](١) ، فلم يَقْبَل ، وانصرفُوا . فلما كان فى الليلة الثانية (٢) [فَعل بهم مِثل تلك ولم يُعطه شيئًا . فلما كان فى الليلة الثالثة](٣) دُعُوا فغَنَّوا ساعةً ، ثم كُشِفت السِّتارة ، وغَنَّى ابنُ جامعٍ صوتًا عَرَّض فيه بحالِهِ وهو :

صوت

تَقولُ أَقِمْ فينَا فَقيرًا وما الَّذِى ... تَرَى فيه لَيْلَى أَنْ أُقيمَ فَقِيرَا
ذَرِينى أَمُتْ بِالَّيلِ أَو أَكْسِبَ الغِنَى ... فإِنِّى أَرَى غَيْرَ الغَنِى حَقِيرا
يُدَفَّعُ فى النادِى ويُرْفَض قَولُه ... وإن كان بالرَّأْى السَّديدِ جَديرا
ويُلزَمُ(٤) ما يَجْنِى سِواه وإن يُطِفْ ... بِذَنْبٍ يَكُنْ منه الصَّغيرُ كَبيرا

قالوا : فأَعجَبَ الرَّشيدَ ذلك الشعرُ واللَّحْنُ فيه ، وأَمال رأسَه نحوه كالمُستدعِى له .

وغَنَّاه أيضا :

(١) التكملة من المختار .   (٢) المختار : « القابلة » .
(٣) كذا فى ط ، ف ، ل ، والمختار . والذى فى ج : « ويلزمنى » . وفى سائر الأصول: « وينفر » .

صوت

لئن[1] مِصْرُ فاتَتْنِى بما كُنْتُ أَرْتجِى[2] وأَخْلَفَنِى منها الذى كُنتُ آمُلُ
فما كُلُّ ما يَخْشَى الفَتَى نازلٌ به[3] ولا كُلُّ ما يَرْجُو الفَتَى هو نائل
ووَاللهِ ما فَرَّطْتُ فى وَجْهِ حِيلة ولكنَّ ما قد قَدَّر اللهُ نازل
وقد يَسْلَمُ الإنسانُ من حيثُ يَتَّقى ويُؤْتَى الفَتَى مِن أَمْنِهِ وهو غافل

ثم أمروا[4] بالانصراف، فانصرفوا ؛ فلمَّا بلغوا السِّتْرَ صَاح به الخادمُ : يا قُرشىُّ ، مكانَك ، مكانَك ، فوقَف مكانَه ، فخرج إليه بخِلْعِ وسَبعةِ آلاف دينار ، وأمر : إنْ شاء أن يُقيم ، وإنْ شاء أن يَنصرف .

حديث المرأة الجرهمية التى ترامت بالمسجد الحرام وتمثلت ببيت لمضاض

أخبرنى الحُسين بن يحيى ، عن حمَّاد ، عن أبيه ، قال : ذكر الكلبى ، عن أبيه :

أنَّ الناسَ بَينا همُ فى ليلةٍ مُقْمرةٍ فى المَسجد الحرام، إذْ بَصُروا بشخصٍ [قد أقْبَل][5] كأنَّ قامتَه رُمْحٌ ، فهَرَبُوا من بين يدَيه وهابُوه ؛ فأقْبل حتَّى طاف بالبيت الحَرامِ سَبْعًا ، ثم وقَف فتمثَّل :

كأنْ لم يكُنْ بين الحَجُون إلى الصَّفَا أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكَّةَ سامرُ

قال : فأتاه رجلٌ من أهل مكَّة ، فوقف بعيدًا عنه ، ثم قال : مسأَلتُك بالذى خَلقكَ ، أجِنِّىٌّ أنتَ أم إنْسىّ ؟ فقال : بل إنْسىّ[6] ،

(١) البيتان الأولان من أبيات لأبى دهمان الغلابى . (البيان والتبيين : ٢ : ٢٩١) .
(٢) كذا فى ح ، ط ، ف ، ل ، والبيان والتبيين . والذى فى سائر الأصول :
« لئن حرمتنى كل ما كنت أرتجى »
(٣) أ ، ب ، ح ، س : « نازلا به » . والبيان : « يصيبه » . (٤) ب ، ح ، س : « ثم أمره » .
(٥) التكملة من ط ، ف ، والمختار . (٦) كذا فى أكثر الأصول . والذى فى ف ، ل : « فقال له : بل إنسى » . والذى فى المختار : « فقال : لا ، بل إنسى » .

١١٤/١٣

أنا امرأةٌ من جُرهم ، كنّا سُكّانَ هذه الأرض وأهلَها ، فأزالنا عنها هذا الزمانُ الذى يُبْلِى كُلَّ جديد ويُغيِّره . ثم انصرفَتْ [خارجَةً] [1] عن المسجِد حتّى غابت عنهم ، ورَجَعُوا إلى مواضعهم .

رؤيا يحيى بن خالد فى شعر لمضاض وتأويل ابراهيم الموصلى لها

أخبرنى محمدُ بن خلف وكيع ، قال : حدّثنا حمّادُ بن إسحاق ، قال : حدّثنى أبى ، عن جَدّى ، قال : قال لى يحيى بنُ خالد يومًا :

أخبِرك برُؤيا رأيتُها ؟ قلت : خيرًا رأيتَ ؛ قال : رأيتُ كأنّى خرجتُ من دارى راكبًا ، ثم التفتُّ يمينًا وشِمالاً فلم أرَ معى أحدًا ، حتّى صِرْتُ إلى الجِسْر ، فإذا بصائح يَصيحُ من ذلك الجانب :

كأنْ لم يكنْ بين الحَجُون إلى الصَّفَا　　أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكّةَ سامِرُ

فأجبتُه بقوله :

بلى نَحنُ كُنّا أهلَها فأبادَنا　　صُرُوفُ اللّيالى والجدودُ العواثرُ

فانصرفتُ إلى الرشيد فغنّيتُه الصَّوتَ ، وخبّرتُه الخَبر ، فعجِبَ منه . وما مضَت الأيّامُ [2] حتّى أوقعَ بهم [3] .

***

شاقَنى الزّائراتُ قَصْرَ نَفِيس [4]　　مُثقَلاتِ الأعْجازِ قُبَّ البُطون [5]

(١) التكملة من ط ، ف ، ل . والعبارة فى المختار : «ثم خرجت من المسجد» .

(٢) ب ، س : «إلا أيام» .　　(٣) بهم ؛ أى : بالبرامكة .

(٤) قصر نفيس ، بفتح النون وكسر الفاء ثم ياء وسين مهملة : على ميلين من المدينة ، ينسب إلى نفيس بن محمد، من موالى الأنصار؛ وقيل: إنه منسوب إلى نفيس التاجر، ابن محمد ابن زيد بن عبيد بن معلى بن لوذان بن حارثة بن زيد، من خلفاء بنى زريق بن عبد حارثة، من الخزرج . وهذا القصر بحرة واقم بالمدينة. ويقال: إن جد نفيس الذى بنى قصره، هو: عبيد بن مرة ، وأن عبيدا وأباه من سبى عين التمر . ومات عبيد أيام الحرة . وكان يكنى: أبا عبد الله. (معجم البلدان) . وسيعرض له المؤلف بعد قليل .　　(٥) قب البطون : ضامراتها .

يَتَـــربَّعْنَه الرَّبيـــعَ ويَنزِلْـ   ـنَ إذا صِفْنَ مَنزِلَ الماجِشُونِ

يَتربَّعْنه : يَنْزِلْنَه فى أيَّام الربيع ؛ يُقال لمنزِل القوم فى أيَّام الربيع : مُتَربَّعهم ؛ قال الشاعر :

أمِن آلِ لَيْلى بالمَلَا مُتربَّعٌ   كما لاحَ وَشْمٌ(١) فى الذِّراع مُرَجَّعُ(٢)

الماجشون وسبب تلقيبه بهذا اللقب

والماجِشونُ : رجلٌ من أهل المدينة يُرْوَى عنه الحديث . والماجِشونُ لقَبٌ لقَّبتْه به سُكينةُ بنتُ الحُسين بن علىّ بن أبى طالب ، عليهم السلام ، وهو اسمُ لَوْنٍ من الصِّبغ أصفَرَ تُخالطُه حُمرة ، وكذلك كان لونُه . ويقال : إنها ما لقَّبَتْ أحدًا قطُّ بلَقَبٍ إلَّا لَصِقَ به .

أخبرنى الحسنُ بن علىّ ، قال : حدّثنا أحمدُ بن زُهير ، قال : حدّثنا مَصعبٌ الزبيرىُّ ، قال : حدّثنى ابنُ الماجِشُون ، قال :

نَظرَتْ سُكَينَةُ إلى أبى ، فقالت : كأنَّ هذا الرجلُ الماجشونُ - وهو صِبغٌ أصفرُ تُخالطه حُمرة - فلُقِّب بذلك .

تلقيب سكينة لقرشى بالشيرج

قال عبد العزيز :

ونظرَتْ إلى رجلٍ من ولدِ عُمرَ بنِ الخطَّابِ ، رضى الله عنه ، وكانت فيه غِلْظةٌ ، فقالت : هذا الرَّجُل فى قُريشٍ كالشِّيْرَج فى الأدهان . فكان ذلك الرجلُ يُسَمَّى : فلانُ شِيرَجٍ ، حتَّى مات .

الشِّعر لعُمر بن أبى ربيعة . والغناء لإبراهيم الموصِلىّ ، خفيف رملٍ مُطلق فى مَجرى البِنصر ؛ وفيه لبَصبص، جاريةِ ابنِ نَفيس، التى قِيل هذا الشعر فيها ، رَمَل . وذكر حَبَش أنَّ لها فيه أيضًا ثقيلَ أوّلٍ بالوُسطى .

(١) ط ، ف ، لـ : «وسم» . (٢) مرجع : وشم مرة بعد مرة .

ذكر

بصبص جارية ابن نفيس

وأخبارها

شئ عنها وعن مولاها

• كانت بَصْبصُ هذه جاريةً مُولَّدة من مُولَّدات المدينة ، حُلوَةَ الوَجْهِ ، حَسَنة الغِناء ، قد أَخذَتْ عن الطَّبقةِ الأُولى من المُغنِّين ، وكان يحيى بنُ نَفِيس مولاها – وقيل : نَفِيس بن محمد ، والأَوّل أَصحّ[1] – صاحبَ قِيانٍ يَغْشاه الأَشرافُ ، ويَسمعون غِناءَ جواريهِ ، وله فى ذلك قِصَصٌ نَذكرها بعد ، وكانت بَصبصُ هذه أَنفَسَهنّ وأَشدَّهنّ تقدُّمًا .

خبر شراء المهدى لها

وذكر ابنُ خُرْداذْبه :

أَنَّ المهدىَّ اشتراها ،وهو ولىُّ العهد ، سِرًّا من أَبيه ، بسبعةَ عشرَ أَلفَ دينار ، فولدت منه عُلَيَّةَ بنتَ المَهدىّ .

115 / 13

وذكر غيرُه : أَنَّ ابن خُرْدَاذبه غَلِط[2] فى هذا ، وأَن الذى صَحّ : أَنَّ المَهدىَّ اشترى بهذه الجُملةِ جاريةً غيرَها ، وولدت عُلَيَّة .

شئ عن مكنونة جارية المروانية

وذكر هارونُ بن محمدِ بنِ عبدِ الملك الزيَّاتِ : أَنَّ ابن القَدَّاح حدَّثه ، قال :

كانت مَكْنُونة ، جاريةُ المَروانيَّةِ – وليست من آل مَروان بن الحكم ، وهى زَوجةُ الحُسين بن عبد الله بن العبَّاس – أَحسنَ جارية بالمدينة

مختار الأغانى (٢ : ٩٨ – ١٠٣) نهاية الأرب للنويرى (٥ : ٧٣ – ٧٥) .

(١) انظر الحاشية (رقم : ٤ص: ٢٩٩ب) . (٢) ب ، س : « وذكر غير ابن خرداذبه أنه غلط » .

وَجْهًا ، وكانت رَسحاءَ[١] ، وكان بعضُ مَن يُمازِحها يَعبَثُ بها ، ويَصيح: طَشْت طَست[٢] ! وكانت حسنةَ الصَّدرِ والبَطْنِ ، وكانت تُوضِح بهما ، وتقول : ولكن هذا ! فاشتريتْ للمهدىّ فى حَياةِ أبيه بمائة ألفِ دِرهم ، فَغَلَبَتْ عليه ، حتى كانت الخيزرانُ تقول: ما مَلَك أَمَةً أغلظَ علىَّ منها. واستتر أمرُها على المَنصور حتى مات . ووَلَدت من المهدىّ عُلَيَّةَ بنتَ المهدىّ .

والذى قال ابنُ خرْدَاذبه غيرُ مَردود ، إذا كان هذا صحيحًا .

عود إلى شراء المهدى لها

أخبرنى الحُسين بن يحيى ، عن حمّادِ بن إسحاق ، عن أبيه ، عن غُوَيرِ[٣] بنِ طلحة ، قال :

اتَّعَدَ محمدُ بن زَيدِ بن علىّ بنِ الحُسين[٤] ، وعبدُ الله بن يحيى ابنِ عَبَّادِ بن عبدِ الله بنِ الزُّبير ، وعبدُ الله بن مُصعب الزُّبيرىّ ، وأبو بكر بن محمدِ بنِ عثمان الرَّبعىّ ، ويحيى بنُ عُقبة ، أن يأتُوا بَصْبصَ جاريةَ ابنِ نَفيس ، فعَجِلَ محمدُ بن يحيى ، وكان من أصحاب عيسى بن موسى ، ليَخرُجَ إلى الكُوفةِ ، فقال عبدُ الله بن مُصعب :

أرائحٌ[٥] أنتَ أبا جَعْفرٍ ... مِن قَبْلِ أن تَسمع مِنْ بَصْبصَا
هيهاتَ أنْ تَسْمع منها إذا ... جاوَزَتِ العِيسُ بك الأَعْوَصا[٦]

(١) الرسحاء : القليلة لحم العجز والفخذين . (٢) المختار : « طشت طشت » ، وهما بمعنى .

(٣) غوير « بغين معجمة مضمومة وراء مكرورة . (تبصير المنتبه : ٩٥٢-٩٥٣) .

(٤) كذا فى ط ، ف ، ل . والذى فى جـ ، م : « محمد بن يزيد بن على بن الحسين » . والذى فى سائر الأصول : « محمد بن يحيى بن زيد بن على بن الحسين » ، وكلاهما تحريف . (انظر : نسب قريش : ٦٦ ، مقاتل الطالبيين : ٢٦٧ ، ٣٨٧ ، جمهرة أنساب العرب : ٥٨) .

(٥) نهاية الأرب : أراحل . وهى رواية الأصول بعد (ص : ٥٣٠٤) .

(٦) الأعوص : موضع قرب المدينة . (معجم البلدان) .

فخُذْ عليها مجلسَىْ لَذَّة ومَجْلِسًا مِنْ قَبْلِ أن تَشْخَصا
أَحْلِفُ بالله يَمينًا ومَنْ يَحلفُ بالله فقد أَخْلَصا
لو أَنَّها تَدْعُو إلى بَيْعَةٍ بايعتُها ثمّ شَققتُ العَصا[1]

قال : وفيها[2] غِناءٌ لبَصْبص .

قال : فاشتراها أَبو غَسَّان ، مولى مُنيرة ، للمهدىّ بسَبعة عشر أَلفَ دينار .

تعقيب على الخبر

قال حمّاد : وحدّثنى أَبِى ، عن الزُّبير :

أَن عبد اللهِ بن مُصعبٍ خاطب بهذا الشِّعرِ أَبا جَعفرٍ المنصورَ لمَّا حجّ فاجتاز بالمدينة مُنصرفًا من الحجّ ، لا أَبا جَعفر محمد بن زَيد[3] .

شىء عن مولى بصبص

أَخبرنى إسماعيلُ بن يونُس الشِّيعىّ ، إجازةً ، قال : حدّثنا عُمَرُ ابن شَبّة ، قال : حدّثنى محمدُ بن سلاّمٍ ، قال : حَدّثنى موسى ابنُ مِهْران ، قال .

كانت بالمدينةِ قَيْنةٌ لآلِ نَفِيس بن محمدٍ ، يقال لها : بَصبص ، وكان مولاها صاحبَ قَصْر نَفِيس ، الذى يقول فيه الشاعر :

شاقَنِى الزَّائراتُ قَصْرَ نَفِيسٍ مُثْقَلاتِ الأَعْجازِ قُبَّ البُطونِ[4]

قال :

شعر لعبد الله ابن مصعب فيها غضب به عليه المنصور

وكان عبدُ اللهِ بنَ مُصعَب بن ثابت بنِ عبد الله بنِ الزُّبيرِ يأْتيها فيَسمعُ منها ، وكان يَأْتيها فِتْيانٌ من قُرِيش فَيسْمَعون منها ، فقال

(١) شق العصا ، يكنى به عن الخلاف ومفارقة الجماعة . (٢) ط ، ف : «فيه» .
(٣) أ ، ب ، س : «لا أبا جعفر محمد بن يحيى بن زيد» ، تحريف . وكان من ولد محمد هذا «جعفر» وبه كنى .(انظر الحاشية رقم : ٤ص : ٥٣٠٢) . (٤) مر البيت والتعليق عليه (ص : ٥٢٩٩) .

عبدُ الله بن مُصعب حين قَدِم المنصورُ مُنصرفًا من الحجِّ ومرّ بالمدينةِ ، يَذكر بَصبصَ :

أَراحِـــلٌ أنت أبا جَعفرٍ مِن قَبلِ أن تَسمع مِن بَصبصا[1]

وذكر الأبياتَ ، فبلغت أبا جعفرٍ ، فغَضب فدَعا بِهِ[2] ؛ فقال : أَمَا إنّكم يا آلَ الزُّبيرِ قديمًا ما قادتكم النِّساءُ ، وشَققتم مَعَهُنَّ العَصا ، حتى صِرْتَ أنت آخِرَ الحَمْقى تبابع المُغنِّياتِ ؛ فدُونكم يا آل الزُّبيرِ هذا المَرْتَعَ الوَخيم . ١١٦/١٣

خبر جاد جدا بالمنصور فى شعر لعبد الله بن مصعب فى بصبص

قال :

ثُمَّ بلغ أبا جعفرٍ بعد ذلك أنَّ عبد الله بن مُصعبٍ قد اصطَبح مع بَصبصَ وهى تُغنِّيه بشعرِه :

صوت

إذَا تَمزَّزْتُ[3] صُراحيــــةً كِمثْلِ رِيحِ المِسْكِ أو أَطيبُ[4]
ثم تَغنَّى لى بــأَهزاجِــــه زَيدٌ أَخُو الأَنْصار أو أَشْعَب
حَسِبتُ أنِّى مالكٌ[5] جالسٌ حَفَّتْ به الأَمْلاكُ والمَوكِب
فــلا أُبــالِى وإلــهِ الــوَرَى أَشَرَّقَ العـــالَمُ أم غَرَّبوا

الغناءُ لزيد الأنصاريّ ، هَزجٌ مُطلقٌ فى مَجرى الوُسطَى ، عن الهشاميّ وغيره . وذكر غيرُه أنه لأَشْعَب .

---

(١) مر البيت (ص : ٥٣٠٢) والتعليق عليه . (٢) نهاية الأرب : « فدعاه » .
(٣) كذا فى أكثر الأصول . وتمزز الشراب : تمصصه وشربه قليلا ، وتذوقه شيئاً بعد شيء . وفى ب : س « تمزرت » ، تصحيف . (٤) الصراحية ، بتخفيف الياء : الخمر الخالصة ، وبتشديدها : آنية الخمر . (٥) المختار : « ملك » .

فقال أبو جعفرٍ : العالَمُ لايُبالون[١] كيف أصبحتَ وكيف أمسيت.

ثم قال أبو جعفرٍ : ولكنّ الذى يُعجبنى أن يَحْدُوَ بى الحادى اللّيلةَ بشعْرٍ طَريفٍ العَنبرىِّ ، فهو آلَفُ فى سَمعى من غِناء بَصْبص ، وأحْرَى أن يَختاره أهلُ[٢] العَقل .

قال : فدعا فلانًا الحادِىَ — قد ذكره وسَقط اسمُه — وكان إذا حَدَا وضَعت الإبلُ رُؤوسَها لصَوتِه وانقادت انقيادًا [عَجيبًا][٣] — فسأله المَنصورُ : ما بلَغ من حُسن حُدائه ؟ قال : تُعطَّش الإبلُ ثلاثًا — أو قال خَمسًا — وتُدْنَى من الماء ، ثمّ أحْدُو فتَتْبع كلُّها صَوْتى ، ولا تَقْرب الماء . فحُفِظَ الشِّعرُ[٤] ، وكان :

إنّى وإنْ كان ابنُ عمى كاشحًا[٥] ... لَمُراجمٌ مِن دُونِه ووَرائِه[٦]
ومُمِدُّهُ نَصْرِى وإنْ كان امْرأً ... مُتزحزِحًا فى أرْضِه وسمائه[٧]
وأكون مَأْوَى سِرِّه وأصُونه ... حتَّى يَحِق علىّ يومُ أدائه
وإذَا أتَى من غَيْبِه بطَرِيفة ... لم أطَّلِعْ ماذا وراءَ خِبَائه
وإذا تَحيَّفتِ الحوادثُ مالَه[٨] ... قُرِنَتْ[٩] صحيحتُنا إلى جَرْبائه[١٠]
وإذا تَرَيَّش فى غِنَاه وفَرْتُه ... وإذا تَصعْلَكَ كُنتُ من قُرَنائه[١١]

(١) المختار : « لايسألون » .(٢) المختار : « أولو » . (٣) التكملة من ط ، ف ، ل ، والمختار .
(٤) كذا فى جـ ، ط ، ل ، و . والذى فى سائر الأصول ، والمختار : « فحفظه هذا الشعر » .
(٥) الكاشح : المضمر العداوة . (٦) كذا فى ف ، ل . والمراجم : المناضل . والذى فى سائر الأصول : « لمزاحم » . (٧) متزحزحاً : بعيداً نائياً .
(٨) تحيفت الحوادث ماله : تنقصته من نواحيه . (٩) كذا فى ط ، ل ، والمختار . والذى فى سائر الأصول : « قرنت » .(١٠) كذا فى ط ، ف ، والمختار . والذى فى جـ : « جربائه » . والذى فى سائر الأصول : « حوبائه » . (١١) تريش : أصاب خيرا فبدا أثره عليه .

وإذا غدا يومًا ليركبَ مَرْكَبًا　　صَعْبًا قَعدتُ له على سِيسائِه[١]

فلما كان الَّليلُ حَدَا به الحادِى بهذه الأبيات ، فقال : هذا والله أَحَثُّ على المُروءة وأشبه بأَهلِ الأَدب من غِناء بَصْبص . قال : فحدا به ليلةً ، فلما أصبح قال : يا ربيعُ ، أَعْطِه درهمًا ؛ فقال له : يا أمير المؤمنين ،حَدوْتُ بهشام بنِ عبدِ الملك فَأَمَرَ لى بعشرين ألف درهمًا ، وتَأْمُر أنت [لى] [٢]بدِرْهمٍ [واحد][٢]! قال :إنَّا لله ! ذكرتَ مالم نُحِبَّ[٣] أن تذكره ! ووصفتَ أنَّ رجلاً ظالمًا أخذ مالَ اللهِ من غيرِ حِلِّه ، وأنفقَه فى غير حقِّه ، يا ربيع ، اشدُد يدَيْكَ به حتَّى يَرُدَّ المال . فبكَى الحادى ، وقال : يا أَميرَ المؤمنين ، قد مضت لهذا السِّنون[٤] ، وقُضِيت به الدُّيون ، وتَمزَّقَتْه النَّفقاتُ ؛ ولا والذى أكرمَكَ بالخلافةِ ما بقِى عندى منه شىءٌ . فلم يَزَلْ أَهلُه وخاصَّتُه يَسأَلونه حتى كفَّ عنه ، وشَرَطَ عليه أن يَحْدُوَ به ذاهبًا وراجعًا ، ولا يأْخُذَ منه شيئًا .

حديثها مع مزيد المدينى

أخبرنى إسماعيلُ بنُ يونس الشيعىّ ، قال : حدَّثنا عُمر بن شَبَّة ، قال : حدَّثنى القاسمُ بن زَيد المدينىّ ، قال :

اجتمع ذاتَ يوم عند بَصبصَ ، جارِيةِ ابنِ نَفِيس ، عبدُ الله بن مُصعب [الزُّبيرىّ] [٥] ، ومحمدُ بن عيسى الجَعفرىّ ، فى أشراف من أهل

(١) السِيساء : الظهر .
(٢) التكملة من ف ، ل ، والمختار . (٣) كذا فى ط ، ف ، ل . والذى فى سائر الأصول : « يجب » . والذى فى المختار : « مالم يجب ذكره » . (٤) ط ، ف ، ل : « هذه السنون » . وفى المختار : « على هذا السنون » . (٥) التكملة من ط ، ف ، ل ، والمختار .

١١٧/١٣ المدينة ، فتذاكروا مُزَبِّدًا[١] المَدينىَّ ، صاحبَ النَّوادر ، وبُخْلَه ؛ فقالت بَصبصُ : أنا آخذُ لكم منه دِرْهَمًا ؛ فقال لها مولاها : أنت حُرَّةٌ لئن فَعلتِ إنْ لم أشترِ لكِ مِخْنقةً[٢] بمائة دينارٍ[٣] ،وإنْ لم أشترِ[٤] لك ثوبَ وَشْيٍ بما شئتِ ؛ وأجعَلْ لكِ مَجلِسًا بالعَقيق[٥] أَنْحَر لك فيه بَدَنةً[٦] لم تُقْتَبْ[٧] ولم تُرْكَب ؛ فقالت : جِئْ به وارفَعْ عنِّى الغَيرةَ ؛ فقال : أنتِ حُرَّةٌ أنْ لو رَفَعَ برجْلَيكِ لأَعنَتَه على ذلك[٨] .

فقال عبدُ الله بنُ مُصعب : فصَلَّيتُ الغداةَ فى مَسجد المدينةِ ، فإذا أنا به ، فقلتُ : أَبا إسحاق ، أمَا تُحبُّ أن ترى بَصبصَ جارية ابنِ نَفِيس ؟ فقال : امرأتُه طالقٌ[٩] إن لم يكُن اللهُ ساخطًا علىَّ[١٠] فيها ، وإن لم أكُنْ[١١] أسألُه أن يُرينِيها منذُ سنة فما يَفعل ؛ فقلتُ له : اليومَ إذا صلَّيتَ العصر فَوافِنِى ها هنا ، قال : امرأته طالقٌ إن بَرِحْت من ها هنا حتّى تجىء صلاةُ العصر . قال : فتصرَّفتُ[١٢] فى حوائجى حتّى كانت العَصرُ ، ودخلتَ المسجدَ فوجدتُه فيه ، فأخذت بيده وأتيتهم به ،

---

(١) مزبد ، بضم ففتح وموحدة مشددة ،مفتوحة أو مكسورة ،وقيل: بضم أو لهو وسكون ثانية وكسر ثالثه. (تاج العروس: زبد ، فوات الوفيات٢ :٣٧٨ ،نهاية الأرب للنويرى٢ : ٣٠٣–٣٠٥ ، جمع الجواهر للحصرى : ١٤٤ ، ١٥٧ ، ٢٥٤ ، ٣٠٠ ،عيون الأخبار : ١ : ٣٩ ، ٢٦٣ ، ٣ : ٢٧٧ ،ثمار القلوب : ٣٧٢ ، ٥٢٢ ، البخلاء : ٦ ، البيان والتبيين: ٢ : ١٠٢ ، الحيوان : ٥ : ١٨٤ ، ١٩٢) . (٢) المخنقة : القلادة . (٣) كذا فى ف ، ل ، والمختار . والذى فى سائر الأصول : «بمائة ألف دينار» . (٤) المختار : «أعمل» .

(٥) العقيق : موضع بالمدينة . (٦) البدنة : الواحدة من الإبل ، الذكر والأنثى .

(٧) لم تقتب : لم يشد عليها القتب ، وهو الرحل . والذى فى المختار : «لم تنقب» ؛ أى : لم تحف وترق أخفافها . (٨) المختار : «أنت حرة لو رفع رجليك لأعينه على ذلك» .

(٩) كذا فى أكثر الأصول ، والمختار. والذى فى جـ ، ط ، ف ، ل : «فقال : امرأته الطلاق» . (١٠) المختار : «عليه» . (١١) المختار : «وإن لم يكن» .

(١٢) جـ ، ط ، ف ، ل : «فانصرفت». وما أثبتنا من سائر الأصول ، والمختار .

فأكلوا وشَرِبُوا ، وتساكَرَ القومُ وتناوَمُوا ، فأقبلتْ بَصبصُ على مُزَبِّد ، فقالت : أبا إسحاق ، كأَنَّ فى نفسك تَشتهى أن أُغنِّيكَ الساعة :

لقد حَثُّوا الجمالَ لِيَهْ ... رُبُوا منَّا فلم يَئِلُوا[1]

فقال : زوجتُه طالقٌ إن لم تكونى تَعلمين ما فى اللَّوح المَحفوظ ! قال : فغنَّتْه ساعةً ، ثم مكثَتْ ساعةً فقالت : أبا إسحاق ، كأَنَّ فى نفسِك تَشتهِى أن تقومَ من مجلسك فتجلسَ إلى جانبى فَتقرُصَنى قَرَصاتٍ ، وأُغنِّيَكَ :

قالتْ وأَبْثَثْتُها وَجْدى فبُحْتَ به[2] ... قد كنتَ قِدْمًا[3] تُحبُّ السَّترَ فاسْتَتِرِ

أَلستَ تُبصِرُ مَن حَولى فقلتُ لها ... غَطَّى هواكِ وما أَلْقَى على بَصرى

فقال : امرأتُه طالقٌ إن لم تكونى تَعلمين ما فى الأرحام وما تكسِب الأنفُس غدًا ، وبأَىِّ أرض تموت ! فغنَّته . ثم قالت : بَرِحَ الخَفَاءُ[4] ، أنا أعلم أنك تَشتهى أن تُقبِّلنى شَقَّ التِّين[5] وأُغنِّيَكَ هَزَجًا :

أنا أبصرتُ باللَّيل[6] غلامًا حَسَنَ الدَّلّ

كغُصْن البان قد أَصْبَـ ... ـحَ مَسْقِيًّا من الطَّلّ

لم يُذْكَر صانعُه ، وهو هَزَجٌ ، على ما ذُكر .

فقال : أنتِ نبيَّةٌ مُرسَلة ! فغنَّتْه ثم قالت : أبا إسحاق ، أرأيتَ أسْقَطَ مِن هؤلاء ! يَدْعُونك ويُخرِجوننى إليك ولا يَشترون رَيْحانًا بدِرهم !

---

(١) لم يئلوا : لم يجدوا موئلا وملجأ يعتصمون به . والبيت للحكم بن عبدل الأسدى ، وقد مر (ص : ٨٢٠) . (٢) كذا فى أكثر الأصول ، والمختار . والذى فى ط ، ف ، ل : « أبحت به » . (٣) المختار : « قد كنت عنى » . (٤) برح الخفاء ؛ أى : وضح الأمر ، وزالت خفيته . (٥) كذا فى الأصول ، والمراد غير واضح . (٦) المختار : « بالتل » .

أى أبا إسحاق ، هلُمَّ دِرهمًا نَشترى به رَيحانًا ! فوثَبَ وصاح : واحَرَباه ! أىْ زانيةُ ، أخطَأْتِ استَكِ الحُفرة[١] ، وانقطَعَ واللهِ عنكِ الوَحْىُ الذى كان يُوحَى إليك ! وعَطعط القومُ بها[٢]، وعلِموا أنَّ حِيلتها لم تَنفُذْ عليه ، ثمّ خَرج فلم يَعُدْ إليها ، وعاودَ القومُ مجلسَهم ، فكان أكثرُ شُغلِهم فيه حديثَ مُزبِّد معها والضَّحِك منه .

شعر لغرير فى بصبص

وقال هارونُ بن محمدِ بن عبد الملكِ الزيّاتِ[٣] : أنشدنى الزُّبيرُ بن بَكّار ، قال :

أنشدنى غُرَير بن طَلحة ،لابن أبى الزوائدِ ــ وهوابن ذى الزَّوائد[٤]ــ فى بَصبص :

بَصْبصُ أنت الشمسُ مُزدانةً ... فإنْ تَبذَّلتِ[٥] فأنتِ الهِلالْ
سُبحانَكَ اللّهُمَّ ما هكذا ... فيما مَضَى كان يكونُ الجَمالْ
إذا دعَتْ بالعُود فى مَشهد ... وعاونَتْ يُمْنَى يَدَيْها الشِّمالْ
غنَّتْ غِناءً يَستفزُّ الفَتَى ... حِذْقًا وزانَ الحِذْقَ منها الدَّلالْ

١١٨ / ١٣

شعر لغرير فى هجاء مولاها

قال هارونُ : قال الزُّبيرُ :

وأنشدَنى غُرَيرٌ أيضًا لنفسه يَهجو مولاها :

ياويحَ بَصبصَ مِن يَحْيَى[٦] لقدرُزِقَتْ ... وَجهًا قَبيحًا وأنفًا مِن جَعاميس[٧]
يمُجُّ مِن فيهِ فى فيهاإذا هَجعَت ... رِيقًا خَبيثًا كأرْواحِ الكرابيسِ[٨]

(١) مثل يضرب لمن يتوخى الصواب فيقع فى الخطأ .
(٢) عطعطوا بها : صاحوا .
(٣) نهاية الأرب : « وقال هارون بن محمد بن عبد الله ، وهو ابن ذى الزوائد ، فيها » .
(٤) هو : سليمان بن يحيى، وقد مرت أخباره . (انظر : فهرست هذا الكتاب) .
(٥) ب ، س ، ونهاية الأرب : «تبدلت» . (٦) ب ، س : « من حى » .
(٧) الجماميس : جمع جمموس ، وهو الرجيع ؛ يريد : نتن ريحه .
(٨) الكرابيس : جمع كرباس ، وهو الكنيف .

بينها وبين محمد ابن عيسى الجعفرى

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء ، قال : حدّثنا الزُّبيرُ ، قال :حدّثنى عمىّ ، قال :

هَوِىَ محمدُ بن عيسى الجَعفرىُّ بَصبصَ ، جاريةَ ابنِ نَفِيس ، فهام بها وطال ذلك عليه ، فقال لصديقٍ له : لقد شَغَلتْنى هذه عن صَنعتى وكُلِّ أمْرى ، وقد وجدتُ مَسّ السُّلُوِّ [عنها] (١) فاذهبْ بنا حتّى أُكاشفَها بذلك فأَسْتريح . فأَتياها ، فلما غَنَّتْ لهما قال لها محمدُ بن عيسى : أتُغَنّين :

وكُنْتُ أُحِبُّكم فسلوتُ عنكم ... عليكُمْ فى دِيارِكُمُ السَّلامُ

فقالت : لا ، ولكنِّى أُغنِّى :

تَحمَّلَ أهلُها عنها فبانُوا ... عَلَى آثارِ مَن ذهَبَ العفاءُ(٢)

فاستحيا وازدادَ بها كَلَفاً ولها عِشْقاً ، فأَطرقَ ساعةً ثم قال : أَتُغنِّين :

وأَخضَعُ بالعُتْبى إذا كنتُ مُذْنِبًا ... وإنْ أذنبَتْ كُنتُ الذى أَتنصَّلُ

قالت : نعم ، وأُغنِّى أحسَنَ منه :

فإن تُقبِلوا بالوُدِّ نُقْبِلْ بمثْلِه ... ونُنزِلْكمُ مِنَّا بأَقربِ مَنزِلِ

قال : فتقاطَعَا فى بيتين وتواصَلَا فى بيْتين .

وفى هذه الأَبياتِ الأربعةِ غناءٌ كان محمدُ قَريضُ(٣) ، وذُكَاءُ ، وغيرهما ممن شاهدْنا من الحُذَّاق ، يُغنُّونَه فى الابتداءيْن لَحْنينِ من

---

(١) التكملة من ف ، ل ، ومختار الأغانى .

(٢) العفاء : التراب . يعنى : محو الأثر . والبيت لزهير بن أبى سلمى. (الديوان : ٤٨) . وقد مر عجزه (ص : ٣١٩١) . (٣) وكذا فيما مر (انظر : فهرست هذا الكتاب) . وفى ط ، ف ، ل : « قريص » ، بالصاد المهملة .

الثقيل الأوّل ، وفى الجوابَيْنِ لحنَيْن من خَفيف الثَّقيل ، ولا أعرف صانِعَهما .

من طرب أبي السائب بغنائها

أخبرنى عمّى ، قال : حدّثنى هارونُ بن محمدِ بنِ عبدِ الملك ، قال : حدّثنى أبو أيّوب المَدينىّ ، عن مُصعبٍ ، قال :

حضَر أبو السائبِ المَخزومىُّ مجلسًا فيه بَصبصُ ، جاريةُ يحيى ابنِ نَفِيس ، فغَنّت :

قَلْبِي حَبِيسٌ عليكِ مَوقوفُ ... والعَيْنُ عَبْرَى والدَّمْعُ مَذْروفُ
والنَّفْسُ فى حَسْرةٍ بغُصَّتِها ... قد شَفَّ أرجاءَها التَّساويفُ
إنْ كُنتِ بالحُسنِ قد وُصِفتِ لنا ... فإنّنى بالهَوى لمَوْصُوفُ
يا حَسْرتَا حَسْرةً أموتُ بها ... إنْ لم يَكُنْ لى لَدَيْكِ[١] مَعروفُ

قال : فطرِب أبو السائبِ ونَعَرَ[٢] ، وقال : لا أعْرفَ اللهُ قدْرَه إنْ لم أعْرِفْ لكِ مَعْروفَكِ[٣] . ثم أخذ قِناعَها عن رأسِها [وجعلَه على رأسِه][٤] ، وجعل يَلْطِم ويَبْكى ، ويقول لها : بأَبِي واللهِ أنتِ ، إنّى[٥] لأرجو أن تكونى عندَ اللهِ أفضلَ من الشُّهداء ، لِمَا تُولِيناهُ من السُّرورِ ، وجعل يَصِيح ، واغوثاه ! يا لله[٦] لِمَا يَلْقَى العاشقون !

بينما وعظ في بحبها

أخبرنى محمدُ بن خلفٍ بن المرزُبان ، قال : حدّثنى أبو بكر العامرىّ ، قال : حدّثنى عمرو بنُ عبدالله [البَصْرىّ][٧] ، قال : حدّثنا [الحسين][٧] ابنُ يحيى ، عن عثمانَ بنِ محمد الليثىّ ، قال :

---

(١) نهاية الأرب : « إليك » . (٢) نعر : صاح وصوت بخيشومه .
(٣) نهاية الأرب : « ولا يعرف الله من لا يعرف لك معروفك » . (٤) التكملة من ط . وفى نهاية الأرب : « ووضعه على رأسه » . (٥) نهاية الأرب : « بأبى أنت ، والله إنى » .
(٦) نهاية الأرب : « ما » . (٧) التكملة من ط ، ف ، ل

كنتُ يومًا فى مجلِس[١] ابن نَفِيس ، فخرجَتْ إلينا جاريتُه بَصبص ، وكان فى القَوم فتىً يُحبُّها ، فسألَتْه حاجةً ، فقام ليأْتِيَها بها ، فنَسى أن يَلْبَس نَعْلَه ومَشَى[٢] حافيًا ؛ فقالت : يا فلان ، نَسيتَ نَعلك ؛ فلبسها ١١٩ / ١٣ وقال : أنا والله كما قال الأوّل :

وحُبُّكِ يُنسِينى عن الشَّىء فى يَدى ... ويَشْغَلُنى عن كُلِّ شىءٍ أُحاولُهْ

فأجابته فقالت :

وبى مِثلُ ما تَشكوه منِّى وإنَّنى ... لأُشْفِق مِن حُبٍّ أَراكَ تُزاوله[٣]

* * *

صوت

يَشتاقُ قلبى إلى مُليكةَ لو ... أَمْست قَريبًا ممّن يُطالبُها
ماأَحْسَنَ الجِيدَ من مُلَيكةَ والـ ... لَبّاتِ إذ زَانَها تَرائبها
يا ليتَنى ليلةً إذا هَجع الـ ... نَّاسُ ونامَ الكِلابُ صاحبها
فى لَيلة لا يُرَى بها أَحدٌ[٤] ... يَسْعَى علينا إلّا كواكبها[٥]

الشِّعر لأُحيحة بن الجُلاحِ . والغناءُ لابن سُريج ، رَمَلٌ بالخِنْصر فى مجرى البِنْصر . وفيه لحنٌ [لمالك][٦] ، من رواية يونس .

(١) نهاية الأرب : « فى منزل » . (٢) نهاية الأرب « ومضى » .
(٣) تزاوله : تحاوله وتطلبه . وفى نهاية الأرب : « لذاك تزايله » . وتزايله : تفارقه .
(٤) مختار الأغانى ، وأمالى ابن الشجرى (١ : ٧٤) : « لا ترى بها أحدا » .
(٥) رفع « كواكبها » على البدل من المضمر فى « يحكى » . (سيبويه ١ : ٣٦ ، أمالى ابن الشجرى ، الخزانة ٣ : ٣٦) . (٦) التكملة من ط ، ف .

ذكـــر

أحيحة بن الجلاح

ونسبه وخبره . والسبب الذى أجله قال الشعر

نسبه

* هو أُحَيْحة بن الجُلَاح بن الحَرِيش[1] بن جَحْجَبَى بنِ كُلْفَة ابن عَوفِ بنِ عمرو بن عَوفِ بنِ مالكِ بن الأَوسِ .

كنيته

ويُكنى أُحيحة : أبا عمرو .

بين الوليد بن عبد الملك والأحوص فى أبيات له

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العلاء ، قال : حدّثنى الزُّبيرُ بن بكّارٍ ، قال : حدّثنى عبدُ الرحمن بن عبد الله بن عبدِ العزيز ، قال :

ركِب الوليدُ بن عبدِ الملك إلى المَساجد ، فأتى مَسْجدَ العُصْبة[2] ، فلمّا صَلّى قال للأَحوصِ : يا أَحوصُ ، أين الزَّوْراءُ التى قال فيها صاحبُكم :

إنّى أُقِيمُ[3] على الزَّوراء أَعْمُرُها ... إنّ الكريمَ على الإِخْوانِ ذُو المَال[4]

تجريد الأغانى (١٦١٢ – ١٦١٥) مختار الأغانى (١ : ٣٥٢ – ٣٦١) البيان والتبيين (١ : ٥، ٣٣٧ ، ٢ : ٢٧٥ ، ٣٦١) البخلاء (: ١٦٥ – ١٦٦) الحيوان (١ : ٣٦٨ ، ٢ : ٦٠) الخزانة (٢ : ٢٣) السيرة لابن هشام (١ : ١٤٥) العقد الفريد ٣ : ٣٠) نهاية الأرب للنويرى (٣ : ٣٠٢) الكامل للمبرد (ص : ٤٦٦) جمهرة أشعار العرب (ص ٢١ ، ١٠٦ ، ٦٤٦ – ٦٥١ طبعة دار نهضة مصر) .

(١) كل من فى الأنصار بهذا الاسم فهو بالسين المهملة ، غير هذا فهو بالشين المعجمة . (شرح السيرة لأبى ذر ، الروض الأنف ، السيرة) .

(٢) كذا فى أكثر الأصول . والعصبة : دار بنى جحجبى بالمدينة . (معجم البلدان) . والذى فى ط : « القصبة » ، تحريف .

(٣) وكذا فى المختار : ومعجم البلدان فى رسم « الزوراء » . والذى فى البيان والتبيين (٢ : ٣٦١) والبخلاء (ص : ١٦٥) : « إنى أكب » .

(٤) وكذا فى البيان والتبيين . وفى المختار ، والبخلاء : « إن الكريم على الأقوام » . والذى فى معجم البلدان ، والعقد الفريد : «إن الحبيب إلى الإخوان» .

لها[١] ثلاثُ بِئارٍ فى جَوانِبِها ... فى كُلِّها[٢] عُقَبٌ تُسْقَى بإِقْبال[٣]

اسْتَغْنِ أو مُتْ ولا يَغْرُرْكَ ذو نَشَبٍ[٤] ... من ابنِ عَمٍّ ولا عَمٍّ ولا خال

قال الزُّبير : العُقَب : الذى فى أوّلِ المالِ عند مَدخَلِ الماء ؛ والطلب : الذى فى آخره[٥]. قال : فأَشار له الأَحوصُ إليها ، وقال : ها هى تلك ، لو طَوَّلْتَ لأَشْقَرِك[٦] هذا لجالَ عليها ؛ فقال الوليدُ : إنَّ أَبا عمرٍو كانَ يراه غنياًّ بها . فعَجِب النّاسُ يومئذٍ لعنايةِ[٧] الوليدِ بالعِلْم ، حتَّى عَلِمَ أنَّ كُنية أُحيحة : أَبو عمرٍو .

* * *

بعض شعره الذى فيه الغناء

وفى [بعض][٨] هذا الشِّعرِ غناءٌ ، وهو :

صوت

اسْتَغْنِ أو مُتْ ولا يَغْرُرك ذُو نَشَبٍ ... من ابن عَمٍّ ولا عَمٍّ ولا خال

يَلْوُونَ[٩] مالَهمُ عن حَقِّ أَقْرَبِهم ... وعَنْ عَشيرتِهم والحقُّ للوالى[١٠]

(١) معجم البلدان : « بها » . (٢) ب ، جـ ، ومعجم البلدان : « فكلها » .

(٣) العقب : نوب الواردة، ترد قطعة فتشرب ، ثم ترد قطعة أخرى فتحل مكانها ، وهى أيضا الابل يرعاها الرجل ويسقيها ؛ الواحدة : عقبة . والإقبال : أشد السقى ، وذلك أن يصب الماء على رؤوسها وهى تشرب ، فكلما شربت ماءَ الحوض وجدت غيره . وانظر ما أورده الزبير بعد من شرح . يعنى : أن فى كل منها إبلا يتبع بعضها بعضا تشرب من ماء غزير . وفى ف : « سقى بإقبال » . وفى ب ، جـ ، س ، ل : « يسعى بإقبال » ، وكلاهما تحريف .

(٤) النشب : المال . والرواية فى معجم البلدان : « ذو نسب » .

(٥) يظهر أن فى الكلام نقصا وتخليطا . وانظر الحاشية (رقم : ٣) .

(٦) أشقرك ؛ أى: فرسك الأشقر . (٧) فى بعض أصول المختار : « من عناية » .

(٨) التكملة من ط، ف . (٩) يلوون: يجحدون . (١٠) رواية البيت فى معجم البلدان :

يلوون ما عندهم من حق جارهم ... ومن عشيرتهم والمال بالوالى

وفى البيان :

يلوون ما عندهم من حق أقربهم ... ومن عشيرتهم والمال بالوالى

غَنَّاه الهُذَلى رَمَلاً بالوُسطى ، من روايةِ الهشامِيّ ،وعَمْرِو بن بانة .

السبب فى قول هذا الشعر

وأمَّا السَّببُ فى قول أُحيحةَ هذا الشِّعرَ ،فإنَّ أحمد بن عُبيد الكاتب[1] ذَكر أنَّ محمد بن يَزِيدَ الكَلْبىّ حدَّثه ؛ وحدَّثه أيضا هشامُ بن محمد ، عن الشَّرَقىّ[2] بنِ القَطَامىّ[3] ؛ قال هشام : وحدَّثنى به أبى أيضا ، قال : وحدَّثنى رجلٌ من قُرَيش ، عن أبى عُبيدةَ بنِ [محمد بن][4] عمّارِ ابنِ ياسرٍ ؛ قال : وحدَّثنى عبدُ الرحمن بن سُليمان الأنصارىّ ؛ قالوا جميعًا : ١٢٠/١٣

أَقْبَلَ تُبَّعٌ الآخِر[5] ،وهو أبو كَرِبِ بنِ حَسَّان بن أَسْعد الحِمْيرىّ[6] ، من اليمنِ سائرًا[7] يُريد المَشْرِق ، كما كانت التَّبابعةُ تَفعل ، فمرّ بالمدينةِ ، فخلَّفَ بها ابنًا له ، ومَضى حتَّى قدم الشَّأْمَ ، ثم سار من الشأْمِ حتَّى قَدِم العِرَاقَ فنَزل بالمُشقَّرِ[8] ، فقُتِل ابنُه غِيلةً بالمدينة ، فبلغه وهو بالمُشقَّر مَقْتلُ ابنِه ، فكرَّ راجعًا إلى المدينةِ وهو يقول :

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . والذى فى ب ، س : «المكتب» ، وهو على بناء اسم الفاعل ، من كتَّب ، بالتشديد : من يعلم الصبيان الخط والأدب .

(٢) الشرق . بفتحتين وقاف ، كما فى تبصير المنتبه (ص: ٨١٠) ، وبسكون الراء ، كما فى الإكمال لابن ماكولا (٢ : ٧٣) .

(٣) قيده صاحب القاموس «قطم» بالعبارة «بالفتح – ويضم – وياء مشددة» . وقيده الخزرجى فى الخلاصة بالعبارة : «قطامى ، بضم القاف وفتح الميم» . ونقله عنه المحشى على تهذيب التهذيب . (٤) التكملة من تهذيب التهذيب ، فى ترجمة «محمد بن عمار بن ياسر» . فمن عمار يروى ابنه محمد ، وعن محمد يروى ابنه أبو عبيدة. (٥) كذا فى السيرة (١ : ٢٠) والطبرى (١ : ٥٢٩) وابن الأثير (١ : ٢٤٤) . والذى فى الأصول «الأخير» . (٦) كذا فى الأصول . والذى فى مروج الذهب للمسعودى (٢ : ٥) : «تبع بن حسان بن كليكرب» . والمعروف أن صاحب هذه الحادثة–كما فى السيرة، والطبرى ،وابن الأثير – هو : أسعد بن كليكرب، وهو تبع الآخر ، ابن زيد ، وهو تبع الأول ، وأن أباكرب: كنية حسان بن تبع الآخر . (٧) ط، ف ، ل : «يسير» . (٨) المشقر : أمكنة كثيرة، ذكرها ياقوت، ولم يذكر من بينها واحداً بالعراق.

يادا المَعاهد [١] ماتَزَالُ تَرُودُ رَمَدٌ بعَيْنِكَ عادها أم عُودُ [٢]
منعَ الرُّقادَ فما أُغمِّضُ ساعةً نَبَطٌ بِيَثْرِبَ آمنُون قُعُود
لاتَستقِى [٣] بيدَيْكَ إنْلمْتَلْقها حَرْبًا [٤] كأَنَّ أشاءها مَجْرُود [٥]

ثم أقبلَ حتَّى دَخل المدينةَ ، وهو مُجْمِعٌ على إخرابها ،وقَطْع نَخلِها ، واستئصالِ أَهلِها ، وسَبْى الذُّرِّيَّة ؛ فنَزلَ بسَفح أُحُد فاحتفر بها بِئْرًا - فهى البئرُ التى يقال لها إلى اليوم : بِئر المَلِك - ثم أرسل إلى أشرافِ المدينةِ ليأتُوه ، فكان فيمن أرسَلَ إليه : زيدُ بن ضُبَيعة بنِ زَيدِ بنِ [مالك بن عوف بن] [٦] عمرو بنِ عوفٍ ، وابنُ عمِّه زيدُ بن أُمَيَّة ابن زَيد ، وابنُ عمِّه زَيد بن عُبيدِ بنِ زَيدٍ - وكانوا يُسمَّوْن : الأَزيادَ - وأُحيحةُ بن الجُلاحِ ؛ فلمَّا جاء رسولُه ،قال الأَزيادُ : إنما أَرسَلَ إلينا ليُملِّكَنا على أَهلِ يَثْرب ؛ فقال أُحيحة : واللهِ ما دعاكم لخَيرٍ ، وقال :

لَيتَ حَظِّى من أبى كَرِبٍ أنْ يَرُدَّ [٧] خَيْرُهُ خَبَلَهْ [٨]

(١) ط ، ف : « ياذا معاهد » . وما أثبتنا من سائر الأصول .
(٢) ترود : تذهب وتجىء . أم عود ؛ أى : أم طرقت بعود .
(٣) المختار : « لا تسقى » .
(٤) ط : « إن لم يلقها * حرب » .وفى ف ، ل: « إن لم تلقها * حرب » .
(٥) الأشاء : صغار النخل . ومجرود : جرد خوصه .
(٦) التكملة من جمهرة الأنساب (ص ٣٣٢ - ٣٣٣) . وزيد ، هذا ، هو: ابن مالك ابن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، وله من الولد : ضبيعة ، بطن ؛ وأمية ، بطن ؛ وعبيد ، بطن. (٧) السيرة (ص : ٢١) والتيجان لوهب بن منبه (ص : ٢٩٤) : « أن يسد » . (٨) كذا فى ط ، ف ، ل ، والسيرة ،والتيجان . والذى فى سائر الأصول: « خيره جبله » . وتنسب السهيلى هذا البيت لعجوز من بنى سالم، اسمها: جميلة ، قالته حين جاء مالك ابن العجلان بخبر تبع . (انظر : السيرة) .

فذهبَتْ مثلا .

وكان يقال : إنَّ مع أُحيحة تابعًا من الجنّ يُعلِّمه الخَبَر[١] ، لكثرةِ صوابه ، لأنَّه كان لا يظنُّ شيئًا فيُخبر به قومَه إلا كان كما يقول . فخرجوا إليه ، وخرج أُحيحةُ ، ومعه قَينةٌ له وخِباءٌ ، فضُرِب الخباءُ ، وجُعِل فيه القينةُ والخَمر ، ثم خَرج حتّى استأذن على تُبّع ، فأَذِن له ، وأَجْلسه معه على زَرْبِيَّة[٢] تَحته ، وتَحدَّث معه وسأله عن أموالِه بالمدينةِ ، فجعل يُخْبِره عنها ، وجعل تُبَّعٌ كلَّما أخبره عن شيء منها يقول : كلُّ ذلك على هذه الزَّرْبيةِ ؟ يريد بذلك تُبَّعٌ قَتْلَ أُحَيحة . ففطِنَ أُحيحةُ أنه يُريد قَتْلَه ، فخرجَ من عندِه فدَخَل خِباءه ، فشَرِب الخمرَ ، وقرَضَ أبياتًا ، وأَمر القَينةَ أن تُغنّيَه بها . وجَعل تُبَّعٌ عليه حَرَسًا ، وكانت قَينتُه تُدْعىَ : مُليكةَ ، فقال :

يَشتاقُ قَلْبي إلى مُلَيكةَ لو   أَمْسَتْ قَريبًا ممَّن[٣] يُطالبُها

الأَبيات . وزاد فيها ممّا ليس فيه غناءٌ :

لِتَبْكِنى قَينةٌ ومِزْهرُها   ولْتَبْكِنى قَهوةٌ وشارِبُها
ولْتَبكِنى ناقةٌ إذا رُحِلَتْ   وغاب في سَرْدَحٍ[٤] مَناكِبُها
ولْتبكِنِى عُصْبةٌ إذا جُمِعتْ[٥]   لم يَعلم الناسُ ما عَواقبها

---

(١) المختار : « الأخبار » . (٢) الزربية : الطنفسة ، وقد قيدها صاحب القاموس بالعبارة : « بالكسر ، وتضم » . وقيدها صاحب لسان العرب بالعبارة : « بفتح الزاى وسكون الراء ، نقلا عن ابن الأعرابى » . (٣) الخزانة : « أمسى قريباً لمن » .

(٤) كذا فى أكثر الأصول . والسردح : الأرض اللينة المستوية . والذى فى ج ، ط ، والخزانة « سربخ » . والسربخ : الأرض الواسعة . (٥) ط ، ف ، ل ، والخزانة : « إذا اجتمعت » .

فلم تزل القَينةُ تُغنّيه بذلك يومَه وعامّةَ ليلتِه[١] ،فلما نامَ الحُرّاسُ[٢] قال لها : إنِّى ذاهبٌ إلى أهلى فشُدِّى[٣] عليك الخِباء ، فإذا جاء رسولُ الملك فقُولى له : هو نائم ، فإذا أبَوْا إلّا أن يُوقِظونى فقُولى : قد رَجَع إلى أهْلِه وأرْسَلَنى إلى المَلك برسالةٍ ، فإنْ ذهبوا بكِ إليه فقُولى له : يقول لكَ أُحيحةُ : اغْدِر بقَينةٍ أو دَعْ . ثم انطلَقَ فتحصَّنَ فى أُطُمِه[٤] الضَّحْيانِ[٥] ، وأرسل تُبَّعٌ من جَوْفِ اللَّيلِ إلى الأَزيادِ فقَتَلهم على فَقَارة[٦] من فَقَار تلك الحَرَّة . وأرسل إلى أُحيحة لِيقْتُلَه ، فخرجتْ إليهم القَينةُ ، فقالت : هو راقدٌ ، فانصرَفُوا ، وتَردَّدُوا عليها مرارًا ، كُلَّ ذلك تَقول : هو راقدٌ . ثم عادوا فقالوا : لَتُوقِظِنَّه أو لندخُلَنَّ عليكِ ؛ قالت : فإنه قد رَجع إلى أهلِه ، وأرْسلنى إلى الملك برسالةٍ . فذهبوا بها إلى الملكِ ، فلمّا دخلَتْ عليه سأَلها عنه ، فأَخبرتْه خَبَره ، وقالت : يقول لك : اغدِر بقَينةٍ أودَعْ . فذَهبتْ كلمةُ أُحيحة هذه مَثَلاً ؛ فجرّدَ له كَتيبةً من خَيْلِهِ ، ثم أرسلَهم فى طلبِه ، فوجَدُوه قد تَحصَّنَ فى أُطُمِه ، فحاصروه ثلاثًا ؛ يُقاتلُهم بالنَّهار ويَرْميهم بالنَّبْل والحجارةِ ، ويَرمِى إليهم باللَّيلِ بالتَّمر ، فلمّا مَضت الثلاثُ

١٢١ / ١٣

(١) ط ، ف ، ل : «وعامة ليله» . (٢) المختار : «الحرس» .

(٣) ط ، ف ، ل : «فسدى» بالسين المهملة .

(٤) الأطم : الحصن . (٥) الضحيان : بناء أحيحة فى أرضه، التى يقال لها : القبابة . (معجم البلدان) . (٦) كذا فى جـ ، ف ، ل ، والمختار. وفى ط : «فقرة» . والفقارة والفقرة ، بمعنى ، وهى ما انتضد من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العجب ، شبه نتوءات الحرة بها . والذى فى سائر الأصول : «قفارة من قفار» ، تصحيف .

رَجعوا إلى تُبَّعٍ ، فقالوا : بَعَثْتَنَا[1] إلى رجُلٍ يُقاتلنا بالنَّهارِ ، ويُضيفنا باللَّيل : فتركه ، وأمرهم أن يُحرِّقوا نَخْلَه . وشَبَّت[2] الحربُ بين أهلِ المدينة ، أَوْسِها وخَزْرجِها ويَهُودِها ، وبين تُبَّع ، وتَحصَّنوا فى الاطام . فخرج رجلٌ من أصحابِ تُبَّع حتى جاء بَنِى عَدىّ بن النجّار ، وهم مُتحصِّنون فى أُطمِهم ، الذى كان فى قِبْلةِ مَسجدِهم ، فدخل حديقةً من حدائِقِهم ، فرَقِىَ عِذْقًا[3] منها يَجُدُّها[4] ، فاطَّلعَ إليهِ[5] رَجُلٌ من بنى عَدِىّ ابنِ النجّارِ من الأُطمِ ، يُقال له : أحمر — أو صَخر[6] — بن سليمان ، من بنى سَلمة ، فنزل إليه فَضَربَه بِمنْجلٍ حتّى قَتلَه ، ثم ألقاه فى بِئر ، وقال : جاءنا يَجُدُّ نَخْلنا[7] ، إنّما النَّخل لِمَنْ أَبَرَهُ[8] . فأرسَلها مثلاً . فلما انتهى ذلك إلى تُبَّع زاده حَنَقًا ، وَجَرَّدَ إلى بنِى النجّار جَرِيدةً[9] من خَيلِه ، فقاتلهم بنو النجّار ، ورئيسُهم عمرو بن طَلَّة[10] أخو بنى معاوية ابنِ مالكٍ بنِ النجّار[11] ، وجاء بعضُ تلك الخُيولِ إلى بنى عَدىّ ، وهم مُتحصِّنون فى أُطُمِهم الذى فى قِبْلةِ مسجدِهم ، فرامَوْا[12] بنى عدىّ بالنَّبْلِ ، فجعلت نَبْلُهم تَقع فى جِدارِ الأُطم ، فكان على أُطُمِهم مِثلُ

(١) كذا فى أكثر الأصول، والمختار . والذى فى ط ، ف ، ل : « تبعثنا » .
(٢) فى بعض أصول المختار : « ونشبت » . (٣) علقا ؛ أى : نخلة . (٤) ب ، ج ، س ، ل ، والمختار : « يجده » . والجد : قطع التمر . (٥) ج : « فاطلع عليه » .
(٦) ط ، والمختار : « صحر » ، بالحاء المهملة . (٧) ط ، ف ، ل : « ونخلتنا » .
(٨) أبر النخل : إصلاحه وتلقيحه . (٩) الجريدة من الخيل : القطعة عليها فرسانها .
(١٠) كذا فى ط ، ف ، ل ، والسيرة ، والطبرى ، والتيجان . والذى فى سائر الأصول : « طلحة » ، تحريف . وطلة : أمه ، وهى بنت عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزوج . (١١) السيرة : « عمرو بن طلة : عمرو بن معاوية بن عمرو بن عامر بن مالك ابن النجار » . (١٢) بعض أصول المختار : « فرموا » .

الشَّعَرِ من النَّبلِ ، فسُمِّى ذلك الأُطم : الأشعر . ولم تَزَلْ بقايا النَّبل فيه حتَّى جاء الله عزَّ وجلّ بالإسلام . وجاء بعضُ جُنودِه إلى بنى الحارثِ بنِ الخَزرج ، فجدَّعوا نَخلَهم من أنصافِها ، فسُمِّيت تلك النخلُ : جُذْمان ، وجَدَعُوا هم فرسًا لتُبَّع ، فكان تُبَّع يقول : لقد صَنَع بى أهلُ يثربَ شيئًا ما صَنَعه بى أحدٌ : قتلوا ابنى وصاحبى ، وجَدَعوا فرسى .

حديث محاولة تبع إخرابه المدينة

قالوا : فبينا تُبَّعٌ يريد إخرابَ المَدينةِ ، وقَتْل المُقاتِلة ، وسَبْىَ الذُّرِّيَّةِ ، وقَطْعَ الأموال[1] ، أتاه حِبْرانِ[2] من اليهودِ فقالا ، أيها الملك ، انصرفْ عن هذِه البلدةِ فإنَّها محفوظة ، وإنَّا نجد اسمَها كثيرًا فى كتابِنا[3] ، وأنَّها مُهاجَرُ نبىٍّ من بنى إسماعيل ، اسمُه : أحمد ، يخرج من هذا الحَرم[4] من نحو البيتِ الذى بمكة ، تكون دارَه وقَرارَه ، ويتْبعه أكثرُ أهْلِها . فأعْجبَه ما سَمع منهما ، وكَفَّ عن الذى أراد بالمدينةِ وأهْلِها ، وصَدَّق الحَبْرَين بما حدَّثاه ، وانصرف تُبَّعٌ عما كان أراد بها ، وكَفَّ عن حَربِهم ، وآمنهم حتَّى دخلوا عَسكره ، ودخَل جُنْدُه المدينة ، فقال عمرو بن مالك بنِ النجَّار[5] ، يذكر شأنَ تُبَّع ، ويَمدح عمرو بنَ طَلَّة :

أَصَحا أمْ انتَحى[6] ذُكَرَهْ[7] أم قَضَى من لَذَّةٍ وَطَرَهْ

(١) فى بعض أصول المختار : «والنخيل» . (٢) الحبر ، بالكسر ، ويفتح : العالم ، والصالح .
(٣) المختار : «واسمها مكتوبا فى كتابنا» . (٤) بعض أصول المختار : «الحرة» . (٥) فى السيرة ، والطبرى (١ : ٥٧٠) : أن قائل هذا الشعر هو : خالد بن عبد العزى بن غزية بن عمرو بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار . (٦) ج ، ط ، ف ، ل : «بعلم ما انتحى» . والسيرة : «أم تنهى» . والطبرى : «أم انتهى» . (٧) ذكر : جمع ذكرة ، كفكرة وفكر وهى بمعنى الذكر ، ضد النسيان .

بعد ما ولَّى الشَّبابُ وما ذِكْرُهُ الشَّبابَ[1] أو عُصُرَه

إنَّها حَـــرْبٌ رَبَاعيَــــةٌ[2] مِثْلُهــــا آتى الفتَى عِبَرَه

سائِلِي[3] عِمْرانَ[4] أو أَسَـــدًا إذْ أتَتْ تَعْدُو[5] مع الزُّهَرَه[6]

فَيْلَقٌ فيــــه أبو كَرِبٍ سُبَّغٌ[7] أبْدانُه ذَفِــــرَه[8]

ثم قالوا مَنْ نَـؤُمُّ بهـــا أبَنِى[9] عَوف أم النَّجرَه[10] ١٢٢ / ١٣

يا بَنى النَّجّارِ إنَّ لنـــا فِيكُمُ ذَحْلًا[11] وإنَّ تِرَه[12]

---

(١) ج ، ط : « ذكرت شبابه » ، تحريف. وفى الطبرى ، والسيرة : « ذكرك الشباب » .

(٢) السيرة ، والطبرى : « رباعية » . قال أبوذر فى شرح السيرة : « يريد أنها ليست بصغيرة ولا جذعة ، بل هى فوق ذلك ، وضرب سن الرباعية مثلا ، كما يقال : حرب عوان ، لأن العوان أقوى من الفتية وأدرب » .

(٣) السيرة : « فاسألا » . والطبرى : « فسلا » .

(٤) كذا فى أكثر الأصول ، والسيرة ، والطبرى . والذى فى ب ، ج ، س : « همدان » .

(٥) السيرة : « عدوا » .

(٦) رواية البيت فى الطبرى :

فسلا عمران أو فسلا أسدا إذ يغدو مع الزهره

(٧) كذا فى ف ، ل ، والسيرة . وسبغ ، أى : كاملة . والذى فى الطبرى : « سابغا » . وفى ط : « سبع » ، بالعين المهملة . والذى فى سائر الأصول : « تبع » .

(٨) الأبدان : الدروع . وذفرة ، من الذفر ، وهو سطوع الرائحة ، طيبة كانت أو كريهة . وأما الدفر ، بالدال المهملة ، فهو فيما كره من الروائح . (٩) كذا فى السيرة . والذى فى الطبرى : « من يوم بها * أبنى » . والرواية فى جميع الأصول : « من يوم بنا * أبنو » . وما أثبتناه أولى بالسياق . (١٠) النجرة ، أى : بنى النجار ، وهذا قيل كما فى بنى المنذر : المناذرة . والنجرة : جمع ناجر ، والناجر والنجار ، بمعنى واحد . والنجار ، هم : تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ، وسمى النجار ، لأنه — فيما ذكر — نجر وجه رجل بقدوم .

(١١) السيرة : « فيهم قتل » . والطبرى : « فيهم قبل الأوان تره » .

(١٢) كذا فى ، ط ، ل ، والسيرة ، والطبرى . أراد : أن لنا قبل وترة ، فأظهر المضمر . وهذا البيت شاهد على حروف العطف يضمر بعدها العامل المتقدم . (الروض الأنف) . والذى فى سائر الأصول : « وأن ترمه » .

فتلقَّتْهم مُسَايِفةً[١] مَدُّها كالغَبْيَةِ[٢] النَّثِرِه[٣]

الغَبْيَة : السَّحابة التى فيها مَطرٌ وَبرْقٌ بِرَعْد .

فيهمُ عَمرو بن طَلَّةَ لا هُمَّ[٤] فامنَحْ قَومَه[٥] عُمُرَه

سَيِّدٌ سامَى[٦] المُلوكَ ومَنْ يَدْعُ عَمْرًا لا يَجِدْ قَدَرَه[٧]

وقال فى ذلك رجلٌ من اليهود[٨] :

تُكلِّفنى بِن تكاليفها نَخِيلَ الأَسَاوِيفِ والمَصْنَعه[٩]

نَخيلاً حَمَتْها بنُو مالكٍ جُنودُ[١٠] أبى كَرِبَ المُفْظِعه

شعر أحيحة فى رثاء الأزياد

وقال أُحَيحةُ يَرثى الأزيادَ الذين قَتَلَهم تُبَّع :

ألا يا لهفَ نَفْسى أىَّ لَهْفٍ على أهْلِ الفَقارةِ[١١] أىَّ لَهْفِ

---

(١) كذا فى جميع الأصول، والسيرة . والمسايفة، بكسر الياء: من يقاتلون بالسيوف ، وبفتحها ، على الحال ؛ أى : قتلا بالسيوف . والذى فى الطبرى، «عشنقة» .. والعشنقة : الطويلة التى ليست بضخمة ولا مثقلة ؛ يريد : قوساً .

(٢) كذا فى السيرة، والطبرى . والذى فى الأصول: «كالصبية» ، على أنها مخففة من المشددة . (٣) النثرة : التى لا تمسك ماء ، يصف كثرة ما يتقلف عن القوس .

(٤) لاهم ؛ أى : اللهم . (٥) ب ،س : «نوله» . السيرة : «مل الإله قومه عمره» . ومل الإله قومه عمره ؛ أى : أمتعهم به .

(٦) سامى : ساوى . ويروى : «سام»؛ أى: كلفهم أن يكونوا مثله فلم يقدروا على ذلك. (الروض الأنف) . (٧) السيرة : «ومن * رام عمرا لا يكن قدره» . والطبرى : ومن * يغز عمرا لا يجد قدره» . وقدره ؛ أى: مثله .

(٨) الطبرى : وقال رجل من الأنصار يذكر امتناعهم من تبع » . (٩) الطبرى : «والمتصعة» . (١٠) الطبرى : «خيولك» .

(١١) كذا فى ج، ط . والذى فى سائر الأصول : «الفقار» . (انظر الحاشية ٦ ص: ٥٣٠٨) .

مَضَوا قَصْدَ السَّبيلِ وخَلَّفُونى ... إلى خَلَفٍ من الأَبرام خَلْفِ[١]
سُدًى لا يَكتَفُون ولا أَرَاهم ... يُطيعُونَ امرأً[٢] إن كان يَكْفى

قالوا : فلما كَفَّ تُبَّعٌ عن أهلِ المدينةِ اختلطوا بعسكره فبايَعُوهم وخالطوهم . ثم إنَّ تُبَّعًا استَوْبأ[٣] بِئْرَه التى حفَرها ، وشكا بَطْنَه من[٤] مائها ؛ فدخلت عليه امرأةٌ من بنى زُرَيْقٍ ، يقال لها : فَكِهةُ بنت زيدِ ابنِ خَلْدة[٥] [ابن مَخْلد][٦] ابنِ عامرِ بنِ زُرَيقٍ ، وكانت ذاتَ جَلَد وشَرف فى قومِها ، فشَكا إليها وبَأَ بِئْرِه ، فانطلقتْ فأَخذَتْ قِربًا وحمارَيْن حتَّى استقَتْ له من ماء رُومة[٧] ، فشَرِبَه فأَعْجبَه ، وقال : زِيدِينى من هذا الماء . فكانت تَختلفُ إليه فى كُلِّ يوم بماء رُومة ، فلمَّا حان رَحيلُه دعاها ، فقال لها : يا فَكِهة ، إنَّه ليس مَعَنا من الصَّفْراء والبَيْضاء شىء[٨] ، ولكنْ لكِ ما تَركْنا مِن أزوادنا ومَتاعِنا . فلمَّا خرجَ تُبَّعٌ نَقَلت ما تَركوه من أزوادِهم ومَتاعِهم ؛ فيُقال : إنه لم تَزل فكِهةُ أكثرَ بنى زُرَيقٍ مالاً حتَّى جاء الإسلامُ .

خروج تبع إلى اليمن

قال : وخرج تُبَّعٌ يُريد اليمنَ ، ومعه الحَبْرانِ اللذان نَهَياه عن المدينة ، فقال : حين شَخِصَ من منزلِه : هذه قُبَاءُ الأَرضِ ، فسُمِّيت : قُباء . ومَرَّ بالجُرُف ، فقال : هذا جُرُف الأَرضِ ، فسُمِّى : الجُرُفَ ،

(١) الأبرام : جمع برم ، بالتحريك ، وهو الجبان . والخلف ، بالفتح : الأشرار .
(٢) س : «يصونون امرأ» . (٣) استوبأ : استوخم .
(٤) كذا فى ب ، ج ، س ، والمختار . والذى فى سائر الأصول : «عن» .
(٥) ط ، ف ، ل : «جلدة» . و : «خلدة» . والذى فى سائر الأصول : «كلدة» ، وكلها تصحيف وتحريف . وما أثبتنا من جمهرة أنساب العرب (ص : ٣٥٧) .
(٦) التكملة من جمهرة الأنساب . (٧) رومة : أرض بالمدينة بين الجرف وزغابة ، دونها بئر تضاف إليها . (٨) الصفراء : الدنانير . والبيضاء : الدراهم .

وهو أرفعها ، ومرّ بالعَرْصةِ ، وتُسمّى : السّليل ، فقال : هذه عَرْصة الأَرضِ ؛ ثم انحدر فى العَقِيق ، فقال : هذا عقيقُ الأَرضِ ، فسُمّى : العقيقَ ؛ ثمّ خَرجَ يسير حتّى نَزل البَقِيع ، فنزلَ على غديرِ ماءٍ يُقال له : بَرَاجمُ ، فشرِبَ منه شَربةً فدخلت فى حَلْقِه عَلَقَةٌ فاشتكى ، فقال ، فيما ذكر أبو مِسكينٍ : قولَه :

ولقد شَربتُ على بَراجِمَ شَرْبةً   كادت بباقيةِ الحَياة تُذِيعُ[1]

قصد تبع إلى البيت وخبر الحبرين

ثم مضى ، حتّى إذا كان بجُمْدان[2] جاءه نفرٌ من هُذَيل[3] ، فقالوا له : اجعَلْ لنا جُعْلاً ونَدُلُّك على بَيتِ مالٍ فيه كنوزٌ من اللُّؤلُؤ والياقوت والزّبرجدِ والذهب [والفِضّة][4] ، ليست لأَهله مَنَعةٌ[5] ولا شَرَف ؛ فجعل لهم على ذلك جُعْلاً ؛ فقالوا له : هو البيتُ الذى تَحجُّه العربُ بمكّة ، وأرادوا بذلك هَلاكَه . فتوجّهَ نحوه ، فأَخذَتْه ظُلْمةٌ منعَتْه من السّير ، فدعا الحَبْرين فسأَلهما ، فقالا : هذا لِمَا أجمعْتَ عليه فى هذا البيت ، والله مانِعُه منك ، ولن تَصِلَ إليه ، فاحذَرْ أنْ يُصيبك ما أصاب مَن انتهك حُرماتِ الله ، وإنّما أَراد القومُ الذين أمروك به هلاكَك ، لأنّه لم يَرُمْهُ أَحدٌ قطُّ بشَرٍّ إلاّ أَهلكَه الله ، فأَكرِمْه وطُفْ به ، واحْلِقْ رأْسَك عنده ؛ فترَك الذى كان أَجمعَ عليه ، وأَمر بالهُذَليّين فقَطَّع أَيدِيَهم

١٢٣ / ١٣

(١) كذا فى جـ ، والمختار . وأذاع بالشىء : ذهب به . والذى فى ط ، ف ، ل : « تريع » . والذى فى سائر الأصول : « تريع » . (٢) كذا فى جـ ، ط ، والمختار . وجمدان ، بالجيم والضم : من أعراض المدينة . والذى فى سائر الأصول : « حمدان » بالحاء المهملة ، تصحيف .

(٣) كذا فى ط ، ف ، ل ، والمختار ، والتيجان (ص ٢٩٥) . والذى فى سائر الأصول : « قريش » ، تحريف . (٤) التكملة من ط ، ف ، ل ، والمختار .

(٥) منعة : بالتحريك ويسكن : من يمنع عنه من العشيرة والأهل .

وأرجلَهم ؛ ثم خرجَ يَسير حتّى أتى مكّة ، فنزل بالشِّعب من الأبْطَح ، وطاف بالبَيت وحَلق رأسه ، وكساه الخَصَفَ[1]

ما حدث لتبع حين أراد هدم البيت

قال هشامٌ : وحدّثنى ابنٌ لجرير بن يزيدَ البَجلىّ ، عن جَعْفرِ بنِ محمد ، عن أبيه ؛ قال هشام : وحدّثنى أبى ، عن أبى صالح[2] ، عن ابنِ عبّاس ، قال :

لمَّا أقبلَ تُبَّعٌ يُريد هَدْمَ البيتِ وصَرْفَ وُجوهِ العربِ إلى اليمن ، بات صَحيحًا ، فأصبح وقد سالَتْ عَيناه على خَدَّيْه ، فبعَثَ إلى السَّحَرة والكُهّان والمُنَجِّمين ، فقال : مالِى ! فواللهِ[3] لقد بِتُّ لَيلتى ما أجد شيئًا ، وقد صِرْتُ إلى ما تَرَوْن ؛ فقالوا : حَدِّثْ نفسَك بخيرٍ . ففعَلَ ، فارتدَّ بَصيرًا ، وكسا البيتَ الخَصَفَ .

هذه روايةُ جعفرِ بنِ محمدٍ ، عن أبيهِ . وفى روايةِ ابنِ عبّاس :

فأُتِى فى المنام ، فقيل له : اكْسُه أحسَنَ من هذا ؛ فكساه الوصائلَ — قال : وهى بُرود العَصْب[4] ، سُمِّيت : الوصائل ، لأنَّها كانت يُوصَل بعضُها ببعضٍ — قال : فأقام بمكةَ ستَّة أيَّامٍ يُطعم الطعام ، ويَنحر فى كُلِّ يوم ألفَ بعيرٍ ، ثم سار إلى اليمن وهو يقول :

ونَحَرنا بالشِّعبِ سِتَّةَ آلا ... فٍ نَرى الناسَ نَحوهنَّ وُرُودَا

(١) الخصف : الثياب الغلاظ .

(٢) كذا فى ط ، ف ، ل . وهو : أبو صالح ذكوان السمان الزيات المدنى ، وله رواية عن ابن عباس . (تهذيب التهذيب ٣ : ٢١٩ ، ٥ : ٢٧٧) . والذى فى سائر الأصول : «عن صالح» . (٣) ط ، ف ، ل : «فقال والله» . (٤) كذا فى ج ، ط ، ف ، ل . والعصب : ضرب من برود اليمن . والذى فى سائر الأصول : «القصب» .

وكَسوْنَا البيتَ الذى حَرّمَ اللّـ ـهُ مُلَاءً مُعَضّدا(١) وبُرودا
وأقمْنا بهِ من الشّـــهرِ سِتّاً وجَعلنـا لـه بـهِ إقْلِيـدا(٢)
ثم أبْنَـا منــه نَـؤُمُّ سُهَيْـلاً قد رفَعنا لِواءَنا المَعْقُـودا(٣)

قال : وتَهوّد تُبّعٌ وأهلُ اليمن بِلَبِيْنِك الحَبْرين .

الحرب بين القواقل وبنى النجار وخبر أحيحة فى ذلك وشعره

أخبرنى محمدُ بن يزيد(٤) ، قال : أخبرنى حمادُ بن إسحاق ، عن أبيه ، قال : حَدّثنى أبو البَخْتَرىّ ، عن أبى إسحاق ، قال : أخبرنى أيُّوبُ ابن عبد الرحمن :

أنّ رجلاً من بنى مازن بنِ النجّار ، يُقال له : كعب بن عمرٍو ، تَزوّج امرأةً من بنى سالم بنِ عوفٍ(٥) ، فكان يَختلف إليها ، فقَعدَ له رَهطٌ من بنى جَحْجَبَى بمَرْصَد ، فضَربوه حتّى قَتلوه أو كادُوا ، فأدركه القَواقِلُ(٦) فاستَنقذوه ؛ فلمّا بلغ ذلك أخاه عاصمَ بن عمرٍو خَرج ، وخَرج معه بَنُو النجّار ، وخَرج أُحيحةُ بن الجُلَاح ببنى عَمرِو بنِ عوف ، فالتقَوْا بالرُّحابة(٧) ، فاقتتلوا قتالاً شديدًا ، فقَتلَ أخا عاصم يومئذ أُحيحةُ بن الجُلاح ، وكان يُكنى : أبا وَحْوحة ، فأصابَه فى أصحابه حينَ

(١) كذا فى ا ، ب ، س . والمعضد من الثياب ونحوها ، ماله علم فى موضع العضد . والذى فى سائر الأصول ، وإحدى روايتى المختار : «منضدا» ، ورواية المختار الأخرى : «معصبا» . والمعصب : ضرب من البرود . (٢) الإقليد : المفتاح . (٣) سهيل : نجم مطلعه اليمن ؛ أى : نؤم اليمن .

(٤) كذا فى جـ ، ط ، ف ، ل . والذى فى سائر الأصول : «محمد بن مزيد» .

(٥) فى أكثر الأصول : «سالم بن عون» ، تحريف . وما أثبتنا من ط ، ف ، ل ، وجمهرة أنساب العرب . (ص : ٣٥٣) .

(٦) كذا فى ف ، ل . والقواقل ، بقافين ، من ولد قوقل بن عوف ، أولاد عم سالم بنى عوف ، الذين كانت منهم زوجة كعب بن عمرو . والذى فى سائر الأصول : «القوافل» ، بقاف وفاء ، تصحيف . (انظر جمهرة أنساب العرب : ٣٥٣ - ٣٥٤) .

(٧) الرحابة ، بضم أوله : أطم بالمدينة .

انهزموا ، وطلبَ عاصمٌ أُحيحةَ حتّى انتهى إلى البُيوتِ ، فأدركه عاصمٌ عند بابِ دارِه ،فزَجَّه بالرُّمح ، ودخَل[1] أُحيحةُ البابَ ، ووقع الرُّمحُ فى الباب ، ورَجع عاصمٌ وأصحابُه ، فمكثَ أيّامًا . ثم إنَّ عاصمًا طلبَ أُحيحةَ ليلاً لِيَقْتلَه فى داره ، فبلغ ذلك أُحيحةَ ، وقيل له : إنَّ عاصمًا قد رُئى البارحةَ عند[2] الضَّحْيان والغابة[3] – وهى أرضٌ لأُحَيحة ، والضَّحْيان : أُطُم له – وكان أُحيحة إذ ذاك سيِّدَ قَوْمِه من الأَوْس ، وكان رجلاً صَنَعًا[4] للمال ، شَحيحًا عليه ، يَبيع[5] بَيْعَ الرِّبا بالمدينة ،حتّى كاد يُحِيط بأموالهم ، وكان له تِسْعٌ وتِسعُونَ بعيرًا[6] كلُّها ينْضَحُ عليها ، وكان له بالجُرُفِ صَوْرٌ[7] من نَخْلٍ قلَّ يومٌ يمرُّ به إلّا يَطَّلع فيه ، * وكان له أُطُمان : أُطمٌ فى قومِه ،يقال له : المُستَظَلّ ، وهو الذى تَحصَّن فيه حين قاتل تُبَّعًا أَسْعدَ أبا كَرِبِ الحِمْيرىّ[8] ، وأُطُمُه الضَّحْيان ١٢٤/١٣ بالعُصْبة[9] فى أَرْضِه ، التى يُقال لها :الغابة[10] ، بناه بحجارة سُود وبَنَى عليه نَبْرَةً[11] بَيضاء مِثْلَ الفِضّة ، ثم جَعل عليها مِثْلَها ، يَراها الراكبُ من مَسيرة يومٍ أو نَحوه ، وكانت الآطام هى عِزَّهم ومَنَعتهم وحُصونهم التى

(١) كذا فى جـ ، ط ، ف ، ل . والذى فى سائر الأصول : «وقفل» .

(٢) كذا فى ط ، ف ، ل . والذى فى سائر الأصول : «قد زوى عن» .

(٣) أ : «والعبابة» . جـ : «العنانة» . ط : «والعناية» . ف : «والعاية» . وما أثبتناه من سائر الأصول ومعجم البلدان. (٤) كذا فى أكثر الأصول. والصنع: الحاذق . والذى فى ط ، ل : «صنيباً» ، تحريف. (٥) ط ، ف ، ل : «يتبع» . (٦) ط ، ف : «بئراً» .

(٧) كذا فى ف ، ل . والصور : جماعة النخل ، لا واحد له من لفظه . والذى فى سائر الأصول : «أصوار» ، يريد جمع «صور» ، والمنقول فى جمعه : صيران . (٨) فيما مر أن تحصنه كان فى الضحيان . (٩) انظر الحاشية (رقم : ٥ ص : ٥٣١٨) .

(١٠) انظر الحاشية (رقم ٣ من هذه الصفحة) . (١١) كذا فى أكثر الأصول . والنبرة : كل ما ارتفع من شيء . والذى فى ط ، ف ، ل : «بثرة» ، تحريف .

يَتحَرَّزون فيها من عَدُوّهم . ويَزعمون أنّه لمّا بناه أشرف هو وغلامٌ له ، ثم قال : لقد بَنيتُ حِصْنًا حَصينًا ما بَنى مثلَه رَجُلٌ من العرب أمْنَع ولا أكْرمَ ، ولقد عَرَفتُ موضعَ حَجرٍ منه لو نُزِع(١) لوَقع جميعًا ، فقال غلامُه : أنا أعرفه ؛ فقال : فأرِنيه يا بُنَيّ ؛ قال : هو هذا ، وصَرفَ إليه رأسَه ، فلمّا رأى أُحيحةُ أنّه قد عَرَفه دَفعَه من رأسِ الأُطُمِ فوقع على رأسِه فمات ، وإنّما قَتَله إرادةَ ألّا يَعْرِف ذلك الحجرَ أحَدٌ .

ولمّا بناه قال :

بَنيتُ بعـد مُستظَـلٍّ ضاحِيًـا   بَنيتُـه بعُصْبـة(٢) مِن ماليَـا
والسِّرُّ مما يَتبع القَواصِيَـا(٣)   أخْشَى رُكَيْبًـا أو رُجَيْـلاً عاديا(٤)

وكان أُحيحةُ إذا أمْسَى جلَس بحذاء حِصْنِه الضَّحيانِ ، ثم أرسل كِلابًا له تَنبح دُونَه على مَن يأتيه ممّن لا يعرف ، حذرًا أن يأتِيَه عدوٌ يُصيبه منه غِرّة ؛ فأقْبل عاصمُ بن عمرٍو يُريده فى مَجلسه ذلك لِيقتلَه بأخيه ، وقد أخذ معه تمرًا ، فلما نَبحته الكلابُ حين دنا منه ألقَى لها التّمْر فوقَفَتْ ، فلمّا رآها أُحيحةُ قد سكَنَت حَذِر ، فقامَ فدخلَ حِصْنَه ، ورماه عاصمٌ بسَهْمٍ فأحْرزَه منه البابُ(٥) ، فوقع السَّهمُ بالباب ، فلما سَمِع أُحيحةُ وقْعَ السَّهم صَرخَ فى قَومِه ، فخرج عاصمُ بن عمرو ، فأعجزَهم حتّى أتَى قومَه . ثمّ إنّ أُحيحةَ جَمع لبَنى النجّارِ ، فأراد أن

(١) المختار : « تزعزع » .   (٢) ط ، ف ، ل : « بقودة » .
(٣) كذا فى جـ ، ط ، ف ، ل ، والذى فى سائر الأصول :
* الستر مما يتبع القواصيا *
(٤) الركيب : الراكبون . والرجيل : الراجلون ، مصغرا : ركب ، ورجل ؛ بالفتح .
(٥) كذا فى جـ ، ف ، ل . والذى فى سائر الأصول : « فأحرزه البابه » ، تحريف .

يَغترَّهم[١] ، فواعدَه قومه[٢] لذلك . وكانت عند أُحيحة سَلْمَى بنت عمرِو بنِ زَيدِ بن لَبيدِ بن خِدَاش ، إحدى نساء بنى عدىٍّ بن النجّارِ ، له منها : عمرو بنُ أُحيحة ، وهى أُمُّ عبدِ المطلبِ بن هاشمٍ ، خلَفَ عليها هاشمٌ بعد أُحيحة ، وكانت امرأةً شريفةً لا تَنكح الرجالَ إلّا وأَمْرُها بيَدِها ، إذا كرِهتْ من رجُلٍ شيئًا تَركتْه .

خداع زوجته له وشعره فى ذلك

فزعم ابنُ إسحاقَ أنّه حَدّثه[٣] أيوبُ بن عبدِ الرحمنِ ، وهو أحد رَهْطِها ، قال : حدّثنى شيخٌ منّا :

أنَّ أُحيحة لمَّا أجمعَ بالغارةِ على قومِها ومعها ابنها عَمرو بنُ أُحيحة ، وهو يومئذ فَطيمٌ أو دونَ القَطيم ، وهو مع أُحيحةَ فى حِصْنه . عَمَدت إلى ابنها فربَطَتْه بخيطٍ ، حتَّى إذا أوجعت الصبيَّ تركَتْه ، فبات يَبكى ، وهى تَحمِله ؛ وبات أُحيحةُ معها ساهِرًا ، يقول : ويحكِ ! ما لابنى ؟ فتقول : واللهِ ما أدْرِى مالَه ! حتَّى إذا ذهبَ اللَّيلُ أطلقت الخيطَ عن الصبيِّ فنام . وذكروا أنَّها ربَطت رأسَ ذَكره . فلما هدأَ الصبيُّ ، قالت : وارأساه ! فقال : أُحيحةُ : هذا واللهِ ما لَقيتِ من سَهرِ هذه الليلة ! فبات يَعصِبُ لها رأسها ويقول : ليس بِك بأْس ، حتَّى إذا لم يَبْق من اللَّيل إلا أقلُّه قالت له : قُم فنَمْ ، فإنِّى أجِدُنى صالحةً[٤] قد ذَهب عنِّى ما كنتُ أجِده ، وإنما فعَلتْ[٥] به ذلك

(١) المختار : « أن يغير عليهم » . (٢) فى ج ، ط ، ف ، ل : « فواعدهم وقومه » وما أثبتناه من سائر الأصول ، والمختار .

(٣) كذا فى ج ، ط ، ف ، ل . والذى فى سائر الأصول : « أن جده » ، تحريف .

(٤) كذا فى ج ، ط ، له والمختار . والذى فى سائر الأصول : « أجد فى صالحة » تحريف .

(٥) فى بعض أصول المختار : « صنعت » .

ليثقُلَ رأسُه ، وليشتــدَّ نَوْمُه على طُولِ السَّهَر . فلمــا نام قامت وأخذَتْ حَبْلاً شديدًا وأوْثقتْه برأسِ الحِصْنِ ، ثم تَدلَّت منه وانطلقت إلى قومِها ، فَأَنْذرَتْهم وأَخْبرَتْهم بالذى أَجْمعَ هو وقومُه من ذلك ، فحَذِر القومُ وأعدُّوا واجْتمعوا ؛ فأَقبلَ أُحيحةُ فى قومِه فوجَد القومَ على حَذَرٍ قد استعدُّوا ، فلم يكن بينهم كَبيرُ قِتالٍ ؛ ثم رَجَع أُحيحةُ فرجَعوا عنه ، وقد فقَدَها أُحيحةُ حين أَصْبح ؛ فلما رأى القومَ على حذَرٍ قال : هذا عَملُ سَلْمَى ، خَدعَتْنى حتّى بلغَتْ ماأرادت . وسمَّاها قومُها :المُتدلِّية ، لتدلِّيها من رأسِ الحِصْن . فقال فى ذلك أُحيحةُ ، وذكَر ما صنعت به سَلْمَى : ١٢٥ / ١٣

تَفهَّمْ أَيُها الرَّجلُ الجَهولُ — ولا يَذهَبْ بِك الرأىُ الوَبيلُ[1]
فإنَّ الجَهْلَ مَحْمَلُه خَفيفٌ — وإنَّ الحِلْمَ مَحْمَلُه ثَقِيل

[وفيها يقول :

لَعَمْرُ أَبيكَ ما يُغْنِى مَقامِى — من الفِتْيانِ رائحةٌ جَهول[2]
نَؤُومٌ ما يُقلِّصُ مُستقلاً[3] — على الغاياتِ[4] مَضْجعُه ثَقيل] [5]
إذا باتت أُعصِّبُها فنامَت[6] — عَلَىَ مكانَها الحُمىُّ الشَّمُول[7]
لعلَّ عِصابَها يَبْغِيك حَرْبًا — ويأْتيهم بعَوْرَتِك الدَّليل

(١) وانظر الكامل لابن الأثير (١ : ٤٠٤). (٢) وكذا فى المختار . وفى جمهرة أشعار العرب (ص : ٦٤٨) : «أنجية حفول» . والأنجية : المتناجون بالحديث . ورواية البيت فى الكامل لابن الأثير .

لعمر أبيكما يغنى مكانى — من الخلفاء آكلة غفول

(٣) المختار : «ما تقلص مستقلا» . والكامل لابن الأثير : «لاتقلص مشملا» . والجمهرة :

* يروم ولايقلص مشملا *

(٤) الكامل : «مع الفتيان» . والجمهرة : «من الوراء» . (٥) التكملة من ط ، ف .

(٦) الجمهرة : * إذا مابت أعصبها فباتت *

(٧) الجمهرة : «النشول» . والنشول : السريعة .

وقد أعددتُ للحَدَثَان عَقْلاً[١] لوَ انَّ المَرْءَ تَنفعه العُقُول

وقال فيها وفيما صَنَعَتْ به :

أَخْلَق الرَّبْعُ من سُعادَ فأَمْسَى رَيْعُه[٢] مُخْلِقًا كلدَرْس المَلَاةِ[٣]

بَالِيًا بعد حاضرٍ ذى أنيسٍ مِن سُلَيْمى إذْ تَغْتدِى كالمَهَاة

وهى قَصيدةٌ طويلة ، يُقال : إنَّ فى هذين البَيتين منها غناءً .

هو وقيس بن زهير فى درع له أراد ابتياعها منه

أخبرنى محمدُ بن الحسن بن دُريد ، قال : حدّثنى عمّى ، عن العبّاس بن هشام ، عن أبيه ، عن أبى مِسْكين :

أنَّ قيسَ بن زُهير بن جَذِيمة أتى أُحيحةَ بن الجُلاح ، لمَّا وَقَع الشَّرُّ بينه وبين بنى عامر ، وخَرج إلى المدينة لِيُجَهِّز بَعْثًا[٤] إليهم ، حين قَتل خالدُ بن جعفرٍ زُهَيرَ بنَ جَذِيمة ، فقال قيسٌ لأُحيحة : يا أبا عمرو ، نُبِّئت أنّ عندك دِرْعًا ليس بيَثرب دِرعٌ مِثلها ؛ فإن كانت فُضُلا فبِعْنِيها ، أو فهَبْها لى ؛ فقال : يا أخا بنى عَبْس ، ليس مِثلى يَبيع السِّلاح ولايَفضُل عنه[٥] ، ولولا أنّى أكره أن أَسْتلِم[٦] إلى بنى عامر لوهبتُها لك ، ولحملتُك على سَوابِقِ خَيلى ، ولكن اشْتَرِها[٧] يا أبا أيّوب ، فإنَّ البَيع مُرتَخَصٌ وغالٍ . فأَرْسلها مثلا . فقال له قيسٌ : فما تكرهُ من استِلامتك إلى بنى عامر ؟ قال : كيف لا أكره ذلك وخالدُ بن جعفر الذى يقول:

(١) وكذا فى اللسان « عقل » . والعقل : الحصن . وفى المختار : « أصلا » . وفى الكامل ، والجمهرة : « حصنا » . (٢) ريعه : رسمه وأثره . وفى ب ، س : « وربعه » ، بالباء الموحدة ، تصحيف . (٣) الملاة : الفلاة . (٤) ب، س : « ليتجهز بعث » ، تحريف .

(٥) كذا فى بعض الأصول ، والمختار . والذى فى ط ، ف ، ل : « تفضل عليه » . وفى ج : « يفضل عليه » . (٦) وكذا فى بعض نسخ المختار . واستلام إلى فلان : أتى إليه ما يلومه عليه . وفى ط ، ونسخة من المختار : « استلم » . (٧) كذا فى ج ، ط ، ف ، ل ، وبعض نسخ المختار . والذى فى سائر الأصول، ونسخة من المختار : « ابتزها » .

إذا ما أردتَ العزَّ فى آلِ يثربٍ … فنادِ بصوتٍ يا أحيحةُ تُمنَعِ[1]
رأيتُ أبا عمرٍو أحيحةَ جارُه … يَبيتُ قريرَ العينِ غيرَ مُروَّعِ
ومَن يأتِه مِن خائفٍ ينسَ خوفَه … ومَن يأتِه من جائعِ الجوفِ[2] يَشبعِ
فضائلُ كانت للجُلاحِ[3] قديمةً … وأكرِمْ بفخرٍ من خِصالِكَ الأربعِ[4]

فقال قيسٌ : [يا أبا عمرو][5] ، وما عليكَ بعد ذلك من لَوْم . فلهَا عنه . ثم عاودَه فساومه ، فغضب أحيحةُ وقال له : بِتْ عندى ، فباتَ عنده ، فلمّا شربا[6] تغنّى أحيحةُ ، وقيسٌ يسمع :

ألا يا قيسُ لا تَسُمَنْ دِرْعِى … فما مِثْلى يُساوَمُ بالدُّروعِ
فلولا خَلّةٌ لأبِى جُوَىٍّ … وأنّى لستُ عنها بالنَّزوعِ
لأُبْتَ بمثلِها عشرًا وطِرْفٍ[7] … لَحُوقِ الإطْلِ جَيّاشٍ تَليعِ[8]
ولكنْ سَمِّ ما أحببتَ فيها … فليس بمُنكَرٍ غَبْنُ البيُوعِ[9]
فما هِبَةُ الدُّروعِ أخَا بَغيضٍ … ولا الخَيلِ السَّوابقِ بالبديعِ[10]

١٢٦/١٣ قال : فأمسك بعد ذلك عن مساومته .

بين إسحاق الموصلى وحفيد لحميد فى غناء جده فى شعر لأحيحة

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى ، قال : حدّثنى أخى أحمدُ بن علىّ ، عن عافية بن شَبيب ، قال : حدّثنى أبو جعفرٍ الأسدىُّ ، عن إسحاق

(١) كذا فى جـ ، ف ، ل ، والمختار . والذى فى سائر الأصول « أسمع » .
(٢) جـ ، س ، والمختار : « البطن » . (٣) الجلاح : والد أحيحة . (٤) فى بعض أصول المختار : « أربع » . (٥) التكملة من ف ، ل ، والمختار . (٦) جـ ، س : « شربه » . وما أثبتنا من سائر الأصول والمختار . (٧) المختار :
* أناتكها مصاحبة لطرف *
والطرف : بالكسر : الفرس الكريم الطرفين . (٨) اللحوق : الضامر . والإطل : الخاصرة . والتليع : الطويل العنق . (٩) فى أكثر الأصول : « غير البيوع » . والتصويب من ط ، ف ، ل ، والمختار . (١٠) بغيض ، هو : بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان ، ومنهم : قيس بن زهير بن جذيمة بن بغيض . (جمهرة أنساب العرب : ٢٥٠ - ٢٥١)

ابن إبراهيم الموصليّ ؛ وأخبرنا به إسماعيل بن يونس الشّيعيّ إجازةً ، عن عُمَر بن شَبَّة ، عن إسحاقَ ، قال :

دعانى الفَضلُ بنُ الربيع يومًا فأَتيتُه ، فإذا عنده شَيخٌ حِجازىٌ حسَنُ الَوجه والَهيئة ، فقال لى : أتعرف هذا ؟ قلتُ : لا ؛ قال : هذا ابن أُنَيسة بنت مَعْبد ، فسَلْه عمَّا أحببتَ من غناء جدِّه ؛ فقلتُ : يا أَخا أَهلِ الحجاز ، كم غِناءُ جَدِّك ؟ قال : ستُّون صوتًا ، ثم غنَّانى :

ما أَحسنَ الجِيدَ من مُليكة والْ ... لَبَّاتِ إذ زانَها تَرائبُها

حديث إسحاق الموصلى مع مغنية كانت تحفظ صوتا فى شعر أحيحة

قال : فغنَّاه أَحسنَ غِناءٍ فى الأَرض ، ولم آخُذْه منه اتِّكالاً على قُدْرتى عليه . واضطربَ[1] الأَمْرُ على الفَضْل وصار إلى التغيُّب ، وشَخص الشيخُ إلى المدينة ، فبقِيتُ أَنشُد الشِّعر وأَسأَل عنه مَشايخَ المُغَنِّين ، وعَجائزَ المُغنِّيات ، فلا أجد أحدًا يَعرفه ، حتَّى قدِمتُ البصرةَ ، وكنتُ آتِى جزيرتَها فى القَيظ فأَبيتُ بها ثم أَبْكُر الغَداةَ إلى مَنزلى ، فإنِّى لدَاخِلٌ يومًا إذا بامرأَتَيْن نَبيلتَيْن[2] ، قد قامتا فأَخذَتا بلجام حِمَارى ؛ فقلت لهما : مَه .

قال أَبو زيد[3] فى خَبره :

فقالت إحداهما : كيف عِشْقك اليوم لـ « ما أَحسَنَ الجيد من مُليكةَ » وشَغَفُك به ، فقد بلَغنى أنَّك كنت تَطْلُبه من كُلِّ أحد ؟ وقد كنتُ رأَيتُك فى مَجلس الفَضل وقد استخفَّك الطَّربُ لهذا الصوت حتَّى صَفَّقت ؛ قال : فقلت لها : أَشدُّ والله ما كنتُ عِشقًا له ، وقد أَلهبتِ بذِكْرِكِ

(١) جـ ، ط ، ف ، ل : « واطرب » ، وهما بمعنى .

(٢) النبيلة : الهيئة الحسن . (٣) أبوزيد : كنية عمر بن شبة .

إيّاه فى قَلبِي جَمْرًا ، ولقد طلبته ببغداد كُلِّها فلم أَجِدْ أحدًا يُسْمِعُنيه ؛ قالت: أفتُحبُّ أن أغنِّيك إيّاه؟ قلت : نعم؛ فغنّته والله أحسَنَ ممّا سمعته قديماً بصوت خافض، فنزلتُ إليها فقبَّلتُ يدَيْها ورجلَيْها ، وقلتُ : جعَلَنى الله فِداكِ ، لو شِئْتِ لِصرْتِ معى إلى منزلى ؟ قالت : أصنع ماذا ؟ قلتُ : أغنِّيكِ وتُغنِّينى يومَنا إلى اللَّيل ؛ قالت : أنتَ والله أَنْفَس[1] من أن تَفعل ذاك ، وإنّما هو عَرَضٌ ، ولكنِّى أُغنِّيك حتّى تأخُذَه ؛ فقلت : بأبى أنتِ وأُمّى ،وجعلنى الله فِداكِ . مَنْ أنت؟ قالت : أنا وَهْبَةُ ، جارية محمّد بن عمران القَرَوِىّ ، الّتى يقول فيها فَرُّوج[2] الرَّفّاء البَطْحىّ :

صوت

ياوَهْبُ لم يَبْقَ لى شىءٌ[3] أُسَرُّ به	إلّا الجُلوسُ فتَسْقِينى وأَسْقيكِ
وتَمْزُجينَ بريقٍ منكِ لى قَدَحًا	كأنَّ فيه رُضابَ المِسْكِ مِن فيكِ
ياأَطيبَ النّاسِ رِيقًا غَيرَ مُخْتَبَرٍ	إلّا شَهادةَ أطرافِ المَساويكِ[4]
قد زُرْتِنا زَورةً فى الدّهر واحدةً	ثَنِّى ولا تَجْعلِيها بَيضةَ الدِّيكِ
ما نِلْتُ مِنكِ سِوَى شىءٍ أُسَرُّ به	ولَسْتُ أُبْصِرُ شيئًا من مَساويكِ
قالت مُلِكْتَ ولم تَملِكْ فقُلتُ لها	ما كُلُّ مالكةٍ تُزْرِى بمَمْلوكِ

قال أبو زيد خاصّةً : قال إسحاق :

(١) كذا فى ط ، ف ، ل . وأنفس : أضن . والذى فى سائر الأصول : « أطفس » . والطفس : قذر الإنسان إذا لم يتعهد نفسه . والمعنى لا يستقيم بها .

(٢) كذا فى ط ، ف ، ل . والذى فى سائر الأصول : « فروج » بالحاء المهملة . (وانظر : تبصير المنتبه: ١٠٧٧) .

(٣) كذا فى ط ، ف ، ل . والذى فى سائر الأصول : « شيئاً » .

(٤) جاء هذا البيت والبيت الذى بعده بين أبيات لبشار . (الحيوان : ٤ : ١٢٣-١٢٤) .

وأَنشَدَتْنِيهِ ، وغَنَّتْنى فيه بصَوت مَليح قد صَنعَتْه فيه، ثم صارت إلىَّ بعد ذلك ، وكانت من أحسن الناسِ غِناءً ، وأَحسنهم رِوايةً . فممّا كانت تَفوق فيه من صَنعتها سائرَ الناس صَوتُها ، وهو :

١٢٧ / ٥٣

صوت

لا بُدَّ من سَكْرةٍ على طَرَبِ   لَعَلَّ رَوْحًا(١) يُدَالُ(٢) من كَرَبِ
فَعاطِنِيها صَفْراءَ صافيـــةً   تَضْحكُ عن(٣) لُؤْلُؤٍ على ذَهَب

قال : ولها فيه عَملٌ فاضل .

ومن صنعتها قولُه :

صوت

الكأْسُ بعد الكأْس قد   تُصْبِى لَكَ الرَّجُلَ الحَلِيمَا
وتُقَرِّب النَسَبَ البعيـــدَ وتَبْسُط الوَجْهَ الشَّتِيما(٤)

قال : وممّا برزَّت فيه مِن صَنعتها :

صوت

هاتِهَا سَكَرِيَّةً كشُعاعِ الـ   شَمْسِ لا قَرْقَفًا ولا خَنْدَرِيسَا(٥)
فى رُبىً يَخْلَع الولِىُّ عليها   ما يُحَيِّى به الجَلِيسُ الجَلِيسا(٦)
فَلنُوّارِها نَسِيمٌ إذا مـــا   حَرَّكَتْه الرِّياحُ رَدَّ النُفُوسا

---

(١) الروح : الراحة . (٢) كذا فى جـ ، ط ، ف ، ل . ويدال : يستبدل . والذى فى سائر الأصول : « يذاك » ، تحريف . (٣) ب ، س : « من » .

(٤) الشتيم : الكريه . (٥) السكرية : نسبة إلى السكر ، بالتحريك ، وهو الخمر ، أو نبيذ يتخذ من التمر . والقرقف : الخمر ، يرعد منها صاحبها . وخندريس ؛ أى : معتقة .

(٦) الولى : المطر بعد المطر .

***

صوت

أَمْسَى لسَلَّامَةَ الزَّرقاء فى كَبِدى ... صَدْعٌ مُقِيمٌ طَوَالَ الدَّهْرِ والأَبَدِ
لَا يَستطيعُ صَنَاعُ القَوْمِ يَشْعَبَه[1] ... وكيف يُشْعَبُ صَدْعُ الحُبِّ فى الكَبِد[2]
إلَّا بوَصْلِ التى من حُبِّها انْصدعَتْ ... تِلكَ الصُّدوعُ من الأَسقامِ والكَمَد

الشِّعر والغناءُ لمحمد بن الأَشعث بن فَجْوة[3] ، الكاتب الكُوفىّ ، أَحد بنى زُهْرة ، من قُريش ؛ ولحنُه من خَفيف الثَّقيل الأَوَّل بالبنصر .

وسلَّامة الزرقاءُ ، هذه : جارية أبنِ رَامِين ، وكانت إحدى القَينات المُحْسِنات .

---

(١) أى : أن يشعبه . والشعب : الإصلاح والإفساد . والمراد هنا الأول .

(٢) فيما سبق (ص : ٤١٥٠) : « فى كبد » . (٣) وكذا فيما سبق (ص : ٤١٤٩) . وفى ب ، س ، هنا : « نجوة » . بالنون .

ذكر خبر

سلامة الزرقاء

وخبر محمد بن الأشعث[1]

شئ عن ابن الأشعث وشعره فيها

* نسختُ ذلك من كتاب هارونَ بنِ محمد بن عبدالملك الزيّات[2] ، ذكر أنّ أبا أيّوب المدينىّ حدّثه[3] عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل ابن داود ، قال :

كان محمد بن الأشعث القُرشىّ : ثم الزُّهرىّ ، كاتبًا ، وكان من فِتيان أهل الكُوفة وظُرفائهم وأُدبائهم ، وكان يقول الشِّعْرَ ويَتغنَّى فيه ، فمن ذلك قولُه فى زَرْقاء ، جاريةِ ابن رامينَ ، وكان يَأْلفها :

* أمْسى لسَلَّامة الزَّرْقاءِ فى كَبِدى *

وذَكر الأبيات .

شعر له يخاطب به مولاها

قال : ومن شِعره فيها يُخاطب مولاها ، وقد كان حَجّ وأخرج جواريَه كلَّهنّ .

*

هكذا ذكر أحمدُ بن إبراهيم . وهذا الشِّعر[4] الثانى لإسماعيلَ بن عَمّارٍ الأَسدىّ ، وقد ذكرتُ أخبارَه فى مَوضعٍ آخر[5] .

---

(١) فى أكثر الأصول : « ذكر خبرها وخبر محمد بن الأشعث » . وما أثبتنا من ف .

* مختار الأغانى (٤ : ٢١٩ – ٢٢٣) .

(٢) كذا فى ط ، ف . والذى فى سائر الأصول : كتاب محمد بن عبد الملك الزيات » .

(٣) كذا فى ط ، ف ، ل . والذى فى سائر الأصول : ذكر أبو أيوب المدينى أنه حدثه » . (٤) كذا فى ط ، ف ، ل . والذى فى سائر الأصول : « هكذا ذكره . وذكر أحمد بن إبراهيم أن هذا الشعر» . (٥) انظر (ص : ٤١٥٠–٤١٦٧) .

*

صوت

أيَّةُ حال يابْنَ رَامينٍ ... حالُ المُحبِّينَ المَساكينِ

تركتَهم مَوْتَى ولم يَتْلَفُوا ... قد جُرِّعَوا منك الأَمَرَّين

[وَيُروى : «تركتَهُمْ مَوتَى وما مُوِّتُوا»(١)

وجدتُه بخطِّ حَمّاد](٢) .

وسِرْتَ فى رَكْبٍ على طِيَّة ... رَكْبٍ تَهَـامٍ ويَمَانِين

١٢٨ / ١٣ يا راعىَ الذَّوْدِ لقد رُعْتَهم ... ويْلَكَ من رَوْع المُحبِّين

فرَّقْتَ جَمْعًا(٣) لايُرى مِثْلُهم ... بين دُرُوب الرُّوم والصِّين (٤)

الغناءُ لمحمد بن الأَشعث ، نشيد خفيف ثقيل أوّل بالوُسطى فى مجراها ، عن ابن المكىّ وغيره .

حديث استهدائه صيرفة لسلامة

قال :

ودخل ابنُ الأَشعث يومًا على ابن رامينَ فخرجت إليه الزّرقاءُ ، فبينا هو يُلقِى عليها إذْ بَصُرَ بِوَصيفة من وصائفهم فأَعجبتْه ، فقال شِعرًا فى وَقْتِهِ ، وتَغنّى فيه ، فأَخذتْه منه الزرقاءُ ، وهو قوله :

صوت

قُل لأُختِى التى أُحبُّ رِضَاها ... أنتِ لى فاعْلميه رُكْنٌ شَديدُ

---

(١) وهى الرواية فيما سبق (ص : ٤١٥٣) .

(٢) التكملة من ط ، ف .   (٣) فيما سبق : « قوما » .

(٤) رواية هذا العجز فيما سبق :

« ما بين كُوفان إلى الصين »

وكوفان : الكوفة ؛ وهى أيضاً : قرية بهراة .

إنَّ لى حاجةً إليكِ فقُولى   بين أُذْنِى وعاتِقِى ما تُرِيد

يعنى : قُولِى : ما تُريد فى عُنقى حتّى أفْعَله ؟ ففطِنت الزّرقاءُ للذى أراد ، فوهَبتْ له الوصيفَةَ ، فخرج بها .

الغناءُ فيه رمل بالوسطى ؛ ذكر عَمرو بن بانة أنّه لابن سُريج ، وقد وَهِمَ فى ذلك ، بل الغناءُ لمحمد بن الأشعث لا يُشَكُّ فيه .

رواية أخرى لاستهدائه وصيفة سلامة

قال هارونُ : وحدّثنى حَمّادُ بنُ إسحاق ، عن أبيه ، قال : وحدّثنى أبو عبد الله الأسك[1] ، أميرُ المغنِّين :

أنّ محمدَ بنَ الأشعث الزُّهرىّ ، وهشام بنَ محمد بن أبى عثمان السُّلَمىّ ، اجتمعَا عند ابنِ رامين ، وكان هشامٌ قد أنْفق فى منزله مالاً عظيما ، وكان يُقال لأبيه : بِسْيارِ دِرَمْ [2]. وتفسيره بالعربيّة : الكثير الدّراهم ، فقال محمدُ بن الأشعث : يا هشام ؛ قال : ما تشاءُ ؛ قال :

قل لأُختِى التى أُحبُّ رِضاها   أنتِ لى فاعْلَمِيهِ رُكْنٌ شَدِيدُ

وأشار بذلك إلى سَلّامة الزّرقاء ؛ قالت . وقد سمعَتْ : فقُل ؛ فقال :

إنَّ لى حاجةً إليكِ فقُولى   بين أُذْنِى وعاتِقِى ما تُرِيدُ

ففَطنت الزرقاءُ للذى أراد ، فقالت : « بين أُذْنِى وعاتقى ما تُريد » ، فما هو ؟ قال : وَصيفتك هذه ، فإنّها أعجبتْنى ؛ قالت : هى لك ؛ فأخذها ، فما ردَّ ذلك ابنُ رامينَ ولا تَكلّمَ فيه .

وهذا الشّعر والغناءُ فيه لمحمّد بن الأشعث .

---

(١) كذا فى ط ، ف . والذى فى سائر الأصول : «الأشبك» .

(٢) بِسيارِدرم ، كلمة فارسية مركبة من مقطعين : بسيار (bisyar) : كثير ، ودرم (diram) : درهم. (استينجاس) .

ابن الأشعث بن سلامة وسحيقة وحديث ذلك

قال هارون : وحدّثنى أبو أيّوب : عن أحمد بن إبراهيم ، قال : ذكر عمرو بنُ نَوْفل بن أنس بن زيد التّميمىّ[1] :

أنَّ محمدَ بن الأشعث كان مُلازمًا لابن رامينَ ولجاريته سَلّامة الزّرقاء ، فشُهِر[2] بذلك ، وكان رجلاً قَصَّافًا[3]. فلامه قَوْمُه فى فِعْله ، فلم يَحْفِلْ بمقالتهم ، وطال ذلك منه ومنهم ، حتّى رأى بعض ما كره فى مَنزل ابن رامين، فمال إلى سَحِيقة، جارية زُرَيق بن مَنيح، مولى عيسى بن موسى . وكان زريقٌ شيخًا [سَخِيًا] [4] كريمًا نَبيلاً ، يجتمع إليه أشرافُ [أهل] الكوفة من كُلِّ حىّ ، وكان الغالبُ على منزله رَجُلاً من ولد القاسم ابن عبد الغفار العِجلىّ : كَغَلبة محمد بن الأشعث على مَنزل ابنِ رامين ، فتواصَلَا على مُلازمة بيت زُرَيق[5] ؛ ففى ذلك يقول محمد بن الأشعث :

يابن رامينَ بُحْتُ بالتّصْريح ... فى هَوَاىَ[6] سَحِيقَةَ ابنِ مَنيح
قَيْنةٌ عَفّةٌ ومَوْلًى كريمٌ ... ونَديمٌ من اللُّبَاب الصّريح
ربَغِىٌّ[7] مُهـــذَّبٌ أرْيَحىٌّ ... يَشْترِى الحَمْدَ بالفَعَال الرَّبيح
نحنُ منه فى كُلِّ ماتشتهى الأنْـ ... ـفُسُ من لذّة وعَيْش نَجيح
عندَ قَرْمٍ[8] من هاشِمٍ فى ذُرَاها ... وغِناء من الغَزال المَليح
فى سُرورٍ وفى نَعيم مُقيم ... قد أمِنّا من كُلِّ أمْرٍ قَبيح

١٢٩
١٣

(١) كذا فى ط ، ف ، ل. والذى فى سائر الأصول : « عمر ... التيمى » .
(٢) كذا فى ط ، ف ، ل ، والمختار . والذى فى سائر الأصول : « فشهد » .
(٣) القصاف : الكثير القصف . وهو اللهو ، قيل : هو غير عربى .
(٤) التكملة من ط ، ف ، والمختار . (٥) المختار : « فتلازما منزل زريق » .
(٦) ب ، س : « فى هواى » . (٧) الربغى : نسبة إلى الربغ ، بالتحريك ، وهو سعة العيش ، يصف زريق بن منيح . وفى ب ، س : « ربعى » بالعين المهملة ، تصحيف .
(٨) القرم : السيد . يعنى : عيسى بن موسى الهاشمى ، مولى زريق .

فاسْلُ عنَّا كما سَلَوْناكَ إنِّى ... غيرُ سالٍ عن ذاتِ نَفْسى ورُوحى
حافِظٌ منك كُلَّ ماكُنتَ قدضَـ ... ـيَّعْتَ مما عَصيتُ فيه نَصيحى
فالقِلَى ماحَييتَ منِّى لك الدَّهـ ... ـرَ بِوُدٍّ لِمُنْيَتِى مَمْنُوحِ(١)
يابْنَ رامينَ فالْزَمَنْ مَسجِدَ الحَـ ... ـىِّ وطُولَ الصَّلاةِ والتَّسْبيحِ

قال عمرو بنُ نوفل :

فلم يَدع ابنُ رامين شَريفًا بالكوفة إلَّا تَحمَّلَ به على ابن الأشعث أن يَرْضَى عنه (٢) ، ويُعاودَ زيارتَه ، فلم يَفعلْ ، حتَّى تَحمَّل عليه بالحَجْوانىّ ، وهو محمد بن بِشر بن حَجْوان الأسدىّ ، وكان يومئذ على الكوفة ، فكلَّمه فَرضى عنه ورَجع إلى زيارته : ولم يَقطع منزلَ زُريق ، وقال فى سَحيقة :

سَحيقةُ أنتِ واحدةُ القِيانِ ... فمالكِ مُشْبِهٌ فيهنَّ ثانِ
فَضَلْتِ على القِيانِ بفَضْلِ حِذْقٍ ... فحُزْتِ على المَدَى قَصَبَ الرِّهانِ
سَجَدْنَ لكِ القِيانُ مُكفِّراتٍ ... كما سَجدَ المَجُوسُ لِمَرْزُبانِ(٣)
ولا سِيَمَا إذا غُنِّيتِ صَوْتًا ... وحَرَّكتِ المَثالثَ والمَثانى
شرِبْتُ الخمرَ حتَّى خِلْتُ أنِّى ... أبو قابُوسَ أو عَبدُ المَدَانِ(٤)
فإعْمالُ اليَسارِ على المَلاوِى ... ومِن يُمْناكِ تَرجمةُ البَيانِ(٥)

حيلة الزرقاء فى صرف زوج المهلبى عنها

أخبرنى محمدُ بن خلَف بن المرزُبان ، عن حمّاد ، عن أبيه ، قال :

---

(١) ب ، س :
فاكتفى ماحييت لك الدهـ ... ـر بود يامنيتى ممنوح

(٢) ب ، س : «وأن يرضى عنه» . وما أثبتنا من سائر الأصول ، والمختار .

(٣) مكفرات : منحنيات مومئات برؤوسهن فعل الذى .

(٤) أبوقابوس : كنية النعمان بن المنذر . وعبد المدان : عمرو بن الديان ، من سادات مذحج . (جمهرة أنساب العرب : ٤١٦ – ٤١٧) . وانظر : فهرست هذا الكتاب .

(٥) الملاوى : مرابط أوتار العود . وهذا البيت ساقط من ط ، ل .

كان رَوْحُ بن حاتم المُهلَّبيّ كثير الغِشْيان لمنزل ابن رامِينَ ، وكان يختلف إلى الزَّرقاء ، جاريةِ ابن رامين ، وكان يهواها محمدُ بن جَميلٍ وتَهواه ، فقال لها : إنَّ رَوْح بن حاتم قد ثَقُل علينا ؛ قالت : فما أصنع[1]؟ قد غَمَرَ مولاىَ بِبِرِّه ؛ فقال : احتالى له . فبات عندهم[2] رَوْحٌ ليلةً ، فأخذتْ سراويلَه وهو نائمٌ فغَسلَتْه[3] ، فلما أصبحَ سأل عنه ، فقالت : غَسَلناه . ففطِنَ أنّه أحْدَثَ فيه فاحتِيجَ إلى غَسْله ، فاستحيا من ذلك وانقطع عنها ، وخَلا وجْهُها لابن جَميل .

شعر إسماعيل بن عمار في جواري ابن رامين

قال هارون : وأخبرني حمّاد ، عن أبيه ، قال :

ابن رامين : اسْمُه : عبد الملك بن رامين ، مولى : عبد الملك بن بشر ابن مَرْوان ؛ وجواريه : سَعْدة ، ورُبَيْحة ، وسَلَّامة الزَّرقاء ؛ وفيهن يقول إسماعيلُ بن عَمَّار الأسدىّ ؛ وأنشدناه الحَرَمىّ ، عن الزُّبير ، عن عمّه ، وروايته أتمّ :

هَل مِن شِفَاءٍ لِقَلْبٍ لَجَّ مَحزُونِ ... صَبَا وصَبَّ إلى رِئْمِ ابن رامينِ[4]
إلى رُبَيْحةَ إنَّ اللهَ فضَّلَها ... بحُسنها وسَمَاعٍ ذى أفانين[5]
نَعَمْ شِفاؤُكَ منها أن تقولَ لها ... قَتلتِنى يومَ دَيْرِ اللَّجِّ فاحْيِينى[6]
أنتِ الطبيبُ لداءٍ قد تَلبَّسَ بى ... من الجَوَى فانفُثى فى فِيَّ وارْقِينى

(١) كذا فى ط ، ف ، ل . والذى فى سائر الأصول : « قد ثقل علينا فما أصنع ؟ قالت » . وفى المختار : « قد ثقل علينا ، فقالت : وما أصنع فيه » .

(٢) كذا فى ط ، ف ، ل ، والمختار . والذى فى سائر الأصول : وعندها .

(٣) كذا ، على تذكير السراويل . والعبارة فى القاموس : « السراويل ، فارسية معربة ، وقد تذكر . والجمع : سراويلات ، أو جمع سروال وسروالة أو سرويل ، بكسرهن » .

(٤) صبا : حن ومال . وصب : اشتاق ورق هوى . وقد تقدم هذا الشعر مع شىء من الخلاف ، فى ترجمة إسماعيل بن عمار الأسدى (ص : ١٥١٤) . (٥) السماع : الغناء .

(٦) دير اللج : بظاهر الحيرة ، بناه أبوقابوس النعمان بن المنذر . (معجم البلدان) .

١٣٠ / ١٣

نَفْسِي تَأَبَّى لكمْ إلَّا طَوَاعِيَةً ... وأنتِ تَحمَيْنَ أنْفًا(١) أنْ تُطيعيني
فتلكَ قِسْمةُ ضِيزَى قد سَمِعتِ بها ... وأنتِ تَتْلِينها ما ذاكِ في الدِّين(٢)
ما عائذُ الله لى إلْفٌ ولا وَطَنٌ ... ولا ابنُ رامينَ لولا ما يُمنِّيني(٣)
يا ربَّ ما لابن(٣) رامينٍ له بَقَرٌ ... عِينٌ وليس لنا غيرُ البَراذين
لو شئتَ أعطيتَه مالاً على قَدَرٍ ... يَرْضَى به منكَ غيرَ(٤) الخُرَّدِ العِين
لِعائذ(٥) الله بَيْتٌ مامَررتُ به ... إلاَّ وُجِئْتُ(٦) على قَلْبِي بِسِكِّين
يا سَعْدةُ القينةُ الخضراءُ(٧) أنتِ لنا ... أُنْسٌ لأنَّكِ في دار ابْن رامين
لاتَحْسَبِنَّ بَياضَ الجِصِّ يُؤْنسني ... وأنتِ كُنتِ كمِثْلِ الخَزِّ في اللِّين
لولا رُبَيِّحة ماااستَأْنَسْتُ ماعَمَدت ... نَفْسِي إليكِ ولو مُثِّلتِ من طِين(٨)
لم أنسَ(٩) سَعْدة والزَّرقاءَ يومَهما(١٠) ... باللَّجِّ شرقيَّهُ فوقَ الدَّكاكين
تُغنِّيانِ ابنَ رَامينٍ ضَحاءَهما ... بالمِسْجَحيِّ(١١) وتَشْبيبِ المُحبِّين(١٢)

---

(١) تحمين أنفا : تأخذك الحمية والأنفة. وفيما سبق (ص: ٤١٥١): «وأنت تأبين لؤما».
(٢) ضيزى: ناقصة جائرة، تقول : قسمة ضأزى، ويثلث، وضوزى، وضيزى، من غير همز، كله على الوصف، ومجيئه على الإضافة هنا ضرورة . (٣) فيما سبق: «يارب إن ابن رامين».
(٤) فيما سبق : « الزبرب » . (٥) عائذ الله : حى من العرب ، انتقل إلى جوارهم ابن رامين . (انظر : ص : ٤١٥٠) . وفيما سبق: « ياعائذ الله » . وفي الأصول، هنا : « ماعابد الله » . (٦) وجئت : ضربت . (٧) الأصول ، هنا : « البيضاء » . وما أثبتنا مما سبق . والخضراء ؛ أى : السوداء ، ولقد كانت سعدة كذلك. (٨) الأصول هنا : «وقد مثلت فى طين» . وما أثبتنا مما سبق فى ترجمة ابن عمار (ص : ٤١٥٣)
(٩) فى الأصول ، هنا : « يومهما » . وما أثبتنا مما سبق .
(١٠) فيما سبق : «لا أنس» . وفى معجم البلدان. فى رسم «دير اللج» : «ما أنس» .
(١١) الضحاء، بالمد : إذا كرب انتصاف النهار . والمسجحى: نسبة إلى ابن مسجح أبى عثمان سعيد ، من المغنين . وقد سبقت أخباره (١١٢٢ – ١١٣١) . وفيما سبق : «على طربهم» مكان «ضحاءهما» . (١٢) كذا، على لغة جر جمع المذكر السالم بالكسرة .

فما دَعوتُ به من عَيْشِ مَمْلكة ... ولم نَعِش يومَنا عَيْشَ المَساكين

أذاكَ أنْعَمُ أم يومٌ ظَلِلْت به ... مُنَعَّمَ العَيشِ(١) فى بُستان سُورين(٢)

يَشْوِى لنا الشيخُ سُورينٌ(٢) دواجنَه ... بالجَرْدَناجِ(٣) وسَجَّاحَ الشَّفانين(٤)

نُسْقَى شَرابًا لعِمْران يُعتِّقه ... يُمسِى الأَصحَّاءُ منه كالمَجانين(٥)

يعنى : عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله

إذا ذكرنا صلاةَ بعد ما فَرَطَتْ ... قُمْنا إليها بلا عَقْلٍ ولا دِين(٦)

نَمشِى إليها بِطاءً لا حَرَاكَ بنا ... كأنَّ أرْجُلنا تُقْلَعْن من طِين(٧)

نَمشِى وأَرجلُنا عُوجٌ مَطارِحُها(٨) ... مَشْىَ الإوزِّ التى تأتِى من الصِّين

أو مَشْىَ عُمْيانِ دَيْرٍ لا دَليلَ لهم ... إلَّا العِصِىُّ إلى عِيـد السَّعانين(٩)

طائف حارق ابن والبين

وقال فيه أيضا :

---

(١) فيما سبق : « فراشى الورد » . (٢) فيما سبق : « شورين » . (٣) بالجردناج ؛ أى : أن تسمط وتشوى . والجردناج ، فارسية ، ومعناه : اللحم المسموط المشوى . (٤) السجاح ، من السجع ، وهو السجع للحمام ونحوه . والشفانين : من الحمام ، وهو مما يطرب بصوته ؛ الواحد : شفنين ، بالكسر . وفى الأصول ، هنا : « الشقايين » ، تحريف . وما أثبتنا من الحيوان للجاحظ (١ : ١٩٤ ، ٣ : ١٠٧) وحياة الحيوان للدميرى (٢ : ٤٦) ، ومعجم استينجاس « شفنين » . (٥) الرواية فيما سبق :

نسقى طلاء لعمران يعتقه ... يمشى الأصحاء منه كالمجانين

(٦) فرطت : سبقت ومضت . (٧) الرواية فيما سبق :

يزل أقدامنا من بعد صحتها ... كأنها ثقلا يقلعن من طين

(٨) فيما سبق :

* نمشى وأرجلنا مطوية شللا *

(٩) فيما سبق :

* سوى العصى إلى يوم السعانين *

وعيد السعانين : قبل الفصح بأسبوع .

لابن رَامينَ خُرَّدٌ كمَهَا الرَّمْـ ... ـلِ حِسانٌ ولَيس لى غيرُ بَعْلِ[1]
رَبِّ فضَّلْتَه علىَّ ولو شِئْـ ... ـتَ لفضَّلْتنى عليه بفَضْل

شئ من جوارى رامين

قال حمّادٌ : وأخبرنى أبى ، قال : حدّثنى السَّكونىّ :

أنَّ جعفر بن سُليمان اشترى رُبيحَة بمائة ألف درهم ، واشترى صالحُ ابن علىٍّ سَعْدةَ بتِسعين ألف درهم ، واشترى مَعْنُ بن زائدة الزرقاءَ .

قال مؤلف هذا الكتاب :

هذاخطأٌ ،الزَّرقاء ، اشتراهاجعفرُبن سليمان ،ولعلَّ «مَعْنًا » اشترىغيرَها .

بين ابن عمار وسعدة جارية ابن رامين

أخبرنى حبيبُ بن نَصر ، قال : حدّثنا عبدُ الله بن أبى سعد ، قال : حدّثنى علىُّ بن الحسَن الشَّيبانىّ ، عن عبد الملك بن ثَوْبان . قال :

قال إسماعيلُ بن عمّار : كنتُ أَختلف إلى منزل ابن رامينَ فأَسمع جاريتَيْه : الزرقاء ، وسَعْدة ، وكانت سَعدة أظرَفَ من الزَّرقاء ، فأُعجِبْت بها وعَلمتْ ذلك منى ، وكانت سَعدة كاتبةً ، فكتبتُ إليها أشْكُو ما أَلقَى بها ، فواعدتْنى . فكتبت إليها رُقعةً مع بعض خدَمِهم :

يارَبِّ إنَّ ابن رَامينٍ له بقَرٌ ... عِينٌ وليس لنا غيرُ البَراذينِ[2]

١٣١ / ١٣

وذكر الأبيات الماضية . قال : فجاءنى الخادم وقال : ما زالتْ تقرأُ رُقعتك وتضحك من قولك :

فإنْ تَجودى بذاكِ الشىءِأحْىَ به ... وإنْ بَخِلْتِ به عَنِّى فزَنِّينى[3]

---

(١) الخرد : جمع خرود لخريدة،وهى من النساء:الخفرة الحيية . والبعل : الزوجة ، ويقال فيها : بعلة ، أيضاً . (٢) مر البيت والتعليق عليه (ص : ٥٣٤٣) .

(٣) فيما سبق (ص:٤١٥١) :

إن تسعفينى بذاك الشىء أرض به ... وإن ضننت به عنى فزنينى

وكتبت إلىّ : حاشاك من أن أزنّيك ، ولكنّى أسير إليك فأُغنّيك وأُلهيك وأُرضيك . وصارت إلىّ فأرضتْنى بعدَ ذلك .

شراء جعفر بن سليمان الزرقاء وحديث ذلك

أخبرنى الحسينُ بن يحيى ، عن حمّاد ، عن أبيه ، عن الحسين ابن محمد الحرّانىّ ؛ وأخبرنى الجوهرىّ ، عن علىّ بن محمد النّوفلىّ ، عن أبيه :

أنّ جعفر بنَ سليمان اشترى الزرقاء ؛ صاحبة ابن رامينَ ، بثمانين ألفَ دِرهم ، وسَتَرها عن أبيه - وأبوه يومئذ على البَصرة فى خلافة المنصور ، وقد تَحرّك فى تلك الأيام عبدُ الله بن علىّ - فهجَمَ عليهما يومًا سُليمانُ بن علىّ ، فأخْفيا[1] العُودَ تحتَ السّرير ، ودخَل فقال له : ويحكَ ! نحن على هذه الحالِ نَتوقّع الصّيلم[2] وأنتَ تَشترى جاريةً بثمانين ألفَ درهم! وأظهرَ له غَضبًا عليه وتَسخُّطا لما فَعَل ، فغمز خادمًا كان على رأسِه فأخرجها إلى سُليمان ، فأكبّتْ على رأسه فقبّلَته ودعَتْ له ، وكانت عاقلةً مَقبولةً مُتكلّمةً[3] ، فأعجبه ما رأى منها ، وقام عنهما فلم يَعد لمُعاتبة ابنه بعد ذلك .

جعفر ويزيد بن حوذ فى قبلة قبلها الزرقاء

قال :

ولما مَضت لها مُدّةٌ عند جعفرٍ سألها يومًا : هل ظَفِرَ منك أحدٌ ممّن كان يهواكِ بخَلوةٍ أو قُبْلة ؟ فخشيتْ أن يَبْلغُه شىءٌ كانت فعلَتْه بحَضْرةِ جماعة ، أو أن يكون قد بلغه ، فقالت : لا والله ، إلّا يزيد ابن عَون العِباديّ الصّيرفىّ ؛ فإنّه قبّلنى قُبلةً وقَذفَ فى فىّ[4] لُؤلؤةً ، بِعتُها

(١) جـ ، ط ، ف ، ن : «فخبآ» . وما أثبتنا من سائر الأصول ، والمختار .
(٢) الصيلم : الداهية والأمر الشديد . (٣) المختار : «متكلفة» أى : ذات غنج ودلال وغزل .
(٤) ط ، ف ، ل ، والمختار : «فى فمى» .

بثلاثين ألفَ درهم . فلم يزل جعفرٌ يحتال له، ويَطلبه حتّى وقع فى يده ، فضربَهُ بالسِّياط حتّى مات .

ابن مقرن ويزيد ابن عون فى حضرة الزرقاء

قال هارون : وحدّثنى حمّادُ بن إسحاق ، عن أبيه . قال : حدّثنى أبو عَوْف الدَّوسىّ ، عن عبد الرحمن بن مُقَرَّن (١) ، قال :

كتبتُ إلى ابن رامينَ أستأْذِنه فى إتيانه (٢) ، فكتب إلىّ : قد سبَقَكَ رَوْحُ بنُ حاتم ، فإنْ كنتَ لا تَحتشِمُ منه فَرُحْ . فَرُحْتُ ، فَكُنّا كأنّنا فَرسا رِهان، والتقينا ، فعانَقنى وقال لى : أنّى (٣) تُريد ؟ قلت : حيث أردتَ ،قال :فالحمدلله.فدخلنا ،فخرجَت الزرقاءُفى إزارورداءقُوهِيَّين (٤) كأنَّ الشمس طالعةٌ من بين رأسها وكَفْبِها (٥) ، فغنَّتْنا ساعةً ،ثم جاء الخادمُ الذى يأْذَن لها (٦) ، وكان الإذْنُ عليها دونَ مولاها ، فقام دونَ الباب وهى تُغنّى ، حتّى إذا قطَعَتْ (٧) نَظرَتْ إليه ،فقالت : مَن (٨) ؟ فقال : يَزيد بن عَون العِبادىُّ الصَّيرفىُّ ، المُلقَّب بالماجن ، عَلَى الباب ؛ فقالت : أدخِلْه . فلما استقبلَها كفَّر (٩) ثم أقْعَى بين يديها . قال :

---

(١) المختار : «مقرون» .

(٢) المختار : «فى إتيان منزله» . (٣) ط ، والمختار : «أين» .

(٤) كذا فى أكثر الأصول ،والمختار . والقوهى : منسوبة إلى قوهستان ،وهو ضرب من الثياب البيض . والذى فى ط ، ف ، ل : «قهويين» ،تحريف .

(٥) كذا فى ط ، ف ، ل ، والمختار .والذى فى ج : «وكفيها» . وفى سائر الأصول «وكتفيها» . (٦) كذا فى أكثر الأصول، والمختار. ويأذن لها ؛ أى: يستأذن عليها . والذى فى ط : «تأذن لى» ،تحريف . (٧) المختار : «فلما قطعت» .

(٨) ج ، ط ، ف ، ل : «به» وما أثبتنا من سائر الأصول ، والمختار . (٩) كفر : انحنى وأومأ برأسه ، فعل الذمى .

فوجَدَتْ والله له(١) ورأيتُ أثَرَ ذلك ، وتَنَوَّقَتْ تنوُّقًا(٢) خِلافَ ما كانت نَفعلُ بنا . فأدخلَ يدَه فى ثَوْبِه فأخرج لُؤْلؤتَين ،وقال : انظرى يازرقاءُ ، جُعِلت فداكِ ! ثم حلَفَ أنّه نَقَدَ فيهما بالأمس أربعين ألف درهم ؛ فقالت : فما أصنع بذلك ؟ قال : أردتُ أن تَعلمِى . فغنَّتْ صوتًا ، ثم قالت : يا ماجنُ ، هَبْهما لى ويْحك ؛ قال : إن شِئْتِ واللهِ فَعلتُ ؛ قالت : قد شِئتُ ؛ قال : واليمينُ التى حَلفتُ بها لازمةٌ لى إنْ أخَذْتِهما إلّا بشَفتيك من شَفتىَّ . قال : فذهب رَوْحٌ يتَسرَّع إليه ، فقلتُ(٣) له : ألَكَ فى بيت القوم حاجة ؟ قال : نعم ؛ فقلت : إنما يتكسّبون مما تَرى . وقام ابنُ رامينَ فقالَ : ضَعْ لى يا غلامُ ماءً . ثم خرَج عنّا ، فقالت : هاتِهما ، فمَشى على رُكبتَيْه وكفَّيْه وهما بين شَفَتَيْه ، فقال : هاكِ . فلمّا ذهبَتْ بشَفتَيْها جَعلَ يصُدُّ عنها يمينًا وشِمالاً ليَسْتكثر(٤) منها ، فغمزَتْ جاريةً على رأسها ، فخرجتْ كأنّها تُريد حاجة ، ثم عَطفَتْ عليه، فلمّا دنا منها وذهب ليُزوغَ(٥) دفعَتْ مَنكِبَيْه وأمسكَتْهما(٦) حتّى أخذتِ الزّرقاءُ اللّؤلؤتَين بشَفتَيْها من فَمه ، ورَشَح جَبِينُها [عَرَقًا](٧) حياءً منّا . ثم تَجلَّدتْ علينا ، فأقبلَتْ عليه فقالت(٨) له : المغبونُ فى استِهِ عُود ؛ فقال : أمّا أنا فما أُبالى ، لا يزال طِيبُ هذه الرائحة فى أنْفى وفمى أبدًا ما حَيِيتُ .

(١) وجدت : لحقها الوجد . والذى فى المختار : « فبودت » ؛ أى : احضت .
(٢) كذا فى أكثر الأصول ، والمختار . والذى فى ط ، ل : « وثبوقت تبوقا » ، تصحيف .
(٣) الأصول : « فقالت » . وما أثبتنا من المختار . (٤) المختار : « ليستمكن » .
(٥) المختار : « ليروغ » . (٦) المختار : « منكبه وأمسكته » . (٧) التكلة من المختار .
(٨) المختار : « فأقبلت علينا وقالت » .

سعدة جارية ابن رامين وحديث المطرف

قال هارون : وحدّثنى ابنُ النطّاح ، عن المدائنىّ ، عن علىّ بن أبى سليمان ، عن أبى عبد الله القُرشىّ ، عن أبى زاهر بن أبى الصبّاح ، قال :

أتيت منزلَ ابن رامينَ مع رجلٍ من قريش ، فأخرج الزرقاء ، وسَعْدَة ، فقام القرشىُّ ليبولَ وترك مُطْرَفه(١) ، فلبِسَتْه سَعدةُ وخرجَتْ ، فرجَع القُرشىُّ وعليها المُطْرفُ قد خاطَتْه فصار دِرْعًا(٢) ، فقالت : أرأيتم أسرعَ مِن هذا ؟ صار المُطرف دِرْعًا ؛ فقال القُرشىُّ : هو لك . قال : وعلىَّ طَيْلسانٌ مُثنىً ، فأردت أن أبولَ فلففته وقُمت ؛ فقالت سَعدة : دَع طَيْلَسانك(٣) ؛ فقلت : لا أدَعُه ، أخاف أن يَتحوّل مُطْرَفًا .

ما أهداه ابن المقفع الزرقاء وقد شربت دواء

وحدّثنى قَبيصةُ بن معاوية ، قال : قال إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ : شَرِبتْ زرقاءُ ابنِ رامينَ دواءً ، فأهدى لها ابنُ المُقفَّع ألفَ دُرّاجة(٤) على جَمل قُرَاس(٥) .

حديث تعشق محمد ابن جميل الزرقاء

قال هارونُ : وحدّثنى حمادٌ ، عن أبيه :

أنَّ محمدَ بن جميلٍ كانَ يَتعشّق الزرقاء ، وكان أبوه جميلٌ يغدو كُلَّ يوم يسأل مَن يَقْدَمُ عن ابنه محمّد ، إلى أنْ مَرّ به صديقٌ له ، يُكْنى : أبا ياسرٍ ، فسأله عنه ، فقال له أبو ياسر : تركته أعظَمَ النَّاس قَدْرًا ،

(١) المطرف : رداء من خز له أعلام . (٢) الدرع : القميص .

(٣) الطيلسان : كساء مدور أخضر لا أسفل له ، ولحمته وسداه من صوف ، يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ . كذا فسره أدشير فى الألفاظ الفارسية المعربة ، وقال : فارسيته : تالسان . وقال : الشيرازى فى كتابه معيار اللغة : ثوب يلبس على الكتف .

(٤) الدراجة : واحدة الدراج ، ضرب من الطير طيب اللحم .

(٥) كذا فى ك . والقراس ، والقراسية ، بياء مخففة ، الضخم الشديد من الإبل . والذى فى ج : «فراس» . والذى فى سائر الأصول : «قراش» ، وكلاهما محرف عما أثبتنا .

يُعاملُ الخليفةَ كُلَّ يوم فى خَراجِه ، فيحتاج إليه ولده ، وصاحبُ شُرطته ، وصاحبُ حَرَسه ، وخَدَمُه ؛ فقال له : يا أَخى : فكيف بهذه الجارية التى قد شُهر بها ؟ فقال له الرجلُ : لا تَهتمَّ بها ، قد مازحهُ أَميرُ المؤمنين فيها ، وخاطَبَه بشِعْرٍ قيل فيه ؛ قال : وما هو ؟ قال :

وابنُ جَميلٍ فاعْلموا عاجلاً لا بُدَّ مَوْقُوفٌ على مِسْطبَهْ
يُوقَفُ فى زَرقـاءَ مَشْهورةٍ تجيد ضَرْبَ العُود والعَرْطَبه[1]

فقال جميلٌ : والله ما بى من هذا الأَمر إلا أَنّى أَتخوَّفُ أن يكون قد شُهِر بها هذه الشُّهرةَ ولم يَنِكْها .

قال هارون :

وأَحسب هذه القصَّة لزرقاء الزَّرَّادة[2] ، لا زَرقاء ابن رَامين .

ما كان من معن وروح وابن المقفع فى هبات الزرقاء

قال هارونُ : وحدّثنى أَبو أَيّوب ، قال : حدّثنى محمدُ بن سلاّم ، قال :

اجتمع عند ابن رامين مَعْن بن زائدة ، ورَوْحُ بن حاتم ، وابنُ المُقفَّع ، فلمَّا غَنَّت الزرقاءُ وسَعدةُ ، بَعثَ مَعْنٌ إليها بَبدْرة[3] ، فصُبَّت بين يَدَيها ، فبعثَ رَوْحٌ إليها أُخرى ، فصُبَّت بين يَدَيها ، ولم يكن عند ابن المقفَّع دراهم ، فبعثَ فجاء بصَكِّ ضَيْعَتِه وقال : هذه عُهدةُ ضَيْعَتى خُذيها ، فأَمَّا الدَّراهم فما عِندى منها شىء .

كان ابن الأشعث ليقى على الزرقاء

أَخبرنى الحسن بن علىّ ، قال : حدّثنا فَضلُ اليزيدىّ ، قال : حدّثنى إسحاقُ الموصلىّ ، قال : قال سليمان الخَشّاب :

---

(1) العرطبة : بالفتح ويضم : العود ، أو الطنبور ، أو الطبل . (2) أ ، ف ، ل : « الزرادى » . (3) البدرة : كيس فيه ألف درهم ؛ وقيل : عشرة آلاف ؛ وقيل : سبعة آلاف .

دخلتُ منزلَ ابنِ رامينَ فرأيتُ الزَّرقاءَ جاريتَه ، وهى وصيفةٌ ، حينَ شالَ نُهودُها ثَوبَها عن صَدْرِها ، لها شاربٌ كأنَّه خطٌّ بِمِسْك ، يلحَظُه الطَّرفُ ويقصُر عنه الوَصفُ ، وابنُ الأشعثِ الكُوفىُّ يُلْقِى عليها ، والغناء له :

أيَّةُ حالٍ يا بنَ رَامينِ حالُ المُحبِّينَ المَساكينِ [1]
تَركتَهم مَوتَى وما مُوِّتوا[2] قد جُرِّعوا مِنكَ الأَمَرَّينِ
وسِرْتَ فى رَكْبٍ على طِيَّةٍ رَكْبِ تَهَـامٍ ويَمانِينِ
يا راعىَ الذَّوْدِ لقد رُعْتَنا ويْلَكَ من رَوْعِ المُحبِّينِ
فرَّقتَ جَمْعًا لا يُرَى مِثلُهم فَجعْتَهم بالرَّبْرَبِ العِينِ

١٣٣ / ٣١

شىء عن ابن رامين و أبيه

أخبرنى الحسنُ بن علىّ ، قال : حدّثنى هارون بن محمد الزيّات ، قال : قال أحمدُ بن إبراهيم بن إسماعيل :

كان ابن رامينَ ، مولى الزَّرقاء ، أجلَّ مُقَيِّنٍ [3] بالكوفة وأكبرَهم ؛ ورامين ، أبوه : مولىَ بِشْر بن مَروان .

أصوات أخذها ابن الطبيب عن ابن رامين

قال هارونُ : فحدّثنى سُليمانُ المدينىّ ، قال : قال حمّاد بنُ إسحاق : قال أبى : قال مُعاذُ بن الطَّبيب :

أتيتُ ابن رامينَ ، وعنده جواريه : الزَّرقاءُ وصواحباتُها ، وعندهنّ فتىً حَسنُ الوَجْهِ ، نَظيفُ الثِّياب ، عَطِرُ الرِّيح ، يُلْقِى عليهنّ ، فسألتُ عنه ، فقيل لى : هذا محمد بن الأشعث بن فَجْوةَ الزُّهرىّ ، فمضيتُ به ،

(١) مر هذا الشعر والتعليق عليه (ص: ٥٣٤٨) . (٢) انظر الحاشية (رقم: ١ ص: ٥٣٣٨).

(٣) المقين : المزين ، ومنه قيل للماشطة : مقينة ، وإنما قيل للقينة ، مغنية أو غير مغنية : قينة ، لذلك . ولعله يريد بالمقين ، هنا : صاحب القيان .

إلى مَنزلى وسألْتُه المُقامَ ،ففعلَ ، وأتيتُه بطعامٍ وشَرابٍ ، وغَنَّيتُه أصواتًا من غِناء أهل الحجاز ،فسألنى أن أُلقيهَا عليه ، فقلتُ : نَعَم وكَرامةً وحُبًّا ، على أن تُلْقِيَ علىَّ أصواتًا من صَنعتك ألتذُّ بها ، وأقْطع طَريقى بروايتها ، وأُطْرِف أهلَ بَلدى بها ؛ ففعلتُ وفعلَ ، فكان مما أخذتُه عنه من صَنعته :

صوت

صاحِ إنِّى عادَ لِى[1] ما ذَهَبَا ... مِن هَوًى هاجَ لِقَلْبِى طَرَبا
أذكَرَتِْنى الشَّوْقَ سَلامَةُ أنْ ... لم أكُنْ قَضَّيْتُ منها أرَبا
وإذا ما لامَ فيها لائمٌ ... زاد فى قَلْبِى لحُبِّى[2] عَجَبا
مِن ذَوات الدَّلِّ لو دَبَّ على ... جِلْدها الذَّرُّ لأَبْدَى نَدَبا[3]

الغناءُ لمحمد بن الأشعث ، ثَقيلٌ أوّل ،عن الهِشامىّ ؛ وفيه ليونُس خفيفُ ثقيلٍ بالسبَّابة ، فى مَجرى البِنصر ، عن إسحاق .

وذكر أحمدُ بن عُبيد أنَّ فيه لحنًا من الثَّقيل الثانى لا يُدْرَى لمن هو؟

قال : ومنها :

صوت

لِذِكْرِ الحبيبِ النَّازحِ المُتَعتِّبِ ... طَرِبْتُ ومَن يَعْرِضْ له الشَّوْقُ يَطْرَبِ
لَحْنُه رَمَل .

قال : ومنها[4] :

(١) كذا فى جـ ، ف ، ل . والذى فى سائر الأصول : « إنى عاذل » . (٢) جـ : « زاد فى قلبى بحبى » . (٣) الندب ، بالتحريك : أثر الجرح الباقى على الجلد . (٤) ب ، س : « وقال منها » .

صوت

خَليلَىَّ عُوجَا ساعةً ثم سَلِّمَا ... على زَيْنبٍ سَقْيًا ورَعْيًا لزَيْنبِ

لَحْنُه رَمَل .

قال : ومنها(١) :

صوت

رَحُبتْ بِلادُك يا أمامَهْ ... وسَلِمْتِ ما سَجَعَت حَمامَهْ

وسَقَى دِيـــارَك كُلَّهـــا ... حَنَّت إلى السُّقْيَـا غَمـامَه

إنِّى وإنْ أقصَيْـتنِى ... سَفَهًـا أُحِبُّ لكِ الـكَرَامه

وأرَى أُمُـورَك طـــاعةً ... مَفْروضةً حتَّى القِيَـــامه

لَحْنُه خفيفُ رملٍ .

قال : ومنها :

صوت

ما بالمَغَـانى مِن أَحَـــدْ ... إلّا حَمَـــاماتٌ فُــرُدْ

أَضحت خَـــلاءً دُرَّسًـا ... للرِّيح فيهـــا مُطَّرَد(٢)

عَهْـــدِى بها فيما مضَى ... يَنتابهـــا بِيضٌ خُرُد(٣)

١٣٤ / ١٣ فاستبدلَت وَحشًـــا بِهم ... والوُرْقُ تَدْعُو والصُّرَد(٤)

---

(١) ج : « ويقال : منها » . (٢) مطرد : مغدى ومراح .

(٣) خرد ، بضمتين ، من جموع خريدة ، وهى من النساء : الخفرة الطويلة السكوت .

(٤) الورق : جمع ورقاء ، وهى من الحمام التى فى لونها بياض إلى السواد . والصرد : طائر ضخم الرأس .

لحْنهُ هزَج .

قال : ومنها :

صوت

لَيتَ من طَيَّرَ نَوْمِى رَدَّ فى عَيْنِى المَنَامَا
أو شَفَى جِسْمًا سَقِيمًا زاده الهَجْرُ سَقَاما
نَظرَتْ عَيْنى إليها نَظْرةً هاجَتْ غَراما
تَركَتْ قَلْبِى حَزِينًا بِهَواها مُسْتَهاما

لحْنه رَمَل .

قال ابنُ الطَّبيب :

وأخذتُ منه مع هذه أصواتًا كثيرةَ ، ورأيتُ النَّاسَ بعد ذلك يَنْسُبونها إلى قُدماء المغنِّين .

مصير الزرقاء ورييحة

قال هارونُ : وحدّثنى حمادُ بن إسحاق ، عن أبيه ، قال : حدّثنى إسماعيلُ بن جَعفر بن سُليمان :

أنَّ الزَّرقاءَ ، [صاحبةَ ابنِ رامين] (١) ، صارت إلى أبيه ، وكان يُقال لها : أمّ عُثْمان ، وأنَّ رُبَيحةَ جاريةَ ابنِ رامينَ صارت إلى محمد بن سُليمان ، وكانت حَظِيَّةً عنده .

ما غنت به الزرقاء سليمان بن على

قال إسماعيلُ :

فأَتى سُليمانُ بن علىّ ابنَه جَعفرًا ، فأخرج إليه الزَّرقاء ، فقال لها سُليمان : غَنِّينى ، قالت : أىَّ شىءٍ تحبُّ ؟ قال : غَنِّينى :

---

(١) التكملة من ط ، ف .

إذا ما أُمُّ عَبدِ اللّـَ ... ـهِ لم تَحْلُل بِواديهِ
ولم تَشفِ سَقيمًا هَيَّـ ... ـجَ الحُـزْنَ دَواعيــه

فقالت : فَدَيتُك ، قد تَرك الناسُ هذا منذُ زمان ، ثم غنَّته إيَّاه .

قال إسماعيلُ :

قد ماتَ سليمانُ منذ ثلاثٍ وسَبعين سنة ، ويَنبغى أن يكون رَأى الزرقاء قبل موته بسنَتين أو ثلاث .

قال :

وقالت هي :قد تَرك الناسُ هذا منذُ زمان ،فهذا من أقدم ما يكون من الغناء .

أبيات لابن الزنبوذ في في جواري ابن رامين

قال هارونُ :

وقال شُراعةُ بن الزَّنْبَوذ :

قالوا شراعةُ عِنِّينٌ فقلتُ لهم ... اللهُ يَعلمُ أنِّى غيرُ عِنِّين
فإنْ أبيتُمْ وقُلتم مِثلَ قولِهِم ... فاقحِمونِيَ فى دارِ ابن رامين[1]
ثم انظُروا[2] كيف طَعْنى عند مُعتَركى ... فى حِرِ مَنْ كنتُ أَرْميها وتَرْمينى

شيء عن الزرقاء

قال هارونُ : وحدّثنى أبو أيّوب المَدينىّ ، عن أحمد بن إبراهيم ، قال : قال بعضُ المَدينيِّين[3] :

أتيتُ منزلَ ابن رامين ، فوجدتُه عندهُ جاريةً قد رَفع ثَدْيُها قَميصَها ، لها شاربٌ أخضرُ مُمتدٌّ على شَفتها[4] امتدادَ الطِّراز[5] ، كأنَّها خُطَّت طُرَّتُها وحاجباها بقلَم ، لا يَلْحقُها فى ضَرْبٍ من ضروبِ حُسنها وَصْفُ واصِف ، فسألتُ عن اسمها ، فقيل : هذه الزَّرقاءُ .

(١) أقحمونى : ألقوا بى . (٢) المختار : « ثم اخبروا » .
(٣) ب ، س : « المدنيين » ، تحريف : والنسبة الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم : مدنى . (٤) ط : « شفتيها » . (٥) الطراز ، بالكسر : علم الثوب .

* * *

نسبة الصوت الذى فى الخبر

صوت

إذا ما أُمُّ عَبْدِ اللَّـ ـه لم تَحلُلْ بواديهِ
ولم تَشْفِ سَقيمًا هَـ ـيَّجَ الحُزْنَ دَواعيه
غَزَالٌ راعَه[1] القَنَّا ـصُ تَحْميه صَياصيه[2]
عَرفتُ الرَّبْعَ بالإكليـ ـلِ عَفَّتْه سَوافيه[3] ١٣٥ / ١٣
بجَوٍّ ناعمِ الحَوْذا ـن مُلْتفٍّ رَوابيه[4]
وما ذِكْري[5] حَبِيبًا و قليلاً ما أُواتيهِ
كذِى[6] الخَمْرِ تَمنَّاها وقد أَسْرَفَ ساقِيه

ذكر الزُّبير بن بكَّار أنَّ الشعرَ لعديِّ بن نوفل؛ وقيل: إنَّه للنُّعمان ابن بشَير الأنصاريّ[7]، وذاك أَصَحّ.

وقد أَخرجتُ أَخبارَ النُّعمان فيه مُفردةً فى موضع آخر[8]، وذكرتُ

---

(١) ط، ل: «رابه». (٢) الصياصى: ما يمتنع به، ومن معانيه: القرون، والحصون، وكلاهما يتجه على سبيل التورية بين المعنى القريب، وهو الغزال الحقيق، والمعنى البعيد، وهى المرأة. (٣) الإكليل: اسم موضع. (معجم البلدان). والسوافى: الرياح التى تسفى التراب. (٤) الجو: المنخفض من الأرض. والحوذان: نبت يرتفع قدر الذراع، له زهرة فى أصلها صفرة، ورقته مدورة، وهو من نبات السهل حلو طيب الطعم، والحافر يسمن عليه.

(٥) المختار: «حبيباً لى». (٦) كذا فى جـ، ط، ف، ل. والذى فى سائر الأصول: «كذا»، تحريف. (٧) وهذا ما ذكره ياقوت فى معجم البلدان فى رسم «إكليل»، وقد أورد الأبيات الستة الأولى. وزاد ابن حجر فى الإصابة (ت: ٥٤٩٤): «وأما أبو عمرو الشيبانى وأبو عبد الله بن الأعرابى ومن تبعهما فقالوا: إنه النعمان بن بشير». (٨) ستأتى ترجمته (انظر: فهرست هذا الكتاب). وثمة بعض خلاف فى الرواية.

القصيدة بأسرها . ورَواها ابنُ الأعرابىّ ، وأبو عَمرو الشَّيبانىّ ، للنُّعمان ، ولم يَذكر أنَّها لعدىٍّ غيرُ الزُّبير بن بكّار .

والغناء ، فيما ذكر عمرو بن بانة ، لِمَعْبَد ، خفيفُ رملٍ بالوُسطى . وذكر إسحاق أنَّ فيه خفيفَ رَملٍ بالسَّبَّابة فى مَجرى البِنصر ، [يمان][1] .

وفيه للغَريض ثَقيلٌ أوّل بالوُسطى ، عن الهشامىّ ، فى الأوّل والثانى والرابع والخامس .

(١) التكلة من جـ ، ط ، ف ، ل .

نسب

عدى بن نوفل

وخبره

نسبه

* هو عدىٌّ بن نوفلِ بن أسَد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ بن كِلاب ابن مُرّة بن كعب بن لُؤَىّ :

أمه

وأُمّه[1] : آمنةُ بنتُ جابر بن سُفيان ، أُختُ تأبَّطَ شرًّا .

استعماله على حضرموت

وكان عُمر بن الخَطّاب ، رضوان الله عليه ، استعملَه ، أو عثمانُ بن عفّان ، رضى الله عنه — فيما أخبرنا به الطُّوسىُّ ، عن الزُّبير بن بكّار — على حَضْرَموْت .

داره وشعر ابن يسار فيها

قال الزُّبير :

ودارُ عَدىِّ بن نَوفلٍ ، بينَ المَسجد والسُّوق ، [مَعروفة[2]] ، وفيها يقول إسماعيلُ بن يَسار النَّسائىّ[3] :

إنَّ مَمْشاكِ نَحْوَ دارِ عَدىٍّ ... كان للقَلْب شِقْوةً[4] وفُتونَا

إذْ تَراءت على البَلاط فلمّا ... واجَهتْها كالشَّمس تُغْشِى العُيُونا[5]

(*) الاستيعاب لابن عبد البر (ت:١٧٩٠) الإصابة (ت:٥٤٩٤). وقد على عن أخباره ابن واصل فى التجريد ، وكذا ابن منظور فى المختار .

(١) وكذا فى الاستيعاب، والإصابة . وفى جمهرة أنساب العرب (ص: ١٢٠) : «أمية» . وفى أنساب قريش (ص : ٢٠٩) : «وأمه : بنت جابر بن سفيان» . (٢) التكلة من ط ، ف ، ل . (٣) مرت ترجمته. (١٦٢٢ — ١٦٤٤) . (٤) الإصابة : «شهوة» .

(٥) البلاط : أكثر من موضع ، ويروى بكسر الباء وفتحها ، والمقصود به هنا : موضع بالمدينة بلط بالحجارة بين مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين سوق المدينة. (معجم البلدان). ويؤكد هذا القول ابن حزم فى جمهرة أنساب العرب : «ودار عدى هذا بالبلاط ، بين مسجد النبى صلى الله عليه وسلم والسوق». وكذا عبارة ابن حجر فى الإصابة : «وكانت دار عدى ابن نوفل بالمدينة بين المسجد والسوق عند البلاط» .

قال هارونُ قِفْ فياليتَ أنّى ... كُنْتُ طاوَعْتُ ساعةً هارُونا

وقد قيل: إنَّ هذه الأبيات لِعُمَر بن أبي ربيعة[1] .

خبر أبيات التي فيها الصوت

قال الزُّبيرُ :

كان تحتَ عدِيّ بن نوفل أُمُّ عبد الله، بنت أبي البَخْتَرىّ بن هاشم ابن الحارث بن أسدِ بن عبد العُزَّى ، فغاب مُدَّةً وكتب إليها أنْ تَشخَص إليه ، فلم تَفْعلْ ، فكتبَ إليها قولَه :

إذا ما أُمُّ عبد اللـ ... ـهِ لم تَحْلُل بِوَادِيه

وذكر البيتَيْن فقط . فقال لها أخوها الأسودُ بن أبي البَخْترىّ ، وهما لأبٍ وأُمّ – أُمُّهما: عاتكة بنت أميَّة بن الحارث بن أسَد بن عبد العُزَّى – : قد بَلَغ الأمرُ هذا من ابن عَمّك ! فاشخَصِي إليه[2] .

* * *

صوت

أعينَىَّ جُودَا ولا تَجْمُدا ... ألَا تَبْكيانِ لصَخرِ النَّدَى[3]

ألَا تَبْكيانِ الجرِىءَ[4] الجَميلَ ... ألَا تَبكيانِ الفتَى السيِّدا

الشِّعر للخَنساء بنت عمرو بن الشَّريد ، تَرْثى أخاها صَخرًا . والغناء لإبراهيم الموصلىّ ، ثقيلٌ أوّل مُطلق فى مَجرى البِنصر ، عن إسحاق ؛ وفيه لابن سُريح خفيفُ رَمَلٍ بالوُسطى ،عن عمرو ،والهشاميّ ،وحَبَش. ١٣٦ / ١٣

(١) الأبيات فى الديوان (ص : ٣٠٥–٣٠٦) مع اختلاف يسير . (٢) كذا فى ط ، ف ، ل ، والإصابة . والذى فى سائر الأصول : « إليك » ، تحريف . (٣) الديوان (ص : ٣٢ طبعة بيروت) . (٤) وكذا فى الديوان : بالهمز . وفى ج : « الجرى » من غير همز مشدد الياء ، والجرى : الوكيل ؛ أى : من ينوب عنا فى أمورنا ويكفينا إياها .

نسب

الخنساء

وخبرها وخبر مقتل أخويها صخر ومعاوية

نسبها

* هي الخَنساء بنتُ عَمرو بن الحارث بن الشَّرِيد بن رِيَاح[1] ابن يَقَظة بن عُصَيَّة بن خُفَاف بن امرئ القَيس بن بُهْثَة بن سُلَيم ابن مَنصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة بن قَيسٍ[2] عَيْلان بن مُضَر.

اسمها

واسمُها: تُماضِر.

لقبها

والخنساءُ: لقبٌ غَلَبَ عليها[3].

بينها وبين دريد ابن الصمة وكان خطبها فردته

وفيها يقول دُريد بن الصِّمَّة، وكان خَطَبها فردَّته، وكان رآها تَهْنأُ بَعيرًا[4] [لها، ثم نَضَّت ثِيابَها واغتسلت، فقال][4]:

حَيُّوا تُماضِرَ وارْبَعُوا صَحْبِي … وقِفُوا فإنَّ وقُوفَكم حَسْبِي[5]
أَخُنَاسُ قد هامَ الفُؤادُ بكم … وأصابه تَبْلٌ من الحُبِّ[6]

(*) التجريد (١٦١٦–١٦٢٢) المختار (٣ : ٤٠١–٤١٤) أسد الغابة (٥ : ١٢٤) الاستيعاب لابن عبد البر (ت : ٣٣١٧) الإصابة لابن حجر (٤، ت: ٣٥٥) خزانة الأدب للبغدادي (١ : ٢٠٨) الشعر والشعراء لابن قتيبة (٣٤٣ – ٣٤٧) طبقات الشعراء لابن سلام (١٦٩ – ١٧٤) ديوان الخنساء.

(١) وكذا في التجريد، والمختار، وطبقات الشعراء لابن سلام؛ والخزانة. والذي في الإصابة، والاستيعاب، وأسد الغابة: «رباح» بالباء الموحدة. وفي جمهرة أنساب العرب (ص : ٢٦١): «... بن الشريد، واسمه عمرو بن يقظة». (٢) الأصول: «قيس بن عيلان»، وقد مرت الإشارة إليه. (انظر: فهرست هذا الكتاب). (٣) ط: «وقع عليها». والتجريد: «لقب لها». والمختار: «لقب عليها». (٤) التكملة من المختار.

(٥) ربع: وقف وانتظر وتحبس. (٦) التبل: السقام.

ما إنْ رأيتُ ولا سَمِعتُ بهِ كاليَومِ طالِى أَيْنُقٍ جُرْبِ
مُتبـذِّلاً تَبْـــدُو محاسنُه يَضَعِ الهِناءَ مواضِعَ النُّقْبِ(١)

قال أبو عُبيدة ، ومحمّدُ بن سلاّم :

لمّا خطبها دُريدٌ بَعثت خادمًا(٢) لها ، وقالتْ : انظُرى إليه إذا بالَ ، فإنْ كانَ بوْلهُ يَخْرِق الأَرضَ ويَخُدُّ فيها ففيه بَقيَّةٌ ، وإن كان بوْلُه يَسيح على وَجْهها فلاَ بقيَّةَ فيه ؛ فرجعَتْ إليها وأخبرَتْها ، فقالت : لا بَقيَّةَ فى هذا ، فأرسلَتْ إليه : ما كنتُ لأَدَعَ بنى عَمِّى ، وهُمْ مِثلُ عَوالى الرِّماح ، وأتزوَّجَ شيخًا(٣) ! فقال :

وقـاكِ اللهُ يابْنةَ آلِ عَمْرو مِن الفِتْيانِ أَشْباهِى(٤) ونَفْسِى
وقـالت إنَّنِى شَيخٌ كبيرٌ وما نَبَّأْتُها أَنِّى ابنُ أَمْسِ
فـلا تَلِدِى ولا يَنكِحْكِ مِثْلى إذا ما لَيلةٌ طَرَقَتْ بِنَحْس
تُريدُ شَرَنْبَثَ(٥) القَدمَين(٦) شَثْنًا يُباشِر بالعَشيّة كُلَّ كِرْس(٧)

فقالت الخنساءُ تجيبه :

مَعاذَ اللهِ يَنكِحُنى حَبَرْكَى(٨) يُقال أَبُوه(٩) من جُشَمَ بنِ بَكْرِ
ولو أَصبحتُ فى جُشَم هَدِيًّا إذًا أَصْبحتُ فى دَنَس وفَقْرِ(١٠)

(١) الهناء : القطران . والنقب ، بالفتح ، ويضم : الجرب . (٢) كذا فى ط ، ف ، ل . والذى فى سائر الأصول : «خادمة» . (٣) زاد ابن منظور فى المختار : «هرما ، هامة اليوم أو غدا ، وكان دريد يسمع قولها ، فقال من أبيات» . (٤) وكذا فى نسخة من المختار . والذى فى سائر أصول المختار : «أمثالى» . (٥) شرنبث : خشن . (٦) وكذا فى بعض أصول المختار . والذى فى سائر أصول المختار : «الكفين» . (٧) شثنا : غليظا . والكرس : ما تلبد من أبوال الإبل والغنم وأبعارها . (٨) كذا فى أكثر الأصول ، وحبركى : طويل الظهر قصير الرجلين ، وألفه تكون للإلحاق فينون ، أو للتأنيث فيمنع من الصرف . والذى فى ل : «حبرك» ، تحريف . (٩) الديوان (ص: ٧٩) : «قصير الشبر» . (١٠) هديا : عروسا .

حديث مقتل أخيها صخر

وهذا الشِّعر[١] تَرثى به أخاها صخرًا ؛ وقتله رَبيعةُ[٢] بن ثَوْرٍ الأسدىّ يومَ ذى الأَثْل[٣] .

أخبرنا بالسببِ فى ذلك محمدُ بنُ الحسن بن دُريد ، عن أبى حاتم ، عن أبى عُبيدة ؛ وأضفتُ إليه رِوايةَ الأَثْرم ، عن أبى عُبيدة ، قال :

غَزا صَخْرُ بن عمرو ، وأَنَس بن عَبَّاس الرِّعْلىُّ ، من بنى سُلَيم ، بَنى أسد بن خُزيمة — قال أبو عُبيدة : وزعم السُّلَمىُّ أنَّ هذا اليومَ يقال له : يوم الكُلاب ، ويومُ ذى الأَثْل — فى بَنى عَوف وبنى خُفَاف ، وكانا مُتسانِدَيْن ، وعلى بَنى خُفَاف صخرُ بن عمرٍو الشَّريدىّ ، وعلى بنى عوف أنسُ بن عبَّاس . قال : فأَصابُوا فى بنى أسدِ بن خُزيمة غنائمَ وَسَبْيًا ، وأخذ صَخرٌ يومئذ بُدَيْلَةَ ، امرأتَه[٤] . قال : وأصابت صَخرًا يومئذ طَعنةٌ ، طَعَنه رجلٌ ، يُقال له : رَبيعة بن ثَور ، ويُكنى : أبا ثور ، فأدخل جَوْفَه حَلَقًا من الدِّرْع ، فاندمَل عليه حتَّى شَقَّ عنه بعد سِنين[٥] ، وكان سببَ موته .

قال أبو عُبيدة : وقال غيرُه :

١٣٧ / ١٣ بل وَرَدَ هو وبَلعاء بن قَيس الكِنانىّ . قال : وكانَا أَجْملَ رجُلَيْن

(١) يريد : الشعر الذى قدم به أبو الفرج هذه الترجمة ، وهو :

* أعينىّ جودا ولا تجمدا *

(٢) ب ، جـ ، س ، وإحدى نسخ المختار : «زيد» . وما أثبتنا من سائر الأصول هنا ، ومن جميعها بعد قليل ، و«التجريد» ، وسائر نسخ المختار ، و«العقد الفريد» (٥ : ١٦٦ طبعة لجنة التأليف) وخزانة الأدب . (٣) ذات الأثل : موضع فى بلاد تيم الله بن ثعلبة ، وكانت به وقعة مع بنى أسد . (معجم البلدان) . (٤) جـ ، ط ، ف ، ل ، وإحدى روايات المختار : «امرأة» . وما أثبتنا من سائر الأصول . ورواية أخرى للمختار . وثمة رواية ثالثة للمختار ، وهى : «زوجه» . (٥) المختار : «أربع سنين» .

فى العرب . قال : فَشَرِبَا عند يهودىٍّ خَمَّارٍ كان بالمدينة . قال : فحسدَهما لِمَا رأى من جمالهما وهَيأتِهما ، وقال : إنِّى لأَحْسُد العربَ أن يكون فيهم مثلُ هذَين ؛ فسقاهما شَربةً جَوِيَا[1] منها . قال : فمرَّ بصَخْرٍ طبيبٌ بعد ما طال مَرَضُه ، فأَراه ما به ؛ فقال : أَشُقُّ عنك[2] فتُفيق . قال : فعمَد إلى شِفَارٍ فجعل يَحميها ثم يَشُقُّ بها[3] عنه ، فلم يَنْشَبْ أن مات .

ملل أهله به بعد أن طعن وشعره فى ذلك

قال أبو عُبيدة :

وأمّا أبو بلال بن سَهم فإنّه قال :

اكتَسح صخرٌ أموالَ بنى أسد وسَبَى نِساءهم ، فأتاهم الصَّريخُ فتَبِعوه ، فتلاحَقُوا بذات الأَثْل ، فاقتتلوا قتالاً شديدًا ، فطَعن ربيعةُ ابن ثَورٍ الأسدىُّ صَخرًا فى جَنْبه ، وفات القومَ فلم يُقْعَص[4] ، وجَوِىَ منها ، ومَرِض قريبًا من حَوْل ، حتّى ملّه أهلُه . قال : فسمع صَخرٌ امرأةً وهى تسأل سَلْمَى امرأته[5] : كيف بَعْلُك ؟ فقالت سَلْمَى : لاحَىٌّ فيُرْجَى ، ولا مَيْت فيُنْعَى ، لَقِينا منه الأَمرَّين .

قال : وزَعم آخرُ أنَّ التى قالت هذه المَقالةَ بُدَيلةُ الأَسديَّةُ ، التى كان سَباها من بنى أَسد فاتَّخذَها لِنَفسه ، فأنشدَ هذا البيتَ :

أَلاَ تِلكُمُ عِرْسى بُدَيلةُ أَوْجَسَتْ[6] فِرَاقِى ومَلَّت مَضْجَعِى ومَكانى

(١) كذا فى الأصول ، وإحدى روايات المختار . وجويا ؛ أى : أصابهما جوى وحرقة . والتى فى سائر أصول المختار : «وحربا» ؛ أى : قالا : واحرباه ، جزعاً على ما أصابهما . (٢) وكذا فى المختار . والتى فى جـ ، ط ، ف ، ل : «أسرعنك» . (٣) جـ ، ط : «ثم يبر بها» . ف ، ل : «ويشربها» . (٤) لم يقعص : لم يمت مكانه ، قعصه وأقعصه . (٥) «به» جـ ، س : «لامرأة صخر» . وما أثبتنا من سائر الأصول ، والمختار ، والتجريد . (٦) فى أكثر الأصول : «أوحشت» . وما أثبتنا من ط ، ف ، ل ، والمختار .

وأمّا أبو بِلاَل بن سَهْم فزَعم: أنّ صَخرًا حين سَمِع مقالةَ سَلْمَى امرأتِه قال :

أرى أمَّ صَخرٍ لا تَمَلُّ[1] عِيادتى ... ومَلَّتْ سُلَيْمَى مَضجِعِى ومَكانى
وما كنتُ أَخْشَى أن أكونَ جِنازةً ... عليكِ ومَنْ يَغترُّ بالحَدَثان[2]
أَهُمُّ بِأَمْرِ الحَزْمِ لو أستطيعُه ... وقد حِيلَ بين العَيْرِ والنَّزَوان
لَعَمْرى لقد نَبَّهْتِ مَن كان نائمًا ... وأسمعتِ مَن كانت له أُذنان
ولَلْموتُ خَيرٌ مِن حَياة كأنَّها ... مَحَلّةُ يَعْسُوبٍ برأسِ سِنان[3]
وأَىُّ[4] امرىءٍ ساوَى بِأُمٍّ حَليلةً ... فلا عاشَ إلّا فى شَقًى[5] وهَوَان

فلما طال عليه البلاءُ ، وقد نَتأَت قِطعةٌ مثل اللِّبْد[6] فى جَنبه فى موضع الطَّعنة ، قالوا له : لو قطعتَها لَرَجَوْنا أنْ تبرأ ؟ فقال : شأنَكم . فأشفقَ عليه بعضُهم فنَهاهم ، فأَبَى وقال : الموتُ أهْوَنُ علىَّ مما أنا فيه . فأَحْمَوْا له شَفْرةً ثم قَطعوها ، [فيَئِس][7] من نَفسه .

قال : وسمع صَخرٌ أُختَه الخنساءَ تقول : كيف كانَ صَبْرُه ؟ فقال صَخرٌ فى ذلك :

أَجارَتَنا إنَّ الخُطُوبَ تَنُوبُ ... على النَّاس كُلَّ المُخطئين تُصِيبُ

---

(١) التجريد : « وما تمل » . والمختار : « لا تمل من البكا » . (٢) جنازة : ثقلا وغما .
(٣) اليعسوب : سيد القوم . قال ابن منظور ، نقلا عن الأزهرى . بعد ما أورد البيت :

وما خير عيش لا يزال كأنه ... محلة يعسوب برأس سنان

فإن معناه : أن الرئيس إذا قتل جعل رأسه على سنان ؛ يعنى : أن العيش إذا كان هكذا فهو الموت. والرواية فى الخزانة : « معرس يعسوب » . (٤) وكذا فى التجريد . وفى المختار : « فأى امرأ » . (٥) التجريد : « أذى » . (٦) كذا فى جـ ، ط ، ف ، ل ، والتجريد ، وبعض نسخ المختار . وفى سائر النسخ ، ونسخة من المختار : « الكبد » . وفى نسخة أخرى من المختار : « اليد » . (٧) التكملة من ط ، ف ، ل ، والمختار .

فإن تَسأَلِينى هَلْ صَبرْتَ فإنَّنى صَبُورٌ على رَيْبِ الزَّمانِ صَلِيب
كأنِّى وقد أَدْنَوْا إلىَّ شِفَارَهم من الصَّبْر دامِى الصَّفحتَيْن رَكُوب
أجارَتنا لَسْتُ الغَــــداةَبظاعنٍ ولكنْ مُقيمٌ ما أَقامَ عَسِيب

عن أبى عُبيدة :

عَسِيبٌ : جبلٌ بأرض بنى سُليم ، إلى جَنب المدينة ، فقَبْرُهُ هناك مَعْلَمٌ .

وقال أبو عُبيدة :

رثاء الخ لأخيها ص

فمات فدُفِن هناك ، فقَبره قريبٌ من عَسيب .

فقالت الخَنساءُ تَرثيه :

ألا ما لَعِينِكَ أَمْ ما لَهـــا لقد أَخْضَلَ الدَّمْعُ سِرْبالَها(١)
أَبعدَ ابنِ عَمْرٍو(٢) من آلِ الشَّريدِ حَلَّتْ به الأَرْضُ أثقالَها(٣)
فإنْ تَكُ مُـــرَّةُ أَودَتْ به فقـــد كان يُكْثِر تَقْتالَها
سأَحْمِلُ نَفسى على خُطَّة(٤) فإمَّا عليها وإمَّـــا لها
فإنْ تَصْبِرِالنَّفْسُ تَلْقَ السُّرورَ وإنْ تَجزَع النفسُ أَشقَى لها

١٣٨/١٣

غنَّى فيه ابنُ سُرَيج خفيفَ رَملٍ بالبِنصِر .

قال السُّلَمىّ :

ليست هذه فى صَخر ، هذه إنَّما رثَت بها معاويةَ أخاها ، وبنو مُرَّة قَتلَتْه ؛ ولكنها قالت فى صَخر :

(١) أخضل : ندى وبلل . وسربالها ؛ أى : جفنها . يريد : العين . (٢) وكذا فى الديوان (ص : ١٢٣) ولسان العرب « ثقل » . وفى العقد الفريد (٥ : ١٦٧) : « أمن فقد صخر » .
(٣) حلت : من الحلية . والأثقال : أجساد بنى آدم ؛ أى : إن الأرض زينت موتاها بهذا الرجل الشريف . وقيل : إن المعنى : أن الارض سقط بموته عنها ثقل ، وكانت العرب تقول : الفارس الجواد ثقل على الأرض ، فإذا قتل أو مات سقط به عنها ثقل . وسيأتى شرح المؤلف بعد هذا . (٤) الخطة : الحالة . وفى . الديوان ، والعقد الفريد : « آلة » . والآلة : الشدة .

قَذًى بعَيْنِكَ أم بالعَين عُوَّارُ　　أم ذَرَفت[1] إذْخلَتْ[2] من أهلها الدارُ
تَبْكى لِصَخرٍ هى العَبْرَى وقد وَلِهت[3]　　ودونَه من جَديد التُّرْب أستار
لا بُدَّ من مِيتةٍ فى صَرْفها غِيَرٌ　　والدَّهْرُ فى صَرْفه حَوْلٌ وأطوار
ياصَخرُ وَرَّادَ ماءٍ[4] قد تَناذَرَه　　أهلُ المَوارد ما فى وِرْده عار
مَشْىَ السَّبَنْتَى إلى هَيجاء مُعْضِلة　　له سِلاحانِ أنيابٌ وأظفار[5]
فما عَجُولٌ على بَوٍّ تُطِيفُ به　　لها حَنينانِ إصغارٌ وإكبار[6]
ترتَعُ ما رتَعتْ حتّى إذا ادَّكرتْ　　فإنّما هى إقبـــالٌ وإدبار
لاتَسمَنُ الدَّهرَ فى أرضٍ وإنْ رَتعَتْ　　فإنّما هى تَحْنانٌ وتَسْجار[7]
يومًا بأَوْجَدَ منّى يومَ فارقَنى　　صَخْرٌ وللدَّهر[8] إحلاءٌ وإمرار
فإنَّ صَخْرًا لَوالينا[9] وسيِّدُنا　　وإنَّ صَخْرًا إذا نَشْتُو لَنَحّار
وإنْ صَخْرًا لَتأْتمُّ الهُداةُ به　　كأنّه عَلَمٌ فى رَأْسه نار

غنَّى فى هذين البَيْتين الأوّلين ابنُ سُريج ، من رواية يونُس

لم تَرَأْهُ[10] جارةٌ يَمْشى بساحَتها　　لِريبةٍ حِين يُخْلِى بيتَه الجار
ولا تَراه وما فى البَيت تَأْكلُه　　لكنّه بارزٌ بالصَّحْن مِهْمار[11]

---

(١) كذا فى ف ، و ، والديوان (ص: ٤٩) ، وعليها شرح المؤلف بعد . والذى فى سائر الأصول ، والمختار : « أم أقفرت » . (٢) ط : « أم خلت » . (٣) كذا فى ف ، والديوان ، وعليها شرح المؤلف بعد . والذى فى جـ ، ط ، ل ، والمختار : « وقد ثكلت » . والذى فى سائر الأصول : « وقد ذرفت » . (٤) وراد ماء ؛ يعنى : الموت . جعله كالماء ، لابد له منه . وفى جـ ، ط ، ف : « وارد ماء » . (٥) السبنتى : النمر . (٦) الإصغار : حنينها إذا خفضته . والإكبار : حنينها إذا رفعته . والرواية فى الديوان : « إعلان وإسرار » . (٧) التسجار : مد الصوت بالحنين .

(٨) كذا فى ط ، ف ، ل ، والديوان . والذى فى سائر الأصول : « وقد » .

(٩) التجريد . وبعض نسخ المختار : « لمولانا » . (١٠) كذا فى أكثر الأصول ، وبعض نسخ المختار . وفى سائر نسخ المختار ، والتجريد ، والديوان : « لم تره » . (١١) المهمار : الكثير الكلام ، يعنى : آمرا ناهيا.

مِثْلُ الرُّدَيْنِيِّ لم تَنفَدْ شَبيبتُه ... كأنَّه تحتَ طَيِّ البُرْد أُسْوَار
فى جَوْفِ رَمْسٍ مُقيمٍ قد تَضمَّنَه ... فى رَمْسِهِ مُقْمَطِرَّاتٌ وأَحْجار
طَلْقِ اليَدين بِفِعْلِ الخَير[1] ذو فَجَرٍ ... ضَخْم الدَّسِيعة بالخَيرات أَمَّار
ورُفقة[2] حارَ هاديهم[3] بمَهلَكة ... كأنَّ ظُلمتَها فى الطَّخْيةِ القار

عروضه [أُولى ، وضَربُه][4] ثان ، من البسيط .

العُوَّار ، والعائر : وجَعٌ ، وهو مِثل الرَّمد . وذَرفَتْ : قَطرت قطرًا مُتتابعًا لا يبلغ أن يكون سَيْلاً . والعَبْرَى ، يقال : امرأة عَبْرَى وعابرٌ . والعَبرة : سُخنة العين[5] . والولَه : ما يُصيب الرجلَ والمرأةَ من شدَّة الجزَع على الولد . حَوْل ، وأطوار ؛ أى : تحوُّلٌ وتَقلُّب وتَصرُّفٌ . قد تناذَرَه ؛ أى : أنذر بعضُهم بعضًا هَوْلَه وصُعوبته . ويُروى : تَبادره . وقولها « ما فى وِرده عار » : أرادت : ما فى تَرك وِرْده عارٌ ؛ أى لا يُعيَّر أحدٌ إنْ عَجز عنه من صُعوبةِ وِرْده[6] . العَجُول : الثَّكول . والبَوُّ : أن يُنحَر ولدُ الناقة ويُؤْخذَ جِلدُه فيُحشَى ويُدنَى من أُمِّه فتَرأَمه . إحلاءٌ وإمرارٌ ، يقال : ما أَحْلَى ولا أَمَرَّ ؛ أى : ما أَتى بحُلْوةٍ ولا مُرَّةٍ[7] ؛

(١) كذا فى ط ، ف ، ل . والذى فى سائر الأصول : « لفعل الخير » . (٢) كذا فى جـ ، ط ، ف ، ل . والذى فى سائر الأصول : « فى رفقة » . (٣) كذا فى ط ، ف ، ل . والذى فى سائر الأصول ، والديوان : « حاديهم » . (٤) زيادة يستقيم بها الكلام ، فهو من العروض الأولى المخبونة والضرب الثانى المقطوع . (الإرشاد الشافى للدمنهورى : ٧٠) .

(٥) الذى عليه المعاجم : العبرة ، بالفتح : الدمعة قبل أن تفيض ، أو تردد البكاء فى الصدر والحزن بلا بكاء ؛ وأما سخنة العين ، فهى العبر ، بالضم وبحرك ، أو بفتحتين . (٦) كذا فى ط ، ف ، ل . والذى فى جـ : «إن عجز عنه ورده» ، محرفة . والذى فى سائر الأصول : «إن عجز عن ورده» . (٧) كذا فى ط ، ف ، ل . والذى فى جـ : « بحلوه ولا مره » . وفى سائر الأصول : « بحلو ولا مر » .

والمعنى : أنَّ الدَّهر يأْتى بالمَشَقَّة والمَحبَّة(١) . كأنَّه علَمٌ فى رأسه نار ؛ أى : إنَّه مشهور . والعَلَم : الجَبل ؛ وجمعه : أعلام . والرُدينىّ : الرُّمح ، مَنسوب إلى رُدَينة ، امرأة كانت تُقوِّم الرِّماح ؛ أى : هو مَعْصوب البدَن ليس بمُهَبَّج(٢) مُنْحَلٍ . وهذا كلُّه من انتفاخ الجلد والسِّمَن والاسترخاء . كأنَّه تحتَ طىِّ البُرد أُسْوار ؛ أى : من لطافة بَطنه وَهَيفِه شبيهٌ أُسْوارٍ من ذَهب . وقال أبو عمرو : مُقْمَطِرّات : صخورٌ عِظام . والأَحجار(٣) ، صغار . ذو فَجَرٍ : يتَفجَّر بالمعروف . والدَّسيعة : العَطاء . الطَّخية ، من الطَّخاء ، وهو الغَيم الأَرقيق الذى يُوارى النُّجومَ فيتحيَّرُ الهادى(٤) .

١٣٩ / ١٣

ولها أيضاً فى رثاء صخر

وقالت الخنساءُ أيضًا تَرثى صَخْرًا(٥) :

بَكَت عَيْنى وعاودَها قَذاها ... بعُوّارٍ فمَا تَقْضِى كَراها(٦)

على صَخرٍ وأىُّ فتىً كصَخْرٍ ... إذا ما النَّابُ لم تَرأَمْ طَلاها(٧)

الطلا : الولد ؛ أى : لم تَعطف عليه من الجَدب

فتَى الفِتْيانِ ما بَلغوا مَداه ... ولا يُكْدِى إذا بَلغت كُداها(٨)

لئن جَزِعت بنو عَمرٍو عليه ... لقــد رُزِئت بنــو عَمْرٍو فَتاها

(١) كذا فى جـ ، ط ، ف ، ل . والذى فى سائر الأصول : « والمحنة » .

(٢) كذا فى فى أكثر الأصول . والمهبج ، كمعظم ، على بناء اسم المفعول من التعظيم : المورم ، والذى فى ط : « بمهيج » . (٣) كذا فى جـ ، ط ، ل ، و . والذى فى سائر الأصول : « وأحجار » ، تحريف . (٤) جـ ، ط ، ل ، و : « أى وارى النجوم فتحير الهادى » .

(٥) الديوان (ص : ١٤١) . (٦) العوار : القذى . (٧) الناب : الناقة المسنة .

(٨) أكدى : حفر فبلغ الكدية ، وهى الأرض الصلبة ، وجمع الكدية : كدى . قال ابن منظور بعد أن أنشد البيت فى اللسان « كذا » : « أى لا يقطع عطاء ولا يمسك عنه إذا قطع غيره وأمسك » .

غنَّى فى هذه الأَبيات ابنُ جامع . ثانى ثقيل بإطلاق الوَتر فى مَجرى الوُسطى . وذكر حَبَش أَنَّ له أَيضًا فيه خفيفَ رَمل بالبنصر .

تَرى الشُّمَّ الجَحاجحَ من سُلَيمٍ   وقد بَلَّتْ مَدامعُها[1] لِحَاها

إذا وُصِف السيِّد بالشَّمم فإنه لا يَدْنو لدناءة[2] ، ولا يَضع لها أَنْفَه

وَخَيْلٍ قد كَفَفتُ بِجوْل خَيْلٍ   فدارتْ بين كَبْشَيها رَحاها[3]

وجَول خيلٍ : جَوَلان ؛ ويقال : قِطعةُ خيلٍ تجول ؛ أى : تذهب وتجىء

تُرفِّع فَضْلَ سابِغة دِلَاصٍ   على خَيْفانة خَفِقٍ حَشاها[4]

وتَسْعى حينَ تَشْتجِرُ العَوالى   بكَأْسِ الموت ساعةَ مُصْطلاها

مُحافَظَةً ومَحْمِيَةً إذا ما   نبَا بالقَومِ من جَزَعٍ لظَاها[5]

فتتركُها قد اشْتجرتْ بطَعْنٍ   تَضَمَّنُه إذا اخْتَلفت كُلاها

[هُنالك لو نَزلْتَ بآل صَخرٍ   قِرَى الأَضيافِ سُخنًا[6] من ذُرَاها[7]

فمن للضَّيف إن هَبَّت شَمالٌ   مُزعزِعةٌ يُجاوِبُها صَداها[8]

وأَلْجأ بَرْدُها الأَشْوالَ حُدْبًا   إلى الحَجَرات[9] بارزةً كُلاها] [10]

أَمُطعِمَكم وحامِلكم[11] تَركْتُم   لدَى غَبْراء مُنهَدِمٍ رَجاها[12]

(١) فى بعض أصول المختار ، والديوان : « يبل ندى مدامعها » .

(٢) ب ، س : « يدنو الدناءة » .   (٣) الكبش : السيد والرئيس .

(٤) الدلاص من الدروع : الملساء اللينة . والخيفانة من الأفراس : السريعة . (٥) محمية : حمية وغضبا وأنفة . (٦) وكذا فى بعض أصول المختار . والذى فى سائر أصول المختار : « شحما » . (٧) ذراها ؛ أى : أسنمتها . (٨) وكذا فى بعض أصول المختار. والذى فى سائر أصوله، والديوان : « تجاوبها صباها » . (٩) الأشوال : النوق التى خف لبنها وارتفع ضرعها . والحجرات : جمع حجرة ، وهى الناحية . (١٠) التكلة من ط ، ل ، و . (١١) وكذا فى بعض أصول المختار. والذى فى سائر أصوله : « وحاميكم » . (١٢) الرجا ، بالقصر ويمد : الناحية .

لِيَبْكِ عليكَ قَوْمُكَ للمَعَالى … وللهَيْجاءِ إنَّك ما فَتاها[1]
وقد فَقَدَتْكَ طَلْقَةُ[2] فاسْتراحت … فليت الخَيْلَ فارسُها يَراها

خفاف فى رثاء صخر ومعاوية

وقال خُفَاف بن عُميرٍ يَرثِى صَخرًا ومُعاوية ، ابنَىْ عمرو ، ورجالاً منهم أُصيبوا :

تَطاول هَمُّه بِبِراقِ سِعْرٍ[3] … لذِكْراهمْ وأَىُّ أَوَانِ ذِكْرِ
كأَنَّ النارَ تُخرِجها ثِيَابِى … وتَدْخلُ بعدَ نوم الناسِ صَدْرِى
لَباتت تَضْرِبُ الأَمثالَ عِندى … على نابٍ شَرِبْتُ بها وبَكْرِ[4]
وتَنْسى مَن أُفارِقُ غَيرَ قالٍ … وأَصْبِر عنهمُ منْ آل عَمرو
وهل تَدْرِين أنْ ما رُبَّ خِرْقٍ … رُزِئتُ[5] مُبرًّا بقِصاصٍ وِتْرِ
أخى ثِقَةٍ إذا الضَّرَّاءُ نابت … وأهلِ حِبَاءِ أضيافٍ ونَحْرِ
كصَخْرٍ للسَّرِيَّةِ[6] غادَرُوه … بِذَرْوَةَ[7] أو مُعاويةَ بن عَمْرو
ومَيْتٍ بالجَنَاب أثَلَّ عَرْشِى … كصَخْرٍ أو كعَمْرٍو أو كبِشْرِ[8]

---

(١) ما هنا زائدة ، للتأكيد . (٢) كذا فى الديوان. وطلقة : اسم فرس صخر. (القاموس . وشرحه : طلق) . وفى ف ، وبعض أصول المختار : « طليمة » . والذى فى سائر الأصول ، والمختار : « وقد فوزت طلدة » .

(٣) كذا فى ط ، ل . وسعر : بالكسر والراء : جبل . (معجم البلدان لياقوت) . والذى فى سائر الأصول : « سفر » ، بالفاء ، تحريف . (٤) شربت بها ؛ أى : بثمنها بعد أن بعتها .

(٥) كذا فى جـ ، ط ، ل ، و . والخرق : الكريم المتخرق فى الكرم ، المتسع فيه . والذى فى سائر الأصول : « حنق» « رزأت» . (٦) ط ، ل ، و : «الشربة» .

(٧) ذروة ، بفتح أوله ويكسر : جبل. (معجم البلدان) . (٨) الجناب ، بالفتح : اسم أرض بالبادية ، وقد جمع بينه وبين « ذروة » فى البيت الذى قبله صخر بن الجعد فى بيت له ، وهو :

بليت كما يبلى الرداء ولا أرى … جنابا ولا أكناف ذروة تخلق

(معجم البلدان : ذروة) .

وآخرَ بالنَّواصِف من هدام(١) فقدأخذوا(٢)ورَبِّ أبيكَ صَبْرى
فلم أرَ مِثْلَهم حَيًّا لَقَاحًا أقامُوا بين قاصيةٍ وحَجْر(٣)
أشدَّ على صُروف الدَّهْر إدًّا وآمَرَ منهمُ فيها بصَبْر(٤) ١٤٠ / ١٣ ر
وأكرمَ حين ضَنَّ الناسُ خِيماً وأحْمدَ شِيمةً ونَشِيلَ قِدْر(٥)
إذاالحسناءُ(٦)لم تَرْحَضْ يدَيْها ولم يُقْصَر لها بَصَرٌ بِسِتْر(٧)
قَرَوْا أضيافَهم رَبَحًا بِبُحٍّ(٨) تجيءُ بعَبقرىِّ الوَدْق سُمْر(٩)
رِماحُ مُثقَّف حَملتْ نِصالاً(١٠) يَلُحْنَ كأنَّهنَّ نُجومُ فَجْر
جَلاها الصَّيقَلون فأخْلَصُوها مَواضىَ كلُّها يَفْرى بِبَتْر(١١)

---

(١) ظاهر أن «النواصف» و«هدام» : موضعان . وقد ذكر أولهما ياقوت ، وقال : «أظنه بعمان». ولم يرد لثانيهما ذكر فى معاجم البلدان ، وقريب منه «هدان»، بكسر أوله ونون . وهو موضع بحمى ضرية . (٢) جـ : «أحذى» . ط ل : «إحدى» (٣) حى لقاح ، لم يدينوا للملوك ولم يملكهم غيرهم ولم يصبهم سبى فى الجاهلية . (اللسان: لقح). وقاصية، وحجر : موضعان، جاء ذكر ثانيهما فى معاجم البلدان بالفتح مرة ، وبالكسر أخرى ، وأقربهما إلى مكان تلك الأحداث الأول . أما أولهما فلم يرد له ذكر . (٤) الإد : الأمر العظيم ، والداهية .

(٥) الخيم : الطبع . والنشيل : اللحم ينشل من القدر ، يعنى : أسخى إطعاما .

(٦) كذا فى ل، واللسان (بحح) ومقاييس اللغة (١ : ١٧٤) . والذى فى سائر الأصول : «الخنساء». وما أثبتنا أحق بالسياق . (٧) الرحض: الغسل . والستر ، بالكسر : الحياء .

(٨) كذا فى اللسان (بحح ، ربح) ، والمقاييس . والربح ، بفتحتين: الشحم، أو الفصال؛ وقيل : هى ما يربحون من الميسر . والبح، بالضم : القداح التى لا أصوات لها . والذى فى و : «ربحا يتيح» . وفى سائر الأصول «ربحا بسح» ، كلاهما تحريف . (٩) رواية هذا العجز فى اللسان (بحح ، ربح)، والمقاييس . :

* يعيش بفضلهن الحى سمر *

(١٠) كذا فى جـ، ط ، ل . والذى فى سائر الأصول: «جنت نصالا» . (١١) اللسان (أثر، وق) :

* خفافا كلها يتقى بأثر *

والمقاييس (١ : ٥٦) : * فجاءت كلها يتقى بأثر *

وأثر السيف : فرنده ؛ أى: كلها يستقبلك بفرنده . ويتقى، مخفف، من يتقى؛ أى: إذا نظر الناظر إليها اتصل شعاعها بعينه فلم يتمكن من النظر إليها .

هُمُ الأَيسارُ إنْ قَحطَتْ جُمادَى بكُلِّ صَبِيرٍ(١) سارِيةٍ(٢) وقَطْر
يَصُدُّون المُغيرةَ عَن هَواها بِطَعْنٍ يَفْلِقُ الهاماتِ شَزْر(٣)
تَعلَّمْ أَنَّ خَيْرَ الناس طُرًّا لوِلْدانٍ ـ غداةَ الرِيح ـ غُبْر(٤)
وأَرْمَلَةٍ ومُعْتَرٍ مُسِيفٍ عَديم المال عِجْزةُ أُمِّ صَخر(٥)

مما رثت به صخرا وغنى فيه

ومما رَثت به الخنساءُ صَخْرًا وغُنِّى فيه :

صوت

أَعَيْنَىَّ جُودا ولا تَجْمُدَا أَلا تَبْكيانِ لِصخرِ النَّدَى
أَلا تَبكيان الجرىءَ الجَميلَ لا تَبكيان الفتى السَّيِّدا
طويلُ النِّجادِ رفيعُ العِما [illegible] سادَ عَشيرتَه أَمْرَدا
إذا القومُ مَدُّوا بأَيْديهمُ [illegible]ى المَجْد مَدَّ إليه يَدا
فنَالَ الذى فَوقَ أَيديهمُ من المَجدِ ثُمَّ مَضى مُصْعِدا
يُحمِّلُه القومُ ما عالَهم وإنْ كان أَصْغَرَهمْ مَوْلِدا(٦)
تَرَى المَجْدَ يَهْوِى إلى بَيْته يَرى أَفضلَ المَجْد(٧) أَنْ يُحْمَدا
وإنْ ذُكر المَجْدُ أَلفيتَه تأَزَّرَ بالمَجْد ثمَّ ارْتدى

(١) الأيسار : الذين يقتسمون بالميسر . والصبير من السحاب : الذى يصير بعضه فوق بعض درجات . (٢) اللسان (بجح) : « غادية » . (٣) الشزر : ما كان عن يمين وشمال .

(٤) كذا فى جـ ، ط ، ل ، و . وغداة الريح : ؛ وقت غلوها ، وذلك حين عصفها وشدتها . والذى فى سائر الأصول :

« بنو عمرو غداة الريح يجرى »

(٥) المعتر : المتعرض لمعروف دون أن يسأل . والمسيف : الفقير المعدم . والعجزة ، بالكسر : آخر ولد الرجل، وهى خبر «أن» فى البيت السابق ؛ أى : تعلم أن خير الناس طرا عجزة أم عمرو .

(٦) ماعالهم ؛ أى : ماثقل عليهم . (٧) وكذا فى بعض أصول المختار . والذى فى سائر أصول المختار ، والتجريد ، والديوان (ص : ٣٢) : « الكسب » .

خبر مقتل معاوية

ونذكر الآنَ هاهنا خَبَرَ مَقتل مُعاوية بن عمرو أخيهما ، إذْ كانت أخبارُهما وأخبارها يَدعو بعضُها إلى بعض .

قال أبو عُبيدة : حَدّثنى أبو بِلال بن سَهم بن عبّاس بن مِرْداس ابن أبي عامر [1] بن جارية [2] بن عَبْد بن عَبْس بن رفاعة بن الحارث ابن بُهْثة بن سُلَيم بن مَنصور : قال :

غزا معاويةُ بن عمرو ، أخو خَنساء ، بَنى مُرّة بن سَعد بن ذُبيان ، وبَنى فَزارة ، ومعه خُفَافُ بن عُمير بن الحارث ـ وأُمّه : نُدْبة [3] ، سوداء ، وإليها يُنسب ـ فاعْتَوره هاشمٌ ودُريدٌ ، ابنا حَرملة ، المُرّيّان .

قال ابنُ الكَلْبِيّ : وحَرملة ، هو : حَرْملة بن أسعد [4] بن إياس ابن مُرَيطة بن ضَمرة بن مُرّة بن عَوف بن سَعد بن ذُبيان .

قال أبو عُبيدة :

فاستطردَ [5] له أحدُهما ثم وَقَف ، وشدّ عليه الآخرُ فقتَلَه ، فلما تَنادَوْا : قُتِلَ معاوية ، قال خُفاف : قَتلنى الله إنْ رِمتُ حتّى أثأرَ به ، فشَدَّ على مالك بن حِمار [6] الشَّمْخيّ ، وكان سيِّد بنى شَمْخ بن فَزارة ، فقتَله ـ[قال : وهو مالك بن حِمار [6] بن حَزْن بن

(١) ويقال : «ابن أبي غالب» . (جمهرة أنساب العرب : ٢٦٣) . (٣) ندبة ، بالضم ، وتفتح. (٢) الأصول : «حارثة» ، تحريف. (انظر : جمهرة أنساب العرب ، مختلف القبائل : ٤٩).
(٤) ب ، جـ ، س : « الأسعد » . (٥) الاستطراد : ضرب من المكيدة ، وذلك أن يستطرد الفارس ليحمل عليه قرنه ثم يكر عليه ، وذلك أن يتحيز فى استطراده إلى فئة ، وهو ينتهز الفرصة لمطاردته . (٦) وكذا فى الكامل المبرد (ص : ٥٦٩) والاشتقاق لابن دريد (٢٨٣ ، ٣٠٩) والاستيعاب (ت : ٦٧٤). وفى العقد الفريد (٥ : ١٦٣) : « مالك بن الحارث » . وفى التجريد : « مالك بن حماد » . وفى جمهرة أنساب العرب (ص: ٢٥٩) : « مالك بن خمار » . وأشير فى هامشه ، إلى رواية نسخة ، وهى : « خيار » .

عمرو[١] بن جابر بن عَقيل بن هلال بن مازن بن فَزارة] [٢] ـ فقال خُفاف فى ذلك :

١٤١/١٣ فإنْ تكُ خَيلى قد أُصِيبَ[٣] صَميمُها ... فعَمْدًا على عَيْنٍ[٤] تيمَّمتُ مالِكَا

يَعنى : مالكَ بن حمار[٥] الشَّمْخىّ .

قال أبو عُبيدة : فأَجْمل أبو بِلالٍ الحديثَ .

قال : وأما غيرُه فذكر أنَّ معاوية وافى عُكاظَ فى مَوسم مِن مَواسم العرب ، فبينا هو يَمشى بسُوق عُكاظ ، إذ لَقى أسماءَ المُرّيّة ، وكانت جَميلةً ، وزَعم أنَّها كانت بَغيًّا ، فدعاها إلى نَفسه ، فامتنعَتْ عليه ، وقالت : أمَا علمتَ أنّى عِند سيِّد العرب هاشمِ بن حَرْمَلة ؟ فأَحفظتْه[٦] ، فقال : أمَا والله لأُقارعنّه عَنْكِ ؛ قالت : شأْنَكَ وشأْنَه . فرجَعتْ إلى هاشم فأَخبرتْه بما قال مُعاويةُ وما قالت له ؛ فقال هاشم : فلعَمْرِى لا يَرِيم أبياتَنا حتّى نَنظُر[٧] ما يكون من جَهده . قال : فلما خَرجَ الشهرُ الحرامُ وتراجَعَ الناسُ عن عُكاظ ، خرج معاويةُ بن عمرٍو غازيًا يُريد بنى مُرّة وبنى فَزارة ، فى فُرسانٍ[٨] أَصْحابِه ، من بنى سُليم ، حتى إذا كان بمكانٍ ،

---

(١) جمهرة أنساب العرب : « حزن بن عامر بن عمرو بن جابر بن خشين ذى الرأسين ابن لأى بن عصيم بن شمخ بن فزارة ». أما هذا النسب الذى ساقه المؤلف ، فهو فرع آخر لمازن اليه ينتمى منظور بن زبان بن يسار بن عمرو بن جابر بن عقيل بن سمى بن مازن. (الجمهرة : ٢٥٨) . (٢) التكملة من ط ، و . (٣) المختار : « أصبت » .

(٤) على عين : بجد ويقين . وفى الكامل ، والمختار ، وبعض أصول العقد الفريد ، والإصابة : « على عينى » .

(٥) انظر الحاشية (رقم : ٦ ص : ٥٣٧٣) .(٦) المختار : « فأغضبته » .

(٧) وكذا فى التجريد ، وبعض أصول المختار . ولا يريم : لا يبرح . والذى فى سائر أصول المختار : « لا أريم حتى أنظر ». (٨) وكذا فى المختار . والذى فى التجريد : « من أصحابه » .

يُدْعَى : الحَوْزة ، أو الجَوزة - والشكُّ من أبي عُبيدة - دَوَّمَتْ(١) عليه طَيْرٌ وسنَح له ظَبْيٌ ، فتَطيَّر منهما ورجَع فى أصحابه ، وبلغ ذلك هاشمَ ابن حَرمَلة ، فقال : ما منَعه من الإقدام إلاَّ الجُبْنُ . قال : فلما كانت السَّنةُ(٢) المُقبلة غَزَاهم ، حتَّى إذا كان فى ذلك المكان سَنح له ظَبْيٌ وغُراب ، فتَطيَّر فرَجع ، ومَضى أصحابُه ، وتَخلَّف فى تِسعةَ عشرَ فارسًا منهم، لا يُريدون قِتالاً ،[إنما تَخلَّفَ عن عُظْم الجيش راجعًا إلى بلادِه] .(٣) فوردُوا ماءً ، وإذا عليه بيتُ شَعَر ، فصاحوا بأهْله ، فخرجَتْ إليهم امرأةٌ ، فقالوا : [ما أنتِ]؟ ممن أنتِ(٤) ؟ قالت : امرأةٌ من جُهينة ، أحلافٌ لبنى سَهم بن مُرة بن غَطفان . فوردوا الماءَ يَسْقُون ، فانسلَّتْ فأتت هاشمَ بنَ حَرمَلة ، فأخبرتْه أنَّهم غيرُ بعيد ، وعَرَّفته عِدَّتَهم ، وقالت : لا أراه(٥) إلَّا معاوية فى القوم ؛ فقال : يا لَكَاعِ ، أمعاوية فى تسعةَ عشرَ رجلاً ! شَبَّهْتِ(٦) أو أبطَلْتِ(٧) ؛ قالت : بل قلتُ الحقَّ ، ولئن شئتَ لأصِفنَّهمُ لكَ رجلاً رجلاً ؛ قال : هاتِى ؛ قالت : رأيتُ فيهم شابًّا عظيمَ الجُمَّة ، جَبْهتُه قد خرجَتْ من تحت مِغْفَره(٨) ، صَبيحَ الوجه ، عظيمَ البَطن ، على فَرسٍ غَرَّاء ؛ قال : نعم ، هذه صِفتُه ، يعنى : معاويةَ وفرسَه

(١) كذا فى أكثر الأصول ، والتجريد ، والمختار . ودومت : حلقت . والذى فى جـ : «ورمت» . «وفى ط ، ل : «رزمت» . (٢) ط ، و ، والتجريد ، والمختار : «فلما كان فى السنة» .
(٣) التكملة من جـ ، ط ، ل ، و ، والتجريد .
(٤) التجريد : «ومن أنت» . والمختار : «من أنت» . (٥) كذا فى التجريد . والذى فى الأصول ، والمختار : «لا أرى إلا معاوية» . (٦) شبه : خلط تخليطا .
(٧) فى بعض أصول المختار : «وأبطلت» . (٨) المغفر : مثل القلنسوة ، غير أنه أوسع ، يلقيه الرجل على رأسه فيبلغ الدرع ، ثم يلبس البيضة فوقه .

الشَّمّاء ؛ قالت : ورأيتُ رجلاً شديدَ الأُدْمة شاعرًا يُنشِدهم ؛ قال : ذاك خُفافُ بن عُمير ؛ قالت : ورأيتُ رجلاً ليس يَبْرح وسْطَهم ، إذا نادَوْه رفعوا أصواتَهم ؛ قال : ذاكِ عبّاس الأَصمّ[١] ؛ قالت : ورأيتُ رجلاً طويلاً يُكنّونه : أبا حَبيب ، ورأيتُهم أشدَّ شيءٍ له تَوْقيراً ؛ قال : ذاكِ نُبَيشة بن حَبيب؛ قالت : ورأيت شابًا جميلاً له وَفْرةٌ حسَنة ؛ قال : ذاكِ العبّاس بن مِرْداس السُّلَمىّ ؛ قالت : ورأيتُ شيخًا له ضَفيرتان ، فسَمعتُه[٢] يقولُ لمعاوية : بأَبى أنتَ ، أَطَلْتَ الوُقوف؛ قال : ذاكِ عَبد العُزَّى ، زَوج الخَنساء ، أُخت معاوية .

قال : فنادى هاشمٌ فى قومه وخَرج .

وزَعم المُرِّىُّ[٣] أنه لم يَخرج إليهم إلاَّ فى مثل عِدّتهم من بنى مُرة .

قال : فلم يَشعر السُّلميّون حتّى طَلعوا عليهم ، فثارُوا إليهم فلقُوهم ، فقال لهم خُفاف : لا تُنازلوهمْ رَجُلاً رَجُلاً ، فإنَّ خَيْلَهم تَثْبتُ للطِّراد وتَحْمل ثِقْل السِّلاح ، وخيلَكم قد أنهكها[٤] الغَزوُ وأصابها الحَفَا .

قال : فاقتتلوا ساعةً ، وانفرد هاشمٌ ودُريدٌ ، ابنا حَرمَلة ، المُرِّيّان ، لمعاوية ، فاستطرد له أحدُهما ، فَشدَّ عليه معاويةُ وشَغَله ، واغترَّه الآخَرُ فَطعنه فقتَله . واختلفوا أَيُّهما استطرد له وأَيّهما قَتله ، وكانت بالذى استطرد له طَعنةٌ ، طعنَهُ إيّاها مُعاويةُ . ويقال : هو هاشم . وقال آخرون : بل دُريد ، أخو هاشم .

---

(١) التجريد : «عباس بن الأصم» . (٢) المختار : «سمعته» . (٣) كذا فى ﺣ ، ط ، ل ، و . والذى فى سائر الأصول : «وزعم أن المرى» .

(٤) كذا فى أكثر الأصول ، والمختار . والذى فى ﺣ ، ط ، ل : «آمها» . وأمنها ومنأنا : أعياها وأضعفها . وفى و : «منها» ، وهى بمعنى «أمنها» .

قتل خفاف لابن حمار وشعر فى ذلك

١٤٢/ ١٣

قال : وشدَّ خُفافُ بن عُمير بن الحارث بن الشَّريد على مالك بن حِمار ، سيِّدِ بنى شَمْخ بن فَزارة ، فقتَله . وقال خُفافٌ فى ذلك ،وهو ابن نُدْبة ، وهى أَمَةٌ سوداءُ كانت سَباها الحارثُ بنُ الشَّريد حين أغار على بنى الحارث بن كعب ،فوَهبها لابنه عُمير ، فولدت له خُفافًا . ويقال فى نُدْبة : إنَّها ابنة [أبان بن][(١)] شيطان بن قَنان[(٢)] [بن سَلمة] [(١)]، من بنى الحارث بن كعب ، فقال :

أَقولُ له والرُّمحُ يأْطِرُ مَتْنَهُ ... تَأَمَّلْ خُفافًا إنَّنى أنا ذلِكَا[(٣)]
وَقفتُ له عَلْوَى[(٤)] وقد خامَ[(٥)] صُحْبتى ... لأَبْنِىَ مَجْدًا أو لأَثْأَر هالِكا
لَدُنْ ذَرَّ قَرْنُ الشَّمس حين رأيتُهم ... سِرَاعًا على خَيْلٍ تَؤُمُّ المَسالكا
فلمَّا رأيتُ القَوْمَ لا وُدَّ بينهمْ ... شَريجَيْنِ شَتَّى طالبًا ومُواشِكا[(٦)]
تَيمَّمْتُ كَبْشَ القَومِ حتَّى[(٧)] عَرفتُه ... وجانَبتُ شُبَّان الرِّجالِ الصَّعالِكا
فجادتْ له يُمْنَى يَدَىَّ[(٨)] بطَعْنةٍ ... كَسَتْ مَتْنَهُ من أَسْودِ اللَّونِ حالكا
أنا الفارسُ الحامى الحقيقةِ والذى ... به أُدْرِك الأَبطالَ قِدْمًا كَذلكا
فإنْ يَنْجُ منها هاشمٌ فبِطَعْنةٍ ... كَسَتْهُ نَجيعًا من دَمِ الجَوْفِ صائِكا[(٩)]

(١) التكملة من الإصابة (ت : ٢٢٧٣) . (٢) الأصول : «الشيطان بن بنان» . وما أثبتنا من الإصابة ،والمؤتلف والمختلف للآمدى (ص : ١٠٨) . (٣) يأطر متنه ؛ أى : يثنى ويعطف . وأنا ذلك ؛ أى : أنا الذى سمعت به .(وانظر خزانة الأدب للبغدادى ٢ : ٤٣) .

(٤) كذا فى أكثر الأصول، والمختار ، والكامل ، والعقد الفريد ،ولسان العرب «علو» . وقيل فى اللسان : «فرس خفاف بن ندبة» . والذى فى ر : «جلوى» .

(٥) كذا فى أكثر الأصول، وبعض أصول المختار ،والكامل،والعقد الفريد ،ولسان العرب . وخام : نكص . والذى فى جـ ، ط ، وسائر أصول المختار : «نام» . (٦) شريجين : ضربين وفريقين . والمواشك : السريع . (٧) التجريد ، والمختار : «لما» . (٨) وكذا فى التجريد . والذى فى المختار : «فجادت له منى يمنى» (٩) الصائك : الجامد اللازق .

فحقَّقَ خُفافٌ فى شِعره أنَّ الذى طَعن مُعاويةَ هو هاشمُ بن حَرْملة .

رثاء الخنساء لأخيها معاوية

وقالت الخَنساءُ تَرثى أخاها مُعاوية :

ألا لَا أرى فى الناسِ مِثْلَ مُعاويهْ ... إذا طَرقَتْ إحْدَى اللَّيالى بداهيهْ
بداهيةٍ يُصْغِى الكِلابَ حَسيسُها ... وتخرُجِ مِن سِرِّ النَّجِيِّ عَلانِيه(١)
ألا لا أرى كفارسِ الوَرْد(٢) فارسًا ... إذا ما علَتْهُ جُرْأةٌ وغَلابيَه(٣)
وكان لِزازَ الحَربِ عند شُبوبِها ... إذا شَمَّرت عن سَاقِها وهى ذاكيه(٤)
وقَوّادَ خَيلٍ نحوَ أُخرى كأنَّها ... سَعالٍ وعِقبانٌ عليها زَبانيه(٥)
بَلِينا وما تَبْلَى تِعَارُ وما تُرَى ... على حَدث الأيَّام إلا كما هِيه(٦)
فأقْسمْتُ لا يَنفكُّ دَمْعى وعَوْلَتى ... عليكَ بُحزْنٍ ما دعا اللهَ داعيَه(٧)

وقالت الخنساءُ فى كلمة أُخرى ترثيه أيضا :

ألا ما لِعَيْنِكَ أم مالها ... لقد أخْضل الدَّمْعُ سربالهـا(٨)
أبعد ابنِ عَمرٍو من آل الشريـ ... ـدِ حلَّت به الأَرضُ أثقالها(٩)
وأَقسمتُ آسَى على هالكٍ ... وأسْأَلُ نائحةً ما لَهـا
[لِتَجْرِ المنيَّةُ بعد الفَتى الْـ ... ـمُغادَر بالمَحْو أذْلَالهـا](١٠)
سأَحملُ نَفسى على آلةٍ ... فإمَّا عليها وإمَّا لهـا
هَمَمْتُ بنَفْسىَ كُلَّ الهُموم ... فأَوْلى لِنَفسى أَوْلى لهـا

(١) الورد : فرسه . وفى جـ ، ط ، و والديوان (ص:١٤٧) : «والفارس الورد» .
(٢) الحسيس : الصوت الخفى. (٣) كذا فى أكثر الأصول . والغلابية : الغلبة . وفى و ، والديوان : «وعلانية». (٤) لزاز الحرب : ملازمها . (٥) السعالى: جمع سعلاة، وهى الغول.
(٦) تعار ، بالكسر : جبال فى بلاد قيس . (٧) وكذا فى الديوان . والرواية فى المختار :

فأقسمت لا أنفك أبكى بعولة ... عليك وحزن مادعا الله داعيه

(٨) انظر الحاشية (رقم :١ ص:٥٣٦٥) . (٩) انظر الحاشية (رقم:٣ص : ٥٣٦٥) .
(١٠) التكملة من الديوان ، وقد زدناها لأن المؤلف سيعرض لشرح ما فيها بعد .

[وَخيْـلٍ تَـكَدَّسُ بالدّارعيـ ... ـنَ نازلْتُ بالسَّيف أبطالهـا] (١)
نُهِينُ النُّفـوسَ وهَوْنُ النُّفو ... سِ يومَ الكَرِيهة أَبْقَى لها
ورَجْراجـةٍ فوقَهـا بَيضُهـا ... عليها المُضاعَفُ زِفْنا لها(٢)
ككِرفئةِ الغَيثِ ذات الصَّبيـ ... ـرِ تَرْمِي السَّحابَ ويَرْمِي لها(٣)
وقافيـةٍ مثـل حـدِّ السِّنـا ... نِ تَبْقَى ويَهلِكُ مَن قالها
نَطقتَ ابنَ عَمرو فسهَّلتَها ... ولم يَنْطِق النـاسُ أمثالَهـا
فإن تَكُ مُرَّةُ أَودَتْ به ... فقَـد كان يُـكْثِر تَقْتالهـا
فـزالَ الـكواكبُ مِن فَقْـدِه ... وجُلِّـلت الشَّـمْسُ أجلالهـا
١٤٣ / ١٣ وداهيـــةٍ جَرَّهـا جارِمٌ(٤) ... تُبيـلُ الحَوَاصِـنَ أَحْبالهـا(٥)
كفاها ابنُ عمرٍو ولم يَستعِنْ ... ولو كان غيـرُك أَدْنَى لهـا
ولَيس بـــأَوْلَى ولكنَّـــه ... سيَـكْفِي العَشيرةَ ما عالهـا(٦)
بمُعتَـرَكٍ ضَيِّـقٍ بينَـــه ... تجُـرُّ المنيَّـــةُ أَذْيالها
وبِيضٍ مَنعْتَ غـداةَ الصَّبـا ... حِ(٧) تَكْشف للرَّوع أَذْيالهـا

---

(١) التكملة من الديوان . وقد زدناها لأن أبا الفرج سيعرض لشرح ما فيها بعد .
(٢) المضاعف : الدروع قد ضوعف نسجها . وزاف يزيف : أسرع . والرواية فى الديوان : « أمثالها » مكان « زفنا لها » . (٣) الصبير من السحب : الأبيض .
(٤) الجارم : المذنب . (٥) كذا فى ج ، ط ، ل . والحواصن : الحبالى . والأحبال : جمع حبل ، بالتحريك ، وهو حمل المرأة . وفى و : « تبيل الحواصن أحبالها » . وفى سائر الأصول ، والديوان : «تبين الحواصن أحمالها» . وثمة عجز فى اللسان : « حصن » غير منسوب ، وهو : « تبيل الحواصن أبوالها» . والأبوال : جمع بول ، وهو الولد . (٦) كذا فيما سيأتى عند شرح أبي الفرج لهذا الشعر . وفى ج ، ط ، و : « مانالها » . وفى سائر الأصول ، والديوان : « ماغالها » . (٧) كذا فى ج ، ط ، ل ، و . وغداة الصباح : غداة الغارة صبحا . والذى فى سائر الأصول والديوان : « الصياح » ، بالمثناة التحتية .

ومُعْمَلة(١) سُقْتَها قاعِـدًا ... فَأَعْلمت بالسَّيف أغْفَالها
وناجيةٍ كأَتَانِ(٢) الثَّمِيـ ... لِ غَادَرْتَ بالخَلِّ أوصالها
[إلى مَلِكٍ لا إلى سُوقة ... وذلك ما كان إعمالَها](٣)
وتَمنح خَيْلَك أرضَ العَدوِّ(٤) ... وتَنبِذُ بالغَـــزْو أطفالَها
ونَوْحٍ(٥) بَعثْتَ كمِثْل الإرا ... خِ آنسَتِ العِينُ أسبالها

تفسير ما فى شعر الخنساء من غريب

التفسير ، عن أبى عُبيدة :

قوله : حلَّت به الأَرض ؛ قال بعضهم : حَلَّت ، من الحِلْية ؛ أى : زَيَّنت به الأَرضُ مَوتاها ، حين دُفن بها . وقال بعضهم : حَلَّتْ : من حَلَلت الشىء ؛ والمعنى : ألقت مَراسِيَها ، كأَنَّه كان ثِقْلاً عليها . قال : اللَّفظ لفظ الاستفهام والمعنى خبر ، كما قال جرير :

أَلستم خيرَ مَن رَكِب المَطايا ... وأنْدَى العالَمِين بُطونَ راحِ(٦)

قال : جوابُ « أبْعَد » فى « آسى » ؛ أى : أبعد ابنِ عمرو آسَى وأسأَلُ نائحةً مالها .

[وقال أبو عُبيدة : هذا البيت لِمَيَّةَ بنت ضِرار بن عَمْرو الضَّبيَّة تَرثى أخاها](٧) .

قال أبو الحسن الأَثرم : سمعتُ أَبا عمرو الشَّيبانىَّ ، يقول : أُمور الناس جاريةٌ على أَذلالها ؛ أى : على مسالكها ؛ واحدها : ذِلٌّ .

آلة : حالة ، تقول : فإمَّا أن أموت وإما أن أَنْجو . ولو قالت : [على أَلَّةٍ](٨) لم تَنْج ؛ لأَن الأَلَّةَ هى الحَرْبَة .

---

(١) جـ ، ط ، ل ، والديوان : « ومعاملة » . وما أثبتنا من سائر الأصول ، ومما سيأتى فى الشرح بعد.
(٢) ب ، س : « لا تتياب » . وما أثبتنا من سائر الأصول . ومما سيأتى فى الشرح بعد .
(٣) التكملة من ط ، و . والرواية فى الديوان : « ما كان أكلالها » . وقد أشار إليها المؤلف فى شرحه بعد . (٤) الديوان : « العلى » (٥) النوح : النساء يجتمعن للحزن .
(٦) الديوان (ص : ٩٨) (٧) التكملة من ط . (٨) التكملة من ل .

هممتَ بنفسي ؛ قال أبو عُبيدة : هذا تَوعُّد . قال الأصمعيّ : كلّ الهموم . قال الأثرم : كأنّها أرادت أن تَقتل نفسَها .

أبو عُبيدة ؛ التكدُّس : التتابع ، يتبع بعضها بعضا ؛ أى : يَغزو ويجاهد فى الغزو ، كمَا تَتوقَّل الوُعول فى الجِبال ، عن أبى عُبيدة .

قال الأصمعيّ : التكدُّس : أن تُحرِّك مناكبَها إذا مشَتْ وكأنّها تَنصبُّ إلى بين يدَيها ، وإنما وصفَتْها بهذا ، تقول : لا تُسرع إلى الحرب ولكنْ تمشى إليها رُويدًا ، وهذا أثبتُ له من أن يَلقاها وهو يَرْكض ؛ ويقال : جاء فلان يَتكدَّس ، وهى مِشيةٌ من مَشْيِ الغِلاظ القِصار .

وقال أبو زياد الكِلابيّ : الكُدَاس : [عُطَاس] [1] الضأْن .

قال السُّلَميّ : التكدُّس : تكدُّس الأوعال ، وهو التقحُّم . والتكدُّس . هو أن يرمى بنفسه رَمْيًا شديدًا فى جَرْيه .

نُهِين النفوس ، تُريد : غداةَ الكريهة . وقولها : أبقى لها ؛ لأنّها إذا تَذامرت[2] وغَشيت القِتال كان أَسْلمَ لها من الانهزام . كقول بِشر ابن أبى خازم :

ولا يُنجى من الغَمَرات إلَّا بَرَاكاءُ القِتال أو الفِرارُ[3]

قال بعضُهم : أبْقَى لها فى الذِّكر وحُسْن القول . والرَّجْراجة : التى تَتمخَّض من كثرتها .

---

(١) التكملة من ط ، ل ، و . (٢) كذا فى أكثر الأصول . وتذامرت : تحاضت وحث بعضها بعضا على القتال . وفى جـ ، ط ، ل : « غامرت » . وفى و : « علمرت » .

(٣) الغمرات : الشدائد . والبراكاء ، بفتح أوله وضمه : أن يثبت المقاتل فى القتال ولا يبرح . (الديوان : ٧٩ ، واللسان : برك ، والنقائض : ٤٢٣) .

وقال الأصمعي : الكِرِفئةُ ، وجمعها ، كِرْفِئٌ : قِطعٌ من السّحاب بعضها فوقَ بعض . وقوله : تَرمي السحاب ؛ أي : تنضمُّ إليه وتتّصل به. ويرمي لها ؛ أي : ينضمُّ إليها السَّحاب حتى يَستويَ . مثل حدّ السنان ؛ لأنّها ماضية . سَهْلَتَها : جئتَ بها سَهلة . وجُلِّلت الشمس ؛ أي : كَسَفت الشمسُ وصار عليها مثل الجُلّ . تُبيل[1] الحواصن ، وهي الحواملُ من النِّساء ، أولادَها من شدّة الفزع ، وليس بـأَوْلى ؛ أي : ما كان وَلِيَها ولا دَنا إليها ، ولكنّه يَكفي القريبَ والبعيد . ما عالها[2] ؛ قال أبو عمرو : عالها : غلبها . وقال أبو عُبيدة : يُقال : إنّه ليعولني ما عَالَك ؛ أي : يغمُّني ما غمَّك . ويُقال : افعلْ كذا وكذا ولا يَعُلْكَ أن تأتيَ غيرَه ؛ أي : لا يُعجِزْك : ويُقال : قد يَعولك أن تفعَل كذا ؛ أي : قد دنا أن تفعل ذاك ، وأنشد :

١٤٤ / ١٣

ضربًا كما تَكَدَّسُ الوُعُول يَعُول أن أُنبِطَها يَعُولُ

أي : قد دنا ذلك ؛ ويُقال : عال كذا وكذا منك ؛ أي : دنا منك . ويُروى : « وليس بـأَدنى ولكنّه » . وقولها «معملة »[3] : إبل . وقولها : « قاعدًا » ؛ أي : على فرسك ؛ قال النابغة :

* قُعودًا على آل الوَجيهِ ولا حقٍ[4] *

---

(١) جـ : « تلق » . وفي سائر الأصول : « تبين » . وما أثبتنا مما سبق في بعض الأصول . (انظر الحاشية: ٥ ص : ٥٣٧٩) . (٢) الأصول : « غالها » بالغين المعجمة ، تصحيف .

(٣) جـ ، ط ، ل : « معلمة » . وانظر الحاشية (رقم ١ : ص : ٥٣٨٠) .
(٤) عجزه :

* يقيمون حولياتها بالمقارع *

(الديوان : ٥٦) .

والأغفال : مالا سِمةَ عليها ؛ واحدها : غُفل . [والأَتَان : الصخرة.و](١) ، «والثَّميل » : بقيَّة الماء فى الصَّخرة . والخَلُّ : الطَّريق فى الرَّمل ؛ يقول : أَعْيَتْ فتركتَها هنالك ؛ ويُروى :

« غادرتَ بالنَّخْل أوصالها »

قال الأصمعىّ : ناجية : سريعة . ويُروى :

« إلى ملك وإلى شانىء »

تقول : تَقود خَيلك إلى مَلك أو عُدوّ . ويروى : « [ما كان](٢) [كلالها » . [ما ، صِلة] . الإراخ : بقر الوحش ؛ تقول : خَرجت من بيوتهن كما خَرجت هذه البقرُ من كُنُسها فَرَحًا بالمطر ؛ ومثله فى الفرح بالمطر لابنِ الأَحْمرِ قولُه :

مارِيَّةٌ لُؤلُؤانُ اللَّوْنِ أَوْرَدَها طَلٌ وبَنَّسَ عنها فَرقَدٌ خَصِرُ(٣)

أى : قَوَّى أَنفُسَها المطرُ لما رَأَتْه ؛ ومثلُه :

ألا هَلَكَ امرؤٌ قامَتْ عليه بجَنْب(٤) عُنَيْزَةَ(٥) البقَرُ الهجون(٦)

أَى : لم يَقَرْنَ فى البُيوت فتستُرَهنّ البيوتُ ، بل هُنَّ ظَواهرُ .

---

(١) التكلة من ط ، ل ، و . (٢) التكلة من و . (٣) مارية : بقرة وحشية . ولؤلؤان اللون : لؤلئيه . وبنس : تأخر . والفرقد : ولدها . والخصر : الذى لحقه برد . (اللسان: بنس ، لألأ ، مرى) . (٤) كذا فى ط . وفى ج : «بجيب» . والذى فى سائر الأصول : «بخيف» .

(٥) عنيزة : قرية بالبحرين . (٦) كذا فى الأصول.ولعلها : الهجود ؛ أى: المتنبهات، جمع :هاجد ، ويقال للنائم والمتنبه . والمراد هنا المعنى الثانى ، والبيت أشبه ببيت لامرأة من بنى حنيفة من قصيدة ترثى بها يزيد بن عبد الله بن عمرو الحنفى ، وهو :

ألا هلك امرؤ ظلت عليه بشط عنيزة بقر هجود

(المفضليات ٢ : ٧٣ طبعة دار المعارف) .

وإنما شَبَّه اجتماعَ هؤلاء النِّساء باجتماع العِين وخُروجِهنّ للمَطر ؛ قال : وبَقَر الوحش تَفرح بالمطر .

لدريد بن الصمة يرثى معاوية أخا الخنساء

وقال(١) دُرَيدٌ يَرثى معاوية أخا الخنساء ، لمَّا قَتلتْه بنو مُرَّة :

أَلا بَكرتْ(٢) تلوم بغير قَدْرِ ... فقدأَحْفَيتنى(٣)ودَخاتِ(٤)بِسِرِّى
فإنْ لم تَتْرُكى عَذَلى سَفَاهًا ... تَلُمْكِ علىَّ نَفْسُكِ أىَّ عَصْر(٥)
أَسَرَّكِ أن يكونَ الدَّهْرُ بَيْدًا(٦) ... علىَّ بشَرِّهِ يَغْدُو ويَسْرى
وأَلَّا تُرْزَئى نَفْسًا ومالاً ... يَضُرُّك هُلْكُه فى طُولِ عُمْرى
[فقد كذَبَتْكِ نفسُكِ فاكْذِبيها ... فإنْ جزَعٌ وإن إجمالُ صَبْر(٧)
وإنَّ الرُّزْءَ يومَ وقفتُ أَدْعُو ... فلم أُسْمع مُعاويةَ بنَ عمْرو(٨)
رأيتُ مكانَه فعرَضْتُ بَدْءًا ... وأىُّ مَقِيلِ رُزْءٍ يا بنَ بكر(٩)
إلى إرَمٍ وأحجارٍ وصِيرٍ(١٠) ... وأَغْصانٍ من السَّلَماتِ سُمْر(١١)

صِير ، الواحدة : صِيرة ، وهى حظيرة الغنم . وقوله : وأغصان من السلمات ؛ أى : أُلقِيتْ على قَبره .

(١) مر هذا الخبر فى ترجمة دريد (٣٤٩٢ - ٣٤٩٣) . (٢) فيما سبق ، و مختار الأغانى فى أخبار دريد (٣ : ٤٧٨ - ٤٩٨) : « ألا هبت » . (٣) كذا فى ط ، ل . وأحفاه : ألح عليه فى المسألة . وفى و ، وما سبق ، والمختار : « أحفظتنى » . وفى سائر الأصول : « أخفيتنى » .
(٤) المختار : « وهتكت » . (٥) رواية البيت فيما سبق :

وإلا تتركى لوى سفاها ... تلمك عليه نفسك غير عصر

(٦) كذا فى أكثر الأصول ، وشعراء النصرانية (ص : ٧٧٠) . وبيدا : هلاكا . وفى و : « هلا » . (٧) الخزانة (٤ : ٤٤٢) : .

* فإن جزعا وإن إجمال صبر *

(٨) التكلة من ط ، ل ، و . (٩) فيما سبق ، و الخزانة :

عرفت مكانه فعطفت زورا ... وأين مكان زور يابن بكر

وزور : اسم جمل . (١٠) الخزانة : « وأحجار ثقال » . (١١) السلمات : شجر .

وبُنْيان القُبور أَتى عليها طَوالُ الدَّهر من سَنة وشَهْر(١)
ولو أَسْمعتِه لسَرَى حَثيثًا سَرِيعَ السَّعْى أو لأَتاكِ يَجْرى(٢)
بشِكَّةِ حازم لا عَيْبَ فيه(٣) إذا لبِسَ الكُماةُ جُلودَ نُمْر

أى: كأَنَّ أَلوانَهم أَلوانُ النمور: سوادٌ وبياضٌ، من السلاح؛ عن أبى عُبيدة.

فإمَّا تُمِسْ فى جَدَث مُقيمًا بمَسْهَكَة من الأَرْواح قَفْر(٤)
فعزَّ علىَّ هُلْكُكَ يابن عَمْرو ومالى عنكَ مِن عَزْم وصَبْر

قال أبو الحسن الأَثْرم: ١٤٥ / ١٣

طلب صخر بثأر أخيه معاوية

فلمَّا دَخل الشهرُ الحرام — فيما ذكر أبو عُبيدة، عن [أبى](٥) بِلال ابن سَهم — من السَّنَة المُقبلة، خرجَ صخرُ بن عمرو حتَّى أَتى بنى مُرّة ابن عوف بن ذُبيان، فوقف على ابنَىْ حَرملة، فإذا أَحدُهما به طَعنةٌ فى عَضُده — قال: لم يُسمِّه أبو بلال بن سَهم. فأَمَّا خُفاف بن عُمير فزَعم فى كلمته تلك أَنَّ المَطعون هاشم(٦) — فقال: أَيُّكما قَتل أخى مُعاوية؟ فسَكتا فلم يُحيرا إليه شيئا(٧)؛ فقال الصَّحيحُ للجَريح: مالكَ لاتُجيبه؟

(١) فيما سبق، و الخزانة: ١
« طوال الدهر شهرا بعد شهر »
(٢) المختار:
« حثيث السعى أولاقاك يجرى »
(٣) الخزانة: « لا غرزفيه ». (٤) كذا فى ط، ل، و. والمسهكة: ممر الريح؛ يريد:
حيث العراء. والذى فى سائر الأصول: «بمسهلة». (٥) التكملة من و. وكذا فيما سيأتى بعد قليل. ٢
(٦) انظر (ص: ٥٣٧٨ س: ١). (٧) كذا فى أكثر الأصول؛ أى: لم يردا إليه شيئا. والذى فى ب، س: « فلم يخبراه شيئا ». وفى التجريد: « ولم يجيباه ». وفى المختار: « ولم يحيرا جوابا ».

فقال : وقفتُ له فطَعَنَني هذه الطعنةَ في عَضُدِي ، وشدَّ أخي عليه فقتله ، فأيَّنا قَتلتَ أدركتَ ثأْرَك ، إلّا أنّا لم نَسْلُبْ أخاك ؛ قال : فما فعلَتْ فرسُه الشَّمَّاء ؟ قال : ها هي[تلك][1] خُذْها ، فردَّها عليه[2] ، فأخذها ورجع . فلما أتى صَخرٌ قومَه قالوا له : اهْجُهم ؛ قال : إنَّ ما بيننا أجَلُّ من القَذَع ، ولو لم أكْفُفْ نفسي إلّا رغبةً عن الخَنَا لفعلتُ[3] .

وقال صَخرٌ في ذلك :

وعاذلة هَبَّتْ بلَيْلٍ تَلُومني ... ألا لا تَلُوميني كَفَى اللومَ مابِيَا

قال : أراد : تُباكره باللّوم ، ولم يُرِدِ الليلَ نفسه ، إنّما أراد عَجَلَتَها عليه باللّوم ، كما قال النَّمِرُ بن تَوْلَب العُكْليّ :

* بَكَرَتْ باللَّوْم تَلْحَانا[4] *

وقال غيرُه : تَلُومه باللّيل لشُغله بالنّهار عنها بِفعل المكارم والأضياف ، والنَّظرِ في الحَمَالات وأمورِ قَومه ، لأنّه قِوامُهم[5] .

تقولُ[6] ألا تَهجُو فوارسَ هاشِمٍ ... ومالِيَ إذْ أهْجوهُمُ[7] ثُمّ ماليَا

أبَى الشَّتْمَ[8] أنّي قد أصابُوا كَرِيمَتي ... وأنْ ليس إهداءُ الخَنَا من شِمَاليا[9]

---

(١) التكلة من ل ، والتجريد ، والمختار . (٢) كذا في ط ، ل ، و ، والتجريد . وفي جـ ، م : « فرد عليه » . وفي سائر الأصول : « فرد عليها » .

(٣) المختار : « ولو لم أكفف إلا رغبة بنفسي من الخنا لفعلت » . (٤) عجزه :
« في بعير ضل أو حانا »
وسيأتي الشعر في أخبار النمر . (انظر : فهرست هذا الكتاب)

(٥) كذا في ط ، ل ، و . والذي في جـ : « قدامهم » . والذي في سائر الأصول : « قد رأسهم » .

(٦) شرح الحماسة للتبريزي (٣ : ١١٠) وشرح الحماسة للمرزوقي (ص : ١٠٩٣) : « وقالوا » .

(٧) في شرحي الحماسة : « ومالي وإهداء الخنا » . (٨) شرحا الحماسة : « أبى الهجو » .

(٩) كذا في جـ ، ط ، ل ، و ، وشرحي الحماسة ، وعليه تفسير المؤلف بعد . والذي في سائر الأصول : « سمائيا » .

[أي : من شمائلي . ويُروى : من فِعَاليا] (١) .

إذا ذُكِر الإخوانُ رَقرقْتُ(٢) عَبْرةً　　وحَيَّيْتُ رَمْسًا عِند لِيَّةَ(٣) ثاويا
إذا ما امْرؤٌ أهْدَى لِمَيّت تَحيّةً　　فحَيَّاك رَبُّ النَّاس عَنّى مُعاويا
وهوّنَ وَجْدِى(٤) أنّنى لم أقُلْ له　　كَذَبْتَ ولم أبْخَل عليه بِمَاليا
فنِعْمَ(٥) الفتَى أدّى ابنُ صِرْمةَ بَزَّه(٦)　　إذا الفَحْلُ أضْحَى أحْدَبَ الظَّهْرِ عاريا

قال أبو عُبيدة : ثم زاد فيها بيتًا بعد أن أوْقَعَ بهم ، فقال :

غزو صخر لبنى مرة وقتله دريد بن حرملة وشعره فى ذلك

وذى إخوةٍ قَطَّعتُ أقْرانَ بَيْنِهم　　كما تَركُونى واحدًا لا أخَاليا(٧)

قال أبو عُبيدة :

فلما كان فى العام المُقبل غَزاهم وهو على فَرسه الشَّمّاء ، فقال : إنّى أخاف أن يَعرفونى ويَعرفوا غُرّةَ الشَّمَّاء فيتأهّبُوا . قال : فحمّمْ غُرّتَها(٨) . قال : فلما أشرفَتْ على أدْنى الحىّ رَأَوْها . فقالت فتاةٌ منهم : هذه والله الشَّمّاءُ ؛ فنظروا فقالوا : الشَّمّاءُ غَرّاءُ وهذه بَهيم ، فلم يَشعروا إلّا وَالخَيل دَوائسُ(٩) ، فاقْتتلوا ، فقَتل صَخرٌ دُريدًا(١٠) ، وأصاب بنى مُرّةَ ، فقال :

ولقد قَتلتُكُمُ ثُناءَ ومَوْحَدًا(١١)　　وتَركتُ مُرّةَ مِثلَ أَمْسِ المُدْبِرِ

(١) التكلة من ط ، ل ، و . (٢) كذا فى ط ، ل ، و ، وشرح الحماسة للتبريزى . والذى فى سائر الأصول : « ترقرت » . (٣) لية : موضع بالطائف . (٤) شرح الحماسة للتبريزى : « وطيب نفسى » .
(٥) شرحا الحماسة : « ولنعم » . (٦) ابن صرمة ، هو : هاشم بن حرملة بن صرمة . والبز : السلاح.
ورواية هذا العجز فى شرحى الحماسة :
« إذا راح فحل الشول أحدب عاريا »
(٧) أقران بينهم ، أى : وصل بينهم ، وأصل « الأقران » : الحبال ، الواحد : قرن ، يقول : قطعت الأسباب الجامعة بينهم بقتلهم ، وجعل « بين » اسما . (٨) حمم : سود . (٩) كذا فى جـ ، ط ، و . ودوائس : جمع دائس . والذى فى سائر الأصول ، والمختار : « دوابس » ، وهى بمعناها . وفى التجريد : « قد داستهم » . (١٠) دريد ، هو : ابن حرملة ، وقد مر (ص : ٣٧٦) .
(١١) جـ : « وواحدا » .

قال الأثرم : مَثْنَى وثُناء ، لا يُنوّنان ؛ قال ابن عَنَمةَ الضَّبىّ :

• يُباعُون بالنُّغْرانِ مَثْنَى ومَوْحَدا[١] •

لا يُنوّنان ، لأنّهما ممّا صُرِف عن جهته ، والوجه أن يقول : اثنين اثنين ، وكذلك ثُلاث ورُباع ؛ قال صَخْرُ [الغَىّ][٢] :

مَنَتْ لكَ أنْ تُلاقِيَنى المَنايا[٣] أُحَادَ أُحادَ فى الشَّهر الحَلالِ[٤]

قال : ولا تُجاوز العربُ الرُّباعَ ، غير أنّ الكُميت قال :

فلم[٥] يَستَرِيثُوكَ[٦] حتَّى رَمَيْـ ـتَ[٧] فوقَ الرِّجالِ خِصالاً[٨] عُشَارَا[٩]

١٤٦ / ١٣ ولقد دَفعتُ إلى دُرَيْدَ بطَعنة[١٠] نَجلاء تُزْغِل مِثلَ عَطِّ المَنْحَرِ[١١]

(١) كذا فى أكثر الأصول . والنغران : جمع نغر ، بضم ففتح : ضرب من الحمر حمر المناقير ، وأصول الأحناك . والذى فى جـ : « باليعران » ، وهى جمع : بعير .

(٢) التكلة من و . (٣) منت لك المنايا ؛ أى : قدرت لك الأقدار . وقد نسب البيت فى ديوان الهذليين (٣ : ١١٣ – ١١٩) لعمرو ذى الكلب الهذلى ، من قصيدة له ، مطلعها :

ألا قالت غزية اذ رأتنى ألم تقتل بأرض بنى هلال

(٤) كذا فى ط ، ل ، و وديوان الهذليين ، واللسان « منى » . والذى فى سائر الأصول : « الحرام » ، تحريف .

(٥) الخزانة (١ : ٨١) والخصائص لابن جنى (٣ : ١٨١) وشرح أدب الكاتب للجواليقى (ص ٢٩٣) : « ولم » .

(٦) لم يستريثوك : لم يجدوك رائثا ؛ أى : بطيئا ، من الريث ، وهو البطء .

(٧) رميت : زدت ؛ يقال : رمى على الخمسين ، وأرمى ، إذا زاد . وفى الخصائص : « علوت » .

(٨) فى ط ، ل ، و : « جبالا » . وفى سائر الأصول : « خلالا » . وما أثبتنا من الخزانة ، واللسان « عشر » . (٩) يقول : لما نشأت تشبه الرجال أسرعت فى بلوغ الغاية التى يطلبها طلاب المعالى . ولم يقنعك ذلك حتى زدت عليهم بعشر خصال فقت بها السابقين وأيأست الذين راموا أن يكونوا لك لاحقين . والبيت من قصيدة فى مدح أبان بن الوليد بن عبد الملك بن مروان .

(١٠) اللسان : « تزغل » : « طعنة » . (١١) كذا فى جـ ، ط ، ل ، و . والعط : الشق . والمنحر النحر . والذى فى سائر الأصول : « مثل غط المنخر » ، تصحيف .

تُزْغِل : تُخرج الدّم قِطَعًا قِطعًا . قال : والزُّغلة : الدُّفْعة الواحدة من الدم والبول ، قال :

* فأَزْغلَتْ فى الحَلْقِ[1] إزغالةً[2] *

شعر لصخر فيمن قتل من بنى مرة

وقال صَخْرٌ أيضًا فيمن قَتل مِن بَنى مُرّة :

قَتلتُ الخالدَيْنِ به وبِشْرًا وعَمْرًا يومَ حَوْزَةَ وابنَ بِشْرِ
ومِن شَمْخٍ[3] قَتلتُ رجالَ صِدْقٍ ومن بَدْرٍ فقد أَوْفيتُ نَذْرِى
ومُرّةَ قد صَبَحناها المَنايا فروَّيْنا الأَسِنّةَ غَيْرَ فَخْرِ
ومِن أَفْناءِ ثَعلبةَ بنِ سَعْد قَتَلْتُ وما أُبيئهمُ بوتْرِ[4]
ولكنّا نُريد هَلاكَ قَوْمٍ فنَقْتلهم ونَشْريِهمْ بكَسْرِ[5]

وقال صَخْرٌ أيضًا :

أَلا لا أَرى مُسْتَعْتِبَ الدّهْرِ[6] مُعْتَبَا[7] ولا آخِذًا منه الرِّضَى إنْ تَغَضّبا
وذى إخوةٍ قَطّعتُ أَقْرانَ[8] بَيْنِهِم إذا ما النُّفوسُ صِرْنَ حَسْرَى ولُغّبا[9]

(١) اللسان ، والمقاييس (٣ : ١٣) : « فى حلقه » . (٢) كذا فى ط ، ل ، و ، واللسان ، والمقاييس . والذى فى سائر الأصول : « إزغالها » ، تحريف . وهذا صدر بيت لابن أحمر ، وعجزه : * لم تخطئ الجيد ولم تشفتر *

(٣) كذا فى ط ، ل ، و . والذى فى سائر الأصول : « سمخ » ، بالسين المهملة ، تصحيف .

(٤) الأفناء : الأخلاط . وأبيئهم : أقتلهم بقتلاى ؛ يقال : أباء فلانا بفلان ، إذا قتله به . (٥) الكسر ، بالفتح : أخس القليل .

(٦) استعتب فلان فلانا : طلب إليه العتبى ؛ أى : الرضى ، أرضاه ، والمعنى هنا على الأول .

(٧) كذا فى ط ، ل ، و ، وأعتب فلان فلانا : أعطاه العتبى ؛ أى : الرضى ، فالأول : معتب ، بكسر التاء ، على بناء اسم الفاعل ؛ والثانى : معتب ، بفتح التاء ، على بناء اسم المفعول ، والمعنى على الثانى ؛ أى : إن طالب الرضى من الدهر لن يعطاه . والذى فى سائر الأصول : « متعتبا » . والتعتب والمعاتبة : تواصف الموجدة . (٨) كذا فى ط ، ل ، و . والأقران : الصلات . (انظر : الحاشية ٧ ص : ٥٢٨٧) . والذى فى سائر الأصول : « أفراق » ، تحريف .

(٩) لغب : متعبون ؛ الواحد : لاغب .

أقولُ لِرَمْسٍ بين أَجْراعِ بِيشَةٍ(١) سَقَتْكَ(٢) الغَوادِى الوابلَ المُتحلِّبا(٣)
لَنِعْمَ الفَتَى أَدَّى ابنُ صِرمةَ بَزَّه إذا الفَحْلُ أمسى عارِىَ الظَّهرِ أحْدبا(٤)

مقتل هاشم بن حرملة وشعر الخنساء فى ذلك

قال أبو عُبيدة : ثم إنَّ هاشم بن حَرْملة خَرجَ غازيًا ، فلما كان ببلاد جُشَمَ بن بَكْر بن هَوازنَ نَزل مَنزلاً وأخذ صَفْنَته(٥) وخَلا لحاجته بين شَجَر ، ورأَى غَفْلَتَه قَيْسُ بن الأَمْرار(٦) الجُشَمىُّ ، فتَبعه وقال : هذا قاتلُ مُعاوية ، لا وَأَلَتْ نَفْسى إنْ وَأَل(٧) . فلما قَعَد على حاجته تَقَتَّرَ(٨) له بين الشَّجر ، حتَّى إذا كان خَلْفَه أَرسَل إليه مِعْبَلةً(٩) فقتَله . فقالت الخَنساءُ فى ذلك :

*

قال ابنُ الكَلبىّ : وهى الخَنساءُ بنت عَمرو بن الحارث بن شَريد ابن رِيَاح بن يَقَظة بن عُصَيَّة بن خُفَاف بن امرئ القَيس بن بُهْثة ابن سُليم(١٠)

*

فِدًى للفارِسِ الجُشَمىِّ نَفْسِى وأَفْدِيهِ بِمَنْ لِىَ مِن حَمِيمِ

(١) الأجراع : جمع جرع ، بالتحريك ، وهى الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل؛ وقيل : هى الرملة السهلة المستوية . وبيشة : واد يصب سيله من الحجاز حجاز الطائف ؛ ثم يصب فى نجد حتى ينتهى فى بلاد عقيل . (٢) كذا فى ل . والذى فى سائر الأصول : «سقاك» . (٣) الغوادى : جمع غادية ، وهى السحابة تنشأ غدوة . أو مطرة الغداة . والمتحلب: المنصب . (٤) ابن صرمة: هاشم بن حرملة . (وانظر الحاشية: ٦ص: ٥٣٨٧).

(٥) كذا فى ط . ل . و الصفنة ، بالضم والفتح : خريطة لطعام الراعى وأداته. وفى و : «صفينة» ، على التصغير . والذى فى سائر الأصول : «صفنتا» و«الصفن» بالفتح : السفرة . وفى المختار : «أداوة» ، وهى كالصفنة .

(٦) كذا فى أكثر الأصول، والمختار. والذى فى ط : «الأصور». وفى الكامل للمبرد (ص: ٧٤٤): «قيس بن الأسوار» . (٧) وأل : نجا وخلص . (٨) تقتر بين الشجر : اختبأ واستتر وجعله قترة له كالقتر . (٩) المعبلة: نصل طويل عريض . (١٠) تقدم نسبها (ص: ٥٢٦٠) والخلاف فيه.

أُفَدِّيه(١) بجُلِّ(٢) بَنِى سُلَيْم بظاعِنِهم(٣) وبالأَنَس المُقيم(٤)

كما مِن هاشمٍ أَقْرَرْتُ عَيْنِى وكانت لا تَنام ولا تُنيم(٥)

شيء عن هاشم ابن حرملة

قال أبو عُبيدة :

وكان هاشمُ بن حَرملة بن صِرْمة بن مُرّة أَسْوَدَ(٦) العَرب وأشدَّهم ، وله يقول الشاعر(٧) :

أَحْيَا أَباه هاشمُ بنُ حَرْمَلَهْ يومَ الهَبَاتَيْنِ وَيَوْمَ اليَعْمَلَهْ(٨)

[يقتلُ(٩) ذا الذَّنْبِ ومن لا ذَنْبَ له(١٠) إِذِ المُلوكُ حَوْلَه مُغَرْبَله](١١)

• وسَيْفُه(١٢) للوالدات مَثْكَله •

---

(١) الديوان (ص : ١٣٢) : « وأفديه » . والكامل للمبرد (ص : ٧٤٥) : « فداك الحى حى بنى سليم » . (٢) كذا فى ط ، ل ، و ، والتجريد . وفى جـ : « بجل من سليم » . والذى فى سائر الأصول : « بكل من سليم » . وفى المختار ، والديوان : « بكل بنى سليم » . (٣) وكذا فى المختار ، والديوان ، والكامل للمبرد . والذى فى التجريد : « بفارسهم » . (٤) الأنس : الحى المقيمون . (٥) على هذه الرواية فى البيت إقواء ، وهو اختلاف حركة الروى بين الكسر والضم . ومكان هذا البيت فى الديوان :

خصصت بها أخا الأحرار قيسا فتى فى بيت مكرمة كريم

(٦) أسود ، من السيادة . (٧) هو : عامر الخصفى ، خصفة بن قيس عيلان . (السيرة ١ : ١٠٥ طبعة الحلبى) .

(٨) الهباتان : تثنية الهباءة ، فقصر للضرورة ، وكثيراً ما يرد المكان مثنى أو مجموعا فى الشعر العربى ويراد به المفرد . والهباءة : موضع ببلاد غطفان . وكان للعرب يوم به ، وكان لعبس على ذبيان . (العقد الفريد ٥ : ١٠٦ – ١٠٨) . واليعملة : موضع . ويوم اليعملة : يوم من أيامهم . (معجم البلدان : اليعملة) . (٩) التكملة من ط ، ل ، و . (١٠) يصفه بالعزة والامتناع ، وأنه لا يخاف حاكما يعدى عليه ، ولا ترة من طالب ثأر . (١١) كذا فى المختار ، والسيرة ، والاشتقاق (ص : ٢٩٠) والفاخر (ص : ٢٣٤) واللسان « غربل » . ومغربلة ، أى : قد استقصاهم قتلا وتتبعهم . وقيل : قتل أشرافهم وخيارهم . كأنه من : غربلت الطعام ، إذا استخرجت جيده . والذى فى العقد الفريد (٥ : ١٠٩) واللسان « رعبل » : « مرعبلة » . ومرعبلة ، أى : مقطعة .

(١٢) اللسان « غربل » : « ورمحه » .

الأصمعي وأعرابي في شأن هاشم بن حرملة

حدّثني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدّثني محمدُ بن الحسن ابن الحرُون، قال: حدّثنا الكَشّيّ[٦]، عن الأصمعيّ، قال:

مررت بأعرابيٍّ وهو يَخْضِد [٧] شجرةً، وقد أعجبتْه سماحتُها[٨]، وهو يَرتجز ويقول:

لو كُنتِ إنسانًا لكنتِ حاتِمًا ... أو الغُلامَ الجُشَميَّ هاشِمًا

قلت: من هاشم هذا؟ قال: أوَ لاَ تعرفه؟ قلتُ: لا؛ قال: هو الذي [٩] يقول:

وعاذلة هَبَّتْ بلَيْلٍ تَلومُني ... كأنّي إذا أنفقتُ مالِي أُضِيمُها

١٤٧/١٣ دَعِيني فإنّ الجُودَ لن يُتْلِفَ الفتَى ... ولن يُخْلِدَ النَّفْسَ اللَّئيمةَ لُومَها

وتُذْكَر أخلاقُ الفتَى وعِظامُه ... مُفرَّقةٌ[١٠] في القَبْرِ بادٍ رَميمها

سَلِي كلَّ قَيْس هل أُبَارِي خِيارَها [١٠] ... ويُعْرِض عنّي وَغْدُها[١١] ولَئِيمها

---

(٦) الكشي، هو: أبو مسلم إبراهيم بن عبدالله بن كش الكشي، ويقال فيه: الكجي البصري الحافظ، وله رواية عن الأصمعي. (تهذيب التهذيب ٦: ٤١٦؛ تبصير المنتبه: ١٢٦٨). والذي في ب، س: «الكسروي».

(٧) خضد الشجرة: قلمها. (٨) سماحتها: نضارتها.

(٩) المختار: «وهو والله». (١٠) المختار: «منفية».

(١١) كذا في ط، ف، والمختار. وفي د: «أباري حيادهم». وفي سائر الأصول: «أباقي خيارهم».

وتَذكرُ فِتْيانِيَّى[1] وتكرُّمى ... إذا ذُمّ فِتْيانِيُّها[2] وكَريمها

قلت : لا أعرفه ؛ قال : لا عَرَفْتَ ! هو الذى يقول فيه الشاعرُ :

أحيَا أباهُ هاشمُ بنَ حَرْمَله ... يقتُلُ ذا الذَّنْبِ ومَن لاذَنْبَ له

• تَرى المُلوكَ حولَه مُغَرْبلَه •

*

مَضى الحديثُ

---

(١) كذا فى ط، و ، والمختار ؛ وهى نسبة الى : فتيان ، من جموع فتى، بمعنى السخى الكريم، وبها تسمت بعض القبائل، مثل: بنو فتيان بن ثعلبة بن معاوية ، ثم نسبوا إليها فقالوا: فتيانى ، كما قالوا : أنصارى ، وبهذا تسمى : ربيعة الفتيانى ؛ والفتيانية: الصفة من هذا ، كالأنصارية، تتناسى فيهما الاسمية ويراد بها ما تحمله أصل التسمية من سخاء ونصرة . (القاموس . وشرحه: فتى ، جمهرة أنساب العرب: ٤٧٤) . وفى جـ : «وفقيا يداى» . وفى سائر الأصول : «وتذكر قيس منى» .

(٢) كذا فى جـ ، ط ، ل ، و والمختار ؛ أى : يتصف بالسخاء . وانظر الحاشية السابقة . والذى فى سائر الأصول : «إذا ذمى فتيانها» .

* * *

صـــــوت

تأبَّد(1) الرَّبْعُ مِن سَلْمَى بأَحْفَارِ(2) وأقفرتْ من سُلَيْمَى دِمْنَةُ الدّارِ
وقد تَحُلُّ(3) بها سَلْمَى تُحدِّثني(4) تَسَاقُطَ الحَلْي حاجَاتي وأَسْراري

الشّعر للأخطل. والغناء لِعُمَرَ الواديّ، هَزَج بالسبَّابة في مجرى الوُسطى؛ وفيهما رَمَل بالبنصر، يُقال: إنَّه لابن جامع، ويُقال: إنه لغيره. وفيهما خَفيف رَمَل بالوسطى، ذكر الهشاميّ أنّه لحَكَم. وذكر حَبَش أنّ فيهما لإبراهيم خفيفَ ثقيل أوّل بالوُسطى.

* * *

وممَّا يُغنَّى فيه من هذه القصيدة:

وشاربٍ مُرْبِحٍ بالكَأْس نادَمَني لا بالحَصُور ولا فيها بِسَوَّار(5)

---

(1) تأبد: أصبح موحشاً وهجره قطانه. وفى الديوان (ص: ١١٢): «تغير».

(2) كذا فى ط، ل، و، والديوان. وأحفار: موضع فى بلاد بنى تغلب. والذى فى سائر الأصول: «بأجفار» بالجيم، تصحيف. (3) الديوان: «وقد تكون». (4) وكذا فى الديوان. وفى مجموعة المعانى (ص: ١٧٩ طبعة الجوائب): «تحادثنى».

(5) كذا فى ط، ل، والديوان. والذى فى سائر الأصول: «بسأر» بالهمز. قال الجوهرى فى الصحاح «سأر»: «ويقال: إذا شربت فأسئر؛ أى: أبق شيئاً من الشراب فى قعر الإناء. والنعت منه: سآر، على غير قياس، لأن قياسه: مسئر. ونظيره: أجبره فهو جبار». ثم أنشد بيت الأخطل. ونقل هذا ابن منظور عن الجوهرى «سأر»، ثم عاد ابن منظور فى «سور»، وقال: «والسوار: الذى تسور الخمرة رأسه سريعاً كأنه هو الذى يسور» ثم أنشد البيت — أى: بعربد — من: سار، اذا وثب وثب المعربد». ثم قال: «ويروى: ولا فيها بسأر». وأنشده الأزهرى فى التهذيب (١٣: ٤٧) بالهمز، وقال: «بوزن سعار، بالهمز، ومعناه: أنه لا يسئر فى الإناء ولكنه يشتفه كله. ورُوى: ... بسوار، أى: بعربد، من سار يسور، إذا وثب وثب المعربد على من يشاربه. وجائز أن يكون سآر، من سأرت، وهو الوجه، وجائز أن يكون من: أسأرت، كأنه يرده إلى الثلاثى».

نازعته طَيِّبَ الراحِ الشَّمُولِ وقد   صاح الدَّجاجُ وحانت وَقْعةُ(١) السَّارى
لما أَتَوْها بمِصْباحٍ ومِبْزَلهم(٢)   سارت إليهم سُؤُورَ(٣) الأَبْجلِ الضارى(٤)

الغناءُ فى هذه الأبيات لابن سُرَيج ، خفيفُ رَمَلٍ بالبِنصر ، عن الهشامىّ . وذكر غيرُه أنّها للدَّلاَل .

ومنها :

فَرْدٌ تُغنِّيه ذِبَّانُ الرِّياضِ كمَا   غَنَّى الغُواةُ بصَنْجٍ عِنْد أُسوارِ(٥)
كأنَّه مِن نَدَى القُرَّاص مُغْتسِلٌ(٦)   بالوَرْسِ أو خارجٌ من بَيْتِ عَطَّارِ(٧)

غناه ابن سُرَيج ، ولحنُه من القَدْر الأَوسط ، من الثَّقيل الأَوَّل ، بإطلاق الوَتَر فى مجرى الوسطى ، عن إسحاق .

وذكر الهشامىّ أنّ لمالك فيه ثقيلا أوّلا ، ووافقه يونُس فى نِسبته إلى مالك ولحَكَم ، فى قوله :

« فَرْدٌ تُغنِّيه ذِبَّانُ الرِّيَاض كما »

---

(١) كذا فى ط ، ل ، و ، والديوان . يريد : بروك الإبل . والذى فى سائر الأصول : «وقفة» .

(٢) المصباح : القدح الكبير الذى يصطبح به ؛ والجمع : مصابيح . والمبزل : حديدة يبزل بها الدن ؛ أى : يثقب عند استخراج الخمر . (الشنتمرى على سيبويه ١ : ٣٣١) . وقال الشريشى فى شرحه لمقامات الحريرى (١ : ٢٢٠) بعد ما أورد بيت الأخطل : «والمبزل : الثقب فى جانب الخابية تجرى منه الخمر صافية ويبقى العكر فى قعرها» . (٣) كذا فى الديوان ، والصحاح ، واللسان (سور ، ضرى) والكتاب لسيبويه . قال الشنتمرى : «الشاهد فى بنائه مصدر سار يسور على سؤور . على ما يوجبه القياس ، لأنه غير متعد ، فجرى على الأصل ، وإن كان هذا المثال يستثقل فيما اعتلت عينه لانضمام حرف العلة وهمزه استثقالا للضمة فى الواو . وسارت : خرجت بسرعة» . والذى فى الأصول : «سمت إليهم سمو» . والذى فى شرح المقامات : «شارت شراء» . (٤) الأبجل : عرق . والضارى من العروق : الذى يبدأ منه الدم ، أو السائل بالدم . (٥) فرد ، يعنى : ثوراء وقد جاء ذكره فى أبيات قبل هذا . (انظر الديوان) . والأسوار : قائد الفرس . (٦) ل ، و : «معتصر» . والذى فى سائر الأصول : «معترض» . وما أثبتنا من الديوان . (٧) الورس : نبت أصفر يكون باليمن ، تتخذ منه صبغة .

وبعده قوله :

صَهْباءُ قد عَنَسَتْ(١) من طُولِ ما حُبِست(٢)
في مُخْدَعٍ(٣) بين جَنّاتٍ وأنهارِ

خفيف ثقيل بالبنصر .

ومنها :

لَسَكّنَتْنى قُريشٌ فى ظِلالهمُ(٤) ومَوّلَتْنى قُريشٌ بعد إقْتـارِ
قومٌ إذا حارَبُوا شَدُّوا مآزِرَهم عن النِّساءِ ولو باتتْ بأَطْهارِ(٥)

لِيُونس فيها لحنٌ ، من كتابه ، ولم يُجنِّسه .

وهذه القصيدةُ مدح بها الأخطلُ يزيدَ بن مُعاوية لمَّا مَنَع من قَطْع لسانه ، حين هَجا الأنصارَ ، وكان يزيدُ هو الذى أمره بهجائهم ؛ فقِيل :
١٤٨ / ١٣ إن السبب فى ذلك كان تَشْبيب عبدِ الرحمن بن حسَّانَ بَرْملةَ بنتِ مُعاوية ؛ وقيل : بل حَمِيَ لعبد الرَّحمن بن الحَكم .

خبر هذا الشعر الذى فيه الغناء

أخبرنى الجَوهرىّ ، قال : حدّثنا عُمرُ بن شَبَّة ، قال : حدّثنى أبو يحيى الزُّهرىّ ، قال : حدّثنى ابنُ أبى زُريق ، قال :

شَبَّبَ عبدُ الرحمن بن حَسّانَ بَرْملةَ بنت مُعاوية ، فقال :

---

(١) عنست : طال مكثها ؛ تشبيها لها بالجارية التى يطول مكثها فى بيت أهلها بعد إدراكها ولم تتزوج . والرواية فى الديوان ، واللسان «عدع» : «كلفت» ؛ أى : تغير لونها . (٢) مجموعة المعانى (ص : ١٩٨) : «خبئت» . (٣) لم يأت مفعل،بالضم ، اسما،إلا المخدع ، وما سواه صفة ؛ والمخدع،بالفتح ؛ والمخدع،بالكسر،لغة فى المضموم . وبيت الأخطل هذا يروى بالوجوه الثلاثة . (٤) الديوان ، ومجموعة المعانى (ص : ٩٥) :

«لألجأتنى قريش خائفا وجلا »

(٥) أى : إذا حاربوا لم يغشوا النساء فى أطهارهن.(الأضداد لابن الأنبارى : ١٩) .

رَمْلَ هل تَذْكُرين يومَ غَزالٍ[1] إذْ قَطَعْنا مَسِيرَنا بالتَّمنِّى
إذْ تَقُولين عَمْرَكَ اللهَ هل شَيْ ءٌ وإنْ جَلَّ سوف يُسْليكَ عنِّى
أَمْ هَلُ اطْمِعْتَ منكُمُ يابنَ حَسَّا نَ كما قد أَراكَ أُطْمِعتَ مِنِّى

قال : فبلغ ذلك يزيدَ بنَ مُعاوية ، فغَضِب، فدَخلَ على مُعاوية فقال : يا أَمير المؤمنين ، أَلَا تَرى إلى هذا العِلْجِ من أهل يَثْرِب ، يَتهكَّم بأَعراضنا ويُشبِّب[2] بنِسائنا ؟ قال : ومَن هو ؟ قال : عبدُ الرحمن ابن حَسان ، وأنشده ما قال ؛ فقال : يا يَزيد ، ليست العُقوبةُ من أحد أَقْبحَ منها من ذَوى القُدْرة ، ولكن أَمْهِلْ حتّى يَقْدَمَ وَفْدُ الأَنصار ثم ذَكِّرْنى . قال : فلمَّا قَدِموا أَذْكره به[3] ، فلمَّا دخلوا عليه قال : يا عبدَ الرحمن ، أَلم يَبْلغنى أنَّك تُشبِّب بَرمْلةَ بنت أمير المؤمنين ؟ قال : بلى ، ولو علمتُ أَنَّ أَحدًا أُشرِّف به شِعْرى أَشرفَ منها لذكرتُه ؛ قال : وأين أنت عن أُخْتِها هِند ؟ قال : وإنَّ لها لَأُخْتًا ؟ قال : نعم . قال : وإنما أراد معاوية أنْ يُشبِّب بهما جميعًا فيُكْذِبَ نَفْسَه . قال : فلم يَرْضَ يزيدُ ما كان من مُعاوية فى ذلك أَن يُشبِّب بهما جميعا ، فأَرسل إلى كَعب بن جُعَيل ، فقال : اهْجُ الأَنصار ؛ فقال : أَفْرَق من أميرالمؤمنين ، ولكنْ أَدُلُّك على الشاعر الكافر الماهر ؛ قال : ومنَ هو ؟ قال : الأَخطل . قال : فدَعا به ، فقال : اهْجُ الأَنصارَ ؛ قال : أَفْرَقُ من أمير المؤمنين ؛ فقال : لا تَخَفْ شيئًا ، أنا لكَ بذلك . قال : فهَجاهم . فقال :

---

(١) غزال : موضع على الطريق من ثنية هرشى ، وهى ثنية فى طريق مكة ، بينها وبين الجحفة ثلاثة أودية . والذى فى المختار (٥ : ١٨٩) : «عراك» .

(٢) كذا فى ط، ل. والذى فى سائر الأصول : «يتشبب» . (٣) ط ، ل، : «وذكره به» .

وإذا نسَبْتَ ابنَ الفُريعةِ[١] خِلْتَه ... كالجَحْشِ بَين حِمَارةٍ وحِمَارِ
لعَنَ الإلٰهُ مِن[٢] اليَهود عِصابةً ... بالجزْع[٣] بين صُلَيْصِلٍ وصِرار[٤]
قَومٌ إذا هدَرَ[٥] العصِيرُ رأيْتَهم ... حُمْرًا عُيونُهمُ من المُسْطار[٦]
خَلُّوا المَكارمَ[٧] لَسْتُمُ[٨] مِن أهلها ... وخُذُوا مَساحِيَكم بنى النَّجَّار[٩]
إنَّ الفوارسَ يَعْلَمون[١٠] ظُهورَكم ... أوْلادَ كُلِّ مُقَبَّحٍ أكَّار[١١]
ذَهبتْ قُريشٌ بالمَكارمِ والعُلا[١٢] ... واللُّؤمُ تحت عَمائمِ الأنْصار

فبلغ ذلك النُّعمانَ بن بَشيرٍ ، فدَخلَ على مُعاوية فحَسر عن رَأْسه عِمامتَه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، أتَرى لُؤمًا ؟ قال : لا ، بَلْ أرى كَرمًا وخِيرًا ، ما ذاك ؟ قال : زعم الأخطلُ أنّ اللُّؤمَ تحت عمائمنا ؛

(١) ابن الفريعة : حسان بن ثابت ، والفريعة : أمه .
(٢) الديوان (ص : ٣١٤) : «لعن الإله بنى» . وفى معجم البلدان لياقوت فى رسم (حلحل) : «قبح الإله من» . (٣) الجزع : منعطف الوادى . (٤) كذا فى الأصول . وصليصل : تصغير : صلصل ، موضع بنواحى المدينة ، وكذا «صرار» . ورواية الديوان : «بين جلاجل وصرار» . وجلاجل : جبل من جبال الدهناء . ورواية معجم البلدان (حلحل) : «بين حليحل وصحار» . قال ياقوت : «حلحل ، بفتح الحاءين وسكون اللام : جبل من جبال عمان ، وهو فى شعر الأخطل مصغر» ، ثم أورد البيت . وقال البكرى فى كتابه معجم ما استعجم (صحار) : «صحار : فى بلاد بنى تميم باليمامة ، أو ما يليها» . (٥) العقد الفريد (٥ : ٣٢١) : «حضر» . (٦) كذا فى أكثر الأصول ، والعقد الفريد . والذى فى جـ ، ط ، ل : «المصطار» ، وهما بمعنى . والمراد : ضرب من الشراب فيه حموضة . والرواية فى الديوان :

* حمر عيونهم كجمر النار *

(٧) الديوان : «قذروا المعالى» . والعقد الفريد : «حلوا المكارم» . (٨) المختار : «تستمر» .
(٩) كذا فى ط ، ل ، هـ ، والديوان ، والعقد الفريد . والمساحى : جمع مسحاة ، وهى آلة يسحى بها الطين عن وجه الأرض ؛ أى : يجرف . والذى فى سائر الأصول : «مسائحكم» ، تحريف . (١٠) المختار ، والديوان : «يعرفون» . (١١) الأكار : الحراث .
(١٢) المختار . والعقد الفريد : «كلها» .

قال : أَوَ فَعَلَ ؟ قال : نَعم ؛ قال : لك لسانُه ، وكَتب فيه أن يُؤتَى به . فلما أُتِيَ به سأل الرَّسولَ لِيدخلَ إلى يزيدَ أوّلاً ، فأدخله عليه ، فقال : هذا الذى كُنتُ أَخاف ؛ قال : لا تَخَفْ شيئًا ؛ ودخل على معاوية ، فقال : عَلامَ أُرْسِلَ إلَى هذا الرَّجُل ، وهو يَرمى من وراء جَمْرتنا ؟ قال : هَجا الأَنصارَ ؛ قال : ومن زَعم ذلك ؟ قال : النُّعمانُ بن بَشير ؛ قال : لا تَقْبلْ قولَه عليه وهو يَدَّعى لِنَفْسه ، ولكن تَدْعوه بالبيِّنة ، فإن ثَبَّتَ[1] شيئًا أخذتَه به له . فدَعاه بالبيِّنة ، فلم يـأْتِ بها ، فخلَّى سبيلَه ، فقال الأَخطلُ :

وإنِّى غَداةَ اسْتَعبرَتْ أُمُّ مالكٍ[2] لَراضٍ من السُّلطـان أن يَـتهدَّدَا[3]
ولولا يزيدُ ابنُ المُلوك وسَعْيُه[4] تَجلَّلْتُ حِدْبارًا من الشَّرِّ أَنْكَدا[5] ١٤٩ / ٣١
فكم أَنْقَذَتْنى مِن خطُوبٍ حِبَالُه وخَرْساءَ لو يُرْمَى بها الفِيلُ بَلَّدا[6]
ودافَع عنِّى يومَ جِلَّقَ غَمْرةً[7] وهَمًّا يُنَسِّينى السُّـلافَ المُبرَّدا[8]
وباتَ نَجِيًّا فى دِمَشْقَ لِحَيَّةٍ[9] إذاهَمَّ[10] لم يَنْمِ السَّليمُ[11] وأَقْصدا[12]
يُخافِته[13] طَوْرًا وطَوْرًا إذا رَأى من الوَجْه إقْبـالاً أَلَحّ وأَجْهَدا

(١) كذا فى جـ ، ل ، و . والذى فى سائر الأصول : « أثبت » .
(٢) أم مالك : امرأة الأخطل ، وكان الأخطل هو الآخر ، يكنى : أبا مالك . (٣) يشير إلى بكاء امرأته حين تهدده معاوية بقطع لسانه . (٤) الديوان (ص : ٩٣) : « وسيبه » . (٥) الحدبار من النوق : التى بدت حراقفها من الهزال . (٦) الخرساء : الداهية ، أصلها الأفعى . والرواية فى اللسان (هود) : « وصماء » . وبلد : لصق بالأرض لما دهاه . (٧) جلق : اسم لكورة الغوطة كلها ؛ وقيل : بل هى دمشق نفسها . والغمرة : الشدة . (٨) الديوان ، واللسان : « المهودا » . والمهود من الشراب : المسكر المنيم . (٩) لحية ، يعنى : معاوية . (١٠) الديوان : « إذا عض » . (١١) السليم : الملدوغ . ولم ينم : لم ينج ؛ ومنه بيت التغلبى :

وقافية كأن السم فيها وليس سليمها أبدا بنامى

(١٢) كذا فى أكثر الأصول ، والديوان . وأقصد : قتل لساعته . والذى فى ب ، جـ ، س : « فأقصدا » . (١٣) كذا فى ط ، ل ، و ؛ أى : يهمس بأذنه . والذى فى سائر الأصول : « يخافيه أطوارًا » ، تحريف . والذى فى الديوان : « يخفته » ، بالتضعيف .

وأطفأتَ عنّى نارَ نُعْمانَ(١) بعد ما … أعدّ لأمْرٍ فاجِرٍ(٢) وتَجَرّدا
ولما رأى النُّعمانُ دُونى ابْنَ(٣) حُرّةٍ … طَوَى الكَشْحَ إذْ لم يَسْتطعْنى وعَرّدا(٤)

بين يزيد ومعاوية فى تشبيب عبدالرحمن بن حسان بأخت معاوية

حدّثنا محمدُ بن العبّاس اليزيدىّ ، قال : حدّثنا أحمدُ بن الحارث الخَرّاز ، قال : حدّثنا المدائنىّ ، عن أبى عبد الرحمن بن المُبارك ، قال :

شَبّب عبدُ الرحمن بن حسّان بأُخت مُعاوية ، فغَضب يزيدُ ، فدَخل على معاوية فقال : يا أمير المؤمنين ، اقْتُلْ عبدَ الرحمن بنَ حسانَ ؛ قال : ولِمَ ؟ قال : شَبّب بعَمّتى ؛ قال : وما قال ؟ قال : قال :

طال لَيْلِى وبِتُّ كالمَحْزون … ومَلِلْتُ الثَّواءَ فى جَيْرونِ(٥)

قال معاوية : يا بُنىّ ، وما علينا من طول لَيلهِ وحُزنِه ؟ أبْعده الله ! قال : إنه يقول :

فلذاكَ اغتَرَبْتُ(٦) بالشّام حَتّى … ظَنّ أهْلِى مُرجِّماتِ الظُّنُون

قال : يا بُنىّ ، وما علينا من ظَنّ أهله ؟ قال : إنّه يقول :

هى زَهْراءُ مِثلُ لُؤلُؤةِ الغَوّ … اصِ مِيزَتْ من جَوْهرٍ مَكْنُون

قال : صَدق يا بُنىّ ؛ قال : إنّه يقول :

وإذا ما نَسبتَها لم تَجِدْها … فى سَناءٍ من المَكارمِ دُون

---

(١) النعمان ، هو : النعمان بن بشير الأنصارى .

(٢) الديوان : « أعد لأمر عاجز » ؛ أى : لأمر شديد يعجز صاحبه . (أساس البلاغة ٢ : ٦٧) . (٣) كذا فى جـ ، ط ، ل ، و ، والديوان . يعنى : يزيد بن معاوية . والذى فى سائر الأصول : « ابن مرة » ، تحريف . (٤) عرد : فر وهرب . (٥) جيرون : دمشق ، وقيل : بابها . ورواية البيت فيما مر من هذا الكتاب (انظر الفهرست) والأمالى (٣ : ١٨٨) :

صاح حيا الإله حيا ودارا … عند أصل القناة من جيرون

وكذا فى الكامل (ص : ١٦٩) مع وضع « أهلا » مكان « حيا » . (٦) الكامل : « فبتلك ارتهنت » ، والأمالى : « فبتلك اغتربت » .

قال : صَدَقَ يا بُنَىّ ، هى هكذا ؛ قال : إنّه يقُول :

ثم خاصَرتُها[١] إلى القُبَّة الخَضْـ ـراءِ تَمْشِى فى مَرْمَرٍ مَسْنونِ[٢]

خاصرتُها : أخذتَ بخَصْرها وأخذَتْ بخصرى

قال : ولا كُلُّ هذا يا بُنَى ! ثم ضَحك وقال : أَنْشدنى ما قال أيضا ؛ فأَنشده قولَه :

قُبّة من مَرَاجِلٍ[٣] نَصَبُوهـا[٤] عند[٥] حَدِّ الشّتاء فى قَيْطون[٦]

عَن يَسارِى إذا دَخلْتُ من البا ب وإنْ كنتُ خارجًا فيَمِينى

تَجعل النَّدَّ والأَلُوَّةَ والعُو دَ صِلاءً لها على الكانُون[٧]

وقِبَابٌ قد أُشْرِجَت[٨] وبُيوتٌ نُطِّقت بالرَّيْحان والزَّرَجُون[٩]

قال : يا بُنَى ، ليس يَجبُ القتلُ فى هذا ، والعُقوبةُ دون القَتل ، ولكنّا نَكُفُّه بالصِّلة له والتّجاوز .

* * *

(١) الأ مالى : « ثم ما شيتها » .

(٢) فى مرمر ؛ أى : على مرمر . والمسنون : المملس ، والمصبوب على استواء . وقد أورد ابن منظور فى اللسان (سنن) بعض هذه الأبيات على أنها لعبد الرحمن . ثم قال : « وقال ابن برى : وتروى هذه الأبيات لأبى دهبل يقولها فى رملة بنت معاوية » . وقد مرهذا فى أخبار أبى دهبل. (انظر : فهرست هذا الكتاب) .

(٣) المراجل : ثياب من ثياب اليمن . (٤) الكامل : « ضربناها » ، والعقد الفريد (٥ : ٣٢٣) : « ضربوها » . (٥) الأمالى : « قبل » . (٦) القيطون : البيت فى جوف بيت . (٧) الألوة ، بضم أوله وفتحه : العود يتبخر به . (٨) كذا فى أكثر الأصول . وأشرجت : شدت أجزاؤها . والذى فى ط ، ل ، ر : « أسرجت » ؛ أى : أضيئت . (٩) نطقت بالريحان : جعل لها كالمنطقة . والزرجون : الكرم ، قضبانه .

نسبة ما فى هذه الأبيات من الغناء

صوت

هِى زَهْراءُ مِثْل لُؤْلُؤة الغَوّ ... اصِ مِيزَتْ من جَوْهرٍ مَكْنونِ
وإذا ما نسبتَهـــا لم تَجدْها ... فى سَناء من المكارم دُون

١٥٠ / ١٣

معاوية وعبد الرحمن بن حسان فى تشبيه بابنته

نَسختُ من كتاب ابن النطّاح ، وذكر الهيثمُ بن عدىّ ، عن ابن دَأْب ، قال : حدّثنا شُعيبُ بن صفوان :

أنّ عبد الرحمن بن حسان بن ثابت كان يُشبِّب بابنة مُعاوية ويَذْكُرها فى شِعره ، فقال الناسُ لمعاوية : لو جَعلتَه نَكالاً ؟ فقال : لا ، ولكن أداويه بغير ذلك ، فأَذِنَ له[1] ، وكان يَدْخل عليه فى أُخْريات الناس ، ثُمَّ أجلسَه[2] على سَريره معه ، وأَقْبلَ عليه بوَجهه وحديثه ، ثم قال : إنَّ ابنتى الأُخْرى عاتبةٌ عليك ؛ قال : فى أىِّ شىء ؟ قال : فى مِدْحتك أُختَها وتَركِك إيّاها ؛ قال : فلها العُتْبَى وكَرامة ، أنا ذاكرُها ومُمتدِحُها[3] . فلما فعلَ وبلغ ذلك الناسَ قالوا : قد كُنَّا نَرى أنَّ نَسيب[4] ابن حسّان بابنةِ مُعاويةَ لشىء ، فإذا هو عَنْ رَأْىِ مُعاويةَ وأَمْره . وعَلِم من كان

(١) كذا فى جـ ، ط ، ل ، و . والذى فى سائر الأصول : « فلما وفد عليه » .
(٢) كذا فى جـ ، ط ، ل ، و . والذى فى سائر الأصول : « والناس أجلسه » .
(٣) كذا فى ط ، ل ، و . والذى فى سائر الأصول : « وعدها » . (٤) كذا فى ط ، ل ، و . والذى فى سائر الأصول : « أن تشبب » . والذى فى المختار (٥ : ١٨٩) : « وأن تشبيب » .

يعرف أنه ليس له بِنتٌ أخرى ، أنّه إنما خدَعه ليُشبب بها ، ولا أصْلَ لها ، فيعلَم الناسُ أنّه كَذب على الأولى لمّا ذكر الثانية .

مما قيل فى حمل يزيد للأخطل على هجاء الأنصار

وقد قيل فى حَمْل يزيدَ بن مُعاوية الأخْطلَ على هجاء الأنصار : إنّه فعلَ ذلك تعصّبًا لعبد الرحمن بن الحكم بن العاص بن أُمَيّة ، أخى مَروانَ بن الحكم ، فى مُهاجاته عبدَ الرحمن ، وغضبًا له ، لمّا استعلاه ابنُ حسان فى الهِجاء .

ذكر

خبرهما فى التهاجى

والسبب فى ذلك

ماقاله أبو الخطاب الأنصارى فى سبب التهاجى بين عبد الرحمن ابن حسان والأخطل

أخبرنى علىّ بن سُليمان الأَخفش ، قال : حدّثنا أبو سَعيد السُّكرىّ ، قال : حدّثنا أبو غَسّانَ دَماذ ، عن أبى عُبيدة ، قال : أخبرنى أبو الخطّاب الأَنصارىّ ، قال :

كان عبدُ الرحمن بن حسّان خليلاً لعبد الرحمن بن الحكم بن العاص مُخالطًا له ، فقيل له : إن ابنَ حسّانَ يَخْلُفُكَ فى أَهْلك . فراسلَ امرأةَ ابن حسّان ، فأَخبرتْ بذلك زَوْجَها وقالت : أَرْسَلَ إلىّ : إنّى أُحبّك حُبًّا أُراه قاتلى . فأَرْسل ابنُ حسّانَ إلى امرأة ابن الحكم ، وكانت تُواصلُه ، وقال للرسول : اذهبْ إليها وقُل لها : إن امرأَتى تَزورُ أهلَها اليومَ فزُوريني حتّى نَخْلُوَ ، فزَارتْه ، فقَعدَ معها ساعةً ثم قال لها : قد واللهِ جاءت امرأَتى . فأَدخلها بيتًا إلى جَنْبه ، وأمر امرأَته فأَرْسلت إلى عبد الرحمن بن الحكم : إنّك ذكرتَ حُبّك إيّاى ، وقد وَقعَ ذلك فى قَلبى ، وإنّ ابن حسّان قد خرجَ اليومَ إلى ضَيْعته فهلمّ فتهيأْ ثم أَقبِلْ . فإنّه لقاعدٌ معها إذْ قالت له : قد جاء ابنُ حسّان فادخُلْ هذا البيتَ فإنّه[1] لا يَشعر بك . فأَدخلته البيتَ الذى فيه امرأتُه ، فلما رآها أيقنَ بالسَّوأة ، ووقَع الشرُّ بينهما ، وهَجا كلٌّ واحد منهما صاحبَه .

---

(١) فى أكثر الأصول : « لأنه » . وما أثبتنا من ل ، و .

ما تقوله قريش فى سبب ذلك التهاجى

قال أبو عبيدة :

هذه رواية أبى الخطّاب الأنصارىّ ، وأمّا قُريش فإنّهم يزعُمون أنّ امرأة ابن حسّان كانت تحبّ عبدَ الرحمن وتَدعوه إلى نَفسها فيأْبَى ذلك ، حِفْظًا لما بَينه وبين زَوجها . وبَلغ ذلك ابنَ حسّانَ ، فراسلَ امرأةَ ابن الحَكم حتّى فَضحها ، وبلغ ذلك ابنَ الحكم ، وقيل له : إنّكَ إذا أتيت ضَيعتَك أرسلَتْ إلى ابن حسّانَ فكان معها . فأمر ابنُ الحكم أهلَه ، فقال : عالجوا سُفْرةً حتّى أطالعَ مالى بمكان كذا وكذا ، فخرج ، وبعثت امرأتُه إلى ابن حسّانَ ، فجاء كما كان يفعل ، ورجع ابنُ الحكم حين ظَنّ أن ابن حسّانَ قد صار عندها ، فاستفتح ، فقالت : ابنُ الحكم والله ! وخبّأته خَلْفَها فى بَيت ، ودَخل عبدُ الرحمن ، فبعث إلى امرأة ابن حسّان : إنه قد وَقعتْ لك فى قَلْبى مِقَةٌ[1] ، فأقْبلى إلىّ الساعةَ ، فتهيأتْ وأقبلَتْ حتّى دخلت عليه ، فوضعت ثيابَها وزَوْجُها يَنْظر ، فقال لها : قد كُنتِ أكثرتِ الإرسالَ إلىّ ، فما شأْنُك ؟ قالت : إنّى والله هالكةٌ من حُبّك . قال : وزوجُها يَسمع ، وإنما أراد أن يُعلمه أنها قد كانت تُرسل إليه

١٥١ / ١٣

ويأْبَى عليها . وزعم أنها هى التى قالت لابن الحَكم : إنّ ابن حسّان يَخلفُكَ فى أهلك . فلما فرغ مِن كلامه وأسْمعه زَوْجَها ، قال لها : قد جاءت امرأتِى ، وأدخلها البيتَ الذى فيه ابنُ حسّان ، فلما جمعهما فى مكان واحد خَرجَ عنهما ، فخَرجا ، وطلّقَ امرأتَه .

مروان بن الحكم وأخوه عبدالرحمن فى قول الشعر

أخبرنى ابنَ دُريد ، قال : أخبرنى الرّياشىّ ، قال : حدّثنا ابنُ بُكَير ، عن هشام بن الكَلبىّ ، عن خالد بن سعيد ، عن أبيه ، قال :

---

(١) المقة : الحب .

رأيت مَروانَ بن الحكم يطُوف بالبيت ويقول : اللهم أَذْهِبْ عنِّى الشِّعرَ ، وأخوه عبدُ الرحمن يقول : اللهم إنى أسأَلُك ما استعاذَ منه . فذَهب الشِّعر عن مَروان ، وقاله عبدُ الرحمن .

ما قاله ابنا سعيد فى سبب ذلك التهاجى

وأمَّا هشام بن الكَلبىّ فإنه حدَّث عن خالد ، وإسحاقَ ، ابنَىْ سعيد بن العاصى :

أنَّ سَبب التَّهاجى بينهما أنَّهما خَرجا إلى الصَّيد بأَكْلُبٍ لهما فى إمارة مَرْوان ، فقال ابنُ الحكم لابن حسّان :

ازْجُرْ كِلابَكَ أنها قَلَطِيَّةٌ[1] تُقْعِى[2] ومِثْلُ كِلابكم لم تَصْطدِ

فردَّ عليه ابنُ حسان :

مَن كانَ يأْكلُ من فَريسةِ صَيدِه[3] فالتَّمْرُ يُغْنِينَا عن المُتَصَيَّدِ
إنَّا أُناسٌ رَيِّقون[4] وإنَّكم[5] ككِلابكم فى الوَلْغ والمُتَرَدَّدِ
حُزْناكمُ للضَّبِّ تَحترِشُونه[6] والرِّيفَ نمنعُكم[7] بكُلِّ مُهنَّدِ

ثم رَجعا إلى المدينة ، فجعلَا يَتقارضان[8] ؛ فقال عبدُ الرحمن بنُ الحكم :

ومِثْلُ أُمِّك أُمُّ العَبْدِ قد ضربت عِنْدى ولى بغناء[9] مِزْهر[10] جَرم[11]

(١) القلطى من الكلاب : القصير المجتمع . (٢) الأصول : « يقع » . وما أثبتنا من المختار . وأقعى الكلب : جلس على استه . (٣) و : « فريسة كلبه » . (٤) الريق : الذى على الريق لم يفطر . (٥) الأصول : « وأمكم » . وما أثبتنا من المختار . (٦) حرش الضب ، واحترشه : حرك يده على باب جحره ليظنه حية فيخرج ذنبه ليضربها فيأخذه . (٧) ب ، س : « ويمنعكم » . ط : « تمنعكم » . وما أثبتنا من سائر الأصول .

(٨) المختار : « يتعارضان » . (٩) كذا فى أكثر الأصول . وفى ط ، ل ، و : « بفنائى » . وفى المختار : « بفنائى » . (١٠) المزهر ، كمنبر : ما تزهر به النار وتقلب .

(١١) كذا فى أكثر الأصول . وفى جـ ، ل : « حرم » ، بالحاء المهملة . وفى و : « علم » . وفى المختار : « خدم » ، بالخاء المعجمة . والبيت فى وصف أمه وجلوسها أمام الموقد تحرك النار كى تعد الطعام للضيفان ، والبيت الثانى يؤيد هذا ، غير أن بعض كلمات هذا البيت خفية الدلالة .

وأنتَ عند ذُنَاباها[١] تعاوِنها[٢] عَلَى القدور[٣] تَحَسّى خاثِرَ البُرَم[٤]

فنقضها عبدُ الرحمن بن حسّان عليه بقصيدته التى يقول فيها :

يا أيُّهـا الرّاكبُ المُزْجِى مَطِيّته إذا عرَضْتَ فسائِل عن بَنِى الحَكَمِ
القائلين إذَا لاقَوْا عَـــدوَّهمُ فِرُّوافكُرُّوا[٥] على النّشوان والنَّعَم
كم مِنْ أمينٍ نَصيحِ الجَيْب قال لكُمْ أَلّا نَهيْتُمْ أخاكم يا بَنِى الحَكَم
عَن رَجُلٍ لابَغيض فى عَشيرتهِ[٦] ولا ذَليلٍ قَصيرِ البـاع مُهْتَضم[٧]

وقال ابن حسّان :

صار الذَّليلُ عَزيزًا والعَزيزُ به ذلَّ[٨] وصارَ فروعُ الناس أذْنابَا
إنّى لمُلتمس حتّى تَبينَ لكمْ فيكُم متى كُنتمُ للنّاسِ أرْبابا
فارْقَوْا على ظَلْعكم ثمَّ انظُروا[٩] وسَلُوا عَنَّا وعَنْكمْ قَديمَ العِلْم أنْسَابا[١٠]
فسوفَ يَضْحكُ[١١] أو تَعتاده ذِكَرٌ يا بُؤسَ للدَّهْرِ للإنسان رِبَّابا[١٢]

ولهما نقائضُ كثيرةٌ لا معنَى لذِكْر جميعِها هاهُنا .

أمر معاوية بجلدهما وحديث ذلك

قال دَماذ : وحدّثنى أبو عُبيدة ، عن أبِى الخطّاب ، قال :

---

(١) ذناباها ؛ أى : عجزها. والذنابى ، فى الأصل : منبت الذنب .
(٢) المختار : « تعاودها » .
(٣) ب، ج ، س ، والمختار : « غلى » بالغين المعجمة . وما أثبتنا من سائر الأصول.
(٤) تحسى، أى : تتحسى، والتحسى : التذوق. وخاثر البرم : ما بقى فى قعرها. وفى ب، س : « تحثى » .
(٥) المختار : « وكروا » . (٦) كذا فى ج ، ل ، و ، والمختار . والذى فى سائر الأصول : « فى عشيرتكم » . (٧) فى الأصول : « معتصم » . وما أثبتنا من المختار . (٨) المختار :
صار العزيز ذليلا والذليل به عز ....
(٩) كذا فى أكثر الأصول . وارق على ظلعك : تكلف ما تطيق، لأن الظالع ، وهو من يغمز فى مشيه ، إذا رقى فى سلم ترفق بنفسه. والذى فى ط ، و : « فقارقوا ظلعكم » . (١٠) الأصول : « نسابا » . وما أثبتنا من المختار. (١١) كذا فى ط ، ل ، و ، والمختار . والذى فى سائر الأصول : « كيف يضحك » . (١٢) الرباب ، كشداد : المفزع .

لما كَثُر التَّهاجى بينهما وأَفْحشا ، كَتب مُعاويةُ يومئذ ، وهو الخليفة ،
١٥٢ / ١٣ إلى سَعيدِ بن العاص ، وهو عامِلُه على المدينة ، أن يَجْلِد كُلَّ واحد
منهما مائةَ سوط. قال : وكان ابن حسّان صديقًا لسعيد ، وما مدح
أَحدً قطُّ غيره ، فكَرِه أن يضربه أو يضرب ابن عمِّه ، فأَمسك عنهما .
ثم ولِىَ مَرْوانُ ، فلما قَدِم أخذَ ابنَ حسَّان فضَربَه مائةَ سوط ، ولم يَضرب أَخاه ، فكتب ابنُ حسَّان إلى النَّعمان بن بَشيرٍ وهو بالشأْم ، وكان كبيرًا مَكينًا عند مُعاوية :

لَيتَ شِعْرى أغائبٌ أَنتَ بالشا ... مِ خَليلِى أَمْ راقِدٌ نُعْمانُ
أَيّةً مايَكُنْ(١) فقد يَرجع الغا ... ئبُ يومًا ويُوقَظ الوَسْنان
إنَّ عَمْرًا وعامِراً أَبَوَيْنا ... وحَرامًا قِدْمًا على العَهْد كانوا(٢)
أَفَهُم(٣) مانِعُوك أَمْ قِلَّةُ الكُ ... تّابِ أَم أَنْتَ عاتِبٌ غَضْبان
أَم جَفاءٌ أَم أَعْوزَتكَ القَراطِي ... سُ أم امْرِى [به](٤) عَليكَ هَوَان
يومَ أُنبِئتَ أَنَّ ساقِىَ رُضَّتْ ... وأَتاكم بذلك الرُّكْبـــان
ثُمَّ قالوا إنَّ ابنَ عَمِّك فى بَلْ ... وَى أُمورٍ(٥) أَتَى بها الحَدَثان
فتَئِطُّ(٦) الأَرحامُ والوُدُّ والصُّحْ ... بةُ فيما أَتَى به الأَزْمان(٧)

(١) كذا فى جـ ، ط ، ل ، و . والذى فى سائر الأصول : «أية ما تكن» . والذى فى المختار : «إنه إن يكن» . (٢) عمرو ، وعامر : فرعان من الخزرج ، الى أولهما ينتمى حسان ، والد عبد الرحمن ، وإلى ثانيهما ينتمى النعمان . وحرام : من أجداد عبد الرحمن ، فهو : عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام . (جمهرة أنساب العرب: ٣٤٧ ، ٣٦٤) .
(٣) كذا فى جـ ، ط ، و . والذى فى سائر الأصول : «أنهم» . (٤) التكلة من ط ، و ، والمختار . (٥) كذا فى جـ ، ط ، ل ، و المختار . والذى فى سائر الأصول : «اين عمك يلوى من أمور» . (٦) كذا فى جـ ، ط ، ل ، و . وتئط : ترق وتتحرك . والذى فى سائر الأصول : «وتنبطه» تحريف . والذى فى المختار : «فتلاط» أى: تلحق . (٧) الأصول : «والحدثان» ، وعلى هذه الرواية يكون فى القافية إيطاء ، وهو تكرار الكلمة لفظاً ومعنى . وما أثبتناه من المختار .

إنَّما الرُّمْحُ فاعْلَمَنْ قَناةٌ ... أو كَبَعْضِ العِيدانِ لولا السِّنَانُ

وهى قصيدة طويلة . فدَخل النعمان على معاوية فقال له : يا أميرَ المؤمنين ، إنك أمرتَ سَعيدًا أن يَضْرب ابنَ حسّان وابنَ الحكم مائةً مائةً ، فلم يَفْعَلْ ، ثم ولَّيْتَ مَرْوانَ فضرب ابنَ حسانَ ولم يَضرب أخاه . قال : فتريد ماذا ؟ قال : أن تَكْتُبَ إليه بمثل ما كَتبْتَ إلى سَعيد . فكتب معاوية إلى مَرْوانَ يَعزم عليه أن يَضربَ أخاه مائةً ، وبعثَ إلى ابن حسَّانَ بحُلَّة . فلما قَدِم الكتابُ على مَرْوانَ بعث إلى ابن حسّان : إنِّى مُخْرِجك ، وإنَّما أنا مِثْلُ والدك ، وما كان ما كان مِنِّى إليك إلاَّ على سَبيل التَّأديب لك ، واعتذَر إليه ؛ فقال ابنُ حسان : ما بَدا له فى هذا إلَّا لشىء قدجاءه ، وأبىَ أن يَقْبل منه . فأبلغ الرسولُ ذلك مروانَ ، فوجَّه إليه بالحُلَّة ، فرَمىَ بها فى الحُشِّ[1] ، فقيل له : حُلَّة أميرِ المؤمنين وتَرْمى بها فى الحُشّ ؟ قال : نعم ، وما أَصْنعُ بها ؟ وجاءه قومُه فأخبروه الخَبَرَ ، فقال : قد علمتُ أنَّه لم يَفعل ما فَعل إلا لأمْرٍ قد حَدَث . فقال الرَّسولُ لمروانَ : ما تَصنع بهذا ؟ قد أَبَى أن يَعْفوَ ، فهلُمَّ أخاك . فبعث مَروانُ إلى الأنصار وطلب إليهم أن يَطلبوا إليه أن يَضْربَه خَمسين ، فإنَّه ضعيفٌ ، فَطلبوا إليه ، فأجابهم ، فأخْرجه فضَربَه خَمسين. فلقى ابنَ حسَّانَ بعضُ مَن كان لا يَهْوى ما تَركَ من ذلك ، فقال له : أَضَربَك مائةً ويَضْرِبه خَمسين ! بئسما صَنعتَ إذْ وَهَبْتَها له ! قال : إنَّه عبدٌ ، وإنَّما ضَربه ما يُضرَب العَبدُ نِصْفَ ما يُضرَب الحُرّ . فحُمِل

(١) الحش ، مثلثة : المخرج ، لأنهم كانوا يقضون حوائجهم فى البساتين .

هذا الكلامُ حتّى شاع بالمدينة ، وبلغ ابنَ الحكمَ فشَقَّ عليه ، فأَتى أخاه مروانَ فخَبَّره بالخَبر ، وقال : فَضَحْتَنِى ، لا حاجةَ لى فيما تركتَ[1] ، فهلمّ فاقْتصّ . فضَربَ ابنَ الحكم خمسين أُخْرَى ؛ فقال عبدُ الرحمن يَهْجو ابن الحَكم :

دَعْ ذا وعَدِّ قَريضَ شِعْرِكَ فى امرىءٍ ... يَهْذِى ويُنشِد شِعْرَه كالفاخِرِ[2]
عُثْمانُ عَمُّكُمُ ولَسْتُمْ مِثْلَه ... وبنُو أُميَّةَ مِنكمُ كالآمِرِ
وبنو أبيهِ سَخيفةٌ أحلامُهمْ ... فُحُشُ النُّفوسِ على[3] الجَليسِ الزائِرِ
١٥٣/١٣ أَحْياؤهم عارٌ على أمواتهم ... والمَيِّتون مَسَبَّةٌ للغـــابِرِ[4]
همْ يَنظرونَ إذا مَررتَ عليهمِ[5] ... نَظَرَ التُّيُوس إلى شِفَارِ الجازِرِ
خُزْرَ العُيون مُنكِّسِى أذْقانِهم ... نَظَرَ الذَّليل إلى العَزيزِ القاهِرِ

فقال ابنُ الحكم :

لقد أَبقَى بنُو مَرْوانَ خِزْيًا[6] مُبِينًا ... عارُه لِبَنِى سَوَادِ[7]
أَطاف[8] به صَبيحٌ فى مَشِيد ... ونادى دَعوةً يابْنَىْ سُعاد[9]
لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيًّا ... ولكن لا حياةَ لمن تُنادِى

(١) كذا فى ط ، ل ، و . وفى جـ : « فأتى أخاه مروان ابن حسان فقال له : لا حاجة لنا فيما تركت » . والذى فى سائر الأصول : « فأتى مروان ابن حسان فقال له : لا حاجة لنا فيما تركت » .
(٢) كذا فى ط ، ل ، و ، والمختار ، ورغبة الآمل (٣ : ١٠٨) . والذى فى سائر الأصول : « كالفاجر » . (٣) ب ، جـ ، س : « لدى » . وما أثبتنا من سائر الأصول ، والمختار . وفى رغبة الآمل : « إلى » . (٤) الغابر : الباقى . (٥) كذا فى ل ، و ، ورغبة الآمل . والذى فى سائر الأصول ، والمختار : « مددت إليهم » . (٦) ب ، س : « حزنا » . (٧) بنو سواد : من الخزرج ، من أجداد عبد الرحمن بن حسان . (جمهرة أنساب العرب : ٣٥٨) . (٨) جـ : « يطيف » . (٩) جـ ، ط ، « يابنى سعاد » . والبيت غير واضح .

هجاء أبي واسع للأنصار ورد ابن حسان عليه

قال أبو عُبيدة :

فاعتَنَّ[١] أبو واسع ، أحدُ بنى الأَسْعر[٢] ، من بنى أَسَد بن خُزَيْمة ، لابن حَسّان دون ابن الحكم ، فهَجاه وعَيَّره بضَرْب ابن المُعطَّل[٣] أباه حسّانَ على رَأْسه ، وعَيَّرهم بأَكْل الخُصَى ، فقال :

إنَّ ابْنَ المُعطَّل من سُلَيْم أَذَلَّ قِياد رَأْسِك بالخِطَام
عَمَدْتَ إلى الخُصَى فأَكَلْتَ مِنها لقد أَخطأْتَ فاكِهَةَ الطَّعام
وما للجارِ حينَ يَحُلُّ فيكُمْ لَديْكم يا بَنى النَّجَّار حام
يَظَلُّ الجـارُ مُفْترشًا يَـدَيْه [مخافتكم لدى مَلَثِ الظَّلام[٤]
وينظُر نَظرةً فى مِذرويْه][٥] وأُخْرى فى اسْتِهِ والطَّرْفُ سام

قال : فلما عَمَّ بنى النجَّار بالهجاء ، ولا ذَنْبَ لهم ، دَعَوا الله عَزَّ وجلَّ عليه ، فخرجَ من المدينة يُريد أَهْلَه . فعرَضَ له الأَسَدُ فقَضْقَضه[٦] ؛ فقال ابنُ حسّان فى ذلك :

أَبْلغْ بنى الأَسْعَرِ[٧] إنْ جئتَهم ما بالُ أَبْناء بنى واسِع
واللَّيْثُ يَعْلُوهُ بأَنْيــــابه مُعتفِرًا[٨] فى دَمه الناقع[٩]
إذ تَركوهُ وهو يَدْعوهمُ بالنَّسَب[١٠] الدّانى وبالشّاسع

(١) اعتن : اعترض . (٢) كذا فى جـ ، ط ، ل . والذى فى سائر الأصول ، والمختار : « الأشعر » بالشين المعجمة . (٣) ابن المعطل ، هو : صفوان ، يريد : ما كان من حسان فى حديث الإفك وضرب ابن المعطل له بالسيف . (السيرة : ٣ : ٣١٧) .
(٤) ملث الظلام : اختلاطه . (٥) المذروان : فرعا الأليتين . والتكملة من ط ، و .
(٦) جـ : « فقضقضه » . ط ، ل : « فنضنضه » . و : « فقصفه » . وما أثبتنا من سائر الأصول ، والمختار . وقضقضه : حطمه . (٧) كذا فى جـ ، ل ، و . والذى فى سائر الأصول : « بنى الأشعر » بالشين المعجمة ، والذى فى المختار : « بنى الأشعث » . (٨) كذا فى الأصول . والذى فى المختار : « متعقراً » ، ولعلهما مصحفان عن : « منغمراً » ، أو « مقتمراً » . والانغمار ، والاغتمار ، فى الماء وغيره : الانغماس . (٩) الناقع من الدم : الطرى . (١٠) كذا فى ط ، ل ، و . والذى فى سائر الأصول : « بالسبب » .

لا يَرْفَعِ الرَّحمنُ مَصْروعَكم ولا يُوهِى قُوّةَ الصارع[١]

فقالت له امرأتُه : ما دعا أحدٌ قبلك للأَسدِ بخَيرٍ قطُّ ؛ قال : ولا نَصَر أحدًا [الأَسدُ][٢] كما نَصرَنى .

ما كان بين مسكين الدارمى وعبد الرحمن ابن حسان من تناضل

وقال ابنُ الكَلبىّ :

كان الأَخطلُ ومِسكينٌ الدّارمىُّ صديقَيْن لابن الحَكم ، فاستعان بهما على ابن حسّان ، فهجاه الأَخطلُ ، وقال له مِسْكين : ما كنتُ لأَهجوَ أحدًا أو أُعذِرَ[٣] إليه . فكتب إليه مِسْكينٌ بقصيدته اللاميَّة يَدعوه إلى المُفاخرة والمنافرة ، فقال فى أوّلها :

ألا إنَّ الشّبابَ ثِيَابُ لُبْس وما الأَمْوالُ إلّا كالظِّلالِ

فإن يَبْلَ الشّبابُ فكُلُّ شىءٍ سَمِعْتَ بهِ سِوى الرّحْمن بالِ[٤]

وهى طويلةٌ جدا ، يَفخر فيها بمآثر بنى تَميم .

فأَجابه ابنُ حسّان ، فقال :

أتانى عَنك يا مِسْكينُ قوْلٌ بَذَلْتَ النِّصْفَ فيه غَيْرَ آلِ[٥]

دَعوتَ إلى التّنَاضُل غَيْرَ قَحْمٍ ولا غُمْرٍ يَطِيرُ لدى النِّضَالِ[٦]

وهى أطولُ من قَصيدة مِسْكين ، ثم انقطع التناضُل بينهما .

(١) كذا فى ط ، ل ، و . والذى فى سائر الأصول : « مصفوعكم . . . الصادع » .

(٢) التكملة من ل ، و ، ومختار الأغانى .

(٣) كذا فى أكثر الأصول ، والمختار . والذى فى جـ ، ل ، و : « أعتذر » . وأعذر إلى فلان ، واعتذر : أصبح ذا عذر منه .

(٤) ساق المختار هذين البيتين مع البيتين التاليين وجعل الأبيات الأربعة لعبد الرحمن ابن حسان . (٥) النصف ، بالكسر ، ويثلث : النصفة . وغير آل : غير مقصر .

(٦) القحم : الهرم المسن . والغمر ، بالضم ويفتح : من لا تجربة له . والرواية فى المختار : « ويطيل لدى النضال » .

طلب يزيد إلى الفرزدق أن يهجو الأنصار فدله على الأخطل

٢٥٢ / ١٣

قال دَماذ : فحدّثنى أبو عُبيدة ، قال : حدّثنى أبو حَيَّة النُّميرىّ ، قال : حدّثنى الفَرزدقُ ، قال :

كُنَّا فى ضيافةِ مُعاوية ، ومعنا كَعْبُ بن جُعَيل التَّغلبىّ ، فحدّثنى :

أنّ يزيد بن معاوية قال له : إنّ ابن حسّان فَضحَ عبدَ الرحمن بن الحَكم وغَلبه ، وفَضَحنا ، فاهْجُ الأَنصارَ ؛ قال : فقلتُ له : أرادّى أنت فى الشِّرْك ؟ أأَهْجو قومًا نَصروا رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وآلَه وآوَوْه ؟ ولكنِّى أدلُّك على غُلامٍ منّا نَصرانىٍّ لا يُبالى أن يَهْجُوَهم ، كأنَّ لسانَه لسانُ ثور ؛ قال : من هو ؟ قلتُ : الأَخْطل . فدعاه وأَمَره بهجائهم ؛ فقال : على أن تَمنعَنى ؟ قال : نَعم .

طلب يزيد إلى كعب بن جعيل أن يهجو الأنصار فدله على الأخطل

قال أبو عُبيدة :

إنّ مُعاويةَ دسَّ إلى كَعبٍ وأَمَره بهجائهم ، فدلَّه على الأَخْطل ، فقال الأَخطل قَصيدتَه التى هجا فيها الأَنصارَ ، وقد مَضت ومضى خبرُها وخَبر النُّعمان بن بَشير .

رد النعمان بن بشير على الأخطل وإجابة الأخطل له

وزاد أبو عُبيدة عمَّن رَوينا ذلك عنه :

أنّ النُّعمان بن بَشيرٍ ردَّ على الأَخْطل ، فقال :

أَبْلغ قَبائلَ تَغلبَ ابنةِ وائلٍ … مَنْ بِالفُرات وجانِبِ الثَّرْثارِ[1]

فاللُّؤمُ بين أُنوفِ تَغْلبَ بَيِّنٌ … كالرَّقْم فَوْقَ ذِراعِ كُلِّ حِمار

قال : فخافه الأَخْطلُ أن يَهْجُوَه ، فقال فيه :

عَذَرْتُ بنى الفُرَيعة أنْ هَجَوْنى[2] … فما بالى وبالُ بَنى بَشِيرِ

(١) الثرثار : واد بالجزيرة . (٢) الديوان (ص : ٣١٣) :

* هجوت بنى الفريعة إذ هجونى *

أُفَيْحِجُ(١) من بنى النجّار شَثْنٌ(٢) … شديدُ القُصْرَيَيْن(٣) من السُّحُورِ(٤)

ولم يَزِد على هذين البيتَيْن شيئًا فى ذِكْره .

ما كان من معاوية فى إجارة الأخطل وشعر يزيد

قال أبو عُبيدة فى خبره أيضًا :

إن الأنصار لمّا اسْتَعدَوْا عليه مُعَاويةَ ، قال لهم : لكم لسانُه إلّا أن يكون ابْنِى يَزيدُ قد أجاره ، ودَسَّ إلى يزيدَ مِن وَقْته : إنّى قلتُ للقوم كَيتَ وكَيت ، فأَجِرْه ، فأجاره ، فقال يزيدُ بنُ معاويةَ فى إجارته إيّاه :

دعا الأخْطلُ المَلْهوفُ بالشّر دَعوةً … فأىَّ مُجيبٍ كُنتُ لمّا دَعانيا

ففرّجَ عنه مَشْهدَ القوم مَشْهدى … وألسِنةَ الواشِين عنه لِسانيا

* * *

صوت

كان لى يا سُقَيْرُ(٥) حُبُّكِ حَيْنًا … كاد يَقْضِى علىَّ لمّا التَقَيْنَا

يَعْلمُ اللهُ أنّكم(٦) لو نأَيْتُمْ … أو قَرُبتم أحبُّ شىءٍ إلينا

(١) ج : «أفيح» . ط ، ل : «أصحح» . وفى سائر الأصول : «أفنج» . وما أثبتنا من الديوان . وأفيحج : تصغير أفحج ، وهو الذى تتدانى صدور قدميه وتتباعد عقباه وتنفحج ساقاه . (٢) كذا فى أكثر الأصول . والشثن : الخشن الغليظ . وفى ط : «سير» . وفى الديوان : «يضحى» . (٣) ب ، س : «القصرتين» . وما أثبتنا من سائر الأصول والديوان . والقصريان : ضلعان تليان الترقوتين . (٤) كذا فى أكثر الأصول والديوان . والسحور ، بالفتح : اسم ما يتسحر به من الطعام والشراب . وبالضم : المصدر ، والفعل نفسه ، وأكثر ما روى بالفتح . وقيل : الصواب بالضم ، لأنه بالفتح : الطعام والبركة والأجر والثواب فى الفعل لا فى الطعام . (اللسان : سحر) .

(٥) كذا فى أكثر الأصول والديوان (ص ٢٠٥ طبعة ليدن) . والذى فى ط ، ل : «يا شقير» ، بالشين المعجمة . والذى فى المختار : «يا شقيرة» . (٦) المختار : «أن»

الشِّعر لِعُمر بن أبى ربيعة . والغناء لحَبابة ، جارية يزيدَ بن عبدالملك ، ولَحنها ثانى ثقيل بالوُسطى ، وجَعلت مكان « يَاسقير[١] » : « يايزيد » .

وفى هذا الشِّعر للهُذَلىّ خفيفُ ثقيل أول مُطلق بالوُسطى .

وزَعم عَمرو بن بانة أنه للأَبْجر .

وقال الهشامى : لحن الأَبْجر ثقيلٌ أول بالبنصر .

لَا وفيه للدارمىّ ، وابن فَروخ[١] خَفيف ثقيل ، ولَحن الدارمىّ فيهما مُطلق فى مجرى الوسطى ، عن إسحاق .

---

(١) ط ، ل : « وابن فروج » .

أخبار حبابة

ولاؤها

* كانت حَبابةُ[1] مُولَّدة من مُولَّدات المدينة ، لرجُل من أهلها يُعرف بابن رُمّانة[2] . وقيل : ابن مِينا . وهو خَرَّجها وأدّبها . وقيل : كانت لآل لاحقٍ المكّيِّين .

شيء عنها

وكانت حُلوةً جميلةَ الوَجْه ظَريفةً حَسنةَ الغناء ، طيِّبة الصَّوت ، ضاربةً بالعُود .

من أخذت عنهم الغناء

وأخذت الغِناء عن ابن سُريج ، وابن مُحرِز[4] ، ومالك ، ومَعبد ، وعن جَميلةَ ، وعَزّة المَيْلاء .

اسمها ومولاها

وكانت تُسمَّى : العالية[3] ، فسمّاها يزيدُ ، لما اشتراها : حَبَابة .

١٥٥
١٣

وقيل : إنّها كانت لرجل يُعرف بابن مِينا[5] .

شراء يزيد بن عبد الملك لها

أخبرني أحمدُ بن عُبيد الله بن عَمّار ، قال : حدّثنا عُمر بن شَبّة ، قال : حدّثني إسحاقُ بن إبراهيم الموصليّ ، قال : حدّثني حاتمُ بن قَبيصة ، قال :

وكانت حَبابة لرجل يُدْعى :ابنَ مِينا ، فأُدخِلت على يزيدَ بن عبدِ الملك في إزار له ذَنَبانِ ، وبيدها دُفّ تَرْمي به وتَتلقّاه ، وتَتغنّى :

تجريد الأغانى (١٦٢٥ – ١٦٢٨) مختار الأغانى (٢ : ٥٤٩ – ٥٦٠) نهاية الأرب للنويرى (٥ : ٥٨ – ٧٣) .

(١) حبابة ، بتخفيف الباء الموحدة.(تاريخ ابن الأثير ٤ : ١٩٢) .

(٢) المختار : « بابن دنايه ».ونهاية الأرب : « بابن دبابة » .

(٣) الأصول : « محرز » تصحيف . (انظر :فهرست هذا الكتاب) .

(٤) كذا فى أكثر الأصول ، والمختار ، والطبرى (٥ : ٣٧٥) وابن الأثير (٤ : ١٩).والذى فى جـ ، ونهاية الأرب : « الغالية » ، بالغين المعجمة . (٥) سبق هذا .

ما أحسنَ الجيدَ من مُلَيكة والـ لَبَّاتِ إذْ زانَها تَرائِبُهـــا[١]

يا لَيتنى لَيلةً إذَا هَجع النّـ اسُ ونام الكِلابُ صاحبها

فى لَيْلة لا يُرَى بها أحدٌ يَسْعَى علينا إلّا كَواكِبها

ثم خَرج بها مولاها إلى إفريقية ، فلما كان بعد ماوَلى يزيدُ اشتراها .

رواية أخرى فى شراء يزيد لها

وروى حمّادٌ ، عن أبيه ، عن المدائنىّ ، عن جَرير المَدِينىّ ؛ ورواه الزُّبيرُ بن بكّار : عن إسماعيل بن أبى أُوَيس ، عن أبيه ، قال :

قال لى يزيدُ بن عبد الملك : ما تَقَرُّ عينى بما أُوتيتُ من الخِلافة حتّى أَشْترىَ سَلّامة ،جاريةَ مُصعب بن سُهيل الزُّهرىّ ؛ وحَبابةَ ،جارية [ابن][٢] لاحق المكّية . فأَرْسلَ فاشتُرِيتا له ، فلما اجتمعَتَا عندَه قال : أنا الآن كما قال القائل :

فألْقَتْ عَصاها واسْتقرَّتْ بها النَّوى كما قَرَّ عَيْنًا بالإياب المُسافِرُ[٣]

حالها قبل شراء يزيد لها

قال إسحاقُ : وحدّثنى أيّوب بنُ عَبَايَة[٤] ، قال :

كانت حَبابةُ لآل رُمّانة ، ومنهم ابْتِيعت ليزيدَ .

أخبرنى الحسنُ بن علىّ ، قال : حدّثنا هارونُ بن محمد بن عبدالملك الزيّات ، قال : حدّثنى الزُّبيرُ بن بكّار ، قال : أخبرنى محمدُ بن سَلمة ، عن ابن ماقية[٥] ، عن شيخ من أهل ذى خُشُب[٦] ، قال :

(١) الترائب : موضع القلادة . وقد مر هذا الشعر (انظر : فهرست هذا الكتاب) .

(٢) ساقطة من ب ، جـ ، س . (٣) اختلف فى قائل هذا البيت ، فقيل : هو لمعقر ابن حمار البارقى، وقيل: لعبد ربه السلمى،وقيل: لسليم بن ثمامة الحنفى ، كما قيل إنه لعزيد بن الصمة . (اللسان : عصا ، معجم الشعراء للمرزبانى : ٩ ، المؤتلف والمختلف : ٩٢ ، القالقس : ٦٧٦ ، الحيوان للجاحظ ٧ : ٣٧٠) . (٤) عباية ، بفتح أوله . (تبصير المنتبه : ٩٠٢) .

(٥) فى ط ، ك ، و : ومافنة ، وما أثبتناه من سائر الأصول . ولم نهتد إلى وجه الصواب فيه . (٦) ذو خشب : واد على مسيرة ليلة من المدينة .

خَرَجنا نُريد ذا خُشُب ونحن مُشاةٌ ، فإذا قُبَّةٌ فيها جارية ، وإذا هى تُغنّى :

سَلكُوا بَطْنَ مَحِيص[1] ثم ولَّوْا راجِعِينـــا
أَوْرَثُونِى حِينَ ولَّوْا طُولَ حُزْن وأَنِينا

قال : فسِرْنا [معها[2]] حتى أتينَا ذا خُشُب ، فخرج رجلٌ معها ، فسألناه ، وإذا هى حَبابةُ جاريةُ يَزِيدَ ، فلما صارت إلى يَزِيدَ أخبَرَتْه بِنا ، فكتبَ إلى والى المدينة أن يُعْطِيَ كلَّ واحد منَّا ألفَ دِرهم ، ألف درهم .

روايات أخرى لهذا الخبر

أخبرنى أحمدُ بن عُبيد الله بن عمّار ، قال : حدّثنا عُمر بن شَبَّة ، قال : حدّثنى إسحاقُ ، عن المدائنىّ .

ورَوَى هذا الخبرَ حمادُ بن إسحاق ، عن أبيه ، عن المدائنىّ ، وخبرُه أتمّ :

أنَّ حَبابة كانت تُسمَّى :العالية[3] ، وكانت لِرَجُل من الموالى بالمدينة ، فقَدِم[4] يزِيدُ بن عبد الملك فى خلافة سُليمان ،فتزوّج سَعْدةَ بنت عبد الله ابن عمرو بن عثمان ، على عِشرين ألفَ دينار ، ورُبيحَة بنت محمد ابن علىّ بن عبد الله[5] بن جعفر ، على مثل ذلك ، واشترى العاليةَ[3]

(١) فى جـ ، والمختار : « مخيض » بمعجمتين . وكلاهما جاء ذكره فى معجم البلدان .
(٢) التكملة من ط ، ل ، و ، والمختار .
(٣) انظر الحاشية (رقم ٤ ، ص : ٥٤١٦) .
(٤) المختار : « فقدم المدينة » . (٥) فى و أكثر الأصول : « عبيد الله » تحريف . وما أثبتنا من ط ، ل ، والتجريد ، والمختار ونهاية الأرب (وانظر : المحبر لابن حبيب : ٤٤١ ، أنساب قريش : ٨٢ ، جمهرة أنساب العرب : ٦٨) .

بأربعة آلاف دينار[1] ، فبلغ ذلك سليمانَ ، فقال : لأَحجُرنَّ عليه . فبلغ يزيدَ قولُ سُليمان ، فاستقال[2] مولَى حَبابة ، ثم اشتراها بعد ذلك رَجُلٌ من أهل إفريقية . فلما وَلِيَ يزيدُ اشترتْها سَعْدة امرأتُه . وعَلمتْ أنه لا بدّ طالبُها ومُشتريها ، فلما حَصلت عندها قالت له : هل بَقِى عليك من الدُّنيا شيءٌ لم تَنَلْه ؟ فقال : نعم ، العالية[3] ، فقالت : هذه هي ، وهي لك . فسمَّاها : حَبَابة[4] ، وعَظُم قَدْرُ سَعْدَة عنده .

ويقال : إنها أخذَتْ عليها ، قبل أن تَهَبها له ، أن تُوطِّئ لابنها[5] عنده في وِلاية العَهد ، وتُحضِرها ما تُحبّ[6] [إذا حَضرت][7] .

١٥٦ / ١٣

وقيل : إنَّ أمّ الحجَّاج ، أمّ الوليد بن يزيد[8] ، هي التي ابتاعتْها له ، وأخذتْ عليها ذلك ، فوفَتْ لها بذلك .

هكذا ذكر الزُّبير : فيما أخبرنا به الحسنُ بن عليّ ، عن هارونَ بن محمد ، عنه ، عن عمِّه ، قال :

ومَن زَعم أن سَعْدة اشترتْها فقد أخطأ .

غضب يزيد على خالد أخي سعدة وما كان من حبابة

قال المدائنيّ :

ثم خَطب يزيدُ إلى أخيها خالد بنتَ أخٍ له ، فقال : أما يَكْفيه أنْ

(١) كذا في ط ، ل ، و ، والتجريد ، والمختار ، ونهاية الأرب . والذي في سائر الأصول : «بألف دينار» . (٢) استقاله : طلب إليه أن يقيله ويفسخ البيع . (٣) (انظر الحاشية : ٤ ص : ٥٤١٦) .
(٤) التجريد ، والمختار ، ونهاية الأرب : «قالت : أورأيتها ؟ قال : نعم ، قالت : أفتعرفها ؟ قال : نعم ، فنفضت الستر فرآها فقال : هذه هي ، فقالت : هي لك ، وخرجت عنها ، فسماها حبابة» . (٥) كذا في أكثر الأصول ، والتجريد ، والمختار ، ونهاية الأرب . والذي في جـ ، ط ، ل : «لابنه» . وفي و : «لأبيها» . (٦) و : «بما تحب» .
(٧) التكملة من ل . (٨) التجريد : «وقيل : إن الذي فعل ذلك زوجته أم الحجاج ، وهي أم ولده الوليد» .

سَعدةَ عنده حتّى يَخْطب إلىّ بناتِ أخي ؟ وبلغ يزيدَ فغَضِب ، فقَدِم عليه خالدٌ يَسْترضيه ، فبينا هو فى فُسطاطه إذ أتَتْه جاريةٌ لحَبَابة فى خَدَمِها ، فقالت له : أمُّ داود تَقرأ عليك السلامَ وتَقول لك : قد كَلَّمْتُ أميرَ المؤمنين فَرضِى عنك ؛ فالتفَت فقال : مَن أمّ دَاود ؟ فأخْبره مَن معه أنّها حَبَابة ، وذَكر له قَدْرَها ومكانَها مِن يَزيدَ . فرفع رأسه إلى الجارية فقال : قُولى لها : إنَّ الرِّضَى عنّى بسَبب[1] لَستِ به . فشَكَت ذلك إلى يَزيدَ ، فغَضِب، وأرْسل إلى خالد ، فلم يَعلم بشىء حتى أتاه رسولُ حَبابة به فيمن مَعه من الأعْوان ، فاقْتَلعوا فُسْطاطَه وقَلَعُوا أطْنابَه حتى سقَط عليه وعلى أصحابِه ، فقال : ويلكم ! ما هذا ؟ قالوا : رُسُل حَبَابة ، هذا ما صَنَعْتَ بنفسك ؛ فقال : ما لها أخزاها الله ! ما أشْبه رِضاها بِغَضبها !

شعر الحارث بن خالد فيها بعد أن اشتراها يزيد وغناؤها له فيه

قال إسحاق : وحدّثنى محمدُ بن سلاّم ، عن يونُس بن حَبيب : أنّ يزيدَ بن عبد الملك اشترى حَبابَة ، وكان اسمها العالية[2] ، بأربعة آلاف دينار[3] ، فلما خَرج بها ، قال الحارثُ بن خالد فيها :

ظَعَن الأميرُ بأحْسَن الخَلْقِ وغَدَوْا بلُبِّك مَطْلعَ الشَّرْقِ[4]
مَرّت على قَرَن[5] يُقاد بها تَعْدُو أمامَ بَراذن[6] زُرْق

(١) المختار : «سبب» . (٢) انظر الحاشية (رقم : ٤ ص : ٥٤١٦) .
(٣) انظر الحاشية (رقم : ٩ ص : ٥٤١٩) . (٤) مر هذا الشعر فيما سبق من هذا الكتاب مع اختلاف فى كلماته وفى المقول فيها . (ص : ١١٦٥ ، ٢٢٨٤ ، ٢٩٧٧). وانظر : المردفات من قريش لمدائنى (ص : ٦٥) ، ففيه أنها لابن الرقيات يقولها فى عائشة بنت طلحة . (وانظر : ديوان ابن الرقيات : ١٠١ ، ومعجم البلدان : قرن) . وسيعرض المؤلف لشىء من هذا بعد قليل . (٥) قرن ، بالتحريك : جبل .
(٦) معجم البلدان : «براذق» . والبرازق : جماعات الخيل . ورواية هذا البيت فيه :

مرت على قرن يقاد بها جمل أمام براذق زرق

فَظَلِلْتُ كالمَقْمور مُهْجتُه[1] هذا الجُنونُ وليس بالعِشْق
يا ظَبيةً[2] عَبِقَ العَبيرُ بها عَبَقَ الدِّهان بجانب الحُقِّ

وغَنَّته حبابةُ في الشِّعر، وبلغ يزيدَ، فسألها عنه فأَخْبرتْه؛ فقال لها: غَنِّيني به؛ فغنَّته. فأَجادت وأَطْرَبتْه.

فقال إسحاقُ: ولعمري إنه مِن جيِّد غنائها.

المؤلف في المقول فيها هذا الشعر

قال أبو الفرج الأصبهاني:

هذا غلط ممّن رواه في أبيات الحارث بن خالد؛ لأنَّه قالها في عائشةَ بنت طلحة، لمَّا تَزوَّجها مُصْعب بن الزُّبير وخرج بها، وفي أبياته يقول:

في البَيت ذي الحَسب الرَّفيع ومِن أَهْل التُّقَى والبِرِّ والصِّـــدْق

وقد شُرح ذلك في أَخبار عائشة بنت طلحة[3].

الحارث و الشعراء فيها حين أراد يزيد الخروج بها

قال إسحاقُ: وأخبرني الزُّبيريّ:

أنَّ يزيد اشتَراها وهو أمير، فلما أَراد الخُروج بها قال الحارثُ ابن خالد فيها:

قد مُلَّ جِسْمي وقد أُودَى به سَقَمٌ من أَجل حَيٍّ جلَوْا[4] عن بَلْدةِ الحَرَم
يَحِنُّ قَلْبي إليها حين أَذْكُرها وما تَذكَّرتَ شَوقًا آب من أَمَمِ[5]
إلَّا حَنِينًا إليها إنها رشأٌ كالشَّمس رُودٌ ثقالٌ سَهْلة الشِّيَم[6]

---

(١) المردفات: «خلفه». والخلفة، بالضم والكسر: خيار المال.
(٢) المختار (٢ : ٣٩): «أترجة».
(٣) انظر: فهرست هذا الكتاب. (٤) كذا في ط، ف. والذي في سائر الأصول: «حلوا». (٥) من أمم: من قرب. (٦) الرود، بالضم والهمز، وسهل: الشابة الحسنة. والثقال، كسحاب: الثقيلة الكفل.

فَضَّلها اللهُ ربُّ الناسِ إذ خُلِقت ... على النِّساء من اهل العزم والكَرَم

وقال فيها الشُّعراءُ فأكثروا ، وغَنَّى فى أشعارهم المُغنُّون من أهل مكَّة والمدينة ، وبلغ ذلك يزيدَ فاسْتَشْنعه ، فقال : هذا قَبْلَ رِحلتِنا وقد هَمَمْنا ، فكيف لو ارتحلنا ، وتذكَّر القومُ شِدَّةَ الفِراق !

157/13 وبلغه أيضًا أنْ سليمانَ قد تكلَّم فى ذلك ، فردَّها ، ولم تَزَلْ فى قلبه حتَّى مَلَك ، فاشترتْها سَعْدةُ امرأتُه العُثمانيَّة ، ووَهبتْها له .

أول ما ارتفعت به منزلتها عند يزيد

أخبرنى ابنُ عمَّار ، قال : حدَّثنا عُمرُ بن شَبَّة ، قال : حدَّثنى إسحاقُ ، قال : حدَّثنى أبو ذُفافة المِنْهال بن عبد الملك ، عن مروان ابن بِشْر بن أبى سارةَ ، مولى الوليد بن يَزيد ، قال :

أَوّل (1) ما ارتفعت [به](2) منزلةُ حَبابة عند يزيد [أنَّه] أقبل(2) يومًا إلى البيت الذى هى فيه ، فقام من وراء السِّتر ، فسمعها تترنَّم وتُغنِّى وتقول :

كان لى يا يزيدُ حبُّكَ حَيْنَا ... كاد يَقْضى علىَّ لمّا التقَيْنا

والشِّعر كان « يا شُقير(3) » ، فرفع السِّتر فوجدَها مُضطجعةً مُقْبلة على الجِدار ، فعلَم أنها لم تَعلَمْ(4) به ولم يكُن ذاكَ لمكانه ، فألقَى نَفسَه عليها ، وحرَّكت منه(5) .

(1) كذا فى ط ، ل ، و . والذى فى سائر الأصول : « لما » . وفى المختار : « وكان أول » . (2) التكملة من جـ ، ط ، ل ، و ، والمختار . (3) كذا فى ط ، ل ، و . والذى فى سائر الأصول : « يا سقير » بالسين المهملة . والذى فى المختار : « يا شهير » . وانظر الحاشية (رقم 5 ص : ٥٤١٤) . (4) المختار : « ولم تعلم بمكانه » . (5) المختار : « وحركت رجله » .

سعى حبابة لدى يزيد فى تولية ابن هبيرة العراق

قال المدائنىّ :

غلبت حَبابةُ على يَزيدَ ، وتَبَنّى بها عُمَر بنَ هُبيرة فعلتْ منزلتُه ، حتى كان يَدخلُ على يزيدَ فى أىّ وقت شاء ، وحسَد ناسٌ من بنى أُميّة مَسْلمةَ بن عبد الملك على ولايته ، وقدَحوا فيه عند يزيدَ ، وقالوا : إنّ مَسلمة إنْ اقتطع الخراجَ لم يَحْسُن يا أميرَ المؤمنين أن تفتِشه أو تَكشفه(١) عن شىء ، لِسِنّه وحقّه(٢) ، وقد علمتَ أنّ أمير المؤمنين لم يُدْخِل أحدًا من أهل بيته فى الخَراج. فوقَر(٣) ذلك فى قَلْب يَزيد ، وعَزم على عَزْله ؛ وعَمل ابنُ هُبيرة فى ولاية العِراق من قِبَل حَبابة ، فعَمِلتْ له فى ذلك .

وكان بين ابن هُبيرة وبين القَعقاع بن خُلَيد(٤) عَداوةٌ ، وكانا يَتنازعان ويتَحاسدان ، فقِيل للقَعقاع : لقد نَزل ابنُ هُبيرة من أمير المؤمنين منزلةً ، إنّه لصاحِبُ العراقِ غدًا ؛ فقال : ومن يُطيق ابنَ هُبيرة ، حَبابة بالليل ، وهَداياه بالنهار ، مع أنّه وإن بَلَغ فإنّه رَجلٌ من بنى سُكين(٥) . فلم تزل حَبابةُ تعمل له حتى وَلِيها .

هى ويزيد وقد أراد أن يتشبه بعمر بن عبد العزيز

حدّثنا أحمدُ بن عبد العزيز الجوهرىّ ، قال : حدّثنا عمرُ بن شَبّة : قال : سمعتُ إسحاقَ بن إبراهيم يُحدّث بهذا الحديث ، فحفِظتُه ولم

(١) كذا فى ل ، و . والفتش والتفتيش ، بمعنى ، وهو الطلب فى بحث . وفى ب ، س : « أن يعيشه وأن يستكشف » . والذى فى سائر الأصول : « أن يعيشه وأن يكسبه » ، وكلاهما تحريف . (٢) كذا فى ل ، و . والذى فى سائر الأصول : « وخفته » . (٣) وقر : رسخ وثبت . (٤) الأصول : « خالد » . وما أثبتنا من التنبيه والإشراف للمسعودى (ص : ٢٧٤) وجمهرة أنساب العرب (ص : ٥١) ومعجم البلدان (فى رسم : الحيار) والوزراء والكتاب للجهشيارى (ص : ٤٧) .

(٥) سكين ، بضم ففتح ، من أجداد يزيد ، فهو : يزيد بن عمر بن هبيرة بن معية بن سكين بن خديج بن بغيض بن مالك بن سعد بن عدى بن فزارة . (جمهرة أنساب العرب : ٢٥٥ ، وفيات الأعيان لابن خلكان ٣ : ٢٨٧) .

أحفظ إسنادَه ؛ وحدّثنا محمدُ بن خَلفِ وكيع ، قال : حدّثنى أحمدُ ابن زُهير ، قال : حدّثنا مُصعبُ الزُّبيرىّ ، عن مُصعب بن عثمان ؛ وقد جمعت روايتهما ، قالا :

أراد يزيدُ بن عبد الملك أن يتشبَّه بعمر بن عبدالعزيز وقال : بماذا صار عُمَرُ أرْجَى لربّه ، جلّ وعزّ ، مِنّى؟ فشَقّ ذلك على حَبَابة ، فأرسلت إلى الأحوص .

هكذا فى رواية وَكيع ؛ وأمّا عُمر بن شَبّة فإنه ذَكر :

أنَّ مَسلمةَ أَقبلَ على يَزيدَ يَلومُه فى الإلحاح على الغناء والشُّرْب ، وقال له : إنك وَلِيت بعَقب عُمرَ بن عبدالعزيز وعَدْلِه ، وقد تشاغَلْتَ بهذه الأمّة[1] عن النَّظر فى الأُمور ، والوُفودُ ببابك ، وأصحابُ الظُّلامات[2] يَصيحون ، وأنت غافلٌ عنهم ؛ فقال : صَدقتَ والله ، وأَعْتَبَه[3] وهمَّ بتَرْك الشُّرب ، ولم يَدخل على حَبابة أيامًا . فدسَّت حَبابةُ إلى الأَحْوص أن يقول أبياتًا فى ذلك ، وقالت له : إنْ رَددتَه عن رَأيه فلك ألفُ دينار . فدخل الأحوص إلى يزيدَ ، فاستأذنَ فى الإنشاد ، فأَذِن له .

قال إسحاق فى خَبره : فقال الأحوصُ :

(١) المختار ونهاية الأرب : «الإمام» . وزاد المختار : «وتركت الطهور وشهود الجمعة» . (٢) المختار : «وأصحاب الحوائج والظلامات» .

(٣) أعتبه : أعطاه العتبى ؛ أى : الرضى .

صوت

أَلَا لَا تلُمْه اليَوْمَ أَنْ يَتَبلَّدَا فقد غُلِب المَحزونُ أن يَتجلَّدا[1]
بَكيتُ الصِّباجَهْدِى[2] فمَن شاءَلامَنى ومَن شاءَ آسَى[3] فى البُكاء وأَسْعَدا[4]
وإنّى وإنْ فُنِّدتُ فى طَلَب الغِنَى[5] لَأَعْلمُ أنّى لستُ فى الحُبِّ أَوْحَدا ١٥٨/١٣
إذا أنتَ لم تَعْشِق ولم تَدْرِ ما الهَوى فكُن حَجَرًا من يابس الصَّخْر جَلْمَدا
فما العَيْشُ إلّا ما تلَذُّ وتَشْتهِى وإنْ لامَ فيه ذو الشَّنَان وفَنَّدا[6]

الغناءُ لمَعْبد ، خفيف ثقيل أوّل بالبنصر . وفيه رَمل للغَريض ؛ ويُقال : إنّه لحَبابة .

قال : ومَكث جُمعةً لا يرى حَبابةَ ولا يَدْعو بها ، فلما كان يومُ الجُمعة قالت لبعض جوارِيها : إذا خَرج أميرُ المؤمنين إلى الصلاة فَأَعْلِمِينى . فلما أراد الخُروجَ أَعلمَتْها ، فتلقَّته والعودُ فى يَدها ، فغنَّت البيتَ الأوّل ، فَغطَّى وجهه وقال : مَهْ ، لا تَفعلى ؛ ثم غَنَّت :

* وما العيشُ إلا ما تلَذُّ وتَشتهى *

فعَدل إليها وقال : صَدقْتِ والله ، فقَبَّح الله مَن لامَنى فيكِ ، ياغلامُ ،

---

(١) يتبلد : يتردد متحيرا ، نقيض «تجلد» . وقد جاء البيت فى لسان العرب «بلد» غير منسوب . (٢) الشعر والشعراء (ص : ٥١٩) . «جهداً» . (٣) الشعر والشعراء : «واسى» . قال الفيروزابادى : «وهى لغة ردية» . (٤) أسعد : شارك فى البكاء وعاون .
(٥) فنده تفنيدا : خطأ رأيه . والرواية فيما سيأتى بعد قليل ، وفى المختار :
* وإنى وإن أغرقت فى طلب الصبا *
والرواية فى الشعر والشعراء
* وإنى وإن عيرت فى طلب الصبا *
(٦) الشنان ، كسحاب : لغة فى الشنآن ، بمعنى البغض . والبيت فى لسان العرب «شنأ» .

مُرْ مَسْلمةَ أن يُصلِّىَ بالناس . وأقام معها يَشربُ وتُغنّيه ، وعاد إلى حاله(١) .

جائزة يزيد للأحوص على مدحه إياه

وقال عُمرُ بن شَبّة فى حديثه :

فقال يزيدُ : صَدقتِ والله ، فعَلَى مَسْلمةَ لعنةُ الله ؛ وعاودَ ما كان فيه ، ثم قال لها : مَن يقول هذا الشِّعر ؟ قالت : الأَحْوص ، فأَحضره ؛ ثم أنشده قصيدةً مدحه فيها ، وأوّلها قولُه :

يا مُوقِدَ النار بالعَلْياء من إضَمِ ... أَوْقِدْ فقدهِجْتَ شَوْقًا غيرَمُنْصرِمِ(٢)

وهى طويلة . فقال له يزيدُ : ارفَع حوائجَك ؛ فكتب إليه فى نحو من أربعين ألفَ درهم من دَينٍ وغيره ، فأَمَر له بها .

رجوع يزيد إلى لهوه مع حبابة بشعر الأحوص وحديث ذلك

وقال مُصعبٌ فى خَبره :

بل استأْذن الأَحوصُ على يزيدَ ، فأُذن له ، فاستأْذن فى الإنشاد ، فقال : ليس هذا وَقْتَك ؛ فلم يَزل به حتى أَذِن له ، فأَنشده هذه الأَبياتَ ، فلما سَمعها وثَبَ حتّى دَخل على حَبابة وهو يَتمثّل :

وما العيشُ إلّا ما تلَذُّ وتَشْتهِى ... وإنْ لامَ فيه ذو الشَّنَانِ وفَنَّدَا

فقالت له : ما رَدَّكَ يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أبياتٌ أنشدَنيها الأَحْوصُ ، فسَلِى ما شِئتِ ؛ قالت : ألف دينار تُعطيها الأَحوص . فأَعطاه ألفَ دينار .

* * *

(١) كذا فى ط ، ل ، و ، والتجريد . وفى سائر الأصول : «إلى حبابة» . (٢) إضم ، بكسر ففتح : واد بجبال تهامة ، وهو الوادى الذى فيه المدينة . وذكر ياقوت إلى هذا أقوالا أخرى لا تبعد كثيرا . (معجم البلدان) .

نسبة ما فى هذا الخبر من الغناء

صوت

يا مُوقِدَ النّار بالعَلْياء من إضَم ... أَوْقِدْ فقدْ هِجْتَ شَوقًا غيرَ مُنصرِم

يا مُوقِدَ النّار أَوْقِدها فإنّ لها[(1)] ... سَنًا يَهِيجُ فُؤادَ العاشقِ السَّدِمِ[(2)]

الشِّعر للأَحْوص. والغناءُ لمعبد، خفيف ثقيل أوّل بالوُسطى، عن يونس، وإسحاق، وعمرو. وذَكَرَ حَبَشٌ أنّ فيه خفيفَ ثقيل آخرَ لابن جامع.

يزيد ومولاه الخراسانى فى شأن حبابة

أخبرنى أحمدُ بن عبد العزيز، قال: حدّثنا عُمَر بن شَبَّة، قال: حدّثنى علىُّ بن القاسم بن بَشير، قال:

لما غلبَ يزيدُ بن عبد الملك أهْلَه، وأَبَى أن يَسمعَ منهم، كلّموا مولًى له خُراسانيًّا ذا قَدْر عندهم[(3)]، وكانت فيه لُكْنة، فأَقبل على يزيدَ يَعِظه ويَنْهاه عمّا قد أَلحّ عليه من السَّماع للغناء والشّراب؛ فقال له يزيدُ: فإنّى أُحْضِرك هذا الأَمْرَ الذى تَنْهى عنه، فإنْ نَهيتَنى عنه بعد ما تَبْلُوه وتَحْضُره انتهيتُ، وإنّى مُخْبِرٌ جوارِىَ أنّك عَمٌّ من عُمومتى، فإيّاك أن تتكلّم فيَعْلَمْنَ أنّى كاذبٌ، وأنّك لست بعَمّى؛ ثم أدْخله عليهنّ، فغنَّيْن، والشيخُ يَسمع ولا يَقول شيئًا، حتّى غَنَّيْن:

١٥٩ / ٣١

وقد كنتُ آتيكم بعِلّةِ غيرِكم ... فأَفْنَيتُ عِلّاتى فكيف أقولُ

---

(1) كذا فى ط، ء، ل، ء والمختار. والسنا: الضوء. والذى فى سائر الأصول: «شبا» تصحيف.

(2) السدم: المهموم مع ندم وغيظ.

(3) المختار: «ذا قدر عظيم وبلاء عندهم».

فطَرِب الشيخُ وقال : لا ، كَيف ! جَعلنى الله فِداكنّ ! يريد :لا ، كَيف ! جعلنى الله فِداكنّ ! فعَلِمْن أنه ليس عَمَّه ، وقُمْن إليه بعيدانهنّ لِيَضْرِبْنه بها ، حتّى حَجزهنّ يَزيدُ عنه ، ثم قال له بعدما انقضى أمْرُهنّ : ما تقول الآنَ ، أدَعُ هذا أم لا ؟ قال : لا تَدَعْه .

هي ويزيد وقد أراد أن يقيم معها أياما

أخبرنى إسماعيلُ بن يونس ، قال : حدّثنا عمرُ بن شَبَّة ، قال : حدّثنى خالدُ بن يزيد بن بَحر الخُزاعىّ الأَسْلَمىّ ، عن محمد بن سَلَمة ، عن أبيه ، عن حمّاد الرّاويةِ ، قال :

كانت حَبابةُ فائقةً فى الجمالِ والحُسْن ، وكان يزيدُ لها عاشقًا ، فقال لها يوما : قد استخلفتُك على ما وردَ علىّ ، ونَصَبْتُ لذلك مولاىَ فلانًا ، فاسْتَخلِفيهِ لأُقيمَ معكِ أيّامًا وأَسْتمتعَ بك ؛ قالت : فإنّى قد عَزَلْتُه ؛ فغضب عليها وقال : قد استعملتُه وتَعْزِلينه ! وخَرجَ من عندها مُغْضَبًا . فلمّا ارتفع النّهارُ وطال عليه هَجْرُها دَعا خَصِيًّا له ، وقال : انطلقْ فانظُرْ أىَّ شىء تَصنع حَبابة ؟ فانطلق الخادمُ ثم أتاه ، فقال: رأيتها [مُؤْتزرة] [١] بإزار خَلُوقىّ [٢] ، قد جعلَتْ له ذَنَبَيْن ، وهى تَلْعبُ بلُعَبِها ؛ فقال: ويحكَ ! احتلْ لها حتّى تَمرّ بها علىّ . فانطلق الخادمُ إليها فلاعبَها ساعةً ، ثم استلبَ لُعْبةً من لُعَبِها وخرجَ ، فجعلت تُحْضِر فى إثْرِه [٣] ، فمرّتْ بيزيدَ ، فوثب وهو يقول : قد عَزلْتُه ؛ وهى تقول : قد استعملتُه ، فعَزل مولاه وولّاه وهو لا يدرِى . فمَكث معها خاليًا أيامًا حتّى دَخل عليه أخُوه مَسْلمة

---

(١) التكملة من ط ، ل ، و . (٢) خلوق : بين الحمرة والصفرة ، نسبة إلى الخلوق ، وهو ضرب من الطيب يغلب عليه هذان اللونان . (٣) فى إثره ، بالكسر ، ؛ وفى أثره ، بفتحتين ؛ أى : بعده .

فلامَه ، وقال : ضَيَّعتَ حوائجَ الناس واحْتجبتَ عنهم ، أتُرَى هذا مُسْتقيمًا لك ؟ وهى تَسْمعُ مَقالَته ، فغنَّت لما خَرج :

* ألا لا تَلُمْهُ اليومَ أن يَتبلَّدَا *

فذكرت الأَبيات . فطَرِبَ وقال : قاتَلَكِ اللهُ ! أَبيتِ إلا أن تَرُدِّينى إليكِ ، وعاد إلى ما كان عليه .

احتالت على يزيد هى وسلامة بشعر للأحوص غتنافيه فلم يسمع لمسلمة

أخبرنى إسماعيلُ ، قال : حدّثنى عمِّى ، قال : حدّثنى إسحاقُ ، قال: حدّثنى الهَيثمُ بن عدىّ ، عن صالح بن حسَّان ، قال :

قال مَسلمةُ ليزيدَ : تركتَ الظُّهور[1] وشُهودَ الجُمعة الجامعة ، وقَعدتَ فى مَنزلك مع هذهِ الإماء . وبلغ ذلك حَبابةَ وسلَّامةَ فقالتَا للأَحْوص : قُلْ فى ذلك شِعْرًا ، فقال :

وما العَيشُ إلا ما تَلذُّ وتَشْتَهِى ... وإنْ لامَ فيه ذو الشَّنانِ وفَنَّدَا
بكَيتُ الصِّبا جَهْدِى فمن شاء لامَنِى ... ومن شاء آسَى فى البُكاء وأَسْعدا
وإنِّى وإن أَغرقتُ فى طَلَب الصِّبا ... لأَعْلمُ أَنِّى لستُ فى الحُبِّ أَوْحَدا
إذا كُنتَ عِزْهاةً عن اللَّهْو والصِّبا[2] ... فكنْ حَجَرًا من يابسِ الصَّخْرِ جَلْمدا

قال : فغنَّتا يزيدَ فيه ، فلما فَرغتا ضَرب بَخيْزُرانته الأَرضَ وقال : صَدقتُما ! صدقتُما ! فعَلَى مَسْلمةَ لعنةُ اللهِ ، وعلى ما جاء به .

طرب يزيد وطلبه المزيد

قال : وطَرِب يزيدُ ، فقال : هاتيا ؛ فغنَّتاه من هذه القصيدة :

(١) كذا فى ط ، ل ، و ، والمختار . والذى فى سائر الأصول : « الطهور » بالطاء المهملة .

(٢) العزهاة : العازف عن اللهو والنساء . والبيت فى لسان العرب « عزه » غير منسوب . وقد مر هذا الصدر (ص : ٥٤٢٥) برواية أخرى.

وعَهْدِى بها صَفراءَ رُودا(١) كأنّما نَضَا عَرَقٌ منها على اللَّون مُجْسَدَا(٢)
مُهَفهفةَ الأَعْلى وأَسْفلُ خَلْقِها جَرَى لَحْمُه ما دونَ أَن يَتَخدّدا
مِن المُدْمَجاتِ اللَّحْمِ جَدْلاً كأنَّها عِنَانُ صَنَاعٍ مُدْمَجَ الفَتْلِ مُحْصَدا(٣)
كأنَّ ذَكِىَّ المِسْك بادٍ وقد بَدَتْ وريحَ خُزَامَى طَلَّه(٤) يَنْفح النَّدَى(٥)

فطَرِب يزيدُ، وأَخذ(٦) من الشَّراب قَدْرَه الذى كان يَطْرب منه
١٦٠/١٣ ويَسُرّه، ولم تَرَهْ أَظْهر شيئًا ممّا كان يَفعله عند طَربه، فغنَّته :

ألا لا تَلُمْه اليومَ أَنْ يَتبلَّدا فقد غُلِب المَحزونُ أن يَتجلَّدا
نَظرتُ رَجاءً بالمُوقَّر(٧) أَنْ أَرَى أَكارِيسَ(٨) يَحْتَلُّون خاخًا فمُنْشِدا(٩)
فأَوْفيتُ(١٠) فى نَشْزٍ من الأَرْض يافعٍ(١١)
وقد تَشْعَفُ(١٢) الأَيْفاعُ مَن كان مُقْصَدا(١٣)

فلما غَنَّته بهذا طَرِب طَرَبَه الذى تَعْهده، وجَعل يَدُور ويَصيح : الدُّخْن بالنَّوى، والسَّمَك فى بَيطار جنان(١٤)، وشَقَّ حُلَّته وقال لها :

---

(١) كذا فى و. والرود . بالهمز وسهل: الشابة الحسنة. والذى فى سائر الأصول ،والمختار : «صفراء رود»، بالرفع ، والوجه النصب. (٢) نضا الخضاب، ونحوه، نضوا : ذهب لونه. والمجسد : المصبوغ بالجسد، وهو الزعفران . (٣) العنان : الحبل . والمحصد : الشديد الفتل . (٤) ط، و : «طلة». ج : «ظلة». والذى فى سائر الأصول : «ظله». وما أثبتنا من مختار الأغانى . يعنى : رذاذه . (٥) ج، ط، و : «تنفح». وما أثبتنا سائر الأصول ، والمختار . (٦) ب، س : «وأخذ فيه من». (٧) الموقر : موضع بالشام . (٨) كذا فى ج، ط، و . والأكاريس : الجماعات . والذى فى سائر الأصول : «أكاديس»، تحريف. (٩) خاخ : موضع بين الحرمين . ومنشد : موضع بين رضوى والساحل .

(١٠) الأمالى (التنبيه : ٢٨) ، والشعر والشعراء : «وأشرفت» .

(١١) النشز : المكان المرتفع . واليافع من الأمكنة : الذى علا فلم يطق .

(١٢) كذا فى الشعر والشعراء والأمالى ، والسمط (ص : ١٤٣) . وتشعف ؛ أى : يغشى حبها . والذى فى ط، و : «يسعف» . والذى فى سائر الأصول : «ينفع» .

(١٣) المقصد : المرمى بسهم الحب . (١٤) كذا فى الأصول . والرواية فى المختار : «السمك طرى أربعة أرطال عند بيطار جنان» . وستأتى العبارة (ص: ٥٤٣٤) على وجه آخر.

أتـأذنين أن أطير ؟ قالت : وإلى مَن تَدَع الناسَ ؟ قال : إليك .

قال : وغَنّته سَلّامةُ من هذه القصيدة :

فقُلتُ ألا ياليتَ أسماءَ أصْقَبت[1] وهَلْ قَولُ «ليت» جامعٌ ما تَبدّدَا
وإنّى لأَهْوَاها وأَهْوَى لِقاءَها كما يَشْتَهى الصادى الشّرابَ المُبرَّدا
علاقةَ حُبٍّ لَجَّ فى سَنَن الصِّبا فأَبْلَى وما يَزْداد إلّا تَجَدُّدا
سُهُوبٌ وأَعْلامٌ تَخال سَرابَها إذا استَنّ فى القَيْظ المُلاءَ المُعَمَّدا[2]

قال : وغنَّته حَبابةُ منها أيضا :

كريمُ قُرَيشٍ حِين يُنْسَبُ والذِى أَقَرّت له بالمُلْكِ كَهْلاً وأَمْرَدَا
وليس عَطَاءٌ كان منه[3] بمانع وإنْ جلّ من[4] أضعاف أضعافه غدا
أهانَ تِلادَ المال فى الحَمْد إنّه إمامُ هُدًى يَجرِى على ما تَعوّدا
تَرَدَّى بمَجْد من أَبِيه وجَدِّه[5] وقد أُورِثا[6] بُنْيانَ مَجْد مُشَيَّدا

فقال لها يزيدُ : ويحكِ يا حَبابة ، ومَنْ مِن قُرَيش هذا ؟ قالت : أنت يا أمير المؤمنين ؛ قال : ومَن يقول هذا الشِّعر ؟ قالت : الأَحوص.

وقالت سَلّامةُ : فَلْيسمع أميرُ المؤمنين باقى ثَنائه عليه فيها ، ثم اندفعتْ فغنّته :

ولو كان بَذْلُ الجُودِ والمالِ مُخلِدًا مِن النّاس إنسانًا لكُنتَ المُخَلَّدا
فأُقْسِمُ لا أَنْفَكَ ما عِشتُ شاكرًا لِنُعْماكَ ما طارَ الحَمامُ وغَرَّدا

(١) كذا فى ط ، ل ، والأمالى ، والشعر والشعراء . وأصقبت : دنت . والذى فى سائر الأصول : «أصفيت» . والذى فى المختار : «أنصفت» . (٢) استن السراب : اضطرب . والمعمد من الملاء : الموشى على شكل أعمدة الأخبية . (٣) كذا فى أكثر الأصول، والمختار . وفى ب ، س : «ليس عطاء منه الآن» . (٤) التجريد : «وإن جل عن» . والمختار : «وإن جل من» . (٥) كذا فى أكثر الأصول ، والتجريد ، والمختار . والذى فى ب ، ج ، س: «وأمه» . (٦) المختار : «وقد أوثقا» .

تحكيم يزيد لمعبد في صوت اختلفت فيه حبابة وسلامة

أخبرنى إسماعيلُ ، قال : حدّثنا عُمر بن شَبّة ، قال : قال علىٌّ بن الجَعْد : حدّثنى أبو يَعقوب الخُرَيمىّ ، عن أَبى بكر بن عَيَّاش :

أنّ حَبابة وسَلّامة اختلفتا فى صَوت مَعبد :

أَلَا حَىِّ الدِّيار بَسعْد[1] إنِّى ... أُحِبُّ لِحُبِّ فاطمةَ الدِّيارَا[2]

فبعثَ يزيدُ إلى مَعبد ، فأُتى به ، فسأَل : لِمَ بُعث إليه ؟ فأُخبِر ، فقال : لأَيَّتِهما المَنزلةُ عند أَمير المؤمنين ؟ فقيل : لِحَبابة . فلما عَرَضَتا عليه الصوتَ قَضى لِحبابة ؛ فقالت سَلّامةُ : واللهِ ما قَضَى إلا للمَنْزلة ، وإنّه ليعلم أنَّ الصوابَ ما غَنَّيتُ ، ولكنْ ائْذن لى يا أمير المؤمنين فى صِلَته لأَنَّ له علىَّ حقًّا ؟ قال : قد أَذِنْتُ ، فكان ما وصلَتْه به أكثر من حبابة .

***

نسبة هذا الصوت

أَلا حَىِّ الدِّيارَ بسَعْدَ إنِّى ... أُحِبُّ لحُبِّ فاطمةَ الدِّيارَا

إذا ما حَلَّ أَهْلُكِ يا سُلَيمى ... بدَارةِ صُلْصُلٍ[3] شَحَطوا مَزارا[4]

الشِّعر لِجرير . والغناء لابن مُحرِز[5] ، خفيف ثقيل أَوّل بالسبَّابة فى مجرى البنصر .

---

(١) سعد، ضبطه ياقوت فى كتابه معجم البلدان بالعبارة : « بضم أوله وسكون ثانيه » ، وقال : « ماء وقرية ونخل من جانب اليمامة » ، ثم ساق هذا الشعر . ثم ذكر ياقوت مكاناً آخر بهذا الاسم ولكنه ضبطه بالفتح ، وقال : « قريب من المدينة » . وإذا عرفنا أن « صلصل » : الذى فى البيت الثانى مكان بنجد ، كدنا نرجح أن المراد « سعد » الثانى لا الأول. (٢) ديوان جرير (ص : ٢٨٠) .

(٣) وكذا فى الديون . ويروى : « بدارة جلجل » ، وهى الأخرى بنجد . (٤) وكذا فى معجم البلدان . والرواية فى الديوان : « المزارا » . (٥) الأصول « محرز » ، تصحيف . (انظر : فهرست هذا الكتاب) .

بين الفرزدق والأحوص فى شعر لجرير غنتهما به قينة

أخبرنى أحمدُ بن عبد العزيز الجوهرىّ ، قال : حدّثنا عُمر بن شَبّة ، قال :

نَزل الفرزدقُ على الأَحْوص ، حين قَدِم المدينةَ ، فقال له الأَحوصُ : ما تَشتهى ؟ قال : شِواءٌ وطِلاءٌ وغِناءٌ ؛ قال : ذلكَ لك ، ومَضى به إلى قَيْنَة بالمدينة فغَنَّتْه :

أَلا حَىِّ الدِّيارَ بسَعْدَ إنِّى أُحِبُّ لحُبِّ فاطمةَ الدِّيارَا
أَرادَ الظاعنون لِيَحْزُنونى فهاجُوا صَدْعَ قَلْبى فاسْتَطارا

فقال الفرزدقُ : ما أَرقَّ أَشعارَكم يأَهْلَ الحجاز وأَمْلحَها ! قال : أَو ما تَدرى لمن هذا الشِّعر ؟ فقال : لا والله ؛ قال : هو لجرير ، يَهجوك به ؛ فقال : وَيْل ابنِ المراغة ! ما كان أَحوجَه مع عَفافِهِ إلى صَلابةِ شِعْرى ، وأَحوجَنى مع شَهوانى إلى رِقَّة شِعْره !

لصالح بن حسان فى الصوت الذى اختلفت فيه حبابة وسلامة

وقد روى صالحُ بن حسّان أَنَّ الصوتَ الذى اختلفت فيه حَبابةُ وسلّامةُ هو :

وتَرَى لها دَلاًّ إذا نَطقَتْ به(١) تَركتْ بَنات فُؤاده صُعْرا(٢)

بين يزيد وبين حبابة وسلامة فى الصوت الذى اختلفتا فيه

ذكر ذلك حمّادٌ ، عن أَبيه ، عن الهَيثم بن عدىّ :

أَنهما اختلفتا فى هذا الصوت بين يَدَىْ يزيد ، فقال لهما : مِن أَينَ جاء اختلافُكما ، والصوتُ لِمَعبد ومنه أَخذتماه ؟ فقالت هذه :

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وعلى هذه الرواية ، فالبيت ، وهو من الكامل ، تام العروض أحذ الضرب مضمره . وفى ا ، ولسان العرب « صعر » :

* وترى لها دلا إذا نطقت *

وعلى هذه الرواية ، فالعروض حذاء ، والضرب مثلها . (٢) صعرا : مائلات .

هكذا أخذتُه ، وقالت الأُخْرى : هكذا أخذته ؛ فقال يزيدُ : قد اختلفتما وَمعبدٌ حَيٌّ بعدُ . فكتبَ إلى عاملِه بالمدينة يَأْمره بحَمْله إليه .

ثم ذَكر باقِيَ الخبر مِثْلَ ما ذكره أبو بكر بن عَيَّاش .

قال صالحُ بن حَسَّان :

فلما دخل مَعْبدٌ إليه لم يَسأَله عن الصَّوت ، ولكنّه أمرَه أن يُغنِّى ، فغَنّاه ، فقال :

فياعَزَّ إنْ واشٍ وشَى بِىَ عندَكُمْ فلا تُكْرِمِيه أنْ تَقُولى له أهلا[1]

فاسْتَحسنه وطَرِب ، ثم قال : إنَّ هاتَيْن اختلفَتا فى صَوت لك فاقْضِ بينهما ؛ فقال لحَبابة . غَنِّى ، فَغنَّت ، وقال لسلاّمة : غنِّى ، فغنَّت ، وقال : الصوابُ ما قالت حَبابةُ ؛ فقالت سلاَّمةُ : والله يا بنَ الفاعلة إنك لَتعلمُ أنَّ الصواب ما قُلتُ ، ولكنّك سأَلتَ : أيّتهما آثَرُ عند أمير المُؤمنين؟ فقِيل لك : حَبابة ، فاتَّبعتَ هواه ورِضاه . فضحِكَ يزيدُ وَطرِب ، وأخذ وِسادةً فصَيَّرها على رَأسه ، وقام يَدُور فى الدار ويَرْقُص ويَصيح : السمك الطرىّ أربعة أَرطال ، عند بيطار حيان[2] احتى دار الدَّارَ كلَّها ، ثم رَجع فجَلس مَجْلِسَه ، وقال شِعْرًا ، وأمر مَعْبدًا أن يُغنِّى فيه ، فَغنَّى فيه ، وهو :

أَبْلغ حَبابةَ أَسْقَى[3] رَبْعَها المَطَرُ ما للفُؤادِ سِوَى ذِكْراكُمُ وَطَرُ
إنْ سارَ صَحْبِىَ لم أَمْلِكْ تَذكُّرَكُم أَو عَرَّسُوا فهُمُومُ النَّفْس والسَّهَر

(١) س : «مهلا» . وما أثبتنا من سائر الأصول وديوان كثير (٢ : ١٧٤) .
(٢) مرت هذه العبارة على وجه آخر (انظر الحاشية : ١٤ س : ٥٤٣٠) .
(٣) المختار : «سق» .

فاستَحسنه وطَرِب .

هكذا ذكر إسحاقُ فى الخبر ؛ وغيرُه يَذْكر أنَّ الصَّنعةفيه لِحَبابة ، ويَزعم ابنُ خُرْداذْبه أن الصَّنعة فيه ليزيد . وليس كما ذكر ، وإنما أراد أن يُوالى بين الخُلفاءِ فى الصَّنعة ، فذَكره على غَير تَحْصيل ، والصَّحيح أنّه لِمَعبد.

قال مَعبد :

فسُرَّ يَزيدُ لمَّا غنَّيْتُه فى هذَين البَيتين ، وكَسانى ووَصلنى ، ثم لما انصرمَ مَجلسُه انصرفْتُ إلى مَنزلى الذى أُنزِلْتُه ، فإذا أَلْطافُ سَلَّامة قد ١٦٢/١٣ سَبقت أَلطافَ حَبَابة ، وبَعثت إلىّ : إنّى قد عَذرتُك فيما فَعلتَ ، ولكنْ كان الحَقُّ أَوْلَى بك . فلم أَزَلْ فى أَلْطافهما جَميعًا حتى أذِن لى يزيدُ ، فرجعتُ إلى المدينة .

• • •

نسبة الصوت الذى غناه معبد

الذى أوّله :

• فيا عزّ إن واشٍ وشَى بِىَ عندكُمْ •

صوت

أَلم يَأْنِ لى ياقَلْبُ أَنْأَتركَالجَهْلَا(١) ... وأَنْيُحْدِثَالشَّيْبُ المُلِمُّ لِىَ العَقْلَا
على حِينَ صار الرَّأْسُ مِنِّى كأنَّما ... عَلَتْ فَوْقَه نَدّافةُ العُطْبِ(٢) الغَزْلا
فيا عزّ إن واشٍ وشَى بِىَ عندكُم ... فلا تُكرميه أَنْ تَقُولى له أهلا(٣)
كما لَوْ وَشَى واشٍ بِوُدِّك عِندنا ... لقُلْنا تَزَحزَحْ لا قَرِيبًا ولا سَهْلا
فأَهْلاً وسَهْلا بالذى شَدَّ وَصْلَنا ... ولا مَرْحبًا بالقائل اصْرِمْ لها حَبْلا

(١) ويروى : « الهوى » . (الديوان ٢ : ١٧٤) . (٢) كذا فى ج ، ط ، ف ، و . والذى فى سائر الأصول : « القطن » ، وهما بمعنى ، وبالروايتين ذكر البيت فى الديوان .
(٣) س : « مهلا » . وانظر الحاشية (رقم : ١ ص : ٥٤٣٤)

الشِّعر لكُثيِّر . والغناء لحُنَين ، ثقيلٌ أوّل بالسبَّابة فى مجرى الوُسطى، عن إسحاق . وذكر ابن المكِّىّ ، وعَمرو ، والهِشامىّ ،أنه لِمعبد . وفيه ثانى ثقيل يُنسب إلى ابن سُرَيج ، وليس بِصَحيح .

بين يزيد وحبابة وقد غنته فى شعر فيه لفظ «سلع»

أخبرنى الحرمىُّ بن أبى العلاء ، قال : حدّثنى الزُّبَير ، قال : حدّثَتْنى ظَبيةُ ، قالت :

أنشدَتْ حَبابةُ يومًا يَزيدَ بن عبد الملك :

لَعمرِكَ[1] إنّنى لأُحِبُّ سَلْعًا ... لِرُؤْيتها ومَنْ بجَنُوب سَلْعِ[2]

ثم تَنفَّسَتْ تنفُّساً شديدا ؛ فقال لها : مالكِ ، أنتِ فى ذِمّة أبِى ، لئن شِئْتِ لأنقُلنَّه إليكِ حَجرًا حَجرًا ؛ قالت : وما أصْنع به ، ليس إيّاه أردتُ ، إنّما أردتُ صاحِبَه . وربّما قالت : ساكِنَه .[3]

نسبة هذا الصوت

لَعَمْرِكَ إنّنى لأُحِبُّ سَلْعًا ... لِرُؤْيتها ومَن بِجَنُوبِ سَلْعِ[4]
تَقَرُّ بقُربْها عَينْى وإنِّى ... لأَخْشَى أن تكونَ تُرِيدُ فَجْعى
حلفتُ برَبِّ مكّةَ والهَدايَا ... وأيْدِى السّابحاتِ غَداةَ جَمْعِ[5]
لأنْتِ على التّنائى فَاعْلَميهِ ... أحَبُّ إلىَّ مِن بَصَرِى وسَمْعى

الغناءُ لمعبد ، خفيفُ ثقيل بالوُسطى ، مما لا يُشكّ فيه من غِنائه .

بين يزيد وبين حبابة وسلامة وقد جعل لمن غنته ما فى نفسه الحكم

قال الزُّبير : وحدّثَتْنى ظَبْيةُ :

(١) سلع : جبل بسوق المدينة ؛ وقيل : موضع بقربها . ولرؤيتها ؛ أى : محبوبته . وقد أورد ياقوت هذا الشعر وقصته (فى رسم : سلع)، ثم نسبه لقيس بن ذريح . (٢) معجم البلدان : « لرؤيتها ومن أكناف » . (٣) معجم البلدان : « ساكنيه » . (٤) انظر الحاشيتين السابقتين . (٥) جمع : المزدلفة .

أنّ يزيدَ قال لحَبابة وسَلّامة : أَيتكُما غَنّتْنى ما فى نَفْسِى فلَها حُكْمها ؛ فغنّت سلّامةُ ، فلم تُصِب ما فى نَفسه ، وغَنّته حَبابة :

بِحَلَقٌ من بَنِى كِنانةَ حَوْلِى ... بفِلَسْطِينَ يُسْرِعون الرُّكُوبَا[1]

فأَصابتْ ما فى نَفسه ، فقال : احْتَكِمى ؛ فقالت : سلّامة ، تَهبُها لى ومالَها[2] ؛ قال : اطْلُبِى غيرَها ؛ فأَبتْ ، فقال : أَنْتِ أَوْلَى بها ومالِها . فلقِيتْ سلّامةُ من ذلك أمرًا عظيمًا ، فقالت لها حَبابةُ : لا تَرَيْن إلاخيرًا. فجاء يزيدُ فسأَلها أن تَبيعَه إيّاها بحُكْمها ، فقالت : أُشْهِدكَ أَنّها حُرّة ، واخطُبْها إِلَىّ الآنَ حتّى أُزَوّجَك مَولاتى .

١٦٣ / ٣١

حديث هذا الخبر برواية أخرى

أخبرنى أحمدُ بن عبد العزيز ، قال : حدّثنا عُمر بن شَبّة ، قال : حدّثنى إسحاقُ ، عن المدائنىّ بنَحْوِ هذه القصّة ، وقال فيها :

فجَزِعتْ سلّامةُ ، فقالت لها : لا تَجْزَعى ، فإنّما أَلاعِبه .

• • •

نسبة هذا الصوت

بِحَلَقٌ من بنى كِنانة حَوْلِى ... بِفِلسْطِينَ يُسْرِعون الرُّكوبَا[3]

هَزِئتْ[4] أنْ رأَت مَشِيبِىَ عِرْسِى ... لا تَلُومى ذَوائبى أن تَشِيبا

الشّعر لابن قَيس الرقَيّات . والغناءُ لابن سُرَيج ، ثانى ثقيل بالخِنصر فى مجرى البنصر ، عن إسحاق .

---

(١) حلق ، بفتحتين ، وبكسر ففتح : جمع حلقة ، وهى الجماعة من القوم . ويسرعون الركوب ؛ أى : اعتلاء أفراسهم نهوضاً إلى النصرة .

(٢) المختار : « تهب لى سلامة ومالها » . (٣) انظر الحاشية الأولى من هذه الصفحة .

(٤) المختار : « جزعت » .

حب سلامة على حبابة لترفعها عليها

قال حمادُ بن إسحاق : حدّثنى أَبِى، عن المدائنىّ ، وأيوب بن عَبَاية ، قالا :

كانت سلّامةُ المُتقدّمةَ منهما[1] فى الغِناء ، وكانت حَبابةُ تَنظرُ إليها بتلك العَيْن ، فلما حَظِيت عند يزيد تَرفَّعت عليها[2] ، فقالت لها سلّامةُ : ويَحكِ[3] ! أينَ تأديبُ الغناء[4] وحقُّ التّعليم ؟ أنسيتِ قَول جَميلة لك : خُذى أحكامَ ما أطارحكِ إيّاه من سلّامة ؟ فلن تَزالى بخيرٍ ما بَقيتْ لكِ وكان أَمْرُكما مُؤتلفاً ؛ قالت : صَدَقتِ يا خَليلتى ، والله لا عُدْتُ إلى شىء تَكرهينه . فما عادت بعد ذلك لها إلى مَكْروه . وماتت حَبابةُ ، وعاشت سَلّامةُ بعدها دَهْرًا .

بين يزيد وحبابة فى شأن سلامة

قال المدائنىُّ :

فرأى يزيدُ يومًا حَبابةَ جالسةً ، فقال: مالك ؟ فقالت : أنتظر سَلّامةَ ؛ قال : تُحبّين أنْ أهبَها لك ؟ قالت : لا والله ، ما أُحِبُّ أن تَهب لى أُختى .

من وله يزيد بغناء حبابة

قال المدائنىُّ :

وكانت حَبابةُ إذا غَنّتْ وَطرِب يزيدُ قال لها : أطير ؟ فتقول له : فإلَى من تَدعُ الناس ؟ فيقول : إليك .

والله تعالى أَعْلم .

إكرام يزيد البيذق القارىء وحديث ذلك

أخبرنى إسماعيلُ بن يونُس ، قال : حدّثنا عُمرُ بن شَبَّة ، قال : حدّثنى أيوبُ بن عَبَاية :

أنّ البَيْذق الأنصارىّ القارئَ كان يَعرف حَبابةَ ويدخُل عليها

(١) جـ ، ط ، ف : «منهن» . وفى المختار : «المتقدمة فى الغناء عند يزيد» .
(٢) المختار : «قصرت فى حق سلامة» . (٣) المختار : «ويحك يا أخية» .
(٤) كذا فى جـ، ط، ف و . والذى فى سائر الأصول، والمختار : «أين تأدية الغناء» .

بالحجاز ، فلما صارت إلى يزيدَ بنِ عبد الملك ، وارتفعَ أمْرُها عنده ، خَرجَ إليها يَتعرّضُ لِمَعْروفها ويَسْتَميحها[1] ، فذكرتْه ليزيدَ وأخبرتْه بحُسْن صَوته .

قال : فدَعاني يَزيدُ ليلةً ، فدَخلتُ عليه ، وهو على فُرشٍ مُشْرِفة[2] ، قد ذَهَب فيها إلى قَريبٍ من ثَدْيَيْه ، وإذا حَبابةُ على فُرُشٍ أُخَر مُرْتفعة ، وهي دُونَه ، فسَلَّمتُ ، فردَّ السلامَ ، وقالت حبابةُ : يا أميرَ المُؤْمنين ، هذا أبِي ، وأشارت إليَّ بالجلوس ، فجلستُ ، وقالت لى حَبابةُ : اقرأْ يا أبتِ ، فقرأتُ ، فنظرتُ إلى دُموعه تَنْحدِر ؛ ثم قالت : إيهِ يا أبَتِ ، حدِّثْ أمير المؤْمنين ، وأشارت إليَّ : أن غَنِّه ، فاندفعتُ فى صَوت ابن سُرَيج :

مَن لصبٍّ مُفَنَّدٍ[3] هائِم القَلْب مُقْصَدِ

فطَرِبَ واللهِ يزيدُ ، فحذَفنى[4] بمُدْهُنٍ فيه فُصوصٌ من ياقوت وزَبَرْجد ، فضَربَ صَدْرى ؛ فأشارت إليّ حَبابة : أن خُذْه ، فأخذتُه فأدخلتُه فى كُمّى ؛ فقال : يا حَبابةُ ، ألا تَرَيْن ما صنعَ بنا أبُوك ، أخذ مُدْهُنَنا فأدخلَه فى كُمِّه ؟ فقالت : يا أميرَ المؤمنين ، ما أحْوجَه واللهِ إليه ! ثم خَرجتُ من عنده ، فأَمر لى بمائةِ دينارٍ .

* * *

نسبة هذا الصوت

١٦٤/١٣

مِن لِصَبٍّ مُفَنَّدِ هائم القلبِ مُقْصَدِ
أنتِ زوّدْتِه الضَّنَى بِئْسَ زادُ المُزوَّدِ

---

(١) يستميحها : يسألها العطاء . (٢) المختار : « مرتفعة » . (٣) كذا فى ط ، ف ، و ، والمختار . والذى فى سائر الأصول : « مصيد » . (٤) حذفه بشىء : رماه به .

ولو أنّى لا أرتجيـ ـكِ لقد خفّ عُوّدى
ثاويًا تحتَ تُرْبةٍ رَهْنَ رَمْس بفَدْفَد
غيرَ أنّى أعلِّل النّـ ـفْسَ باليوم أو غدِ[1]

الشِّعْرُ لِسَعيد بن عبد الرحمن بن حسّان[2]. وذكر الزُّبيرُ بن بكّار أنّه لجَعفر بن الزُّبير[3]. والغناء لابن سُرَيج، خفيف ثَقيل بالسبّابة فى مجرى الوُسطى.

حديث إرسال يزيد فى طلب ابن الطيار وقد قالت له حبابة إنه أطرب منه

وقال حمّادٌ: حدّثنى أبى، عن مَخلد بن خِدَاش، وغيره:

أنْ حَبابة غَنَّت يزيدَ صوتًا لابن سُريج، وهو قولُه:

ما أحسنَ الجِيدَ من مُلَيْكةَ والْـ ـلَبّاتِ إذْ زَانَها تَرائبُها[4]

فطَرِب يزيدُ، وقال [لها][5]: هل رأيتِ أحدًا أطربَ منّى؟ قالت[6]: نعم، ابنُ الطّيّار[7]: مُعاوية بن عبد الله بن جَعفر[8]، فكَتب فيه إلى عَبد الرحمن بن الضّحّاك، فحُمِل إليه، فلما قَدِم أرسَلَتْ إليه حَبابةُ: إنما بَعثَ إليكَ لكذا وكذا — وأخبرتْه — فإذا دخلتَ عليه فلا تُظهِرنَّ طَرَبًا حتّى أُغنِّيه الصوتَ الذى غنّيتُه؛ فقال: سوأةً على كِبَر سنّى! فدَعا

(١) المختار: «باليوم والغد» (٢) مرت ترجمته (٣٠١٥ – ٣٠٥٥).
(٣) مرت ترجمته (ص: ٥٢٧١). (٤) مر الشعر (ص: ٥٤١٧). (٥) التكلة من أ.
(٦) ب، س: «قلت». (٧) الطيار: جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب، وكانت قد قطعت يداه يوم مؤتة، فقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله جعل لجعفر جناحين يطير بهما فى الجنة، فقيل له: ذو الجناحين. (الاستيعاب، ت: ٣٢٧، الإصابة، ت: ١١٦، أنساب قريش: ٨١ – ٨٢).
(٨) العبارة فى المختار: «معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار».

به يَزِيدُ وهو على طِنْفسةِ خَزّ ، ووُضِع لِمعاوية مِثْلُها ، فجاءُوا بجامَيْن[١] فيهما مِسكٌ ، فُوضعت إحداهما بين يَدَىْ يَزِيد والأُخْرى[٢] بين يدَىْ مُعاوية . فقال : فلم أدْرِ كيف أصنع ، فقلتُ : أنظُر كيف يَصنعُ فأَصْنع مِثلَه . فكان يُقلِّبه فَيفوحُ ريحُه[٣] ، وأفعلُ مثلَ ذلك . فدعا بَحبَابة فغنَّتْ ، فلمَّا غَنَّت ذلك الصوتَ أخذ مُعاويةُ الوِسادةَ فوضعَها على رأسه وقام يَدُورُ ويُنادى : : الدُّخْن بالنَّوَى . يعنى اللُّوبيا[٤] . قال : فأمر له بِصِلات عِدَّةَ دفَعات إلى أن خَرج ، فكان مَبْلغُها ثمانيةَ آلافِ دينار .

حديث يزيد مع مولى حبابة حين أخبرته أنه أطرب منه

أخبرنى إسماعيلُ بن يونُس ، قال : أخبرنى الزُّبيرُ بن أبى بكر ، عن ظَبْية :

أنَّ حَبابة غنَّتْ يومًا بين يدى يَزيدَ ، فطَرِب ، ثم قال لها : هل رأيتِ قطُّ أطربَ منِّى ؟ قالت : نعم ، مولاى الذى باعنى . فغاظَه ذلك ، فكتبَ فى حَمْلِه مُقيَّدًا ، فلمَّا عرف خبره[٥] أمر بإدْخالِه إليه ، فأُدْخِل يَرْسُف فى قَيْدِه ، وأمرها فغنَّتْ بَغْتَةً :

تَشُطُّ غدًا دارُ جيرانِنا ... ولَلدّارُ بَعْدَ غَدٍ أَبْعَدُ[٦]

فوثَب حتّى ألقى نفسَه على الشَّمْعة ، فأحْرق لِحْيتَه ، وجعَل يصيح : الحَريقُ يا أولاد الزِّنا ! فضَحِكَ يزيد وقال : لَعمرى إنَّ هذا لأَطْربُ

(١) الجام : إناء من فضة ، مؤنثة .

(٢) المختار ، ونهاية الأرب : «فوضع أحدهما . . . والآخر» . وقد مر فى الحاشية السابقة أن «الجام» مؤنثة . (٣) المختار : «فتفوح روائحه» .

(٤) هذه العبارة : «يعنى اللوبيا» . ليست فى المختار . (٥) المختار : «خبر وصوله» .

(٦) البيت من أبيات لعمر بن أبى ربيعة ؛ وقد مرت (ص : ٨٤) .

النَّاسِ ! فأَمَر بحَلّ(١) قُيودِه ، ووَصَله بأَلْفِ دينار ، ووصلتْه حَبابةُ ، ورَدَّه إلى المدينة .

بينه وبين حبابة فى أم عوف المغنية

أخبرنى إسماعيلُ بن يونُس ، قال : حدّثنا عُمر بن شَبَّة ، قال : قال إسحاقُ :

كان يَزيدُ بنُ عبد الملك ، قبلَ أن تُفْضِيَ إليه الخِلافةُ ، تَختلف إليه مُغَنِّيةٌ طاعِنةٌ فى السِّن ، تُدْعَى : أُمَّ عَوف ، وكانت مُحْسِنةً ، فكان يَختار عليها(٢) :

مَتَى أُجِرْ خائفًا تَسْرَحْ مَطِيَّتُه ... وإن أُخِفْ آمِنًا تَنْبُو(٣) به الدَّارُ
سِيرُوا إلىَّ وأَرْخُوا من أَعِنَّتِكم ... إنِّى لكُلِّ امرىءٍ من وِتْره جار

فذكرها يزيدُ يومًا لحَبابة ، وقد كانت أخذَتْ عنها ، فلم تَقْدِر أن تَطعن عليها إلا بالسِّنّ ، فغنَّت :

أَبَى القَلْبُ إلَّا أُمَّ عَوْف وحُبَّها ... عَجُوزًا ومن يُحِبِّ عَجوزًا يُفَنَّدِ(٤)

١٦٥/١٣ فضحِك ، وقال : لمن هذا الغناء؟ فقالت : لمالك . فكان إذا جَلَس معها للشُّرب يقول : غنِّينى صوتَ مالكٍ فى أُمِّ عَوف .

حديث موتها

أخبرنى أحمدُ بن عُبيد الله بن عمَّار ، قال : حَدّثنى عُمر بن شبَّة ، قال : حدّثنى عبدُ الله بن أحمد بن الحارث العلَوِىّ ، قال : حدّثنى عُمر بن أبى بَكر المؤمَّلىّ ، قال : حدّثنى أبو غانم الأَزْدىّ ، قال :

---

(١) المختار : «بفك» . (٢) اختار عليه شيئا : عينه (٣) كذا فى جـ ، ف ، و . والذى فى سائر الأصول : «تفلق» (٤) البيت لأبى الأسود الدؤلى ، وروايته :

أبى القلب الا أم عمرو ...

(شرح الحماسة للتبريزى ٣ : ٢٩٢) .

نَزلَ يزيدُ بن عبد الملك بِبَيت رأس[١] ، بالشام ، ومعه حَبابةُ ، فقال : زَعموا أنّه لا تَصْفُو لأحدٍ عِيشةٌ يومًا إلى الّليل إلّا يُكدِّرُها[٢] شيءٌ عليه ، وسأجرِّب ذلك ، ثم قال لمن معه : إذا كان غَدٌ فلا تُخْبِرونى بشىء ولا تَأْتونى بكتاب ، وخلا هو وحَبابةُ ، فأُتِيا بما يأْكلان ، فأكلَتْ رُمّانةً ، فشَرِقت بحَبَّة منها فماتت ، فأقام لا يَدْفنها ثلاثًا : حتّى تغيَّرت وأنْتنت ، وهو يَشَمُّها ويَرْشُفها ، فعاتبه على ذلك ذَوُو قَرابته وصديقُه[٣] ، وعابُوا عليه ما يَصنع ، وقالوا : قد صارت جيفةً بين يَدَيْك ؛ حتّى أَذِن لهم فى غَسْلها ودَفْنها ، وأَمَر فأُخرجتْ فى نِطْع[٤] ، وخرجَ معها لا يَتكلّم ، حتّى جَلس على قَبْرِها ، فلما دُفِنت قال : أَصبحتُ والله كما قال كُثَيِّرٌ :

فإنْ يَسْلُ عَنكَ القَلبُ أَو يَدَعِ الصِّبا ... فباليأْسِ يَسْلو عنك لا بالتَّجلُّدِ[٥]

وكُلُّ خَليلٍ راءَنى[٦] فهو قائلٌ ... مِن اَجْلك :هذا هامةُ اليومِ أَو غدِ[٧]

فما أقام إلّا خمسَ عشرةَ ليلةً حتى دُفِن إلى جَنْبها .

---

(١) بيت رأس : اسم لقريتين . فى كل واحدة منهما كروم كثيرة ينسب إليها الخمر ، إحداهما بالبيت المقدس ، والأخرى من نواحى حلب ، والمقصود هنا الثانية ، كما عينها المؤلف .

(٢) المختار ، ونهاية الأرب : « لا يصفو لأحد عيشه إلى الليل إلا يكدره » .

(٣) الصديق ، يقال للواحد والجمع ، والمذكر والمؤنث .

(٤) النطع ، بالكسر ، وبالفتح ، وبالتحريك ، وكعنب : بساط من الأديم .

(٥) التجريد ، والمختار : والكامل المبرد (ص : ٣٨٧) والديوان (ص : ١١١) :

فإن تسل عنك النفس أو تدع الصبا ... فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد

وهى رواية أبى الفرج بعد قليل .

(٦) راءنى ، يريد : رآنى ، ولكنه قلب فأخر الهمزة . (الكامل المبرد) .

(٧) يعنى : يموت اليوم أو غداً . وزعم عرب الجاهلية أن الرجل إذا قتل فلم يدرك بثأره يخرج من رأسه طائر كالبومة، وهى الهامة – والذكر الصدى – فيصيح على قبره : اسقونى اسقونى ، فإن قتل قاتله كف ذلك الطائر ، (الكامل : ٢١١ ، اللسان : هوم) .

من حزن يزيد على حبابة

أخبرنى أحمدُ ، قال : حدّثنى عُمَرُ ، قال : حدّثنى إسحاقُ ، قال : حدّثنى الفَضلُ بن الرَّبيع ، عن أبيه ، عن إبراهيم بن جَبلة بن مَخْرمة ، عن أبيه : أن مَسْلمةَ بن عبدِ الملك ، قال :

ماتت حَبابةُ فجزع عليها يزيدُ ، فجعلْتُ أؤَسِّيه[1] وأعزِّيه ، وهو ضاربٌ بذَقَنِه[2] على صَدره ما يُكلِّمنى ، حتَّى دفنَها ورَجع ، فلما بَلغ إلى بابه التفتَ إلىَّ وقال :

فإنْ تَسْلُ عنكِ النَّفْسُ أوتَدعِ الصِّبا فباليأْس تَسْلو عنك لا بالتَّجلُّد

ثم دخل بيتَه ، فمكث أربعين يومًا ثم هَلك .

محاولة يزيد نبش قبرها

قال :

وجَزع عليها فى بعض أيَّامه ، فقال : انبشُوها حتَّى أنظرَ إليها ؛ فقيل : تَصير حديثًا ؛ فرَجع فلم يَنْبشها .

نبش يزيد لقبرها

وقد رَوى المدائنىّ :

أنَّه اشتاق إليها بعدَ ثلاثةِ أيَّام من دَفنه إيَّاها ، فقال : لا بدَّ من أن تُنْبَش . فنُبِشت وكُشِف له عن وَجهِها ، وقد تَغيَّر تَغيُّرًا قبيحًا ، فقيل له : يا أميرَ المؤمنين ، اتَّقِ الله ، ألا تَرى كيفَ قد صارت ؟ فقال : ما رأيتُها قطُّ أحْسَن منها اليومَ ، أخْرِجوها . فجاءه مَسلمةُ ووُجوهُ أهْله ، فلم يزالوا به حتَّى أزالوه عن ذلك ودفَنوها ، وانصرف ، فكَمِد كَمدًا شديدًا حتَّى مات ، فدُفن إلى جانبها .

(١) أسّاه تأسية : عزاه . (٢) الذقن ، بالتحريك ، ويكسر ، مذكر .

حديث طلب يزيد الصلاة عليها

قال إسحاقُ : وحدّثنى عبدُ الرحمن بن عبد الله الشَّقَّاقى[1] ، عن العباس بن محمد :

أنّ يزيد بن عبد الملك أرادَ الصلاةَ على حَبابة ، فكلَّمه مَسْلمة فى ألّا يَخرج ، وقال : أنا أكْفيك الصلاةَ عليها . فتَخلَّفَ يزيدُ ومَضى مَسْلَمةُ ، حتَّى إذا مَضى النّاسُ انصرفَ مَسلمةُ وأمرمن صَلَّى عليها .

وروى الزُّبيرُ ، عن مُصعب بن عثمان ، عن عبد الله بن عُروة بن الزبير ، قال :

خَرجتُ مع أبى إلى الشأم فى زَمن يزيدَ بن عبد الملك ، فلما ماتت حَبابةُ وأُخرِجت ، لم يَستطِع يزيدُ الرُّكوبَ من الجزَع ولا المَشْىَ ، فحُمِل على مِنْبرٍ على رِقَاب الرِّجال ، فلما دُفِنت قال : لم أُصَلِّ عليها ، انبِشوا عنها[2] ؛ فقال له مَسلمةُ : نَشَدتكَ اللهَ يا أمير المؤمنين ، إنَّما هى أَمَةٌ من الإماء ، وقد واراها الثَّرى .

حديث إذنه للناس بعد موتها

١٦٦ / ١٣

فلم يَأْذن للناس بعدَ حبابةَ إلّا مَرَّةً واحدةً . قال : فوالله ما استتمّ دُخولُ الناسِ حتى قال الحاجب : أَجيزُوا[3] ، رَحِمكم الله . ولم يَنْشَب يزيدُ أن مات كمدًا .

استئناس يزيد بجارية لها بعد موتها

أخبرنى أحمدُ بن عُبيد الله بن عَمّار ، قال : حدّثنا عُمر بن شَبَّة ، قال : حدّثنى إسحاقُ ، قال : حدّثنى ابنُ أبى الحُوَيرث الثَّقفىّ ، قال :

---

(١) كذا فى ط ، وهو بشين معجمة وقاف مشددة ، كما قيده ابن حجر فى تبصير المنتبه (ص : ٨١٥). وذكر أن ثمة طائفة ، ولكنه لم يذكر منهم غير العباس بن أحمد بن محمد . وفى ف : « السقافى » ،وهو بسين مهملة وفاء خفيفة ، كما قيده ابن حجر أيضاً ، وذكر بهذه النسبة : نجيب بن ميمون الواسطى . والذى فى و : « الشماق » . وفى سائر الأصول : « الشفافى » . وليس ثمة من تسمى بهذا أو ذاك . وقد رجحنا ما فى ط ، لما ذكر ابن حجر من أنه اسم لطائفة .

(٢) المختار : « انبشوه » . (٣) المختار : « أوجزوا » . نهاية الأرب : « اخرجوا » .

لما ماتت حَبابةُ جَزِع عليها يزيدُ جَزعًا شديدًا ، فضَمَّ جُويريةً لها كانت تَخدُمها إليه ، فكانت تُحدِّثه وتُؤْنِسه ، فبينا هو يومًا يدُور فى قَصرهِ إذْ قال لها : هذا الموضعُ الذى كُنَّا فيه ، فتَمثَّلَتْ :

كَفَى حَزَنًا للهائمِ الصَّبِّ أن يَرَى ... مَنازِلَ مَن يَهْوى مُعَطَّلةً قَفْرَا

فبكى حتَّى كاد يموت . ثم لم تزل[1] تلك الجُويريةُ معه يتَذكَّر بها حَبابةَ حتَّى مات .

* * *

صوت

أَيَدْعُوننى شَيْخًا وقد عِشْتُ حِقْبةً ... وهُنَّ من الأَزْواجِ نَحوى نَوازِعُ

وما شابَ رأْسِى من سِنِينَ تَتابعَتْ ... علىَّ ولكنْ شيَّبَتْه[2] الوَقائع

الشِّعر لأبى الطُّفيلِ ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

والغناءُ لإبراهيم ، خفيف ثقيل أوّل بالوُسطى ، عن عمرو ، وغيره .

(١) جـ ، ط ، ف ، و : «ثم ترك» .

(٢) التجريد (ص : ١٥٢٠) الاستيعاب (ت : ٣٠٠٤) : «شيبنى» .

أخبار

أبي الطفيل

ونسبه

نسبه

هو: عامر[1] بن واثلة[2] بن عَبدالله بن عمَير[3] بن جابر[4] بن حُمَيس[5] بن جُدَىّ[6] بن سَعد بن لَيث بن بكر بن عَبْد مَناةَ بن كِنانة ابن خُزيمة بن مُدْرِكة بن الياس[7] بن مُضَر بن نِزار .

صحبته وعمره وروايته

وله صُحبةٌ برسول اللهصلّى الله عليه وآله وسلّم ، وروايةٌ عنه . وعُمِّر بعده عُمْرًا طويلاً ، وكان مع أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب ، عليه السلام ،

التجريد (ص : ١٦٢٩ – ١٦٣٠) المختار (٥ : ١٩٧ – ٢٠١) الاستيعاب (ت : ٣٠٠٤) الإصابة (ت : ٦٧٦ ، باب الكنى) الطبقات الكبرى لابن سعد (٥ : ٣٣٨) تهذيب التهذيب (٥ : ٨٢) .

(١) الاستيعاب : «وقيل : عمرو» . وفى تهذيب التهذيب : «وقيل : اسمه عمرو ، والأول أصح» .

(٢) واثلة ، بالثاء المثلثة (القاموس ، وشرحه : وثل) .

(٣) كذا فى ط ، ف ، و ، والتجريد، والمختار ، و جمهرة أنساب العرب (ص : ١٨٣). والذى فى سائر الأصول ، والاستيعاب، والإصابة : «عمرو» . (٤) وكذا فى المختار ، وجمهرة أنساب العرب . والذى فى التجريد : «خالد» . (٥) كذا فى أكثر الأصول، والمختار ، والجمهرة . والذى فى ط ، والتجريد : «خميس» ، بالخاء المعجمة . وفى الاستيعاب ، والإصابة: «جحش» . وزادت الإصابة : «ويقال : جهيش» . وفى تهذيب التهذيب : «جحش ، ويقال : خميس» .

(٦) وكذا فى التجريد ، والمختار ، والجمهرة . والذى فى الاستيعاب ، والإصابة ، وتهذيب التهذيب : «جرى» .

(٧) الصواب فى «الياس» ابن مضر أن تعتبر فيه الألف واللام زائدتين كزيادتهما فى الفضل والعباس ، وأنهما داخلتان على المصدر ، الذى هو «اليأس» ، وقد تسهل همزته الثانية ، فيقال فيه : الياس . أما «إلياس» النبى ، عليه السلام ، فهو بقطع الهمزة الأولى ، مفتوحة أو مكسورة . (شرح القاموس : أيس) .

ورَوى عنه أيضًا ، وكان من وُجوه شِيعته ، وله منه مَحَلٌّ خاصٌّ يُستغنى بشُهرته عن ذِكره . ثم خَرج طالبًا بدم الحُسين بن علىّ ،عليهما السلام ، مع المُختارِ بن أبى عُبيد ، وكان معه حتّى قُتِل وأفْلتَ هو ، وعُمِّر أيضا بعد ذلك[1] .

رؤيته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع

حدثنى أحمدُ بن الجَعد ، قال : حدّثنا محمدُ بن يوسف بن أسْوار الجُمَحىّ ، بمكّة ، قال : حدّثنا يزيدُ بن أبى حَكيم ، قال : حدّثنى يزيدُ ابن مُلَيْل ، عن أبى الطُّفيل :

أنّه رأى النبىَّ صلَّى الله عليه وسلَّم فى حَجّة الوداع يَطُوف بالبَيت الحَرام على ناقته ، ويَسْتلم الرُّكْنَ بمِحْجَنِه .

أخبرنا محمدُ بن العبّاس اليزيدىّ ، قال : حدّثنا الرِّياشىّ ، قال حدّثنا أبو عاصم ، عن مَعروف بن خَرَّبُوذ[2] ، عن أبى الطُّفيل بمثله وزاد فيه : ثمّ يُقبِّل المِحْجن .

سماعه عليا وهو يخطب

حدثنى أبو عُبيد الله الصَّيرفىّ ، قال : حدّثنا الفضلُ بن الحسن المِصْرىّ ، قال : حدّثنا أبو نُعيم ، عن بَسّام الصَّيرفىّ ، عن أبى الطُّفَيل ، قال :

سمعتُ عليًّا عليه السلامُ يَخطُب ، فقال : سَلُونى قبل أن تَفْقِدونى . فقام إليه ابنُ الكَوّاء[3] ، فقال : ما الذّارِياتِ ذَروًا ؟ قال : الرِّياح ؛

(١) التجريد : « وعمر بعد ذلك كثيرا » . والمختار : « وعمر بعد ذلك » .

(٢) خربوذ ، بفتح المعجمة وتشديد الراء وبسكونها ، ثم موحدة مضمومة وواو ساكنة وذال معجمة . (تقريب التهذيب) .

(٣) مر التعريف به (انظر : فهرست هذا الكتاب) .

قال : فالحاملاتِ وِقْرًا ؟ قال : السَّحاب ؛ قال : فالجارياتِ يُسْرا ؟ قال : السُّفن ؛ قال : فالمقسِّمات أمْرًا ؟ قال : الملائكة[1] ؛ قال : فمن الذين بَدَّلوا نِعمةَ الله كُفْرًا[2] ؟ قال : الأفْجران من قُريش : بنو أميَّة ، وبنو مَخزوم ؛ قال : فما كان ذُو القَرْنين ، أنبيًّا أم ملِكًا؟

١٦٧/١٣ قال : كان عَبدًا مُؤمنًا ـ أو قال صالحًا ـ أحبَّ اللهَ وأحبَّه ، ضُرِب ضَربةً على قَرنِهِ الأيْمنِ فمات ، ثم بُعِث وضُرِب ضَربةً على قَرنه الأيسرِ فمات ، وفيكم مِثْلُه .

[وكتب إليَّ إسماعيلُ بن محمد المُرِّيّ الكُوفيّ ، يذكُر : أنَّ أبا نُعيم حدَّثه بذلك عن بَسَّام[3] ، وذَكر مِثْله] [4] .

شهادة بشر بن مروان له بأنه أشعر شعراء العراق

أخبرني الحسينُ بن يحيى ، عن حمَّاد ، عن أبيه ، قال : بَلَغني أن بِشر بن مروان ، حين كان على العراق ، قال لأنَس بن زُنَيم : أنشِدْني أفضلَ شِعْرٍ قالته كِنانةُ ؛ فأنْشده قَصيدةَ أبي الطُّفيل :

أيدْعُونني شَيخًا وقد عِشْتُ بُرْهةً   وهُنَّ من الأزواجِ نَحوِى نَوازعُ

فقال له بِشرٌ : صدقتَ ، هذا أشعرُ شُعرائكم .

والحجاج في مثلها

قال : وقال له الحجّاج أيضًا : أنْشدني قولَ شاعركم : « أيدعُونني شيخًا » [فأنشده إيَّاه][5] ، فقال : قاتله الله مُنافِقًا ؛ ما أشْعره !

---

(١) كذا جاء ترتيبها في المختار ، وهو يتفق وسياق الآيات في سورة الذاريات : « والذاريات ذروا . فالحاملات وقرا . فالجاريات يسرا . فالمقسمات أمرا » . وجاءت في الأصول : « فالجاريات يسرا » مقدمة على « فالحاملات وقرا » . (٢) يشير إلى الآية : « ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا » . إبراهيم : ٢٨ (٣) و : « يسار » ، تحريف ، وهو : بسام الصيرفي ، الذي مر قبل ، والذي يروي عن أبي الطفيل ، ويروي عنه أبو نعيم . (٤) التكملة من ط ، ف ، و . (٥) و : « إياها » .

هو ومعاوية وقد سأله عن علي

حدثني أحمدُ بن عيسى العِجْليّ الكُوفيّ ، المعروف بابن أبي موسى ، قال : حدّثنا الحُسينُ بن نَصر بن مُزاحم ، قال : حَدّثني أبي ، قال : حدّثني عَمْرو بن شَمِر[1] ، عن جابرِ الجُعفيّ ، قال : سمعتُ ابن حِنْيم الناجيّ يقول :

لما استقامَ لمعاوية أَمْرُه لم يكن شيءٌ أحبَّ إليه من لِقاء أبي الطُّفيل عامر بن واثلة ، فلم يَزَل يُكاتبُه ويَلطُف له حتّى أتاه ، فلما قدِم عليه جعلَ يُسائله عن أمر الجاهليّة ، ودَخل عليه عَمرو بنُ العاص ونَفَرٌ معه ، فقال لهم مُعاوية : أَمَا تعرفون هذا ؟ هذا خليلُ أبي الحسَن ؛ ثم قال : ياأبا الطُّفَيل ، ما بَلَغَ من حُبِّكَ لعليّ؟ قال : حُبُّ أُمِّ مُوسى لِمُوسى ؛ قال : فما بَلغ من بُكائك عليه ؟ قال : بُكاءُ العَجوز الثَّكْلَى والشَّيخِ الرَّقُوب[2] ، وإلى الله أَشكو التَّقصير ؛ قال معاويةُ : إنّ[3] أَصحابي هؤلاء لو سُئِلوا عنّي ما قالوا فيّ ما قُلتَ في صاحبك ؛ قالوا : إذًا والله ما نقولُ الباطل ؛ قال لهم معاوية : لا والله ، ولا الحقَّ تَقولون . ثم قال معاويةُ : وهو الذي يقول :

إلى رجَبِ السَّبعِينَ تَعْتَرِفُوننى ... مع السَّيْفِ في حَوّاءَ جَمٍّ عَديدُها[4]

[ثم قال : أنشدنا هذه الأبياتَ يا أبا الطُّفيل ؛ فأنشده] :[5]

---

(١) كذا في ط ، ف ، و . والذى في سائر الأصول : «عمر بن شبة» ، تحريف. (انظر : وقعة صفين : ١٨٩) .

(٢) الرقوب : من لم يعش له ولد ، لأنه يرقب موته ، ويقال للأنثى أيضاً . والرواية في المختار : «المفقود» .

(٣) المختار : «لكن» .

(٤) تعترفونني : تعرفونني ؛ وعرف واعترف ، بمعنى . والرواية في المختار : «لا يعرفونني» . والحواء : الحمراء إلى سواد ، يعني كتيبة قد ركب الصدأ دروعها لكثرة اشتغال كانها بالحرب .

(٥) التكلة من و ، والمختار .

زَحُوف[1] كمَتْنِ الطَّوْدِ منها مَعاشِرٌ ... كغُلْبِ السِّبَاعِ نُمْرُها وأُسودُها
كُهولٌ وشُبّانٌ وساداتُ مَعْشرٍ ... على الخَيل فُرسانٌ قليلٌ صُدودها
كأَنَّ شُعاعَ الشَّمْس تحتَ لِوائِها ... إذا طَلعت أعْشَى العُيونَ حَلِيدها
يَمُورُون مَوْرَ الرِّيح إمّا ذَهِلتمُ ... وزَلَّت بأَكْفال الرِّجال لُبُودها[2]
شِعارهُمُ سِيما النبيِّ ورايةٌ ... بها انتقمَ الرّحمنُ ممَّن يَكيدها
تَخطَّفكم آباؤُهم وعَبيدُهم[3] ... كخَطْفِ ضَوارِي الطَّيْرِ طيراً تَصِيدها[4]

فقال مُعاويةُ لجلسائه : أعَرَفتموه ؟ قالوا : نعم ، هذا أفحشُ شاعرٍ وألأمُ جَليس ؛ فقال مُعاوية : يا أبا الطُّفَيل ، أتعرفهم ؟ فقال : ما أعرِفُهم بخيرٍ ، ولا[5] أبعدهم من شرّ . قال : وقام خُزيمة الأسديّ فأجابه ، فقال :

إلى رَجبٍ أو غُرّةِ الشَّهرِ بَعده ... تُصبِّحكم حُمْرُ المَنايا وسُودُها
ثمانون ألفًا دِينُ عُثمانَ دِينُهم ... كتائبُ فيها جِبْرَئيلُ يَقُودها
فمن عاشَ مِنكم عاش عَبْدًا ومَن يَمُتْ ... ففى النار سُقْياهُ هُناكَ صَديدها

إخراجه ابن الحنفية من سجن ابن الزبير وتشريده ابن الزبير لأنه وشعره فى ذلك

أخبرنى عبدُ الله بن محمد الرازىّ ، قال : حدّثنا أحمدُ بن الحارث ،

---

(1) كذا فى و . والزحوف : جمع زحف ، وهو الجماعة يزحفون إلى العدو بمرة ، كسروا اسم الجمع كما يكسرون الجمع . والذى فى سائر الأصول والمختار : « رجوف » .

(2) الأكفال : جمع كفل ، بالكسر ، وهو الذى لا يثبت على متن فرسه . واللبود : جمع لبد ، بالكسر ، وهو ما تحت السرج ، ويعنى : السرج وما معه . يقول : انهم يكرون كر الريح عنفا وشدة ، حين يغشاكم الذهول ويسقط رجالكم ، الذين لا قوة لهم على ركوب الخيل ، عن ظهور خيلهم .

(3) كذا فى المختار . و فى ط ، و : « تخطفهم إياكم » . و فى سائر الأصول : « تخطفكم أبناؤكم » .

(4) كذا فى ط ، و ، والمختار . والذى فى سائر الأصول : « صيدا يصيدها » .

(5) المختار : « وما » .

قال : حدّثنا المدائنىّ ، عن أَبى مِخْنف ، عن عبد الملك بن نَوفل بن مُساحِق ، قال :

لما رَجع محمدُ بن الحنفيّة من الشام حَبسَه ابنُ الزْبير فى سِجْنِ عارم[1] ، فخرج إليه جيشٌ من الكُوفة ، عليهم أبو الطُّفيل عامرُ بن واثلة ، حتى أَتَوْا سِجن عارمٍ ، فكَسروه وأَخْرَجُوه ، فكتب ابنُ الزُّبير إلى أخيه مُصعب أن يُسيِّرَ نِساء كُلٍّ من خَرج لذلك . فأَخْرج مُصعبٌ نساءَهم ، وأَخرج فيهن أُمَّ الطُّفيل ، امرأَةَ أَبى الطُّفيل ، وابنًا له صغيرًا ، يقال له : يحيى ، فقال أَبو الطُّفيل فى ذلك : ١٦٧/١٣

إن[2] يَكُ سَيَّرها مُصعبٌ   فإنِّى إلى مُصْعبٍ مُذْنِبُ
أَقودُ الكَتيبةَ مُسْتلِئِمًا   كأَنِّى أَخو عُرَّةٍ أَجْرب[3]
علَىَّ دِلَاصٌ تَخَيَّرتُها[4]   وفى الكَفِّ ذو رَوْنقٍ مِقْضَب[5]

شعره فى شيعته

أخبرنى أَحمدُ بن عبد العزيز ، قال : حدّثنا عُمرُ بن شَبّة ، قال :

---

(١) قال ياقوت : «وسجن عارم حبس فيه محمد بن الحنفية ، حبسه عبدالله بن الزبير ، فخرج المختار بالكوفة ودعا إليه ، ثم كان بعد ذلك سجنا للحجاج ، ولا أعرف موضعه ، وأظنه بالطائف» . (٢) كذا فى الأصول ، وعليه فى البيت خرم ، وهو ذهاب الفاء من «فعولن» . والرواية فى المختار : «فإن» .

(٣) العرة ، بالضم : الجرب . (٤) الدلاص من الدروع : الملساء اللينة . (٥) كذا فى أكثر الأصول ، والمختار . يريد : سيفا ذا بريق قاطعاً . والذى فى ب ، س : «يقضب» . وزاد المختار أبياتاً ثلاثة أخرى ، وهى :

سعرت عليهم مع الساعري   ن نارا إذا خمدت تثقب
فلو أن يحيى به قوة   فيغزو مع القوم أو يركب
ولكن يحيى كفرخ العقا   ب فى الوكر مستضعف أزغب

حدّثنا محمد بن حُميد الرازيّ ، قال : حدّثنا سَلَمة بن الفَضل ، عن فِطْر ابن[1] خَليفة ، قال :

سمعتُ أبا الطفيل يقول : لم يَبق من الشيعة غيرى ، ثم تَمثَّل :

وخُلِّفْتُ[2] سَهْمًا فى الكِنانة واحدًا ... سَيُرْمَى به أو يَكْسِر السهمَ كاسُرهْ

رميه بنفسه من القصر مخافة أن يؤخذ

أخبرنى أحمدُ بن عبد العزيز ، قال : حدّثنا عمرُ بن شَبّة ، قال : حدّثنى أبو عاصم ، قال : حدّثنى شيخٌ من بنى تَيْم اللات ، قال :

كانَ أبو الطُّفيل مع المُختار فى القَصر ، فرَمى بنفسه قبل أن يُؤْخَذ ، وقال :

ولما رأيت البابَ قد حِيلَ دُونه ... تكسَّرتُ باسْمِ الله فيمن تكَسَّرا

شعره فيما كان من عبد الله ابن الزبير مع ابن عباس

أخبرنى محمدُ بن خلف وَكيع ، قال : حدّثنا أحمدُ بن عبد الله بن شدّاد النُّشّابىّ ، قال : حدّثنى المُفضَّل بن غسّان ، قال : حدّثنى عيسى بنُ واضح ، عن سَليم[3] بن مُسلم المكّىّ ، عن ابن جُرَيج ، عن عَطاء ، قال :

دخل عبدُ الله بن صَفوانَ على عبدِ الله بن الزُّبير ، وهو يومئذ بمكة ، فقال : أصبحتُ كما قال الشاعر :

فإنْ تُصِبْكَ من الأيّامِ جائحةٌ ... لم أَبْكِ[4] منكَ على دُنيا ولا دِينِ

قال : وما ذاك[5] يا أعرج ؟ قال : هذا عبدُ الله بن عبّاس يُفقِّه الناس ، وعُبيد الله أخوه يُطعم الناس ، فما بَقّيا لك[6] ؟ فأحفَظَه ذلك .

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ط : «قطن» ، تحريف . (انظر : تهذيب التهذيب : ٨ : ٣٠٠) . (٢) كذا فى أكثر الأصول ، والمختار . والذى فى ب ، س : «وخليت» . (٣) سليم : بفتح السين وكسر اللام . (تبصير المنتبه : ٦٩١) . (٤) كذا فى المختار . والذى فى الأصول : «ولا أبكه» . (٥) المختار : «ولم ذاك» . (٦) المختار : «فما أبقيا» .

فأرسلَ إلى صاحب(١) شُرطته : عبدِالله بنِ مُطيع ، فقال له : انطلِق إلى ابنَىْ عبّاس فقُل لهما : أعمَدْتما إلى رَاية تُرابيّة(٢) قد وضَعها الله فنَصَبْتُماها ؟ بَدِّدا عنّى جَمْعَكما ومن ضَوَى(٣) إليكما مِن ضُلَّال أهل العراق ، وإلّا فعلتُ وفعلت ؛ فقال [له](٤) ابنُ عبّاس : قل لابن الزُّبير : يقول لك ابنُ عبّاس : ثكِلَتْك أمُّك ، والله ما يأتينا من النّاس غيرُ رَجُلَين : طالبِ فِقْه أو طالبِ فَضْل ، فأىَّ هذين تَمْنَع ؟ فأنشأ أبو الطُّفَيْل عامرُ بنُ واثلة يقول :

لا دَرّ دَرُّ اللّيالى كيف تُضْحِكنا ... منها خُطوبٌ أعاجيبٌ وتُبْكِينَا
ومِثْلُ ما تُحْدِث الأيّامُ من غِيَرٍ ... يا بنَ الزُبَيْر عن الدُّنيا يُسَلّينا(٥)
كُنّا نَجىءُ ابنَ عبّاس فيُقْبِسنا ... عِلْمًا ويُكْسِبنا أجْرًا ويَهْدينا
ولا يَزالُ عُبيدُ الله مُتْرعَــةً ... جفانُه مُطْعِمًا ضَيْفًا ومِسْكينا
فالبِرُّ والدِّينُ والدُّنْيا بدارِهما ... نَنال منها الذى نَبْغى إذا شِينا
إنَّ النبىَّ هو النُّورُ الذى كُشِفتْ ... به عَمَاياتُ باقِينا وماضِينا
ورَهْطُه عِصْمةٌ فى دِينِنا ولهمْ ... فَضْلٌ علينا وحَقٌّ واجبٌ فِينا
ولستَ فاعْلَمْهُ أوْلَى مِنهمُ رَحِمًا ... يابنَ الزُّبَير ولا أوْلَى به دِينا
ففِيمَ تَمْنعهُمْ عَنّا وتَمْنعنــا ... منهم وتُؤْذيهمُ فينا وتُؤْذينا
لن يُؤْتىَ اللهُ مَنْ أخزى(٦) بِبُغْضهمِ ... فى الدِّين عِزًّا ولا فى الأرْض تَمْكينا

١٦٩ / ١٣

بكاؤه حين سمع من قينة شعرا له فى رثاء ابن له

أخبرنى الحسنُ بن على ، قال : حدّثنى هارونُ بن محمد بن عبدالملك الزيّات ، قال : حدّثنى الزُّبيرُ بن بكّار ، قال : حدّثنى بعضُ أصحابنا :

(١) ب ، س : « فأرسل صاحب » . (٢) ترابية : نسبة إلى أبى تراب ، وهى كنية على بن أبى طالب . . (٣) ضوى إليكما : انضم . (٤) التكملة من المختار .
(٥) المختار : « تسلينا » ، ويكون الضمير ا « غير » . (٦) ط ، والمختار : « أجرى » .

أنّ أبا الطُّفيل عامرَ بن واثلة دُعِى فى مَأْدُبة ، فغَنَّت فيها قَيْنةٌ قولَه يَرثى ابنه :

خَلَّى طُفيلٌ عَلَىَّ الهمَّ وانْشَعَبا[(1)] وهَدَّ ذلك رُكْنِى هَدَّةً عَجَبَا

فبكَى حتَّى كاد يموت .

وقد أخبرنى بهذا الخَبر عمِّى ، عن طَلحة بن عبد الله الطَّلحىّ ، عن أحمد بن إبراهيم :

أنَّ أبا الطُّفيل دُعِى إلى وليمة ، فغنَّت قَينةٌ عندهم :

خَلَّى طُفيلٌ علىَّ الهمَّ وانْشَعبا[(2)] وهَدّ ذلك رُكْنِى هدّةً عَجَبَا
وابنَىْ سُميّةَ لا أنساهما أبدًا فيمن نَسِيت وكُلٌّ كان لى وَصَبا

فجَعل يَنْشِج ويقول : هاه هاه طُفيل ! ويَبكى حتّى سَقط على وَجهه ميتًا .

وأخبرنى محمدُ بن مَزْيد ، قال : حدّثنا حمّادٌ ، عن أبيه ، بخَبر أبى الطُّفيل هذا ، فذكَر مِثْلَ ما مَضى ، وزاد فى الأبيات :

فاملِكْ عَزاءَكَ إنْ رُزْءٌ بُلِيتَ به فلنْ يَرُدَّ بُكاءُ المَرء ما ذَهَبَا
وليس يَشْفِى حَزينًا مِن تَذكُّره إلّا البُكاءُ إذا ما ناح وانْتحبا
فإذْ[(2)] سَلكتَ سَبيلاً كنتَ سالكَها ولا مَحالَةَ أن يَأْتِى الذى كُتِبا
فما لِبَطْنك مِن رِىٍّ ولا شِبَعٍ ولا ظَلِلْتَ بباقِى العَيْش مُرْتَقِبا[(3)]

(1) المختار : « فانشعبا » .

(2) المختار : « فإن» . (3) كذا فى ط ، والمختار . والمرتقب : المنتظر . وفى و : «مرتغبا» بالغين المعجمة ، والمرتغب : المريد . والذى فى سائر الأصول : «مرتعبا» ، بالعين المهملة .

حديث غناء طويس فى شعره

وقال حمّادُ بن إسحاق : حدّثنى أَبِى ، قال : حدّثنى أبو عبد الله الجُمحىّ ، عن أبيه ، قال :

بينا فِتيةٌ من قُريش ببَطْنِ مُحَسِّر[1] يتذاكَرون الأَحاديثَ ويتَناشدون الأَشعار ، إذْ أقْبَل طُويسٌ، وعليه قَميصٌ قُوهِىٌّ[2] وحِبَرةٌ[3] قد ارْتدَى بها ، وهو يَخْطِر فى مِشْيته ، فَسلَّم ثم جلس ، فقال له القومُ : يا أَبا عبْدِ المُنعم ، لو غنَّيْتَنا ؟ قال : نَعَمْ ، وكرامةً ، أُغنيكم بشِعرِ شَيْخ من أَصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، من شيعة علىّ بن أَبى طالب ، عليه السلام ، وصاحِب رايته ، أدْرك الجاهليّةَ والإسلام ، وكان سيِّدَ قومه وشاعرَهم ؛ قالوا : ومن ذاك يا أبا عبد المُنعم ، فَدَتْك أنفسُنا ؟ قال : ذلك أبو الطُّفيل عامرُ بن واثلة ، ثُمَّ اندفع فغنَّى :

أيَدْعوننى شَيخًا وقد عِشتُ حِقبةً ... وهُنَّ من الأَزْواج نَحْوِى نوازعُ

فطرِب القومُ وقالوا : ما سَمعنا قطُّ غناءً أحسنَ من هذا .

وهذا الخَبر يدلُّ على أن فيه لحنًا قديمًا ، ولكنَّه ليس يُعرف .

* * *

(١) محسر ، بالضم ثم الفتح وكسر السين المشددة وراء : موضع بين مكة وعرفة ، وقيل : بين منى وعرفة ، أو بين منى والمزدلفة . (معجم البلدان) . (٢) قوهى : ضرب من الثياب كان ينسب إلى قوهستان ، كورة بين نيسابور وهراة ، وكل ثوب أشبهه يقال له : قوهى ، أيضاً . (٣) الحبرة : ضرب من برود اليمن .

صوت

لِمَنِ الدارُ أَقْفرت بمَعان[1] | بين شاطى[2] اليَرْمُوك فالصَّمان[3]
فالقُرَيَّات من بَلَاس فـداريّا[4] فسَكَّاء[5] فالقُصُورِ الدَّواني | ١٧٠ / ١٣
ذاكَ مغنىً لآل جَفْنَةَ فى الدَّهْـر[6] وحقٌ تصرُّفُ[7] الأزْمان
صلواتُ المَسيحِ فى ذلك الدَّيْـر دُعاءُ القِسِّيس والرُّهبان[8]

الشِّعر لحسَّان بن ثابت . والغِناءُ لحُنَين بن بَلْوَعٍ ، خفيف ثقيلٍ أوَّل بالسَّبَّابة فى مجرى الوسطى .

وهذا الصوت من صُدور الأغانى ومُختارها ،وكان إسحاق يُقدِّمه ويُفضِّله . ووجدتُ فى بعض كتبه بخطِّه ، قال : الصَّيْحة التى فى لَحن حُنين :

* لمن الدارُ أقفرت بمَعَان *

أُخرِجَت من الصَّدر ، ثم من الحَلْق ، ثم من الأَنْف ، ثم من الجَبهة ،

---

(١) معان : مدينة فى طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحى البلقاء ، وقد ضبطها ياقوت بالعبارة « بالفتح » . وقال : « والمحدثون يقولونه بالضم » .
(٢) الديوان (ص : ٣٤٣ طبعة مصر) : « بين أعلى » .
(٣) كذا فى الأصول ، ومعجم البلدان فى رسم « صمان » ، والديوان طبعة مصر . والصمان ، بالفتح ثم التشديد وآخره نون : موضع من نواحى الشام بظاهر البلقاء ، فيما حسب ياقوت ، وفى الديوان (ص : ٤١٤ طبعة أوربة) : « الخمان » ، بالخاء المعجمة ، وخمان ، بالفتح والتشديد: موضع من نواحى البثنية من أرض الشام . (٤) بلاس ، وداريا : من قرى دمشق . (٥) كذا فى أكثر الأصول ، والديوان ، ومعجم البلدان . وسكاء ، بالسين المهملة : من قرى دمشق . والذى فى ط ، ف ، و : « شكاء » ، بالشين المعجمة . (٦) كذا فى و ، والديوان . والذى فى سائر الأصول : « فى الدار » . (٧) الديوان : « تعاقب » . (٨) لم يرد هذا البيت فى الديوان .

ثم نُبِرَت[١] فأُخْرِجت من القِحْف[٢]، ثم نوّنت[٣] مَرْدودةً إلى الأنف، ثم قُطِعت.

وفى هذه الأبيات وأبيات غيرها من القصيدة ألحانٌ لجماعة اشتَركوا فيها، واختلف أيضا مُؤلِّفو الأغانى فى تَرْتيبها ونِسْبةِ بَعضِها مع بعض إلى صاحبها الذى صَنعها، فذُكِرتْ هاهنا على ذلك، وشرِح ما قالوه فيها، فمنها :

صوت

قد عفَا[٤] جاسِمٌ إلى بَيت رَأْس ... فالحَوانِى[٥] فجانِبُ الجَوْلان[٦]

فحِمَى جاسمٍ فأَبنية الصُّفْـ ... ـرِ مَغْنَى قَنابلٍ وهِجَان[٧]

فالقُرَيَّات من بَلَاسَ فدارَيَّـ ... ـا فسَكَّاء فالقُصور الدَّوانى

قد دَنا الفِصْحُ فالوَلائدُ يَنْظِمـ ... ـن سِرَاعًا أَكِلَّةَ المَرْجان[٨]

يَتباريْنَ فى الدُّعاء إلى اللّـ ... ـهِ وكُلُّ الدّعاء للشَّيْطَان[٩]

---

(١) كذا فى ط. والنبر: الرفع. والذى فى ف: «مرت». وفى و: «نثرت». وفى سائر الأصول: «تبرت». وما أثبتناه الصحيح. (٢) من القحف؛ أى: من الدماغ. والقحف، بالكسر: العظم فوق الدماغ. (٣) كذا فى ط، ف، و. والذى فى سائر الأصول: «بونت».
(٤) الديوان: «فقفا». والقفا من الشىء: ما خلفه وما وراءه. (٥) انظر الحاشية (رقم: ٤، ص: ٥٤٦٢). (٦) جاسم والجولان: من قرى دمشق. وبيت رأس: من نواحى حلب.
(٧) الصفر، بالضم ثم الفتح والتشديد وراء: موضع بين دمشق والجولان. وقنابل، وهجان؛ أى: جماعات من الخيل والإبل. ورواية هذا البيت والذى قبله فى الديوان:

فقفا جاسم فأودية الصفـ ... ـر مغنى قبائل وهجان

ثكلت أمهم وقد ثكلتهم ... يوم حلوا بحارث الجولان

وكذا جاء البيتان فى معجم البلدان (جاسم، جولان) لم يختلفا إلا فى صدر البيت الثانى، فقد روى فى معجم البلدان:

* هبلت أمهم وقد هبلتهم *

(٨) الفصح: من أعياد النصارى. (٩) لم يرد هذا البيت فى الديوان.

ذاكَ مَغْنىً لآلِ جَفْنَةَ فى الدَّهْـ ـرِ وحَقٌّ تَصرُّفُ الأزْمانِ[1]
صلواتُ المَسيحِ فى ذلكَ الدَّيْـ ـرِ دُعاءُ القِسِّيسِ والرُّهْبانِ[2]
قد أرانى هُناكَ حَقَّ مَكِينٍ عندَ ذى التَّاجِ مَقْعدِى[3] ومَكانى

ذَكر عمرو بنُ بانة أنَّ لابن مُحْرِز[4]، فى الأوّل من هذه الأبيات والرابع، خفيفَ ثقيل أوّل بالبنصر .

وذكر علىّ بنُ يحيى أنَّ لابن سُريج، فى الرابع والخامس، رَمَلاً بالوُسطى، وأنَّ لمعبد، فيهما وفيما بعدهما من الأبيات، خفيفَ ثقيل؛ ولمحمد بن إسحاق بنُ بزيع[5] ثقيل أوّل فى الرابع والثامن .

وذكر الهشامىّ أنَّ فى الأوّل لمالك خَفيفَ ثقيل، ووافقه حَبَش .

وذكر حَبش أنَّ لمعبد، فى الأوّل والثانى والرابع، ثقيلاً أوّل بالبِنصر .

---

(١) مر البيت بالتعليق عليه (ص: ٥٤٥٧) . (٢) انظر الحاشية (رقم: ٨ ، ص ٥٤٥٧) .
(٣) الديوان : «مجلسى» . (٤) قيده ابن حجر فى تبصير المنتبه (١٢٦١ - ١٢٦٢) بالعبارة : «بمهملتين ، بوزن محمد» . وقال ، وهو يعد من جاء على هذه الصيغة : «وابن محرز المغنى المكى من طبقة ابن سريج» . واستشهد ببيت البحترى :

يشيد بحاجات النفوس إذا اعتزى إلى ابن سريج أو حكى ابن محرز

والبيت من قصيدة يمدح البحترى بها ابن بسطام ويرثى غلاما له مغنيا ، مطلعها :

أرانى متى أبغ الصبابة أقدر وإن أطلب الأشجان لا تتعذر

(الديوان : ١٠٥٨ - ١٠٦٠) . (٥) كذا فى ط ، ف . وثمة من تسمى بهذا الاسم . والذى فى سائر الأصول : «برثع» .

أخبار

حسان وجبلة بن الأيهم

حسان فى حضرة جبلة وبين يديه علقمة والنابغة

* أخبرنى أحمدُ بن عبدالعزيز الجَوهرىُّ ، وحَبِيبُ بن نَصر المُهلَّبىّ قالا : حدّثنا عُمرُ بن شَبّة ، قال : حدّثنى هارونُ بن عبد الله الزُّهرىّ ، قال : حدّثنى يوسفُ بن الماجِشُون ، عن أبيه ، قال :

قال حسّان بن ثابت : أتيتُ جَبلةَ بن الأَيهم الغَسّانى وقد مدَحتُه ، فأَذِن لى ، فجلستُ بين يدَيه ، وعن يمينه رَجُلٌ له ضَفيرتانِ ، وعن يساره رَجلٌ لا أعرفه ، فقال : أتعرف هذين ؟ فقلتُ : أمّا هذا فأعرفه ، وهو النابغة ، وأمّا هذا فلا أعرفه؛ قال : فهو عَلْقمة بن عَبَدة ، فإن شِئْتَ استنشدتَهما وسَمعتَ منهما ، ثم إنْ شئتَ أن تُنْشِد بعدهما أنشدتَ ، وإن شِئْتَ أن تَسكتَ سكتَّ ؛ قلت : فذاك . قال : فأنشده النابغةُ :

كِلِينِى لهمٌ يا أُميمَةَ ناصبِ ... ولَيلٍ أقاسيه بَطىءِ الكَواكِبِ[1]

قال : فذَهبَ نِصْفِى . ثم قال لِعلْقمة : أَنشِدْ ، فأَنشدَ :

طَحابِكَ قَلبٌ فى الحِسانِ طَرُوبُ ... بُعيدَ الشَّبابِ عَصْرَ حانَ مَشِيبُ[2]

فذَهب نِصْفى الآخَر . فقال لى : أنتَ أَعلمُ الآنَ ، إن شِئت أن

(٥) تجريد الأغانى (١٦٣١–١٦٣٢) مختار الأغانى (٢ : ٣٢٥–٣٣٦) .

(١) الديوان (ص : ٥٤) (٢) طحا بك قلب : ذهب بك كل مذهب . (الديوان : ٩)

تُنشِدَ بعدهما أَنشدْتَ ، وإن شئتَ أن تَسكت سَكتَّ ؛ فتشدّدتُ[1] ثم قلتُ : لا ، بل أُنشِد ؛ قال : هات ، فأنشدتُه :

لله دَرُّ عِصابةٍ نادمتُهــا ... يومًا بجلِّقَ فى الزّمان الأَوّلِ[2]
أولادِ[3] جَفْنةَ عندَ قبرِ أبيهمِ ... قَبرِ ابن ماريةَ الكريمِ المُفْضِلِ
يَسْقُون مَن وَرَدَ البَرِيصَ عليهمُ ... كأسًا تُصَفَّق بالرَّحيق السَّلْسلِ[4]
يُغْشَونَ حتَّى ما تهِرُّ كِلابُهم ... لا يَسْأَلون عن السَّواد المُقْبِلِ[5]
بِيضُ الوُجوهِ كريمةٌ أَحسابُهم ... شُمُّ الأُنوفِ من الطِّرازِ الأَوّلِ

٣/١٤

فقال لى : أدنُهْ أدنُهْ ، لَعمرى ما أنتَ بدُونهما ، ثم أمَر لى بثلثمائة دينار ، وعشرةِ أقْمصة لها جَيْبٌ واحد ، وقال : هذا لك عِندنا فى كُلِّ عام .

رواية أبي عمرو الشيباني لهذا الخبر

وقد ذكر أبو عمرو الشَّيبانىّ هذه القِصَّةَ لحسّانَ ووَصفها ، وقال : إنَّما فَضَّله عمرو بنُ الحارث الأعرج ، ومَدَحه بالقصيدة اللاميَّة . وأتى بالقِصَّة أتمَّ من هذه الرِّواية .

قال أبو عمرو :

قال حسَّان بنُ ثابت : قَدِمْتُ على عمرِو بن الحارث ، فاعتاصَ[6] الوُصولُ علىَّ إليه ، فقلتُ للحاجب بعد مُدَّة : إنْ أَذِنتَ لى عليه وإلاَّ هَجوتُ اليمنَ كُلَّها ثم انقلبتُ عنكم ؛ فأَذِن لى ، فدخلتُ عليه فوجدتُ

(١) تشددت : تقويت .

(٢) جلق ، بكسرتين وتشديد اللام وقاف : دمشق ؛ وقيل ، قرية من قراها . وهذا البيت لم يرد فى ط ، ف ، ه ، والمختار . وذكره صاحب المعجم « جلق » . ونسبه إلى حسان .

(٣) وكذا فى الديوان (ص : ٢٤٧) . والذى فى التجريد ، والمختار : « أبناء » . (٤) البريص : نهر بدمشق . (٥) السواد : الجماعات . (٦) اعتاص : عسر .

عنده النابغةَ ، وهو جالسٌ عن يمينه، وعَلقمةَ بنَ عَبَدة ، وهو جالسٌ عن يساره ، فقال لى : يا بْنَ الفُرَيعة ، قد عرفتُ عِيصَك[1] ونَسَبك فى غسَّان ، فارْجعْ فإنِّى باعثٌ إليك بِصِلة سَنِيَّة ، ولا أحتاجُ إلى الشِّعر ، فإنِّى أخاف عليك هذَين السُّبُعَين : النابغة وعَلقمة ، أن يَفضحاك ، وفَضيحتُكَ فَضِيحتى ، وأنتَ واللهِ لا تُحْسِنُ أن تقول :

رِقَاقُ النِّعال طَيِّبٌ حُجُزَاتهمْ ... يُحَيَّوْن بالرَّيْحانِ يومَ السَّبَاسِب[2]

فأبيتُ وقلتُ : لا بُدَّ منه ؛ فقال : ذاك إلى عَمَّيْك ؛ فقلت لهما : بحقِّ المَلك إلَّا قَدَّمْتُمانى عليكما ؛ فقالا : قد فَعلنا ؛ فقال عمرو بن الحارث : هات يابن الفُريعة ، فأنشأتُ[3] :

أسألْتَ رَسْمَ الدَّارِ أم لم تَسْألِ ... بَينَ الحَوانِى[4] فالبُضَيْع[5] فحَوْمَلِ

فقال : فلم يَزل عمرو بنُ الحارث يَزْحَل[6] عن مَوضعه[7] سُروراً حتى شاطَرنى[8] البيتَ ، وهو يقول : هذا وأبيكَ الشِّعرُ ، لا ما تُعلِّلانى به منذُ اليوم ! هذه واللهِ البتَّارة[9] التى قد بَتَرت المَدائحَ ، أحسنتَ يابن الفُريعة ، هاتِ له يا غلامُ ألفَ دينار مَرْجُوحة[10] ، وهى التى فى كُلِّ

(١) العيص : الأصل . (٢) رقاق النعال ؛ أى : ليسوا بأصحاب مشى ولا تعب ، لأنهم ملوك . و يوم السباسب : عيد كان لهم فى الجاهلية . قال أبو عبيدة : « وكل عيد فالعرب تسميه يوم سباسب » . (ديوان النابغة : ٦٤) .

(٣) المختار : « فأنشأت أقول والقلب وجل » . (٤) الديوان، ومعجم البلدان، فى رسم « بضيع » : الجوابى » . وفى المختار : « الحواق » . (٥) كذا فى ط، والمختار ، والديوان، ومعجم البلدان. والبضيع ، مصغر : جبل بالشام . وفى ج : « بالنصيح » . وفى سائر الأصول : « فالنصيع » ، تحريف . (٦) زحل عن مكانه: زال وتنحى. (٧) المختار : « مجلسه» . (٨) كذا فى المختار . والذى فى الأصول : « شاطر » . (٩) وكذا فى المختار . والذى فى أ ، ج ، ف ، و : « المتالة » ، وهما بمعنى. (١٠) مرجوحة: موزونة مقدرة وافية : والذى فى ط ، ف ، و ، والمختار : « مرموجة » . وفى أ : « مرجوجة » . وما أثبتناه من سائر الأصول .

دينار عَشرة دنانير ، فأُعطيت ذلك ؛ ثم قال : لك علىّ فى كلّ سنة مثلُها . ثم أقبلَ على النابغة ، فقال : قُم يا زيادُ فهاتِ الثَّناء المَسْجوع ، فقام النابغة فقال : ألَا انعَم صباحًا أيُّها الملِك المبارَك ، السَّماءُ غِطاؤك ، والأَرض وِطاؤك ، ووالداىَ فِداؤك ،والعربُ وِقاؤك ،والعجم حِماؤك[1] ، والحُكماءُ جُلساؤك ، والمَدَارِه سُمّارك[2] ، والمَقاول إخْوانك[3] ، والعَقْل شِعارُك[4] ، والحِلْم دِثارك ، والسَّكينة مِهادُك ، والوَقار غِشاؤك ، والبِرُّ وِسَادك ، والصِّدق رِداؤك ، واليُمْن حِذاؤك ، والسَّخاءُ ظِهارتك ، والحَمِيَّة بِطانتك ، والعَلاءُ غايتك[5] ، وأكرم الأَحياء أحياؤك ، وأشرفُ الأَجداد أجدادك ، وخَير الآباء آباؤك ، وأفضل الأَعمام أعمامُك ، وأسْرَى الأَخوال أخوالُك ، وأعفُّ النِّساء حَلائلك ، وأفخر الفِتيان[6] أبناؤك ، وأطهر الأُمّهات أمّهاتك ، وأعْلَى البُنيان بُنيانك ، وأعْذَبُ المياه أمْواهُك ، وأفْيَح[7] الداراتِ داراتك[8] ، وأنْزه الحدائقِ حدائقُك ، وأرفعاللِّباس لباسُك[9] ،قدحالَف الإضريجُ[10] عاتقَك[11] ،ولاءم المِسْكُمِسْكَك[12] ، وجاورَ العَنْبر تَرائِبَك[13] ،وصاحَبَ النَّعيمُ جَسدَك ؛ العَسْجدُ آنيتك ،

(١) حماؤك : بالمد : فداؤك .

(٢) المداره : المفوهون ؛ الواحد : مدره . والرواية فى المختار : والمداراة سِماؤك » .

(٣) المقاول : جمع مقول ، كنبر ، وهو من دون الملك الأعلى . (٤) زيد فى المختار بعد هذا : « والسلم منارك » . (٥) كذا فى ط ، ف ، و ، المختار . والذى فى أ ، جـ : « غلايتك » . والذى فى سائر الأصول: « علايتك » . (٦) وكذا فى المختار. والذى فى ب ، جـ ، س : « الشبان » . (٧) المختار : « أفسح »،وهما بمعنى .

(٨) وكذا فى المختار . وفى ط ، ف : « دارتك » . وفى و : « الديار ديارك » .

(٩) زيد فى المختار بعدهذا : « وأدفع الأجناد أجنادك » . (١٠) الإضريج : الخز الأحمر.

أغ (١١) ب،س : « عاتقك » . (١٢) المسك،بالفتح : الجلد. (١٣) ب،س : « تريبك».

والُّلجَين صِحافُك ، والعَصْب مَناديلك (١) ، والحُوّارَى (٢) طَعامُك ،
والشُّهد إدامُك ، واللّذات غِذاؤك ، والخرطوم شَرابك (٣) ، والأبكار
مُسْتراحك ، والأشراف مَناصفك (٤) ، والخَير بفِنائك ، والشرُّ بساحة ٤/١٤
أعدائك ، والنَّصرُ مَنوطٌ بلوائك ، والخِذْلان مع ألوية حُسّادك ، والبرّ
فِعْلُك (٥) . قد طَحْطح (٦) علوُّك غضبُك ، وهَزم مقانبَهم جندُك (٧) ؛
وسارَ فى الناس عَدْلُك ، وشاع (٨) بالنَّصر ذِكْرك ، وسَكّن قوارعَ الأعداء (٩)
ظَفرك . الذَّهبُ غطاؤك ، والدَّواة رَمْزُك ، والأَوْراق لحظُك وإطراقك (١٠) ،
وألف دينار مَرْجوحة (١١) إيماؤك . أيُفاخرك المُنذرُ اللَّخميّ ؟ فوالله لقَفاكَ
خيرٌ من وَجهه ، ولِشمالُك خيرٌ مِن يَمينه ، ولأَخْمَصُك خيرٌ من رَأْسه ،
ولخَطَاؤك (١٢) خيرٌ من صَوابه ، ولصَمْتُك خيرٌ من كلامه ، ولأُمُّك خير من
أبيه ، ولخدَمُك خيرٌ من قومِه ؛ فهَبْ لى أُسارَى قَومى ، واستَرْهِن شُكرى ،
فإنّك من أشراف قَحطان ، وأنا من سَرَوات عَدنان .

---

(١) العصب : من برود اليمن . (٢) كذا فى و ، والمختار . والحوارى : لباب الدقيق ، وفى سائر الأصول : « الحوار » . (٣) الخرطوم : أول مايجرى من العنب قبل أن يداس .

(٤) المناصف : الخدم ؛ الواحد : منصف ، كمقعد ومنبر .

(٥) المختار : « زين قولك فعلك » . (٦) طحطح : بدد وفرق . (٧) كذا فى أ ، جـ ، ط ، والمختار . والمقانب : جمع مقنب ، وهو من الخيل : ما بين الثلاثين إلى الأربعين . والذى فى سائر الأصول : « مغانيهم مشهدك » . (٨) أ ، ب ، جـ ، س : « وشسع » . وما أثبتنا من سائر الأصول ، والمختار . (٩) القوارع : الدواهى والشدائد ؛ الواحدة : قارعة . وفى المختار : « قوارع البلاد » . (١٠) لحظك وإطراقك ؛ أى : نظرك وإغماضك . وفى المختار : « الفى إطراقك » . (١١) أ : « مرجوجة » . وفى ط ، ف ، و ، والمختار : « مرموجة » . وما أثبتنا من سائر الأصول . (انظر الحاشية : ١٠ ، ص : ٥٤٦٢) .

(١٢) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، س ، والمختار : « ولخطوك » ، وهما بمعنى .

فرفع عَمرو رأسَه إلى جارية كانت قائمةً على رَأسه وقال : بمِثل هذا فليُثْنَ على المُلوك ، ومِثلُ ابن الفريعة فَلْيمدحْهم ؛ وأطْلق له أسْرى قومه .

رواية ابن الكلبي للخبر

وذكر ابن الكَلبيّ هذه القصّة نحوَ هذا ، وقال :

فقال له عمرو : اجْعَل المفَاضلةَ بيني وبين المُنذر شِعرًا ، فإنه أسْيَرُ ، فقال :

ونُبِّئت أنَّ أبا مُنْذِرٍ ... يُساميك للحارث الأصْغَرِ[1]
قَذَالُك[2] أحْسنُ مِن وَجْهِه ... وأمُّكَ خيرٌ من المُنذرِ
ويُسْراك أجْوَدُ من كَفِّه ... اليمين فقُولا له أخِّرِ[3]

وقد ذكر المدائنيّ :

أنَّ هذه الأبيات والسَّجعَ الذى قبلها لحسَّان ، وهذا أصحُّ[4] .

قدوم جبلة بعد إسلامه على عمر وحديث تنصر

قال أبو عَمرو الشيبانيّ :

لمَّا أسلم جَبَلةُ بن الأيْهم الغسَّانيّ ، وكان من مُلوك آل جَفنة ، كتب إلى عُمر ، رضى الله عنه ، يستأذنه فى القُدوم عليه ، فأذِنَ له عُمرُ ، فخرج

(١) كذا فى أ ، وديوان حسان (ص : ١٤٧) . والذى فى سائر الأصول :
* يساميك للحدث الأكبر *
(٢) القذال : جماع مؤخر الرأس . وفى الديوان : « قفاك » .
(٣) كذا فى أكثر الأصول ، والمختار . والذى فى ب ، س : « أجر » . ورواية البيت فى الديوان :
ويسرى يديك على عسرها ... كيمنى يديه على المعسر
وزاد الديوان :
وشتان بينكما فى الندى ... وفى البأس والخير والمنظر
(٤) لم نجد الأبيات فى ديوان النابغة .

إليه فى خَمسمائة من أهل بَيته ، من عَكٍّ وغَسّانَ ، حتّى إذا كان على مَرْحلتَين كَتب إلى عُمر يُعْلمه بقُدومه ، فسُرّ عمر ، رضوان الله عليه ، وأمر الناسَ باستقباله ، وبَعث إليه بـأَنْزال[١] ، وأمر جَبلةُ مائتَى رَجُلٍ من أصحابه فلَبِسوا الدّيباجَ[٢] والحَرير ، وَركبُوا الخُيولَ مَعْقودةً أذنابُها ، وألْبسوها قلائدَ الذّهب والفِضّة ، ولَبِس جَبلةُ تاجَه وفيه قُرْطَا مارِيَةَ – وهى جَدّته – ودخل المدينةَ ، فلم يَبْقَ بها بِكْرٌ ولا عانِس إلا تَبرّجت[٣] وخَرجَتْ تَنظُر إليه وإلى زِيّه . فلما انتهى إلى عُمر رحّبَ به وألْطفَه وأدْنى مَجلسه . ثُم أراد عمرُ الحجَّ ، فخَرج معه جبلةُ ، فبينا هو يَطوف بالبيت ، وكان مَشهورًا بالموسم ، إذ وَطِئَ إزارَه رَجُلٌ من بنى فَزارة فانْحلّ ، فرفع جَبلةُ يدَه فَهَشَم أنْفَ الفَزارىّ ، فاسْتعدَى عليه عُمرَ ، رضوان الله عليه ، فبَعثَ إلى جَبلة فأتاه ، فقال : ما هذا ؟ قال : نَعَمْ ؛ يا أمير المؤمنين ، إنَّه تَعمَّدَ حَلَّ إزَارِى ، ولولا حُرمةُ الكَعبة لضربتُ بين عَيْنيه بالسَّيف ؛ فقال له عُمر : قد أقْرَرْتَ ، فإمّا أنْ تُرْضِيَ[٤] الرَّجُلَ وإمَّا أن أُقِيده منك ؛ قال جَبلةُ : ماذا تَصنع بى[٥] ؟ قال : آمُر بهَشْم أنفك كما فعلتَ ، قال: وكيف ذاك يا أمير المؤمنين ، وهو سُوقةٌ وأنا ملك ؟ قال : إنَّ الإسلام جَمعك وإيَّاه ، فلستَ تَفْضُله بشىء إلا بالتُّقَى والعافية ؛ قال جبلةُ : قد ظننتُ يا أمير المؤمنين أنّى أكون فى الإسلام[٦] أعزَّ منى فى الجاهليَّة ؛ قال عُمر : دَعْ عنك هذا ، فإنّك إن لم تُرْضِ الرَّجلَ أقَدْتُه منك ؛ قال :

---

(١) الأنزال : جمع نزل ، بضم ، وبضمتين ، وهو ما يهيأ للضيف . (٢) تبرجت : برزت فى زينتها . (٣) كذا فى ط ، ف ، و ، والمختار . والذى فى سائر الأصول : « السلاح » . (٤) ب ، س : « ورضى » . (٥) المختار : « تصنع بى ماذا » .

(٦) المختار : « بالإسلام » .

إذًا أتنصر ؛ قال : إنْ تنصّرت ضربت عُنقك ، لأنّك قد أسلمتَ ، فإن ارتددتَ قتلتُك . فلما رأى جبلةُ الصِّدقَ من عُمر قال : أنا ناظرٌ ٥/١٤ فى هذا لَيلتِى هذه . وقد اجتمع بباب عُمر مِن حىّ هذا وحىّ هذا خَلْقٌ كثير ، حتى كادت تكون بينهم فِتنة ، فلما أمْسَوْا أذِن له عُمر فى الانصراف ، حتّى إذا نام النّاسُ وهدءُوا تَحمَّل جبلةُ بخَيْله ورَوَاحله إلى الشأم ، فأصبحتْ مكةُ وهى منهم بَلاقعُ ، فلما انتهى إلى الشأم تحمّل فى خَمسمائة رَجُل من قَومه حتى أتى القُسطنطينيةَ ، فدَخل إلى هرقْل ، فَتنصّر هو وقومُه ، فسُرَّ هِرقْلُ بذلك جدًّا ، وظَنَّ أنه فَتْحٌ من الفُتوح عظيم. وأقطعه حيثُ شاء ، وأجرى عليه من النُّزُل ما شاء ، وجعله من مُحدِّثيه وسُمّاره .

هكذا ذكر أبو عمرو .

وذكر ابنُ الكَلْبىّ :

أنَّ الفزارىَّ لمّا وَطِئ إزارَ جَبلة لَطم جَبلةَ كما لَطمه ، فوثبت غَسّانُ فهَشموا أنْفَه ، وأتَوْا به عُمَر .

ثم ذكر باقى الخبر نحوَ ما ذكرناه .

وذكر الزُبير بن بكّار ، فيما أخبرنا به الحَرمىُّ بن أبى العلاء ، عنه ، أن محمدَ بن الضحّاك حدّثه ، عن أبيه :

أنّ جبلةَ قدم على عُمر رضى الله عنه ، فى ألفٍ من أهل بيته فأسْلم . قال : وجَرى بينه وبينَ رَجُلٍ من أهل المدينة كلامٌ ، فسبَّ المَدينىَّ(١)

(١) فى أكثر الأصول ، والمختار : « المدنى » ، تحريف ، إذ النسبة إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم : مدينى . وما أثبتنا من أ ، ط ، و .

فردّ عليه ، فلَطمه جبلةُ ، فَلطمه المدينىُّ[١] ، فوثَب عليه أصحابُه ، فقال : دَعُوه حتّى أسأَلَ صاحبَه وأَنْظر ما عِنده . فجاء إلى عُمَرَ فأَخبره ؛ فقال : إنّك فعلتَ به فِعْلاً ففَعَل بك مِثْلَه ؛ قال : أَوَ ليس عندك من الأَمر إلا ما أرى ؟ قال : لا ، فما الأَمرُ عِندكَ يا جَبلة ؟ قال : مَن سبَّنا ضَربناه ، ومن ضَربَنا قَتلناه ؛ قال : إنّما أُنْزِل القرآن بالقِصَاص . فغَضِب وخَرج بمَن معه ودَخلَ أَرْضَ الرُّوم فتنَصَّر ، ثم نَدم وقال :

* تَنصَّرتِ الأَشْرافُ من عارِ لَطْمة *

وذكر الأَبيات ، وزاد فيها بعد :

ويا ليتَ لى بالشأْم أَدْنَى معيشة　　أُجَالِسُ قَوْمى ذاهبَ السّمع والبَصَرْ

أَدينُ بما دانُوا[٢] به من شَريعة　　وقديُحْبَس[٣] العَوْدُ الضَّجُورعلى الدَّبَرْ[٤]

وذكر باقى خَبره ، فيما وجّه به إلى حسّان ، مثله ، وزاد فيه :

أنَّ معاويةَ لما وَلى بعثَ إليه فدعاه إلى الرُّجوع إلى الإسلام ، ووَعده إقْطاع الغُوطة بأَسْرها ، فأَبَى ولم يَقْبل .

رسول عمر إلى هرقل ولقاؤه جبلة وحديث ذلك

ثم إنَّ عمر ، رضى الله عنه ، بَدا له أن يَكْتبَ إلى هِرقلَ يَدْعوه إلى الله جلّ وعزّ وإلى الإسلام ، ووجّه إليه رَجُلاً من أصحابه ، وهو : جَثّامة بن مُساحق الكِنانىّ ، فلما انتهى إليه الرجُل بكتاب عُمرَ أجاب إلى كُلِّ شىء سِوى الإسلام ، فلما أراد الرسولُ الانصرافَ قال له هِرَقْلُ : هل رأَيتَ

(١) انظر الحاشية (رقم ١ : ص : ٥٤٦٧) .
(٢) كذا فى أكثر الأصول . والمختار . والذى فى ط ، ف : « بما كانوا » . (٣) المختار : « يجبر » . (٤) العود : المسن من الإبل . والدبر : الإصابة بالدبرة ، وهى القرحة .

ابن عمك هذا الذى جاءنا راغبًا فى ديننا ؟ قال : لا ؛ قال : فالْقَه ؛ قال الرَّجلُ : فتوجهتُ إليه ، فلما انتهيتُ إلى بابه رأيتُ من البَهجة والحُسن والسُّرور ما لم أرَ بباب هِرَقْلَ مِثْلَه ، فلما أُدخِلت عليه إذا هو فى بَهْوٍ عظيم ، وفيه من التَّصاوير ما لا أُحْسِن وَصْفَه ، وإذا هو جالسٌ على سَريرٍ من قَوارير ، قوائمُه أربعةُ أُسْدٍ من ذَهب ، وإذا هو رَجلٌ أَصْهبُ ذو سِبال وعُثْنون[1] ، وقد أمر بِمَجْلِسِه فاستُقبِل به وَجْهُ الشمس ، فما بينَ يدَيْه من آنية الذهب والفِضَّة يَلُوح[2] ، فما رأيتُ أحسنَ منه ؛ فلمَّا سَلَّمتُ رَدَّ السلامَ ورَحَّب بى وألْطفَنى ، ولامَنى على تَركى النُّزولَ عنده ، ثم أَقْعدَنى[3] على شىء لم أُثبِته ، فإذا هو كُرسىٌّ من ذَهب ، فانحدرتُ عنه ؛ فقال : مالكَ ؟ فقلتُ : إنّ رسول الله صلَّى الله عليه ١٤

٦/١٤ وسلَّم نَهَى عن هذا ؛ فقال جَبلةُ أيضا مثلَ قَولى فى النبىِّ صلَّى الله عليه وسلَّم حين ذَكرتُه ، وصلَّى عليه ، ثم قال : ياهذا . إنَّك إذا طَهَّرتَ قلبك لم يَضِرْكَ ما لَبِسْتَه ولا ما جَلستَ عليه ؛ ثم سألَنى عن الناس وألْحفَ فى السُّؤال عن عُمَر ، ثم جعل يُفكِّر حتى رأيتُ[4] الحُزْنَ فى وَجهه ، فقلتُ : ما يَمنعك من الرُّجوع إلى قومك والإسلام ؟ قال : أَبَعْدَ الذى قد كان ؟ قلتُ : قد ارتدَّ الأشعثُ بنُ قَيس ومنَعَهم الزَّكاةَ وَضربهم بالسَّيف ثم رَجَع إلى الإسلام . فتحدَّثْنا مَلِيًّا . ثم أَوْمأ إلى غُلام على رأسه [بشىء][5] ، فولَّى يُحْضِر ، فما كان إلاّ هُنيهةً حتَّى أقبلت الأَخْوِنةُ[6] يَحملها الرِّجالُ ،

(١) السبال : جمع سبلة ، وهى ما على الشارب من الشعر . والعثنون : اللحية .

(٢) يلوح : يومض . (٣) المختار : « أجلسنى » . (٤) المختار : « عرفت » .

(٥) التكلة من و ، والمختار . (٦) الأخونة : ما يؤكل عليها ؛ الواحد : خوان ، كغراب وكتاب .

فوُضِعت ، وجيء بِخُوان من ذَهب ،فُوضِع أَمَامى ، فاستعفيتُ منه ، فوُضع أمامى خُوانُ خَلَنْج[١] وجامَاتُ قوارير ،وأُدِيرت الخَمر ،فاستعفَيْت منها ، فلما فَرغنا دَعا بكأْسٍ من ذَهب فشَرِب فيه[٢] خَمْسًا عَدَدًا ، ثم أومأَ إلى غُلامٍ ، فَولَّى[٣] يُحضِر[٤] ، فما شَعَرْتُ إلا بِعَشْرِجَوارٍ يتكَسَّرن فى الحَلْى ، فَقعدخمسٌ عن يمينه وخمسٌ عن شِماله ،ثم سَمعتُ وَسوسةً من وَرائى ، فإذا أنا بِعَشرٍ أفضلَ من الأُولِ عليهنّ الوَشْىُ والحَلْى ،فقعد خَمسٌ عن يمينه وخَمس عن شِماله ، وأَقبلت جاريةٌ على رَأْسها طائرٌ أبيضُ كأنَّه لُؤْلؤةٌ ،مُؤَدَّب[٥] ،وفى يَدها اليُمنى جامٌ فيها[٦] مِسْكٌ وعَنبَر قد خُلِطا وأُنْعِم سَحْقُهما ،وفى اليُسرى جامٌ فيها[٦] ماءُ وَرْد ، فأَلْقَت الطائرَ فى ماء الوَرد ، فتَمعَّك[٧]بينجناحَيه وظَهْره وبَطْنه ،ثم أخرجَتْه فألقَتْه فى جام المِسْكِ والعَنبْر ، فتَمعَّك فيها حتى لم يدَعْ فيها شَيئًا ،ثم نَفَّرتْه . فطار فتَسَقط على تاج جَبَلة ، ثم رَفرف ونَفض رِيشَه ، فما بقى عليه شىءٌ إلَّا سَقط على رأْس جَبَلة . ثم قال للجوارى : أَطْرِبْننى . فخفَقْن بعيدانهنّ يُغنِّين :

لله دَرُّ عِصـــــابة نادمتهُمْ ... يومًا بجِلِّقَ[٨] فى الزَّمان الأوّلِ
بيضِ الوُجوه كريمةٍ أحسابُهم ... شُمِّ الأُنوف من الطِّرازِ الأوّلِ

---

(١) كذا فى أكثر الأصول، والمختار. والخلنج : شجر تتخذ من خشبه الأوانى ونحوها . والذى فى ب ، جـ ، س : «خليج» ، تحريف . (٢) كذا فى أ ، ط ، ف ، والمختار . والذى فى ن : «به». وفى سائر الأصول : «منه» . (٣) المختار : «فخرج» .
(٤) يحضر : يسرع . (٥) مؤدب : مدرب .
(٦) ب، س ، هنا : «فيه» . والجام ، مؤنثة . (انظر الحاشية : ٢ : ص : ٥٤٤١) .
(٧) تمعك : تمرغ . (٨) انظر (الحاشية : ٢ صفحة : ٥٤٦١) .

يُغْشَونَ حتّى ما تَهِرُّ كِلابُهم　　لا يَسأَلون عن السَّواد المُقْبِل

فاسْتهلَّ واسْتَبشر وطَرِب ، ثم قال : زِدْنِى ، فَاندفَعن يُغنِّين :

لِمن الدَّارُ أَقْفَرَتْ بمَعَان[1]　　بين شاطِى اليَرْمُوك فالصَّمَّانِ
فجِمَى جاسِم فأَبْنِيــــة الصُّفَّـ　　ـر مَغْنَى قَنابِل[2] وهِجَان
فالقُرِيَّاتِ من بَـلاَس فدارَيَّــــا　　فسَكَّاء فالقُصورِ الدَّوانى[3]
ذاكَ مغْنًى لآل جَفْنَةَ فى الدَّهْـ　　ـر[4] وحَقٌّ تعاقُب الأَزمان
قد دنا الفِصح فالوَلائد يَنظِمْـ　　ـنَ سِراعًا أَكِلَّةَ المَرْجان
لم يُعلِّلْنَ بالمَغافير[5] والصَّمْـ　　ـغ ولا نَقْفِ حَنْظَل الشَّريان[6]
قد أُرانِى هناكَ حقًّا مَكِينًا　　عند ذى التاج مَقْعدِى[7] ومَكانى

فقال : أتعرف هذه المنازل ؟ قلت : لا ؛ قال : هذه منازِلُنا فى مُلْكنا بأَكناف دِمشق ، وهذا شِعر ابنِ الفُرَيعة حسَّانَ بن ثابت ، شاعرِ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ قلت : أَمَا إنَّه مَضْرورُ البصرِ كَبِيرالسنِّ ؛ قال : يا جاريةُ ، هاتى ، فأَتتْه بخمسمائةِ دينارٍ وخمسة أثواب من الدِّيباج ، فقال : ادْفعْ هذا إلى حسَّانَ وأَقْرِئه منِّى السلامَ ؛ ثم أَرادنى[8] على مثلها ، فأَبيتُ . فبكى ،ثم قال لجواريه : أَبْكِينَنِى ، فوَضَعْنَ عِيدانَهنَّ وأَنشأْن يَقُلْن :

٧ / ١٤

(١) المختار : « بمغان » . وانظر الحاشية (رقم : ١م ص : ٥٤٥٧) . (٢) كذا فى ا ، ط ، ف . وفى سائر الأصول ، والمختار : « قبائل » . (وانظر الحاشية رقم :٧ص :٥٤٥٨) .
(٣) وقد مر الكلام على هذا البيت والبيتين بعده (ص : ٥٤٥٨) .
(٤) انظر الحاشية (رقم : ٦ ص : ٥٤٥٧) . (٥) الديوان : « المغافر » . والمغافر والمغافير : صمغ شبيه بالناطف ينضحه العرفط فيوضع فى ثوب ثم ينضح بالماء فيشرب. (٦) الشريان ، بفتح الشين وكسرها : شجر من عضاه الجبال . (٧) الديوان : « مجلس » . (انظر الحاشية : ٣ ، ص ٥٤٥٩) . وترتيب الأبيات فى الديوان يختلف عنه هنا . (٨) كذا فى أكثر الأصول ، والمختار . والذى فى أ ، ب ، س : « وراودنى » .

تنصّرتِ الأشرافُ من عارِ لَطْمة ... وما كان فيها لو صَبرْتُ لها ضَررْ
تَكَنَّفَنى فيها لَجَاجٌ ونَخْوةٌ ... وبِعْتُ بها العَيْنَ الصَّحِيحةَ بالعَوَر
فيا لَيتَ أُمّى لم تَلِدْنى ولَيتنى ... رَجَعْتُ إلى القَوْل الذى قال لِى عُمر
ويا لَيتنى أَرْعَى المَخاضَ بقفْرة[1] ... وكُنتُ أَسِيرًا فى رَبِيعةَ أو مُضَر

ثم بَكى وبكيتُ معه حتى رأيتُ دُموعَه تَجُول[2] على لِحْيته كأنّها اللُّؤْلؤ ، ثمّ سَلَّمتُ عليه وانصرفتُ . فلما قَدِمتُ على عُمرَ ، سألَنى عن هِرَقْل وجَبَلة ، فقَصصتُ عليه القصّةَ من أوّلها إلى آخرها ؛ فقال : أوَ رأيتَ جَبلة يَشْرب الخمر ؟ قلتُ : نعم ؛ قال : أَبْعده الله ، تَعجَّلَ فانيةً اشتراها بباقية ، فما رَبِحتْ تجارتُه ، فهل سَرَّح معك شيئًا ؟ قلت : سَرّح إلَى حَسّانَ خمسَمائة دينار وخمسةَ أثواب دِيباج ؛ فقال : هاتِها .

هدية جبلة إلى حسان وشعره فيه

وبعثَ إلى حسّان ، فأَقبل يَقودُه قائدُه ، حتّى دَنا فسَلَّم ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إنِّى لأَجِد أرواحَ آلِ جَفْنة ؛ فقال عُمر رضى الله عنه : قد نَزع الله تَبارك وتعالى لك منه على رَغْم أَنْفه ، وأتاك بمَعُونة . فانصرفَ عنه ، وهو يقول :

إنّ ابْنَ جفنةَ مِن بَقيَّة مَعْشرٍ ... لم يَغْذُهم آباؤهم باللُّومِ
لم يَنْسنِى بالشَّأْم إذ هو ربُّها ... كَلَّا[3] ولا مُتَنصِّرًا بالرُّوم
يُعْطِى الجَزِيلَ ولا يَراه عِندَه ... إلّا كبَعض عَطِيَّة المَذْموم
وأتيتُه يومًا فقَرَّبَ مَجْلِسِى ... وسَقَى فرَوَّانى من الخُرْطوم[4]

(١) كذا فى ط ، ف ، و ، والمختار . والذى فى سائر الأصول : « بلحة » . (٢) المختار : « تجرى » . (٣) وكذا فى الديوان (ص : ٣٢١) . والذى فى المختار : « ملكا » . (٤) الخرطوم ، أول ما يجرى من العنب قبل أن يداس . وقد مرت (ص : ٥٤٦٤ ، الحاشية : ٣) .

فقال له رجلٌ فى مَجلس عُمر : أتذكر قومًا كانوا مُلوكًا فأبادهم اللهُ وأفناهم ؟ فقال : مِمَّنِ الرَّجلُ ؟ قال : مُزَنِىٌّ ؛ قال : أمَا واللهِ لولا سَوابقُ قَوْمِك مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لطَوَّقتُك طَوْقَ الحَمامة ، وقال : ما كان خَليلى ليُخِلَّ بى ، فما قال لك ؟ قال : قال لى : إنْ وجدتَه حيًّا فادْفعها إليه ، وإن وجدتَه ميِّتًا فاطْرح الثِّيابَ على قَبْره ، وابْتَعْ بهذه الدَّنانير بُدْنًا فانْحرها على قَبره ؛ فقال حسّان : ليتَك وَجدتنى ميِّتًا ففعلتَ ذلك بى .

أخبرنى الحرمىُّ بن أبى العلاء ، قال : حدّثنا الزُّبيرُ ، قال : قال لى عبدُ الرحمن بن عبد الله الزُّبيرىّ :

قال الرسولُ الذى بُعثَ به إلى جَبلة ؛ ثم ذكر قصّته مع الجارية التى جاءت بالجامَين والطائر الذى تَمعَّك فيهما ، وذكر قولَ حسان :

* إنّ ابنَ جفنةَ مِن بقيَّة مَعْشرٍ *

ولم يذكر غير ذلك .

هكذا روى أبو عَمرو فى هذا الخَبر .

رواية أخرى فى الرسول إلى جبلة

وقد أخبرنى به أحمدُ بن عبد العزيز ، قال : حدّثنا عُمر بن شبَّه ، قال : قال عبدُ الله بن مَسعدة الفَزارىّ :

وجَّهنى مُعاويةُ إلى مَلك الرُّوم ، فدَخلتُ عليه ، فإذا عنده رَجُلٌ على سَريرٍ من ذَهب دُونَ مَجلسه ، فكلَّمنى بالعربيَّة ، فقلت : مَن أنتَ يا عبد الله ؟ قال : أنا رجلٌ غلَب عليه الشَّقاءُ ، أنا جَبلة بنَ الأَيْهم ، إذا صِرتَ إلى مَنزلى فالْقَنى . فلما انصرفَ وانصرفتُ أتيتُه فى داره ، فألفيتُه على شَرابه ، وعنده قَيْنتانِ تُغنِّيانه بشِعْر حسَّان بن ثابت :

٨/١٤

قد عفَا جاسمٌ إلى بَيْت رَأْسٍ فالحَوانِى فجانبُ الجَوْلان[1]

وذكر الأبيات :

فلما فرَغَتا من غِنائهما أقْبل علىّ ثم قال : ما فعل حسَّانُ بن ثابت ؟ قلتُ : شَيخٌ كبيرٌ قد عَمِى ؛ فدعا بألف دينار فَدفَعَها إلىّ ، وأمَرنى أن أدْفعهَا إليه ، ثم قال : أتُرى صاحبَك يَفِى لى إنْ خرجتُ إليه ؟ قال : قال : قلتُ : قل ما شِئتَ أعْرِضْه عليه ؛ قال : يُعطينى الثَّنِيَّة[2] فإنَّها كانت منازلَنا ، وعِشرين قَريةً من الغُوطة منها داريّا وسَكَّاء ، ويَفرِضُ لجماعتنا ويُحْسِنُ جوائزَنا ؛ قال : قلتُ : أُبلغُه . فلما قدِمتُ على معاوية ، قال : وددتُ أنَّك أجبتَه إلى ماسأَلَ فأَجَزْتُه[3] له . وكَتب إليه مُعاوية يُعطيه ذلك ، فوجَده قد مات .

قال : وقدِمتُ المدينةَ فدَخلت مسجدَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلم ، فلقيت حَسَّانَ ، فقلت : يا أبا الوليد ، صَديقُك جَبَلة يَقرْأُ عليك السلامَ ؛ فقال : هاتِ ما معك ؛ قلتُ : وما عِلْمُك أنّ معى شيئًا ؟ قال : ما أرسل إلىّ بالسلام قطُّ إلّا ومعَه شىءٌ . قال : فدفعتُ إليه المالَ .

ما أرسل به جبلة إلى حسان

أخبرنى إبراهيمُ بن محمد بن أيّوب ، قال : حدّثنا عبدُ الله بن مُسلم ، قال : حدّثنى عبدُ الرحمن ، ابن أخى الأصمعىّ ، عن عمّه ، عن أهل المدينة ، قالوا :

(١) مر هذا البيت والتعليق عليه . (انظر الحاشية رقم : ٥ ، ٦ ، ص : ٥٤٥٨) .
(٢) يريد : ثنية العقاب ، وهى مشرفة على غوطة دمشق . (٣) المختار : «وأجزته» .

بَعث جبلةَ إلى حَسّانَ بخمسمائة دينارٍ وكُسَى ،وقال للرَّسُول : إنْ وجدتَه قد مات فابْسُط هذه الثِّيابَ على قبره . فجاء فوجدهُ حيًّا ،فأخبره فقال : لَوددْتُ أنك وجدتَنى ميتًا .

* * *

نسبة ما فى هذه الأخبار من الأغانى

صوت

تنصَّرت الأَشرافُ من عارِ لَطْمة ... وما كانَ فيها لو صَبرت لها ضَرَرْ

الأَبيات الخمسة[١] .

الشِّعر لجبلة بن الأَيهم والغناءُ لعَريب ، نَصْبٌ[٢] خفيف ، وبَسيط رَملٍ بالوُسطى .

ومنها :

صوت

إنَّ ابن جَفنةَ مِن بَقيَّةِ مَعشرٍ ... لم يَغذهم آباوهم باللُّومِ

الأَبيات الأَربعة[٣] . الشِّعر لحسّان بن ثابت ، والغناءُ لِعَريب ، هَزج بالبنصر .

* * *

(١) مرت الأبيات (٥٤٦٨ ، ٥٤٧٢) وعددها ستة لا خمسة .

(٢) كذا فى ط ، ف ، و ، والنصب ، بالفتح : ضرب من مغانى العرب أرق من الحداء . والذى فى ج : « نصيب » . وفى سائر الأصول : « نصف » . (٣) أ ، ط ، ف ، و : « الثلاثة » . وما مر أربعة (ص : ٥٤٧٢) .

وفود حسان على الحارث بن أبي شمر وحديث ذلك

أخبرنى محمدُ بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدّثنا عَمّى يوسفُ ابن محمد ، قال : حدّثنى عمى إسماعيلُ بن أبى محمد ، قال : قال الواقدىُّ : حدّثنى محمدُ بن صالح ، قال :

كان حسّانُ بن ثابت يَغْدُو[1] على جَبلة بن الأَيهْم سَنةً ويُقيم سنةً فى أَهْله ، فقال : لو وَفدت على الحارث بن أبى شمِر الغَسّانىّ ، فإنَّ له قرابةً ورَحِماً بصاحبى ، وهو أَبْذَلُ النّاس للمعروف ، وقد يَئِس مِنى أن[2] أَفِدَ عليه ، لِمَا يَعرِف من انقطاعى إلى جَبَلة . قال : فخرجتَ فى السنة التى كنتَ أُقيم فيها بالمدينة ، حتى قَدِمْتُ[3] على الحارث ، وقد هيّأت له مديحاً ، فقال لى حاجبُه ، وكان لى ناصحاً : إنَّ الملكَ قد سُرّ بقدومك عليه ، وهو لا يَدعُك حتى تَذْكُرَ جَبلةَ ، فإيّاك أن تَقَعَ فيه ، فإنه إنما يَختبرك ، وإنْ رآك قد وَقعتَ فيه زَهِدَ[4] فيك ، وإن رآكَ تَذْكُر محاسنَه ثَقُل عليه[5] ، فلا تَبتدئ بذِكْره ، وإن سألكَ عنه فلا تُطْنِب فى الثّناء عليه ولا تَعِبْه ، امسحْ ذِكْره مَسْحاً ، وجاوِزْه إلى غيره ، فإنَّ صاحبك - يعنى جَبلةَ - أشدُّ إغْضاءً عن هذا[6] ، وأشَدُّ[7] تغافُلاً وأقلُّ حَفْلاً به ، وذلك أنَّ صاحبك[8] أعْقَلُ مِن هذا[9] ، وليس لهذا بَيان ، فإذا دَخلتَ عليه فسوف يَدْعُوك إلى الطعام ، وهو رَجُلٌ يَثْقُل عليه أن يُؤْكل طعامُه ، ولا يُبالى الدِّرْهمَ[10] والدِّينار ، ويَثْقُل عليه أن يُشرب ٩ / ١٤

(١) المختار : « يفد » . (٢) المختار : « من أن » . (٣) المختار : « فجئت الحارث » .
(٤) المختار : « وزهدك » . (٥) المختار : « وإن ذكرت محاسنه ثقلت عليه » . (٦) ط ، ف ، والمختار : « من هذا » . (٧) وكذا فى المختار : وفى ب ، ج ، س : « أى أشد » .
(٨) المختار : « وأنو أعقل » . (٩) وكذا فى المختار . وفى ب ، س : « من هذا وأبين » .
(١٠) المختار : « بالدرهم »

شَرابُه أيضا ؛ فإذا وُضِع طعامُه فلا تضعْ يدك[١] حتّى يَدْعُوَك ، وإذا دعاك فأَصِبْ من طَعامِه بعض الإصابة . قال : فشكرتُ لحاجبه ما أمرنى به .

قال : ثم دخلت عليه ، فسَألنى عن البلاد وعن الناس ، وعن عَيْشنا بالحجاز ، وعن رجال يَهُودَ ، وكيف [ما][٢] بَيْننا من تلك الحُروب . فكُلّ ذلك أُخبره ، حتّى انتهى إلى ذِكْر جبلة ، فقال : كيف تَجدُ جَبلة ، فقد انقطَعْتَ إليه وتركتَنا ؟ فقلتُ : إنّما جَبلة منك وأنت منه ، ولم أَجْرِ إلى مَدْح ولا عَيب[٣] . وجاز ذلك إلى غيره ، ثم قال : الغَداء . فأُتِىَ بالغَداء . ووُضِع الطعام[٤] ، فوَضع يدَه فأَكل أَكْلاً شَديدًا ، وإذا رَجُلٌ جَبّار ؛ فقال بعد ساعة : ادْنُ فأَصِبْ [مِن هذا][٥] ، فدنوتُ فخطَّفت تَخْطيفًا[٦] ، فأُتِىَ بطَعام كثير[٧] ، ثم رُفِع الطّعام . وجاء وُصفاءُ كثيرٌ عددُهم ، معَهم الأَباريقُ فيها ألوانُ الأَشْربة ، ومعهم المَناديلُ[٨] ، فقاموا على رُؤُوسنا ؛ ودَعا أَصحابَ بَرابِطَ[٩] من الرُّوم ، فأَجْلَسَهم ، وشَرِب فأَلْهوْه ، وقام السّاقِى على رَأْسى ، فقال : اشربْ ، فأَبيت ، حتّى قال هو : اشْربْ ، فشربتُ ، فلما أَخَذَ فينا[١٠] الشَّرابُ أَنشدتُه شِعْرًا ، فأَعْجبه ولَذَّ به ، فأَقمتُ عنده أَيّامًا . فقال لى حاجبُه : إنّ له صديقًا هو أَخَفُّ الناس عليه ، وهُو جاءٍ ، فإذا هو جاءَ جَفاكَ وخَلَص به[١١] ، وقد ذُكِر[١٢]

---

(١) المختار : « فلا تدن منه » . (٢) التكلة من ط ، ف (٣) المختار : « ذم » .

(٤) المختار : « فأتى بالطعام ووضع » . (٥) التكلة من ط ، ف ، والمختار .

(٦) كذا فى و ، والمختار . والذى فى سائر الأصول : « فخططت تخليطا » .

(٧) هذه الجملة لم ترد فى و ، والمختار . (٨) كذا فى و ، والمختار . والذى فى سائر الأصول : « مناديل الين » . (٩) البرابط : جمع بربط ، كجعفر ، وهو العود يضرب به ، معربة .

(١٠) كذا فى أ ، ط ، ف ، و ، والمختار . والذى فى سائر الأصول : « بنا » . (١١) المختار : « وخص به » . (١٢) المختار : « وقد قرب » .

قدومُه ، فاستأْذِنْه قَبل أن يَقْدَمَ عليه ، فإنَّه قبيحٌ أن يَجْفُوكَ بعد الإكرام ، والإذنُ اليوم أَحْسَنُ ؛ قلت :ومن هو ؟ قال : نابغة بنى ذُبْيان . فقلت للحارث : إنْ رَأَى الملك أن يَأْذَنَ لى فى الانْصراف إلى أَهْلى فَعل ؟ قال : قد أذِنتَ لك وأمرت لك بخمسمائة دينار وكُسًى وحُمْلان[1] . فقبضتها ، وقَدم النابغةَ وخرجتُ إلى أَهْلى .

***

صوت

أَلَا إِنَّ لَيْلَى العامريَّةَ أَصْبحَتْ ... على النَّأْىِ منِّى ذَنْبَ غَيرِى تَنْقِمُ

وما ذاك مِن شىءٍ أكونُ اجْتَرمْتُه ... إليها فتَجْزِينِى[2] به حيثُ أَعْلَم

ولكنَّ إنسانًا إذا مَلَّ صاحبًا ... وحاولَ صَرْمًا لم يَزَلْ يَتَجرَّم[3]

ومازال بى ما يُحْدِثُ النأْىُ والذى ... أُعالج حتَّى كِدْتُ بالعَيْشِ أَبْرَم

وما زال بِى الكِتْمانُ حتَّى كأنَّنى ... بِرَجْعِ جَوابِ السائلِى عَنْكِ أَعْجَمَ

لأَسْلَمَ مِن قَوْلِ الوُشاةِ وتَسْلَمِى ... سَلِمْتِ وهل حىٌّ مِن الناسِ يَسْلَم

عروضه من الطويل . الشعر لنُصَيب[4]. ومن الناس من يَروى الثلاثة الأبياتِ الأُوَل للمَجنون . والغناءُ لبُدَيح ، مولى عبد الله بن جعفر ، رحمهما الله .

وفى الأبيات الأُول منها ثانى ثَقيل بالوُسطى ، عن الهشامىّ وحَبَش. وذكره حمَّادُ بن إسحاقَ ولم يُجنِّسه . وفيه لابن سُريج هَزَج خفيف بالبِنصر ،فى مجراها ،عن إسحاق فى البيتين الأخيرين . وفيه لمعبد فى البيتين الأوّلين خفيف ثقيل أول بالخنصر فى مجرى البنصر ، عن إسحاق.

---

(١) الحملان ، بالضم : ما يحمل عليه من الدواب . (٢) كذا فى ط ، ف ، و ، والمختار (٢ : ١٠٥) . والذى فى سائر الأصول : «فتخبرنى» . (٣) تجرم عليه جرما : ادعاه عليه .
(٤) وقد مرت ترجمته (ص : ٣٢٤-٣٧٧) .

خبر

بـــديح

فى هذا الصوت وغيره

ولاؤه

* بُدَيح : مَولى عبد الله بن جعفر [بن أبى طالب](1) ، وكان يُقال له : بُدَيْحٌ المَليح .

صنعته وروايته

١٠ / ١٤

وله صَنعة يسيرة ، وإنما كان يُغنّى أغانىَ غيرِه ، مثل : سائب خاثر ، ونَشِيط ، وطُوَيس ، وهذه الطَّبقة .

وقد رَوى بُدَيحٌ الحديثَ عن عبد الله بن جعفر .

ما كان بينه وبين يحيى بن الحكم حين وفد إليه

أخبرنى محمدُ بن خلفٍ وكيع ، قال : حدّثنا العبّاسُ بنُ محمد الدُّوريّ ، قال : حدثنا أبو عاصم(2) النَّبيل . عن جُويرية بن أسماء ، عن عيسى بن عُمر بن موسى ، عن بُدَيح ، مولَى عبد الله بن جَعفر ، قال :

لما قَدم يحيى بنُ الحكم المدينةَ دَخل إليه عبدُ الله بن جعفر فى جَماعة ، فقال له يحيى : جِئتَنى بأَوْباش مِن أَوْباشِ خَبيثة(3) ! فقال عبدُ الله : سمّاها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم طَيْبةَ وتُسمّيها أنت خَبِيثة(3) !

حديثه فى رقيا عبد الملك من عرق النسا

أخبرنى أحمدُ بن عُبيد الله بن عمّار ، قال : قال داودُ بن جَمِيل : حدّثنى مَن سَمع هذا الحديثَ من ابن العُتْبىّ يَذكره عن أبيه ، قال :

---

* مختار الأغانى (٢ : ١٠٤-١٠٦) .

(1) التكملة من و ، ومختار الأغانى. (2) فى أكثر الأصول : « عاصم » ، تحريف . وما أثبتنا من ط ، ف ، و . وأبو عاصم النبيل ، هو : الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم ابن الضحاك الشيبانى . وانظر تهذيب التهذيب (٤ : ٤٧٠) . (3) كذا فى أكثر الأصول ، والمختار . والذى فى ط ، ف ، و : « خبثة » .

دَخل عبدُ الله بنُ جعفر على عبد الملك بن مَروان وهو يتأوَّه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لو أدخلتَ عليك من يُؤْنسك بأحاديث العَرب وفُنون الأَسمار ؟ قال : لستُ صاحبَ هَزْل ، والجِدُّ مع علَّتى أَحْجَى بى ؛ قال : وما عِلَّتُكَ يا أَمير المُؤمنين ؟ قال : هاجَ بى عِرْقُ النَّسا فى لَيلتى هذه ، فبلغ منِّى ، قال : فإنَّ بُدَيحًا مولاى أَرْقَى (١) الناس (٢) منه . فَوجَّه إليه عبدُ الملك ، فلما مضَى الرسولُ سُقِطَ (٣) فى يَدَى ابن جعفر ، وقال : كِذْبةٌ قَبيحة عندَ خليفة ! فما كان بأَسْرعَ من أن طَلع بُديح ، فقال [له] (٤) : كيف رُقْيتك من عِرْق النَّسا ؟ قال : أَرْقَى الخَلْقِ يا أمير المؤمنين . قال : فسُرِّى عن عبد الله ، لأَنَّ بُديحًا كان صاحبَ فُكاهة يُعْرَف بها . فمدَّ رِجْلَه ، فتَفَلَ عليها ورَقَاها مِرارًا ، فقال عبدُ الملك : الله أكبر ، وَجدتُ والله خِفًّا (٥) ، يا غلامُ (٦) ، ادْعُ فلانةَ حتى تكْتُب [هذه] (٤) الرُّقية ، فإنَّا لا نأْمن هَيجانَه (٧) بالليل ، فلا نَذْعَرُ (٨) بُديحًا . فلما جاءت الجاريةُ ، قال بُديح : يا أمير المؤمنين ، امرأتُه الطلاقُ (٩) إنْ كتبتُها حتى تُعجِل (١٠) حِبَائى ؛ فأَمَر له بأَربعة آلاف دِرْهم . فلما صار المالُ بين يَديه قال : وامرأتُه الطلاقُ (٩) إنْ كتبتُها أو يَصِيرَ المالُ إلى منزلى ؛ فأمر به فحُمل إلى منزله ، فلما أَحْرَزه قَال : يا أمير المؤمنين ، امرأتُه الطلاقُ (٩) إن كنتُ قرأْتُ على رِجْلك إلَّا أَبياتَ نُصيب :

(١) أرقى ، أى : أحسن من يرقى رقية . (٢) المختار : « الخلق » . (٣) أ ، ط ، و ، والمختار : « أسقط » ، وهما بمعنى ؛ أى : تحير . (٤) التكملة من مختار الأغانى . (٥) كذا فى أكثر الأصول ، والمختار . والخف ، بالفتح والكسر : الخفة . وفى ط : « خفلقا » . (٦) المختار : « يا غلامى » . (٧) كذا فى ، ف ، و ، والمختار . والذى فى سائر الأصول : « هيجها » . (٨) المختار : « نلافسوه » . (٩) ب ، س ، والمختار : « طالق » . (١٠) المختار : « حتى يعجل لى » .

أَلا إنَّ لَيْلَى العامريّةَ أَصْبحَتْ عَلى النَّأْيِ مِنِّى ذَنْبَ غَيْرِى تَنْقِمُ

وذكر الأَبياتَ ، وزاد فيها :

ومازِلْتُ أَستَصْفِى لكِ الوُدَّ أَبْتَغِى مُحاسَنةً حتَّى كأنِّىَ مُجْرِمُ(١)

قال : ويلَكَ ! ما تَقول؟ قال : [عبدُ الله بن جعفر](٢) : امرأَتُه الطَّلاق إنْ قال رَقاك إلَّا بما قال(٣) ؛ قال : فاكْتُمها علىَّ ؛ قال : وكيفَ ذاكَ وقد سارت بها البُرُد إلى أخيك بمصر! فطفِق عبدُ الملك ضاحكًا يَفْحَص برِجْلَيْه.

أخبرنى إسماعيلُ بن يونُس ، قال : حدّثنا عمرُ بن شَبَّة ، قال : حدّثنى الأَصمعىُّ ، عن المُنتجع النَّبْهانىّ ، عن أبيه بهذا الخبر مِثلَ الذى قبله ، وزاد فى الشعر :

فلا تَصْرِمينى حينَ لالِىَ(٤) مَرْجِعٌ وَرائِى ولالِى عَنكمُ مُتقدَّمُ

وقال فيه : فسَكَن ما كان يجده عبد الملكُ ، وأمر لبُدَيح بأربعة آلاف دِرهم . فقال ابنُ جعفر لبُدَيح : ما سمعتُ هذا الغِناء منكَ مُذْ ملكتُك ؛ فقال : هذا من نُتَف سائب خاثر .

أخبرنى إسماعيلُ ، قال : حدثنا عُمَرُ ، قال : حدَّثنى القاسمُ بنُ محمد ابن عبّاد ، عن الأَصمعىّ ، عن ابن أَبِى الزِّناد ، عن نافع — أُراه نافع الخير ، مولى ابن جعفر — بهذا الخبر مِثْلَه ، وزاد فيه :

أَنَّ بُدَيحًا رفع صوتَهُ يُغَنِّيه به لمَّا قال له أَنْ يَكْتُبَ الرُّقْيةَ ، وزاد ١٦/١٤ فيه : فجعَل عبد الملك يقول : مَهْلاً يا بُدَيح ؛ فقال : إنَّما رَقَيْتُك كما عُلِّمتُ(٥) يا أمير المؤمنين .

(١) ذكر المختار أبياتا ثمانية ، ومنها هذان البيتان . (٢) التكملة من و .
(٣) المختار : « إن كان رقى إلا بما قال من الشعر » . (٤) المختار : « مالى » .
(٥) نهـ ، س ، ف : « ما علمت » .

رواية أخرى للخبر السابق

أخبرنى إسماعيلُ ، قال : حدّثنا عمرُ بن شَبّة ، قال : حدّثنى أبو سَلمة الغِفَارىّ ، عن عبد الله بن عِمْران بن أبى فَرْوة ، قال :

كان ابنُ جعفر يُحبُّ(١) أن يُسْمِعَ عبدَ الملك غِناء بُدَيح ، فدَخل إليه(٢) يومًا ، فشَكا إليه عبدُ الملك رُكْبته ، فقال له ابنُ جعفر : يا أمير المؤمنين ، إنّ لى مولًى كانت أُمُّه أمه بَربريّة ، وكانت تَرْقِى من هذه العِلّة ، وقد أخذَ ذلك عنْها ؛ قال : فادْعُ به . فدُعِى بُدَيح ، فجعل يَتْفُل على رُكبة عبد الملك ويُهَمْهِم ، ثم قال : قُمْ يا أمير المؤمنين ، جَعلنى الله فِداك ؛ فقام عبدُ الملك لا يَجدُ شيئًا ؛ فقال عبدُ الله : يا أميرَ المؤمنين ، مولاك لا بُدَّ له من صِلة ؛ قال : حتّى تُكْتب رُقْيتُه ، ثم أمر جاريةً له فكتبَتْ : بسم الله الرحمن الرحيم . فقال : ليس فيها « بسم الله الرحمن الرحيم » ؛ قال : كيف تكون وَيلكَ رُقْيةٌ ليس فيها « بسم الله الرحمن الرحيم » ؟ قال : فهو ذاك ؛ قال : فاكْتُبيها على ما فيها ، فأَمْلَى عليها :

دِيارَ سُلَيْمَى بين عَيْقَةَ(٣) فالمُهْدِى(٤) سُقِيتِ وإن لم تَنْطِقى سَبَلَ الرَّعْدِ(٥)

ثم قال له ابنُ جعفر : لو سمِعتَه منه ؟ قال : أوَ يُجيد ؟ قال : نعم ؛ قال : هاتِ . فما بَرِح والله حتّى أفْرَغها فى مَسامعه .

تمثل أبو نعيم ببيت لتصويب لرجل رماه بالرفض

أخبرنى محمدُ بن العبّاس اليزيدىّ ، قال : حدّثنى عمّى عُبيدُ الله ، قال : حدّثنى سُليمانُ بن أبى شَيخ ، قال :

كُنّا عند أبى نُعيم الفَضل بن دُكَين . فجاءه رجلٌ ، فقال : يا أبا نعيم ،

(١) المختار : « أحب » . (٢) المختار : « عليه » .
(٣) كذا فى أكثر الأصول ، والمختار . « عيقة » ، بالمثناة التحتية ، وقيل بالموحدة : موضع ، ذكره ياقوت ولم يعينه . والذى فى ط : « عقة » . وفى ف : « عتبة » . وفى و : « عيقة » .
(٤) « كذا فى الأصول ، والمختار . وليس ثمة موضع بهذا الاسم . (٥) السبل : المطر .

إنّ الناس يَزْعُمون أنّك رَافِضِىّ ؛ قال : فأطْرق ساعة ثم رَفع رأسه وهو يَبكى ، وقال : يا هذا ، أصبحت فيكم كما قال نُصَيب :

وما زال بِى الكِتْمانُ حتى كأنّنى ... برَجْعِ جَوابِ السّائلِى عنكِ أعْجَمُ
لأسْلَم مِن قَول الوُشاةِ وتَسْلَمى ... سَلِمْتِ وهل حىٌّ من الناس يَسْلَم

* * *

صوت

يا غُرابَ البَيْنِ أَسْمعتَ فقُلْ ... إنّما تَنْطِقُ شَيئًا قد فُعِلْ
إنَّ للخَيْرِ وللشَرِّ مَدًى ... لِكِلَا ذَيْنِكَ وَقْتٌ وأَجَل(١)
كلُّ بُؤْس(٢) ونَعِيمٍ زائلٌ ... وبَنات الدَّهْرِ يَلْعَبْنَ بكُلّ
والعطِيّاتُ خِسَاسٌ(٣) بينهم(٤) ... وسَواءٌ قَبْرُ مُثْرٍ ومُقِـــلّ

الشّعر لعبد الله بن الزِّبَعْرى السّهمىّ ، يقوله فى غَزاة أُحُد ، وهو يومئذ مُشرك . والغناء لابن سُريج ، خفيف ثقيل أوّلَ بالبِنصر ، عن عمرو ، على مذهب إسحاق . وفيه لَحنٌ لابن مِسْجَح من رواية حمّاد ، عن أبيه ، فى كتاب ابن مِسْجَح .

---

(١) رواية هذا العجز فى السيرة (٣ : ١٤٣) :

* وكلا ذلك وجه وقبل *

والقبل : المقابلة . يريد : أن كل ذلك ملاقيه الإنسان .

(٢) السيرة : «عيش» . (٣) خساس ، ككتاب ؛ أى : دول . (القاموس : خسس) .

(٤) التجريد (ص : ١٦٣٢) : «بيننا» .

نسب

ابن الزبعرى

وأخباره ، وقصّة غَزْوة أُحُد

نسبه

* هو : عبدُ الله بنُ الزِّبَعْرَى بن قَيس بن عَدِيّ بن سَعد بن سَهم ابن عمرو بن هُصَيص بن كَعب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْر بن مالك ابن النَّضْر بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدْركة بن الياس[1] بن مُضَر بن نِزار .

بين جاهليته وإسلامه

وهو أَحدُ شُعراء قُريش المَعْدودين . وكان يَهجو المُسلمين ويُحرِّض عليهم كُفَّارَ قُريش فى شِعره ، ثم أَسْلمَ بعد ذلك . فقَبِل النبىُّ صلَّى الله عليه وسلَّم إسْلامَه وأَمَّنَه يومَ الفَتح .

١٢ / ١٤

وهذه الأَبياتُ يقولها ابنُ الزِّبَعْرى فى غَزوة أُحُد .

قصة غزوة أحد

حدّثنا بالخَبر فى ذلك محمدُ بن جرير الطَّبرىّ ، قال : حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى محمدُ بن مُسلم بن عبد الله بن شِهاب الزُّهرىّ ، ومحمدُ بن يحيى بن حَبّان[2] ، وعاصمُ بن عُمر[3] بن قَتادة ، والحُصَينُ بن عبد الرحمن

(*) تجريد الأغانى (١٦٣٣ - ١٦٤٧) مختار الأغانى (١ : ٣٦٢ - ٣٨٣) الطبرى (٢ : ١٨٧ - ٢١٣ طبعة الاستقامة) ابن الأثير (٢ : ١٠٤ - ١١٢ طبعة مصر) السيرة لابن هشام (٣ : ٦٤ - ١٧٧ طبعة الحلبى) المغازى للواقدى (١٥٦ - ٢٥٩ طبعة مصر). الاستيعاب لابن عبد البر (ت : ١٥٣٣) الإصابة لابن حجر (ت : ٤٦٧٩) طبقات الشعراء لابن سلام (ص : ١٩٥) .

(١) انظر (الحاشية : ٧ ص : ٥٤٤٧) .

(٢) أ : « حسان » ، س : « حيان » ، بالمثناة التحتية ، وكلاهما تحريف . وما أثبتنا من سائر الأصول. «حبان » بفتح المهملة وتشديد الموحدة . (انظر تهذيب التهذيب : ٨ : ٥٠٧).

(٣) ب ، س : « عمرو » ، تحريف . (انظر تهذيب التهذيب : ٥ : ٥٣)

ابن عمرو بن سَعد بن مُعاذ ، وغيرُهم من عُلمائنا ، كلُّهم قد حَدَّث ببَعض هذا الحديث ، فقد اجتمع حديثُهم كلُّهم فيما سُقْتُ من الحديث عن يوم أُحُد ، قالوا [1]:

لمَّا أُصيبت قريشٌ[2] ـ أو مَن قاله منهم[3] : يومَ بَدرٍ من كُفَّار قريش من أصحاب القَلِيب[4] ـ فرجَع فَلُّهم[5] إلى مكة ، ورَجع أبو سُفيانَ ابن حَرب بِعيرِه ، مَشَى عبدُ الله بن أبي ربيعة ، وعِكْرِمةُ بن أبي جَهلٍ ، وصَفْوان بن أُميّة ، في رِجالٍ من قُرَيش ، ممن أُصيب آباؤهم [وأبناؤهم[6]] وإخوانُهم ببَدْر ، فكلَّموا أبا سُفيان بن حرب ، ومَن كان له[7] في تلك العِير من قريش تِجارة ، فقال أبو سُفيان[8] : يا معشرَ قريش ، إنَّ محمداً قد وتَرَكم وقَتل خِيَارَكم ، فأَعِينونا بهذا المال على حَرْبه ، لعلَّنا أن نُدرك ثأْرًا بمن[9] أُصيبَ مِنَّا ، ففَعلوا . فاجتمعتْ قُرَيشٌ لحرب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، حينَ فَعل ذلك أبو سُفيانَ وأصحابُ العِير بأَحابيشها ومَن أطاعها من قبائل كِنانة وأَهْل تِهامة ، وكلٌّ أُولٰئك قد استعوَوْا[10] على حَرب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم . وكان أبو عَزَّة

(١) السيرة : « قالوا ، أو من قاله منهم » . (٢) القليب : البئر . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يطرح القتلى فيه . (السيرة : ٢ : ٢٩ ، ٣٢) .

(٣) وكذا فى الطبرى . ومكان هذه العبارة « أو من قالهم منهم » فى السيرة متقدم . (انظر الحاشية الأولى) . (٤) التجريد : « لما أصيبت قريش بمن أصيبت من كفار قريش يوم القليب ببدر » . السيرة : « لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب » .

(٥) الفل : المنهزمون . (٦) التكملة من ط ، ف ، ل ، والتجريد ، والمختار ، والطبرى ، والسيرة . (٧) وكذا فى التجريد ، والمختار ، والسيرة ، والطبرى . والذى فى ب ، س : « لهم » .

(٨) التجريد ، والمختار ، والطبرى ، والسيرة : « فقالوا » . (٩) وكذا فى التجريد ، والمختار ، والطبرى ، والسيرة . والذى فى ب ، س : « منه » . (١٠) ط ، ف ، ل ، و : « استغووا » ، بالغين المعجمة ، وهما بمعنى : الاستغاثة . والذى فى المختار : « أولئك يجمعون » .

عمرو بن عبد الله الجُمَحيّ قد مَنّ عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يومَ بَدر[١]، وكان فى الأسارَى ، فقال : يا رسول الله ، إنّى فَقيرٌ ذو عِيال وحاجة قد عَرفْتَها ، فامْنُن علىّ صلّى الله عليك ؛ فمنّ عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فقال صَفوان بن أُميّة : يا أَبا عَزّة ، إنّك امرؤٌ شاعر ، فاخْرُجْ معنا فأَعِنّا بنَفسك ؛ فقال : إنّ محمدًا قد مَن علىّ ، فلا أريد أن أُظاهِرَ عليه ؛ فقال [٢] : بلى ، فأَعِنّا بنَفسك ، ولك والله إن رَجعتَ أن أُعينك[٣] ، وإن أُصِبتَ أن أَجْعل بَناتِك مع بَناتى ، يُصيبهنّ ما أصابهنّ من عُسْر أو يُسْر . فخرج أبو عَزّة يَسِير فى تِهامة ويَدْعو بنى كِنانة ، وخَرج مُسافعُ بن عبد مناف [٤] بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح إلى بنى مالك بنِ كنانة يُحرِّضهم ويَدْعُوهم إلى حَرْب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ودعا جُبَير بن مُطْعِم غُلامًا ، يُقال له : وَحشىّ — وكان حَبَشيًّا يَقذِف بحَرْبة له قَذْفَ الحَبَشة ، قلّما يُخطِى بها — فقال له : اخْرُجْ مع الناس ، فإنْ أنت قَتلتَ عمّ محمّد بعمّى طُعَيمة بن عَدىّ فأَنت عتيقٌ . وخرجت قُريش بحدّها [وحَديدها] [٥] وأَحابيشها ، ومَن معها من بنى كِنانة وأَهل تِهامة ، وخرجُوا بالظُّعُن [٦] الْتِماسَ الحَفيظة ، ولئلاّ يَفِرُّوا ؛ وخرج أَبو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ ، وهو قائد الناس ، معه هِندُ بنت عُتبة بن ربيعة ؛ وخرج عِكرمةُ بن أَبى جَهل [بأُمّ حكيم بنت الحارث] [٧] بن هشام

(١) زيد فى المختار ، والطبرى : « وكان فقيراً ذا بنات » . وفى السيرة : « وكان فقيراً ذا عيال وحاجة » . (٢) المختار : « فقالوا » . (٣) المختار : « أن أغنيك » .
(٤) الأصول : « عبدة بن وهب » . وما أثبتنا من السيرة (٣ : ٦٥) والطبرى (٢ : ١٨٧–١٨٨) .
(٥) التكملة من المختار . وفى الطبرى (٢ : ١٨٨) : « بجدها وجدها » . وفى السيرة (٣ : ٦٥) : « بجدها وجدها وحديدها » . (٦) الظعن : النساء فى الهوادج ؛ الواحدة : ظعينة .
(٧) التكملة من الطبرى ، والسيرة لابن هشام (٣ : ٦٦ طبعة الحلبى) .

ابن المُغيرة ؛ وخرج صَفوان بن أُميّة بن خلَف ببَرْزَةَ - وقيل : ببَرّةَ[١] ، من قول أبي جعفر - بنت مَسعود بن عمرو بن عُمَير الثَّقفيَّة ، وهي أمّ عبد الله بن صَفوان ؛ وخرج عمرو بن العاص [بن وائل بريْطة بنت مُنَبِّه بن الحجّاج][٢] ؛ وخرج طَلحة بن أبي طلحة - وأبو طلحة : عبدُ الله ابن عبد العُزّى بن عثمان بن عبد الدّار - بسُلافةَ بنت سَعد بن شهَيْد[٣] ، وهي أم بني طَلْحة : مُسافع ، والجُلاس ، وكِلاب ، قتلوا يومئذ ، وأبوهم ؛ وخرجت خناس بنت مالك بن المُضرّب ، إحدى نساء بني مالك بن حسْل ، مع ابنها أبي عَزيز[٤] بن عُمَير ، وهي أمُّ : مصعب بن عُمير ؛
١٣ / ١٤ وخرجت عَمرة بنت عَلقمة ، إحدى نساء بني الحارث بن [عَبد مَناة ابن][٥] كِنانة .

وكانت هِندُ بنت عتبة بن ربيعة إذا مرّت بوَحشيّ ، أو مرّ بها . قالت : إيه أبا دَسْمة[٦] ، اشْتفِ[٧] . فنزلوا ببَطن السَّبْخة[٨] من قَناة على شَفير الوادي ، ممّا يَلي المدينة ، فلمّا سَمع بهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم والمسلمون قد نَزلوا حيث نزلوا ، قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم

(١) ابن الأثير (٢ : ١٠٤) : « بريرة » . (٢) التكلة من الطبري ، والسيرة .
(٣) ط ، ف ، ل ، و : « ... سعد بن سهيل » ، وفي سائر الأصول : « ... سعيد بن سهم » . وما أثبتنا من السيرة ، والطبري ، والمغازي » . (٤) وكذا في السيرة ، والطبري . والذي في الأصول : « عزة » . (٥) التكلة من و ، والسيرة ، والطبري . (٦) ط ، ف : « أبا وسمة » . و : « أبا رشمة » ، تحريف . وما أثبتنا من سائر الأصول . (انظر : السيرة ، والطبري ، والاستيعاب لابن عبد البر ، ت : ٢٧٣٩) . وقد ضبطت ضبط قلم في السيرة ، والاستيعاب : بالفتح ، وفي الطبري : بالضم ، وهي الأقرب إلى الصواب ، فمن معاني « الدسمة » بالضم : الغبرة . (انظر القاموس : دسم) . (٧) السيرة ، والطبري : « اشف واشتف » . (٨) ط ، ف ، ل : « الشيبة » ، تصحيف (انظر : السيرة ، والطبري) .

للمسلمين : إنّى قد رأيتُ بَقَرًا تُذبَح ، فأوّلتها خيْرًا ، ورأيتُ فى ذُباب سَيْفى ثَلْما ، ورأيتُ أنّى أدخلتُ يَدى فى دِرْعٍ حَصينة ، وهى المدينة[١] ، فإنْ رأيْتُم أن تُقِيموا بالمدينة وتَدَعُوهُم حيث نَزَلوا ، فإنْ أقامُوا أقامُوا بشَرِّ مُقام ، وإنْ هم دَخلوا علينا فيها قاتَلْناهم .

نزول قريش بأحد

ونزلتْ قُرَيشٌ منزلَها من أُحُد يوم الأربعاء ، فأقاموا به ذلك اليوم ويوم الخميس ويوم الجمعة ، وراح رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حين صلَّى الجمعة فأصبح بالشِّعب من أُحُد ، فالتَقَوْا يوم السَّبت للنِّصف مَن شوّال .

اقتسام المسلمين بين داعين للخروج وصادين عنه

وكان رأىُ عبدِ الله بن أُبَىّ بن سَلُول مع رأى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، يَرى رأيه فى ذلك ألَّا يخرج إليهم ، وكان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يكره الخُروج من المدينة ، فقال رجالٌ من المُسلمين ، ممّن أكرم اللهُ جلَّ ثناؤه بالشَّهادَة يوم أُحُد ، وغيرُهم ممن فاته [يوم] بدر[٢] وحُضورُه : يا رسولَ الله ، صلّى الله عليك وسلّم ، اخرُجْ بنا إلى أعدائنا لا يَرَوْن أنّا جَبُنّا عنهم وضَعُفْنا ؛ فقال عبدُ الله بن أُبَىّ بنُ سلول : يا رسول الله ، أَقِمْ بالمدينة ولا تَخرُجْ إليهم ، فوالله ما خرجْنا منها إلى عدوٍّ قطّ إلا أصاب مِنّا ، ولا يَدخلُها علينا إلَّا أَصَبْنا منهم ، فَدَعْهم يا رسول الله ، فإنْ أقاموا أقامُوا بشَرِّ مَجْلس ، وإن دخلوا قاتلهم الرِّجالُ فى وجُوههم ، ورَماهم النِّساءُ والصِّبيانُ بالحِجارة من فوق رُؤوسهم ، وإن رَجعوا رجعوا خائبين كما جاءُوا .

فلم يَزَل برسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم الذين كان من أمْرِهم حُبّ لقاء

(١) المختار ، والسيرة ، والطبرى : « فأولتها المدينة » . (٢) التكملة من مختار الأغانى .

العدوّ ، حتى دَخل رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فَلبِس لأْمتَه ، وذلك يوم الجمعة ، حين فَرغَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من الصلاة . وقد مات فى ذلك اليوم رَجلٌ من الأَنصار ، يقال له : مالك بن عمرو ، أحد بنى النجّار ، فصلّى عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ثم خرج عليهم . وقد نَدِم النّاسُ ، وقالوا : استكْرَهْنا رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ولم يَكن ذلك لنا . فخَرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عليهم ، فقالوا : يا رسول الله ، اَستكْرَهناك ولم يكن ذلك لنا ، فإنْ شِئتَ فاقْعُدْ ، صَلَّى الله عليك ؛ فقال عليه السلام : ما يَنبغى لنبىٍّ إذا لَبس لأْمتَه أن يَضعها حتّى يُقاتل .

خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجوع ابن أبي بمن معه

قال : فخَرج رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى ألفٍ رَجُلٍ من أصحابه ، حتّى إذا كانوا بالشَوْط ، بين أُحُد والمدينة ، انْخزَل عنه عبدُ الله بن أُبىّ بن سَلول بثُلُث الناس ، وقال : أطاعهم فخَرج وعَصانى ، والله ما نَدْرى علام نَقْتلُ أنفُسنا هاهنا أيُّها الناس ! فرَجع بمن اتَّبعه من الناس من قومه ، من أهل النِّفاق والرَّيب[1] ، واتّبعهم عبدُ الله بن عَمرو بن حَرام ، أحد بنى سَلمة ، يقول : يا قوم ، أذكركم[2] اللهَ أن تَخذُلوا[3] نَبيّكم وقَومكم عندما حضر من عدوّهم ؛ فقالوا : لو نَعلم أنّكم تُقاتلون ما أسْلمناكم ، ولكنّا لا نَرى أنّه يكون قِتال . فلما اسْتَعصَوْا عليه وأبَوْا إلّا الانصرافَ ، قال : أبعدكم الله أعداء الله ، فسيُغنى الله عزّ وجلّ عنكم[4].

---

(١) الطبرى : « وأهل الريب » .

(٢) وكذا فى المختار ، والسيرة والطبرى . والذى فى ب ، ج ، س : « اذكروا » .

(٣) وكذا فى المختار والطبرى ت . والذى فى السيرة : « ألا تخذلوا » . (٤) السيرة : « عنكم نبيه » .

وقال محمدُ بنُ عُمر الواقدىّ :

١٤/١٤ انخزل عبدُ الله بن أُبَىّ عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الشَّيْخين[١] بثلثمائة، فبقى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى سَبعمائة، وكان المُشركون ثلاثة آلاف، والخيل مائتى[٢] فارس، والظُّعن خَمْسَ عشرةَ امرأة. قال: وكان فى المُشركين سَبْعُمائة دارع، وكان فى المسلمين مائة دارع، ولم يكُن معهم من الخيل إلَّا فَرَسان: فرسٌ لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، وفرس لأَبى بُرْدة بن نِيار[٣] الحارثىّ. فأَدْلَج[٤] رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم من الشَّيْخين حتَّى طَلع الحَمْراء[٥]، وهما[٦] أُطُمان، كان يَهودىٌ ويهودية أعْميان يَقُومان عليهما فيَتحدَّثان، فلذلك سميا: الشَّيخين، وهما فى طرف المدينة.

عرض الرسول صلى الله عليه وسلم للمقاتلة

قال: وعَرَض رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم المُقاتِلةَ بعد المغرب، فأَجاز مَن أجاز وردَّ من رَدّ.

قال: وكان فيمن ردّ: زَيدُ بن ثابت، وأبو عمرو أُسَيْد بن ظُهَيْر[٧]، والبَرَاءُ ابن عازب، وعَرَابة بن أَوْس. قال: وهو: عَرَابة، الذى قال فيه الشَّمَّاخ:

إذا ما رايةٌ رُفِعتْ لِمَجد ... تَلقَّاها عَرَابةُ باليَمين[٨]

قال: وردَّ أبا سعيد الخدرىّ، وأجاز سَمُرةَ بن جُندب، ورافِعَ بن خَدِيج[٩]. وكان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قد استصْغر رافعًا، فقام على

(١) الشيخان: موضع، وسيأتى شرحه بعد قليل.
(٢) ب، س: «مائتا». وما أثبتنا من سائر الأصول، والطبرى، والمغازى.
(٣) نيار، بكسر النون بعدها تحتانية خفيفة. (تقريب التهذيب، تبصير المنتبه: ١٤٩٩).
(٤) أدلج، بالفتح: سار من أول الليل؛ وادلج، بالتشديد: سار من آخره.
(٥) يعنى: حمراء الأسد، موضع على ثمانية أميال من المدينة. (٦) وهما؛ أى: الشيخان.
(٧) تبصير المنتبه (ص: ٢٥). (٨) ديوان الشماخ (ص: ٩٧).
(٩) قيده ابن حجر فى تبصير المنتبه (ص: ٤١٨) بالعبارة: «بمعجمة مفتوحة».

خفين له فيهما رِقاع ، وتطاولَ على أطراف أصابعه ، فلما رآه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أجازه .

خبر إجازة سمرة دون رافع

قال محمدُ بن جرير[١] : فحدّثني الحارثُ ، قال : حدَّثنا ابنُ سَعد ، قال : أخبرنا محمدُ بن عُمر ، قال :

كانت أمُّ سَمُرة [بن جُنْدُب] [٢] تحت مُرَيّ [٣] بن سِنَان بن ثَعلبة[٤] ، عمِّ أبي سَعيد الخُدْريّ ، وكان رَبِيبَه[٥] ، فلما خَرج رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى أُحُد ، وعَرَض أصحابَه فردَّ مَن اسْتصغر ، ردَّ سَمُرةَ بن جُندب ، وأجاز رافعَ بن خَدِيج[٦] ، فقال سَمُرة لِرَبِيبه : مُرَيَّ بن سِنان : [ياأبت] [٦] ، أجاز رافعًا وردَّني . وأنا أصرعُه ؛ فقال [مُرَيّ] [٧] : يا رسول الله ، رَددت ابني وأجزت رافع بن خَدِيج[٦] . وابني يَصرعُه؟ فقال النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم لرافعٍ وسَمُرة : اصْطَرِعا ، فصَرع سَمُرةُ رافعًا ، فأجازه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فشَهدها مع المُسلمين .

دليل النبي صلى الله عليه وسلم

وكان دليلَ النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم أبو حَثْمة[٨] الحارثيّ .

---

(١) تاريخ الطبرى (٢ : ١٩١) .

(٢) التكلة من الطبرى . (٣) قيده ، ابن حجر فى الإصابة (ت : ٧٩٢٠) بالعبارة « بالتصغير » . (٤) فى الإصابة : « مرى بن سنان بن عبيد بن ثعلبة » . (٥) الربيب : ابن امرأة الرجل من غيره . وكانت أم سمرة تحت مرى بن سنان ، فكان ربيبه لذلك . (٦) انظر الحاشية (رقم : ٩ ص : ٥٤٦٠). (٧) التكلة من الطبرى .

(٨) كذا فى الطبرى ، والمغازى ، والاستيعاب (ت : ٢٩١٠ ، الكنى) والإصابة (ت : ٢٥٥ ، الكنى) . وفى الأصول ، والمختار ، والسيرة ؛ « أبو خيثمة » . قال ابن حجر : « وقد ذكر ابن إسحاق فى السيرة هذه القصة ، لكن قال فى صاحبها إنه أبو خيثمة ، بمعجمه ثم مثناة تحتانية ثم فوقانية . وذكر اليعمرى أنه وهم . وأن الصواب أنه أبو حكة ، والد : سهل ، ولم يأت على الجزم بذلك دليل إلا قول ابن عبد البر : ليس فى الصحابة أبو حكة سوى الجعفى والسالمى . وفى هذا الحصر نظر » . وذكره ابن حجر مرة أخرى باسم أبى خيثمة ، وقال : « الحارثى ، تقدم التنبيه عليه فى الحاء المهملة . ومن قال : إن الصواب : أنه أبو حتمة ، بمهملة ثم مثناه فوقية ، إن الأمر فيه على الاحتمال . والله أعلم » .

رجع الحديث

إلى حديث ابن إسحاق

سلوك الرسول حرة بنى حارثة وما كان من المربع بن قيظى

وَمضى[1] رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم حتى سَلك فى حَرَّة بنى حارثة ، فذَبَّ فرسٌ بذَنَبه فأصاب كُلَّابَ سَيْفٍ[2] فاستلَّه ، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم — وكان يُحِبُّ الفألَ ولا يَعتاف[3] — لصاحبِ السَّيف : شِمْ[4] سَيفَكَ فإنِّى أرى السُّيوفَ ستُستلُّ اليوم .

ثم قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لأَصحابه : مَنْ رَجُلٌ يخرجُ بنا على القوم مِن كَثَبٍ مِن طَريقٍ لا يمرُّ بنا عليهم ؟ فقال أبو حَثْمة[5] ، أخو بنى حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله . فَقدَّمه[6] فنفذ به فى حَرَّة بنى حارثة وبين أَمْوالهم ، حتَّى سَلك به فى مال المِرْبع[7] بن قَيظىّ ، وكان رجلاً مُنافقًا ضريرَ البَصر ، فلمَّا سَمع حِسَّ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، ومَن معه من المُسلمين ، قام يَحْثِى التُّرابَ فى وُجوههم ويقول : إن كنتَ رسولَ الله فلا أُحِلّ[8] لك أن تَدْخُل حائطى .

قال : وقد ذُكِر لى أنَّه أخذ حَفْنةً من تراب فى يده . ثم قال : لو

---

(1) السيرة (٣ : ٦٨) . (2) كلاب السيف : مسمار يكون فى قائمه ، وفيه الذؤابة التى يعلق بها . (3) لا يعتاف : لايتطير . (4) شم سيفك : أغمده . وهذا الفعل من الأضداد .

(5) الأصول ، والسيرة : « أبو خيثمة » . (انظر الحاشية : ٨ ص : ٥٤٩٢) .

(6) وكذا فى الطبرى . وفى السيرة : « فأخذ ، فنفذ به » .

(7) وكذا فى الطبرى . والذى فى السيرة : « حتى سلك فى مال لمربع » . (8) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، س : « فلا أحل » . والذى فى السيرة ، والطبرى : « فإنى لا أحل » .

١٥/١٤

أنى أعلم(١) أنى لا أصيبُ بها غَيْرَك(٢) لضربتَ بها وَجْهَكَ ، فابتَدَره القومُ لِيَقتلوه ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : لا تَفعلوا ، فهذا الأَعْمى البصرِ الأَعْمى القلب(٣) . وقد بَدَر إليه سَعدُ بن زَيد ، أخو بنى عبد الأَشهل ، حين نَهى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عنه ، فضَربَه بالقَوس فى رَأسه فشَجه .

نزول المسلمين بالشعب من أحد وتهيؤهم للقتال

ومَضى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم على وَجهه حتَّى نَزل الشِّعْب من أُحُد ، فى عُدْوة الوادى إلى الجَبل ، فجَعل ظَهره وعَسكره إلى أُحُد ، وقال : لا يُقاتلنَّ أحدٌ أحداً حتى نَأْمرَه بالقتال . وقد سَرَّحت قريش الظَّهْر والكُراع(٤) فى زروع كانت بالصَّمْغة(٥) من قَناة للمُسلمين ، فقال رجلٌ من المُسلمين حينَ نهى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عن القتال : أَتُرْعَى زُروعُ بنى قَيْلة ولمَّا نُضارب . وتَعبَّأ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وسلَّم ، وهو فى سبعمائة رَجُلٍ ، وتعبَّأت قُريش ، وهم ثلاثة آلاف ، ومعهم مائتا فارس قد جَنَبوا خيولَهم(٦) ، فجعلوا على مَيْمنة الخَيل خالدَ بنَ الوليد ، وعلى مَيْسرتها عِكْرمةَ بن أَبى جَهل .

تأمير ابن جبير على الرماة وأمر الرسول له

وأَمَّر رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم على [الرُّماة](٧) عبدَ الله بن جُبير ، أخا بنى عمرو بن عوف ، وهو يومئذ مُعْلَم بثياب بِيض ، والرُّماة

(١) كذا فى الطبرى . وفى السيرة : « والله لو أعلم » . (٢) السيرة ، والطبرى : « غيرك يا محمد » . (٣) وكذا فى الطبرى . وفى السيرة : « فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر » .

(٤) الظهر : الإبل . والكراع : الخيل . (٥) الأصول : « بالصمعة » ، بالعين المهملة ، تصحيف . وما أثبتنا من السيرة ، والطبرى . والصمغة : أرض قرب أحد . (معجم البلدان) .

(٦) السيرة ، والطبرى : « ومعهم مائتا فرس قد جنبوها » .

(٧) التكلة من ط ، ل ، و ، السيرة ، والطبرى .

خَمسون رجلًا ،وقال : انضحْ[1] عنّا الخيلَ بالنَّبْل ،لا يَأْتُونا مِن خَلْفِنا ، إنْ كانت لنا أو علينا ، فاثْبُتْ بمكانك[2] لا نُؤْتَيَنَّ مِن قِبَلك . وظاهَرَ[3] رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بين دِرْعَيْن .

مخالفة الرماة لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم

قال محمد بن جرير : فحدّثنا هارونُ بن إسحاق ، قال : حدّثنا مُصعب بن المِقْدام ، قال : [حدّثنا إسرائيلُ ؛ وحدّثنا ابنُ وكيع ، قال : حدّثنا أبى ، عن إسرائيل . قال][4] : حدّثنا أبو إسحاق ، عن البَرَاء ، قال :

لما كان يومُ أُحد ، ولقى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم المُشركين ، أَجْلَسَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم رِجالاً بإزاء الرُّمَاة ، وأَمَّر عليهم عبدَ الله بن جُبَير ، وقال لهم : لا تَبْرَحوا مكانَكم وإنْ[5] رأيتمونا ظَهَرْنا عليهم ، وإن رأيتموهم ظَهَرُوا علينا فلا تعينونا . فلما لَقِى القومَ هَزَمَ المُشرِكين[6] ، حتى رأيتُ النساء قد رفَعْنَ عن سُوقهنّ وبَدت خلاخيلهنّ ، فجعلوا يقولون : الغنيمة الغنيمة ؛ فقال عبد الله : مَهْلاً ، أمَا عَلِمتُم ما عَهِدَ إليكم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؟ فأَبَوْا فانْطلقُوا ، فلما أَتَوهم صُرِفَتْ [وجُوهُهم][7] ، فأُصيب من المسلمين سَبعون رجلاً.

اللقاء بين المسلمين والمشركين

قال محمدُ بن جرير : حدّثنى محمد بن سَعد ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنى عمى ، قال : حدّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عبّاس ، قال :

(1) انضح : ادفع . (2) السيرة ، والطبرى : « مكانك » .
(3) ظاهر بين درعين ؛ أى : لبس درعا فوق درع .
(4) التكلة من الطبرى (٢ : ١٩٠) . (5) الطبرى : « إن » .
(6) الطبرى : « المشركون » ، على بناء الفعل المفعول . (7) التكلة من ل ، و . والعبارة فى الطبرى : « صرف الله وجوههم » .

أَقبلَ أَبو سُفيانَ فى ثلاثِ ليالٍ خَلَوْن من شَوّال حتّى نَزل أُحُدًا ، وخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فأَذَّنَ فى الناس فاجْتَمعوا ، وأَمّر الزُّبَيْرَ على الخَيل ، ومعه يومئذ المِقدادُ [بن الأَسود] [1] الكِندىّ ، وأَعطى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الرايةَ [2] رَجُلاً من قُريش ، يقال له : مُصعب بن عُمير ، وخَرجَ حَمزةُ بن عبد المطلب رضى الله عنه ، بالجَيْش ، بين يَدَيه [3] . وأَقبل خالدُ بن الوليد على خَيلِ المُشركين ، ومعه عِكْرِمة بن أَبى جَهل ؛ فبعثَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الزُّبيرَ ، وقال : استقبلْ خالدَ بنَ الوليد فكُنْ بإزائه حتّى أُوذِنَك ، وأَمَرَ بخَيلٍ أُخرى فكانُوا من جانبٍ آخر ، فقال : لا تَبْرحُنْ حتى أُوذِنَكم . وأَقبل أَبو سُفيانَ يَحمل اللات والعُزّى ، فأَرسلَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى الزُّبير أَن يَحْمِل ، فَحَملَ على خالد بن الوليد . فهَزَمه الله تعالى ومَن معه ، فقال جَلّ وعزّ : (ولقد صَدَقَكُم اللهُ وَعْدَهُ إذْ تَحُسُّونَهم بإذنه) [4] إلى قوله تبارك اسمهُ وتَعالى : (مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّون) [4] ، وإنّ الله تعالى وعَد المؤمنين النَّصْرَ وأَنّه معَهم . وإنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بَعثَ ناسًا من الناس فكانوا مِن وَرائهم ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : كُونوا ها هنا ، فرُدُّوا وجهَ من فَرَّ مِنّا ، وكُونُوا حَرَسًا لنا ١٦/١٤
مِن قِبَل ظُهورنا . وإنّه عليه السلام لما هَزَم القومَ هو وأَصحابُه ، قال

(١) التكلة من الطبرى . (٢) المختار ، والطبرى : « اللواء » .

(٣) كذا فى و ، وابن الأثير (٢ : ١٠٥ — ١٠٦) . وفى الأصول : « بالجيش وبعث حمزة بين يديه » . وهى كذلك فى الطبرى . غير أن فيه « بالحسر » مكان « بالجيش » .

(٤) آل عمران : ١٥٢

الذين كانوا جُعِلوا من ورائهم بعضهم لبعض ، ورأوا النساءَ مُصْعِدات فى الجَبل ، ورَأَوْا الغنائم : انطَلِقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم وأدرِكوا الغنائم قبلَ أن تسْبقوا إليها . وقالت طائفةٌ أخرى : بل نطيع رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فنثبت مكانَنا .

فقال ابن مسعود[1] : ما شَعرت أنّ أحدا من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كانَ يُريد الدُّنيا وعَرَضَها حتّى كان يومئذ .

ما كان من أمر الرماة

قال محمدُ بن جرير : حدّثنى محمد بن الحسين ، قال : حدّثنا أحمد بن المُفَضل[2] ، قال : حدّثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال :

لمّا بَرز رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلّم بأُحُد إلى المَشركين أمَر الرُّماة فقامُوا بأصْل الجَبل فى وُجوه خيْل المُشركين ، وقال لهم : لا تَبْرحوا مكانَكم إنْ رأيتم قد هزَمناهم ، فإنّا لا نَزال غالِبين ما ثَبتُّم مكانكم . وأمّر عليهم عبدَ الله بن جُبير ، أخا خوّات بن جُبير . ثم إنّ طلحة بن عثمان ، صاحبَ لواء المُشركين ، قام فقال : يا معاشرَ أصحابِ محمد ، إنكم تَزعمون أنّ الله عز وجلّ يُعجلنا[3] بسَيوفكم إلى النّار ، ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنّة ، فهل منكم أحد يعجله الله بسيفى إلى الجنة ، أو يعجلنى بسيفه إلى النار ؟ فقام إليه علىّ بن أبى طالب ، عليه السلام ، فقال : والذى نفسى بيده لا أفارقُك حتّى يُعجلك الله عز وجلّ بسَيفى إلى النار ، أو يُعجلنى بسيفك إلى الجنة ، فضربه على فقطع رِجْلَه ،

(١) الطبرى : « فكان ابن مسعود يقول » .

(٢) الأصول : « المفضل » تحريف . وما أثبتنا من الطبرى . (وانظر : تهذيب التهذيب ١ : ٨١).

(٣) ب ، س : « تعجلنا ... وتعجلكم » . وما أثبتنا من سائر الأصول ، والمختار ، والطبرى .

فبدَت عَورته ، فقال : أنشدك الله والرحم يابن عَمّ ، فتركه ، فكبّر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وقال لعليّ وأصحابه : ما منعك أن تجهزَ عليه ؟ قال : إنّ ابن عَمّى ناشدنى حين انكشفت عورته ، فاستحييْتُ منه . ثم شدّ الزبيرُ بن العَوّام والمقدادُ بن الأسود على المُشركين فهزماهم ، وحَمل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فهزموا أبا سفيان . فلمّا رأى ذلك خالدُ بن الوليد ، وهو على خيل المشركين ، حَمَل ، فرَمته الرّماةُ فانْقمَع[1] ، فلمّا نظر الرماة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم وأصحابِه فى جَوْف عَسكر المُشركين ينْتهبونه بادَرُوا الغنيمة ، فقال بعضُهم : لا نَترُك أمْرَ رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، وانطلق عامتُهم فلَحِقُوا بالعسكر ، فلمّا رأى خالد قِلّة الرمَاة صاح فى خيله ، ثم حمل فقَتَلَ الرّماةَ ، وحَمل على أَصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلمّا رأى المُشركون أنّ خيلَهم تقاتِل تَبادَرُوا[2] فشدوا على المسلمين ، فهزموهم وقتلوهم .

رجع
إلى حديث ابن[3] إسحاق

إعطاء الرسول صلى الله عليه وسلم سيفه إلى أبى دجانة

فقال[4] رسول الله صلّى الله عليه وسلم : من يأخذ هذا السيفَ بحقّه ؟ فقام إليه رِجال ، فأمْسكه عنهم[5] ، حتى قام إليه أبو دُجانة سِماكُ بن خَرَشة ، أخو بنى ساعدةَ ، فقال : وما حقّه يا رسولَ الله ؟

(1) انقمع : رجع وانزوى . (2) الطبرى ، والمختار : «تنادوا» . (3) الطبرى : «ابن» .
(4) السيرة (٣ : ٧١) . الطبرى (٢ : ١٩٥٠) . (5) الأصول : «بينهم» . وما أثبتناه من السيرة ، والمختار ، والطبرى .

قال : أنْ تضربَ به فى العدوّ حتّى يَنْحَنِى ؛ فقال : أنا آخُذه بحقّه يا رسول الله ، فأعطاه إيّاه . وكان أبو دُجانة رجلاً شجاعًا يَختال عند الحرب إذا كانت ، وكان إذا أَعْلَم على رأسه بعصابة له حَمراء[1] عَلِم الناسُ أنّه سيُقاتل . فلما أخذَ السيفَ من يدِ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أخذَ عِصابتَه تلك فعَصَب بها رأسَه ، ثم جَعل يَتبختر بين الصَّفَّين .

قول الرسول صلى الله عليه وسلم فى تبختر أبى دجانة

قال محمد بن إسحاق : حدّثنى جَعفرُ بن عبد الله بن أسلم ، مولى عُمر بن الخَطّاب ، رضى الله عنه ، عن رَجُل من الأنصار من بنى سَلمة ، قال :

١٧ / ١٤

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم حين رأى أبا دُجانة يَتبختر : إنّها مِشيةٌ يُبغِضها الله إلاّ فى هذا المَوطن .

أبو سفيان والأوس والخزرج

وقد أرسل أبو سُفيان رسولاً فقال : يا مَعشَرَ الأوس والخَزرج ، خلُّوا بيننا وبين ابن عَمّنا نَنصرفْ عنكم ، فإنّه لا حاجةَ بنا إلى قتالكم . فرَدّوه بما يَكره .

أبو عامر والأوس

وعن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عُمر بن قَتادة :

أنّ أبا عامر[2] عمرو بن صَيفىّ[3] بن النُّعمان بن مالك بن أميّة[3] ، أحد بنى ضُبَيعَة . وقد كان خَرج إلى مكّة مُباعِدًا لرسول الله صلّى الله عليه

---

(١) السيرة : «وكان اذا أعلم بعصابة له حمراء فاعتصب بها» . وفى المختار : «وكان إذا أعلم بعصابة حمراء يعملها على رأسه» .

(٢) المختار ، والسيرة ، والطبرى ، وجمهرة أنساب العرب (ص ٣٢٣) : «عبد عمرو» ويقال له [illegible] . (انظر الاستيعاب ، ت : ٥٤٩ ، والإصابة ، ت : ١٨٦٣ ، فى ترجمة حنظلة الغسيل ابنه) (٣) وكذا فى جمهرة أنساب العرب ، وفى المختار والسيرة والطبرى : «صيفى ابن مالك بن النعمان» .

وسلَّم ، معه خَمسون غلامًا من الأوس ، منهم : عُثْمان بن حُنَيف ــ وبعض الناس يقول : كانوا خَمسة عشر[1] ــ فكانَ يعِدُ قريشًا أنْ لو قد لَقِيَ محمّدًا لم يَختلف عليه منهم رَجُلان ؛ فلمّا التقى النّاسُ كان أوّلَ مَن لَقِيهم أبو عامرٍ فى الأحابيش وعُبدانِ أهلِ مكّة ، فنَادَى : يا معْشر الأوس ، أنا أبو عامر ؛ قالوا : فلا أنْعَمَ اللهُ بك عَينًا يا فاسق . وكانَ أبو عامرٍ يُسمَّى فى الجاهلية : الرّاهب ، فسمّاه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : الفاسق . فلمَّا سَمع رَدَّهم عليه قال : لقد أصابَ قَومى بعدى شَرٌّ . ثم قاتَلهم قتالاً شديدًا ، ثم راضَخَهم[2] بالحجارة .

أبو سفيان وأصحاب اللواء

وقد قال أبو سُفيان لأصحاب اللّواء ، من بنى عَبد الدار ، يُحرّضهم بذلك على القِتال : يا بَنى عبدِ الدار ، إنّكم وَلِيتم لواءنا يومَ بَدْر فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنّما يُؤتَى النّاسُ مِن قِبَل راياتهم ، إذا زالت زالُوا ، فإمّا أن تكفُونا لِواءنا ، وإمّا أن تُخلُّوا بيننا وبينه ، فنَكفيكُموه[3]. فهمُّوا به وتَوعَّدوه ، وقالوا : نحن نُسْلِم إليك لواءنا ! ستَعْلمُ غدًا إذا التقَيْنا كيف نَصنع ؟ وذلك الذى أراد أبو سُفيان . فلمّا التقى النّاسُ

هند والنسوة وتحريضهن

ودَنا بعضُهم من بعض قامت هِنْدُ بنت عُتبة فى النّسْوة اللّواتى معها ، وأخَذْن الدُّفوف يَضْرِبن خَلْف الرِّجال ويُحرِّضْنَهم ، فقالت هندٌ ، فيا تقول:

إنْ[4] تُقبلوا نُعانِقْ ونَفْرِش النَّمارِقْ

(١) وكذا فى السيرة . وفى المختار : « خمسة وعشرون » . وفى الطبرى : « خمسون » .

(٢) راضخهم : راماهم . (٣) وكذا فى الطبرى . وفى المختار ، والسيرة : « فنكفيكموه » . (٤) وزيد فى المختار قبل هذا :

نحن بنات طارق نمشى على النمارق
والدر فى المخانق والمسك فى المفارق

أو تُدْبِرُوا نُفارِقْ فِرَاقَ غَيْرِ وامِقْ

وتقول :

إيهًا[١] بَنِى عَبْدِ الدارْ إيهًا حُماةَ الأَدبارْ

* ضَرْبًا بكُلِّ بتَّارْ *

هزيمة المشركين

واقتتل الناسُ حتَّى حَميت الحرب ، وقاتل أبو دُجانة حتَّى أَمْعن فى الناس ، وحَمزةُ بن عبد المطلب ، وعلىّ بن أَبى طالب ، عليهما السلام ، فى رِجالٍ من المُسلمين ، فأَنزل الله نَصْرَه ، وصَدَقهم وَعْده ، فحَسُّوهم بالسَّيف[٢] حتى كَشَفُوهم ، وكانت الهزيمة[٣] .

رأى الزبير فى الهزيمة

وعن[٤] محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن أَبيه ، عن جَدّه ، قال : قال الزُّبير :

والله لقد رأَيتُنى أَنظُر إلى هِنْد[٥] بنت عُتبةَ وصَواحِبها مُشمِّرات هواربَ ، ما دُون أَخْذهنّ قليلٌ ولا كَثير ، إذ مالت الرُّماة إلى الكَرِّ[٦] ، حين[٧] كَشَفْنا القومَ عنه ، يُريدون النَّهب ، وخَلَّوا ظُهورَنا للخَيل ، فأُتينا من أَدبارنا[٨] ، وصَرخ صارخٌ : أَلَا إنَّ محمدًا قد قُتل ، فانكفأْنا[٩] وانكفأَ علينا القومُ بعد أَن أَصبنا أَصحابَ اللواء ، حتَّى ما يَدْنو إليه أَحدٌ من القوم .

---

(١) السيرة : «ويها» .
(٢) حسوهم : استأصلوهم . (٣) زاد الطبرى وابن هشام : «لاشك فيها» .
(٤) السيرة (٣ : ٨٢) الطبرى (٢ : ١٩٦) . (٥) السيرة ، والطبرى : «خدم هند» . والخدم : جمع خدمة ، وهى الخلخال والساق . (٦) كذا فى التجريد ، والمختار ، والسيرة ، والطبرى . والذى فى الأصول : «العسكر» . (٧) الأصول ، والمختار : «حتى» . وما أثبتنا من التجريد ، والسيرة ، والطبرى . (٨) وكذا فى المختار ، والطبرى . وفى السيرة : «من خلفنا» . (٩) انكفأ : رجع .

بلاء صؤاب وشعر حسان فيه

وعن محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم :

أنَّ اللِّواء لم يزل صَريعًا حتَّى أخذتْه عَمْرةُ بنت عَلقمةَ الحارثيّة ، فرفعَتْه لقُريش فلاذُوا بها[1] ، وكان اللِّواء مع صُؤاب[2] ، غلامٍ لبنى أبى طَلحة ، حَبَشيٌّ ، فكان آخرَ من أخذه منهم ، فقاتلَ حتَّى قُطعت يَداه ، فَبَرك عليه ، وأخذَ اللِّواء بصَدْره وعُنقه حتَّى قُتل عليه وهو يقول : اللهم قد[3] أعذَرْتُ ؛ فقال حسَّانُ بن ثابت فى قَطع يَد صُؤابٍ حِينَ تقاذفُوا بالشِّعر: ١٨/١٤

فَخرتم باللِّواء وشَرُّ[4] فَخرٍ لِواءٌ حينَ رُدَّ إلى صُؤابِ
جَعلتم فَخرَكم فيها لِعَبْدٍ مِنَ الأَمِ من وَطِى عَفَرَ التُّراب[5]
ظَننتم[6] والسَّفيهُ له ظُنونٌ وما إنْ ذاكَ من أمْر الصَّواب
بأنَّ جِلادَنا[7] يوم التَقَيْنا بمكَّةَ بَيْعُكم حُمُرَ العِياب[8]
أقَرَّ العينَ أن عُصِبَت يَداه وما إن تُعْصَبانِ على خِضاب

بلاء على بن أبى طالب

قال[9] محمد بن جرير : وحدّثنا أبو كُرَيب ، قال : حدّثنا عثمانُ ابن سعيد ، قال : حدّثنا حِبَّان[10] بن علىّ ، عن محمد بن عُبيد الله بن أبى رافع ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال :

---

(١) السيرة والطبرى : «فلاثوا به» ؛ أى : اجتمعوا حوله والتفوا .

(٢) الأصول ، والمختار ، والطبرى : «صواب» . وما اثبتنا من السيرة ، والروض الأنف للسهيلى .

(٣) السيرة والمختار : « هل » . (٤) وكذا فى السيرة ، والطبرى . والذى فى المختار : « وأى » . (٥) وكذا فى الطبرى . وفى الديوان (ص : ٥٥) : « من يطا » . رواية البيت فى السيرة :

جعلتم فخركم فيه بعبد وألأم من يطا عفر التراب

(٦) الديوان : « حسبتم » . (٧) الديوان : « لقاءنا » .

(٨) العياب : جمع عيبة ، وهى مايضع الرجل فيه متاعه . (٩) الطبرى (٣ : ١٩٧) .

(١٠) ط ، ف ، ل : «حيان» ، بالمثناة التحتية ، تحريف . (انظر : تهذيب التهذيب : ٢ : ١٧٣).

لمّا قتِل(١) أصحاب الألويةِ يوم أُحد ـ قَتَلَهم علىٌّ بن أبى طالب عليه السلام ـ أبصرَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم جماعةً من مُشْركى قَريش ، فقال لعلىّ : احْمِلْ عليهم ، فحملَ علىٌّ ففرّق جَمْعَهم ، وقَتل عَمرَو بنَ عبد الله الجُمحىّ ، ثم أبصَر جماعةً من مُشركى قُريش ، فقال لعلىّ : احملْ ، فحَمل على ففرّق جَمْعهم ، وقَتل شَيبةَ بن مالك ، أحد بنى عامر بن لُؤىّ ، فقال جبريل عليه السلام : [يا رسولَ الله](٢) ، إنَّ هذه لَلمُوَاساةُ(٣) ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : هو منّى وأنا منه ؛ فقال جبريلُ عليه السلام : وأنا منكم ؛ قال : فسَمعوا صوتًا :

لا سَيفَ إلا ذو الفَقَا ... رِ ولا فَتًى إلاَّ عَلِى

ما أصيب به المسلمون

فلمّا أُتِىَ المسلمون مِن خَلفهم انْكشفوا ، وأصاب منهم المُشركون . وكان المسلمون لمّا أصابهم ما أصابهم من البلاء أثلاثًا : ثلثٌ قتيل ، وثلثٌ جَريح ، وثلث مُنهزمٌ ، وقد جهدَتْه الحربُ حتى ما يَدْرى ما يَصنع . وأُصيبت رَباعيَةُ (٤) رسول الله صلّى الله عليه وسلّم السُّفلى ، وشُقّت شَفَتِه ، وكُلِم فى وَجْنته وجَبهته فى أُصول شعره ، وعلاه ابن قَمِئةَ بالسّيف على شِقّه الأيمن ، وكان الذى أصابه عُتبة بن أبى وقّاص .

الرسول صلى الله عليه وسلم وما ناله

قال محمدُ بن جرير : وحدّثنا ابنُ بشّار(٥) ، قال : حدّثنا ابنُ أبى عَدىّ ، عن حُميد ، عن أنس بن مالك ، قال :

---

(١) كذا فى ط ، ف ، ل . والذى فى سائر الأصول : « ولى » . والعبارة فى التجريد ، والمختار ، والطبرى : « وقتل على بن أبى طالب أصحاب الألوية أبصر ... » .

(٢) التكلمة من ل ، والمختار ، والطبرى . (٣) كذا فى ط ، ف ، ل ، والطبرى . وفى : « إن هذا المواساة » . والذى فى سائر الأصول ، والمختار : « إن هذه المواساة » . (٤) الرباعية : السن التى بين الثنية والناب . (٥) كذا فى ط ، ل ، و ، والطبرى . والذى فى ف : « أبو يسار » . وفى سائر الأصول : « ابن يسار » . (وانظر تهذيب التهذيب ٩ : ٧٠ ، فى ترجمة محمد بن بشار) .

لما كان يوم أُحُد كُسرت رَباعِيَةُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وشُجَّ ، فجعل الدمُ يَسيل على وَجهه ، وجَعل يَمسح الدمَ عن وجهه ويقول : كيف يُفْلح قومٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبيِّهم بالدَّم ، وهو يَدْعوهم إلى الله تعالى . فأنزل الله عزّ وجلّ : (لَيْسَ لكَ مِنَ الأَمر شَيءٌ أَوْ يَتُوبَ عليهم)[1] الآية . وقد قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حين غَشِيَه القومُ : مَن رَجلٌ يَشْرِى لى[2] نَفْسَه ؟

حديث النفر الذين قاتلوا دون رسول صلى الله عليه وسلم

قال محمدٌ : فحدثنى ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : حدّثنى محمدُ بن إسحاق . قال : حدّثنى الحُصَينُ بن عبد الرحمن بن عَمرو بن سَعد بن مُعاذ ، عن محمود بن عمرو بن يَزيد بن السَّكَن ، [قال :

فقام زيادُ بن السَّكَن][3] فى نَفرٍ خَمسة من الأَنْصار – وبعض الناس يقول : إنّما هو عُمارة بن زِياد بن السَّكن – فقاتلوا دونَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رجلاً ثم رجلاً ، يُقْتَلون دونه ، حتّى كان آخرهم زيادٌ ، أو عُمارة[4] ، بن زياد بن السَّكن ، فقاتَلَ حتّى أَثْبتته الجراحةُ ، ثم فاءت من المسلمين فِئةٌ حتّى أَجْهَضُوهم عنه ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أَدنُوه منّى ، فأَدنَوْه منه ، فَوسّده قَدَمَه ، فمات وخَدُّه على قَدم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وتَرَّسَ مِن دون النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم أبو دُجانة بنَفْسه ، يَقَعُ النَّبْل فى ظَهره ، وهو مُنْحنٍ عليه ، حتّى

(١) آل عمران : ١٢٨ .   (٢) الطبرى : «يشرى» .

(٣) التكملة من ر ، ه والطبرى .

(٤) كذا فى المختار والطبرى . والذى فى الأصول : «آخرهم عمارة بن زياد بن السكن» .

١٩/١٣ كَثرت فيه النَّبْلُ ، ورَمَى سَعدُ بن أَبِى وقَّاص دونَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم .

قال سعدٌ : فلقد رأَيتُه يُناوِلنى ويقول :[ارْمِ](١) فِداكَ أَبِى وأُمِّى ، حتَّىَ إنَّه ليَناوِلُنى السَّهمَ ما فيه نَصلٌ فيقول : ارْمِ به .

إصابة عين قتادة

وعن محمد بن إسحاق(٢) ، قال : حدَّثنى عاصمُ بن عمر بن قَتادة : أَنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم رَمَى عن قَوسه حتَّى اندقَّت سِيَتُها(٣) ، فأَخذَها قَتادةُ بنُ النُّعمان فكانت عنده . وأُصيبت يومئذ عَيْنُ قَتادة حتَّى وَقعَتْ على وَجْنته .

وعن محمد بن إسحاق(٤) ، قال : حدَّثنى عاصمُ بن عمر بن قتادة : أَنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم رَدَّها بِيَدِهِ ، فكانت أَحْسنَ عَيْنيه وأَحَدَّهما .

مقتل مصعب بن عمير وحمزة

وقاتل مُصعبُ بن عُمير دونَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، ومعه لواؤُه ، حتَّى قُتل ، وكان الذى أَصابه ابنُ قَمِئة اللَّيثىّ ، وهو يَظنُّ أَنه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فرجَع إلى قُريش فقال : قد قتلتُ محمداً . فلمَّا قُتِل مُصعبُ بن عُمير أَعطَى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم اللِّواء علىَّ بن طالب ، عليه السلام . وقاتلَ حَمزةُ بن عبد المُطلب ، رضى الله عنه ، حتَّى قَتل أَرْطاةَ بن[عَبْد](٥) شُرَحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن

---

(١) التكملة من المختار ، والطبرى . (٢) يرويه محمد بن جرير عن ابن حميد عن سلمة (٢ : ١٩٨) . (٣) سية القوس ، مخففة : ما انعطف من طرفيها ؛ والجمع : سيات .

(٤) التكملة من السيرة ، الطبرى ، وجمهرة أنساب العرب (ص : ١٢٦) .

عبد الدار بن قصىّ ، وكان أحدَ النَّفر الذين يَحملون اللِّواء ، ثم مَرّ به سِبَاع بن عَبد العُزَّى الغُبْشانىّ ، وكان يُكْنَى : أبا نِيَار ، فقال له [حمزة [1]] : هلُمّ إلىّ يابنَ مُقطِّعة البُظور ـ وكانت أُمُّه خَتَّانة [بمكة] ، مولاةَ شَريقِ بن عمرو بن وَهب الثقفى ـ فلما التقيا ضَربَه حَمزةُ فَقتله .

فقال وحشىّ ، غلامُ جُبير بن مُطعِم : إنّى لأَنظرُ إلى حَمزةَ يَهُدُّ[2] الناس بسَيْفه ، ما يُلِيق [3] شيئًا يَمُرّ به ، مِثلَ الجمل الأَوْرَق[4] ، إذْ تَقدَّمَنى إليه سِباعُ بن عبد العُزَّى ، فقال له حمزة : هلمّ إلىّ يابن مُقطِّعة البُظور ؛ فضربهَ فما أَخطأَ رأْسَه ، وهَزَزتُ حَرْبَتى حتّى إذا مارَضِيتُ منها دَفَعتُها عليه ، فوقعَتْ عليه فى لَبَّته[5] حتَّى خرجَتْ من بين رِجْليه ، وأقبلَ نحوى ، فغُلِب فوَقَع ، فأَمْهلته ، حتى إذا مات جئتُ فأَخذْت حربتى ، ثم تَنحَّيتُ إلى العَسكر ، ولم يكن لى بشىءٍ حاجةٌ غَيْرَه .

قتل عاصم لمسافع وكلاب بن طلحة

وقد قَتَل عاصمُ بن ثابت بن أَبى الأَقْلح ، أَحدُ[6] بنى عمرو بن عَوف ، مُسافعَ بنَ طَلحة . وأَخاه كِلابَ بن طَلحة ، كلاهما يُشْعِره سَهمًا[7] . فيأْتى أُمَّه [سُلافة] [8] فيضعُ رأْسَه فى حِجرها ، فتقول : يابُنَى ، مَن أَصابك ؟ فيقول : سمعتُ رجلاً يقول حينَ رمانى : خذْها إليكَ وأنا

(1) التكلة من ط ، قـ ، ل ، و ، والطبرى ، والسيرة . (2) يهد : يقطع .
(3) مايليق : مايترك . (4) الأورق : الذى لونه إلى الغبرة .
(5) وكذا فى الطبرى . والذى فى المختار : « بثنته » . وفى التجريد : « فى ثنته » . والثنة : العانة .
(6) الطبرى : « أخو » .
(7) أشعره سهما : أصابه به فى جسده فصار له مثل الشعار ، وهو ما يلى الجسد .
(8) التكلة من الطبرى .

ابن أبى الأقلح ، فتقول : أَقْلَحىٌ ! فنذرَتْ لله إنِ اللهُ أَمْكنَها من رأس عاصمٍ أن تَشربَ فيه الخمر . وكان عاصمٌ قد عاهدَ اللهَ عزَّ وجلَّ أن لا يَمسَّ مُشركًا [أبدًا] ولا يَمسَّه.

مقتل أنس بن النضر

عن ابن إسحاقَ(١) : حدّثنى القاسمُ بن عبد الرحمن بن رافع ، أخو بنى عَدىّ بن النجّار ، قال :

انتهى أَنسُ بن النَّضْر ، عمُّ أَنس بن مالكٍ ، إلى عُمرَ بن الخطّاب ، وطَلحةَ بن عُبيد الله ، فى رجالٍ من المُهاجرين والأَنصار ، وقد أَلْقَوا بأَيديهم ، فقال : ما يُجلِسكم ها هنا ؟ فقالوا : قُتِل رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، قال : فما تَصنعون بالحياة بَعدَه ؟ قُومُوا فمُوتوا كِرامًا على ما ماتَ عليه ، ثم استقبل القومَ فقاتلَ حتَّى قُتِل . وبه سُمِّى : أنس ابن مالك .

عن ابن إسحاق(١) ، قال : حدّثنى حُميد الطَّويل، عن أَنس بن مالك ، قال :

لقد وَجدنا بأَنسِ بن النَّضْر يومئذ سَبعينَ ضربةً وطَعْنة ، فما عرفَتْه إلا أختُه ، عَرفَتْه بِحُسْن بَنانه .

كان كعب بن مالك أول من عرف الرسول صلى الله عليه وسلم

عن ابن إسحاق ، قال :

كان أَوّلَ من عَرف رسولَ الله صلّى الله عليه وسلَّم بعد الهزيمة وقولِ النّاس : قُتِل رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، كما حدّثنى ابنُ شهابٍ :

(١) انظر الحاشية (رقم : ٢ ص : ٥٥٠٤) .

٢٠ / ١٤ ز

كعبُ بن مالك ، أخو بنى سَلِمة(١) ، قال : عرفتُ عَيْنَيه تَزْهَران تحت المِغْفر ، فناديتُ بأعْلى صَوتى : يا معشرَ المسلمين ، أبْشِروا ، هذا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأشار إلىَّ عليه السلام : أن أنصِتْ . فلمّا عرَفَ المسلمون رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم نَهَضُوا به ، ونهض نحوَ الشِّعب ، معه أبو بكر بن أبى قُحافة ، وعُمرَ بن الخطاب ، وعلىُّ بن أبى طالب ، وطَلْحةُ بن عُبيد الله ، والزُّبيرُ بن العوّام ، والحارثُ بن الصِّمّة ، فى رَهط من المُسلمين ، رضى الله عنهم أجمعين .

الرسول صلى الله عليه وسلم وأبى بن خلف

فلمّا أسْند(٢) رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى الشِّعْب ، أدْركه أُبَىُّ ابن خَلَف ، وهو يقول : يا مُحمد ، لا نَجَوْتُ إنْ نَجوتَ ؛ فقال القوم : يا رسولَ الله ، أيَعطف عليه رجلٌ منّا ؟ فقال : دَعُوه . فلمّا دنا تناولَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الحربةَ من الحارث بن الصِّمّة .

قال : يقول بعضُ الناس ، فيما ذُكِر لى : فلمّا أخَذَها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم انتفضَ بها انتفاضةً تَطايَرْنا عنه تَطايُرَ الشَّعْراء(٣) عن ظَهر البَعير إذَا انْتفض ، ثم استقبلَه فطعَنه فى عُنُقه طعنةً تَدأدأ بها عن فَرسه مِرارًا(٤) . وكان أُبَىُّ بن خَلَف – كما حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلمةُ ، عن ابن إسحاق ، عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف – يَلْقَى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بمكة فيقول : يا محمد ،

---

(١) سلمة : بكسر اللام . (تبصير المنتبه : ٦٨٨ ؛ الإيناس بعلم الأنساب ، لابن المغربى : ٩٣ ؛ مختلف القبائل لابن حبيب : ١٦) . (٢) أسند فى الشعب : رقى فيه .

(٣) كذا فى السيرة ، والطبرى . والشعراء : ذباب له لدغ . وفى ر : «والفراش» . وفى سائر الأصول : «والشعر» . (٤) تدأدأ عن فرسه ؛ أى : تقلّب .

إنَّ عندى العَوْدَ[١] أعلِفُه كُلَّ يومٍ فَرَقًا[٢] من ذُرَة أَقْتُلُك عليه ، فيقول رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : بل أنا أَقتُلك إن شاء الله تعالى . فلمَّا رجعَ إلى قُريش ، وقد خَدَشه فى حَلْقه[٣] خَدْشًا غيرَ كَبير ، فاحتقَنَ الدمُ ، قال : قتلَنى واللهِ مُحمّد ؛ قالوا : ذَهَب والله فُؤادُك ، والله ما بِكَ بأْس ؛ قال : إنَّه كانَ بمكَّة قال لى : أنا أَقْتُلك ، فوالله لو بَصَق علىّ لقَتَلَنى . فمات عدوُّ الله بسَرِف[٤] ، وهم قافِلُون به إلى مَكّة .

غسل الدم عن وجهه صلى الله عليه وسلم

فلمّا انتهى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى فَم الشِّعْب خَرج علىُّ بنُ أبى طالب حتّى مَلأَ دَرَقَتَه من المِهْراس[٥] ، ثمَّ جاء به إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لِيَشرب منه ، فوجد له رِيحًا ، فعافَه ولم يَشرب منه[٦] ، وغَسَلَ عن وَجهه الدَّمَ ، وصَبَّ على رأسه ، وهو يقول : اشتدَّ غَضبُ الله عزَّ وجلَّ على من دَمَّى وَجْهَ نَبِيِّه .

عتبة بن أبى وقاص

قال محمدُ بن إسحاق : حدّثنى صالحُ بن كيسان ، عمّن حدّثه ، عن سعد بن أبى وقاص ، أنَّه كان يقول :

والله ما حَرَصت على قَتْل رَجُلٍ قطُّ ما حَرَصت على قَتْلِ عُتبة بن أبى وقّاص ، وإنْ كان ما علمتُ لَسَيِّئَ الخُلق مُبغَّضًا فى قَومه ، ولقد كَفانى منه قولُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلَّم : اشتدَّ غضَبُ الله على مَن دَمَّى وَجْه رسول الله .

(١) التجريد، والسيرة : «العوذ» بالذال المعجمة .

(٢) الفرق : مكيال يسع ستة عشر منا . (٣) وكذا فى التجريد . والذى فى المختار ، والسيرة ، والطبرى : «فى عنقه» .

(٤) سرف : موضع على ستة أميال من مكة . (٥) المهراس : ماء بجبل أحد .

(٦) الأصول : «فشرب منه وغسل» . والتصويب والتكملة من السيرة ، والطبرى .

هند وتمثيلها بحمزة

قال[1] : حدّثنا محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى صالح بن كيسان ، قال :

خرجَتْ هِندٌ والنِّسوةُ اللواتى معها يمثِّلن[2] بالقَتلى من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، يَجْدعْنَ الآذانَ والآنُف[3] ، حتّى اتخذت هندٌ من آذان الرجال وآنُفهم خَدَمًا وقَلائد ، وأعطت خَدَمها وقلائدَها وقِرَطتها وَحْشِيًّا ، غُلامَ جُبير بن مُطعِم ، وبَقَرَت بَطن[4] حمزةَ ، عليه السَّلام ، فأخرجَتْ كَبِده فلاكَتْها ، فلم تَستطع أن تُسِيغَها فَلَفظتها ، ثم علَتْ على صَخرةٍ [مُشْرِفة][5] فصاحَتْ بأعْلَى صوتِها بما قالتْ من الشِّعر حِين ظفروا بما أصابوا من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

عمر وحسان فى شأن هند وهجاء حسان لها

قال : حدّثنى صالحُ بن كيسان ، أنّه حُدِّث :

أنّ عمر بن الخطاب. رضوان الله عليه ، قال لحسّان :يابن الفُرَيعة ، لو سَمعتَ ما تقول هندٌ ورأيْتَ أَشَرَها[6] قائمةً على صَخْرةٍ تَرتجز بنا وتَذكُر ما صنعَتْ بحمزة ؟ قال له حسّان : واللهِ إنّى لأَنْظرُ إلى الحَربة
٢١/١٤ تَهوِى وإنِّى على رأس فارع – يعنى أُطُمَه – فقلت : والله ، إنّ هذه لسلاحٌ ما هى بسِلاَحِ العَرب ، وكأنّها إنّما تَهْوِى [إلى حمزة][7]

(١) السند كما جاء فى الطبرى (٢ : ٢٠٤): «قال أبو جعفر – يعنى الطبرى – فيما حدثنا ابن حميد قال : حدثنا سلمة، قال : حدثنى محمد بن إسحاق » . (٢) كذا فى و ، والتجريد، والمختار، والطبرى . ومثل ، من باب نصر ، بفلان : نكل ، كمثل تمثيلا . والذى فى سائر الأصول : «تمتاز» .
(٣) المختار : « الأنوف » . (٤) كذا فى المختار . وفى أكثر الأصول ، والتجريد : « عن بطن » . وفى ط ، ف ، ل : « عن كبد » .
(٥) التكملة من ط ، ف ، ل ، والمختار ، والسيرة ، والطبرى .
(٦) الأشر : البطر . (٧) التكملة من المختار ، والسيرة ، والطبرى .

ولا أدرى ، أَسْمِعْنى بَعضَ قولها أكْفِكُموها . قال : فأنشده عُمرُ بعض ما قالتْ ؛ فقال حسانُ يَهْجو هندًا :

أَشِرَتْ لَكاعِ[١] وكان عادتُها ... لُؤمًا إذا أَشِرت من[٢] الكُفْرِ
لعنَ الإلهُ وزَوْجَها معهـــا ... هِندَ الهُنُود طويلةَ[٣] البَظْرِ
أخرَجْتِ مُرقِصةً[٤] إلى أُحُـــد ... فى القَوم مُعْنِقةً على بَكْرِ[٥]
[بَكْرٍ ثَفَالٍ[٦] لا حَرَاكَ به ... لا عَن مُعاتبةٍ ولا زَجرِ][٧]
وعَصاكِ إستُكِ تَتَّقِين بها[٨] ... دَقَّ العُجايَةِ هِنْدُ بالفِهْرِ[٩]
قَرِحتْ عَجيزتُها[١٠] ومَشْرَجُها ... مِن دَأْبِها نَصًّا على القُتْرِ[١١]

---

(١) قال السهيلى فى الروض الأنف : « لكاع ، جعله اسما لها فى غير موضع النداء ، وذلك جائز ، وإن كان فى النداء أكثر ، نحو : ياغدار ، ويافساق . واللكاع : اللئيمة » .

(٢) التجريد ، والمختار ، والسيرة (٣ : ٩٨) والطبرى (٢ : ٢٠٥) والديوان (ص : ١٨٨) : « مع » . (٣) الطبرى : « عظيمة » . (٤) الإرقاص : حمل البعير على الخبب .

(٥) كذا فى التجريد ، والديوان . ومعنقة : مسرعة . والذى فى الأصول . والمختار ، والطبرى : « مقتبة » . والإقتاب : شد القتب على ظهر البعير . (٦) التكملة من ط ، ف ، ل ، والديوان ، والطبرى . (٧) الثفال من الإبل : البطىء . وفى ل : « ثقال » . بالقاف ، تصحيف .

(٨) أى : إن استها مكان العصا تدفع به ، ومنه يقال للمتطى دابة ولاعصا معه فهو يستحثها بتحريك استه : عصاه استه . (٩) كذا فى و ، والطبرى . شبه عنف دفعها باستها بدق العجاية ، وهى العصب يضرب بالفهر ، وهو الحجر ، حتى يلين فيؤكل . ومثله قول المزرد ابن ضرار :

فجاء على بكر ثفال يكـــده ... عصاه استه وجى العجاية بالفهر

والذى فى سائر الأصول : « وفى عجانك منك بالفهر » . وفى الديوان : « دق العجاية عارى الفهر » .

(١٠) كذا فى ب ، س ، والديوان ، والطبرى . والذى فى سائر الأصول : « عجيتها » ، تحريف . (١١) وكذا جاء هذا العجز فى الطبرى . والنص : التحريك ، واستخراج أقصى ما عند الناقة فى سيرها . والقتر : بالضم وبضمتين : الناحية والجانب . والرواية فى الديوان :

* من نصها نصا على القهر *

ظَلَّتْ تُداوِيهـا زَمِيلَتُهـا بالماءِ تَنْضَحُـه وبالسِّدْرِ[1]

أَخْرَجْتِ[2] ثائرةً مُبـادِرةً بأَبِيكِ فاتِكِ[3] يومَ ذى بَدْرِ

وبِعَمِّكِ المَسْتُوهِ فى رَدَعٍ[4] وأَخِيكِ مُنْعَفِرَيْنِ فى الجَفْرِ[5]

ونَسِيتِ فاحشةً أَتَيْتِ بِهـا يا هِنْدُ وَيْحَكِ سَيْئَةَ الذِّكْرِ[6]

فرَجَعْتِ صاغِـرةً بلا تِرَةٍ مِنَّا ظَفِرْتِ بها ولا نَصْرِ[7]

زَعمَ الوَلائدُ أَنَّهـا وَلَدتْ وَلَدًا صَغِيرًا كان من عَهْرِ[8]

قال[9] محمدُ بن جرير :

أبوسفيان وسؤاله عمن قتل

ثم إنَّ أَبا سُفيان بن حَرب أَشْرف على القَوم ، فيما حدّثنا هارونُ ابن إسحاق ، قال : حدّثنا مُصعبُ بن المِقْدام ، قال حدّثنا إسرائيلُ ؛ وحدّثنا ابنُ وكيع ، قال : حدّثنا أَبى ، عن إسرائيل ، قال حدّثنا أَبو[10] إسحاق ، عن البَراء ، قال :

ثم إن أَبا سُفيان أَشرفَ علينا ، فقال : أَفى القوم مُحمد ؟ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : لا تُجيبوه ، مرّتين .

---

(١) السدر : شجر ، ومانبت منه على الماء صلح ورقه للغسول .

(٢) الديوان : « أقبلت » . (٣) المختار ، والديوان ، والطبرى : «بأبيك وابنك» .

(٤) المستوه : المضروب فى استه . والردع : لطخ من الدم . والرواية فى الديوان .

« وبعمك المسلوب بزته »

(٥) كذا فى ط ، ف ، والديوان،والمختار . والجفر : البئر لم تطو ، أو التى قد طوى بعضها . والذى فى سائر الأصول،والطبرى: « والحفر »،بالحاء المهملة . (٦) سيئة ، مخفف ، سيئة ، بالتشديد . والرواية فى المختار،والديوان، والطبرى: «سبة » .. (٧) الديوان : « وتر ».

(٨) العهر : بالفتح ويكسر ، ويحرك : الفجور . (٩) الطبرى (٢ : ٢٠٥) .

(١٠) ب ، س : «ابن إسحاق »،تحريف . وما أثبتنا من سائر الأصول،والطبرى . (أنظر تهذيب التهذيب فى ترجمة البراء بن عازب ٢ : ٤٢٥) .

[ثم قال : أفى القوم ابنُ أبى قُحافة(١) ؟ ثلاثا ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم : لا تُجيبوه](٢) . ثم التفتَ إلى أصحابه . فقال : أمَّا هؤلاء فقد قُتلوا ، لو كانُوا فى الأحياء لأجابوا . فلم يَملك عمرُ بن الخطاب ، رضى الله عنه ، نَفْسَه أن قال :كَذبتَ يا عدوَّ الله ، قد أبْقَى الله لك ما يُخْزيك ؛ فقال : اعْلُ هُبَل ، اعْلُ هُبلَ ؛ فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : أجيبوه ؛ قالوا : ما نقول ؟ قال : قُولوا : الله أعْلَى وأجَلّ ؛ قال أبو سفيان : لنَا العُزَّى ولا عُزّى لكم ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلَّم : أجيبوه ؛ قالوا : ما نَقول ؟ قال : قُولوا : الله مَوْلانا ولا مَوْلى لكم ؛ قال أبو سُفيان : يومٌ بيوم بَدْر ، والحَربُ سِجَال ، أمَا إنّكم ستَجدون فى القوم مُثُلاً لم آمُرْ بها ولم تَسُؤْنى .

أبو سفيان وعمر فى شأن الرسول صلى الله عليه وسلم

قال(٣) ابنُ إسحاقَ فى حديثه :

لما أجابَ عُمر ، رضى الله عنه ، أبا سفيان ، قال له أبو سفيان : هلمّ يا عُمر ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلَّم : إيتِهِ فانْظُر ما شأْنه ؛ فجاءه ، فقال له أبو سفيان : أنشُدك الله يا عُمر ، أقتَلْنا محمداً ؟ فقال عمر : اللهمَّ لا ، وإنَّه ليسمعُ كلامَك الآن ؛ قال : أنت أصدقُ عندى من ابن قَمِئة وأبَرّ ؛ لِقَول ابن قَمِئة لهم : إنِّي قتلتُ محمدًا .

(١) المختار : « عمر بن الخطاب » .

(٢) الطبرى : « ثم قال : أفى القوم ابن الخطاب ، ثلاثا ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تجيبوه » .

(٣) السند متصل بابن جرير ، فهو يروى عن ابن حميد عن سلمة عن ابن إسحاق .

أبو سفيان والتمثيل بالقتلى

ثم نادى أبو سُفيان ، فقال : إنَّه قد كان مُثَلٌ[1] ، والله ما رَضِيتُ ولا سَخِطت ، ولا أمَرْتُ ولا نَهيت . وقد كان الحُلَيس بن زَبَّان ، أخو بنى الحارث بن عَبد مَناة ، وهو يومئذ سَيِّد الأحابيش ، قد مَرَّ بأبى سفيان ابن حَرب وهو يَضرِب فى شِدْق حمزةَ ، عليه السلام ، [يزُجُ الرُّمح] [2] وهو يقول : ذُقْ عُقَق[3] ! فقال الحُليس : يا بَنى كنانة ، هذا سَيِّد قُريش يَصنع بابن عَمِّه كما تَروْن لَحْماً[4] ! فقال : اكْتُمْها علىَّ فإنَّها كانت زَلَّةً...

٢٢ / ١٤

أبو سفيان ينذر المسلمين ببدر ثانية

قال : فلمَّا انصرفَ أبو سُفيانَ ومَن معه ، نادى : إنَّ موعدَكُم بدر ، العامَ المُقبل[5] ؛ فقالَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لرَجُلٍ من أصحابه : قُل : نعم ، هى بيننا وبينك مَوْعد .

إرسال الرسول صلى الله عليه وسلم علياً فى إثر القوم ليعلم قصدهم

ثم بعثَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم علىَّ بن أبى طالب ، عليه السلام ، فقال : اخْرج فى آثار القَوم فانْظُر ماذا يَصْنعون ، فإنْ كانُوا قد جَنَبوا الخيلَ وامتطَوا الإبِلَ فإنَّهم يُريدون مكَّة ، وإنْ رَكبوا الخَيلَ وساقُوا الإبِل فهم يُريدون المدينة ، فوالذى نَفسى بيدِه لئن أرادُوها لأَسِيرَنَّ إليهم ثم لأُناجزنَّهم . قال علىٌّ : فخرجتُ فى آثارهم أنظُرُ ما يَصنعون ، فلمَّا جَنَبوا الخيل وامتَطوا الإبل توجَّهوا إلى مكَّة . وكان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال لى : أىَّ ذلك كان فأَخْفِهِ حتَّى تأْتِيَنى . قال علىٌّ : فلمَّا رأيتُهم قد تَوجَّهوا إلى مكَّة أقبلْتُ أصِيح ، ما أستطيع أنْ أكْتُم

(١) الطبرى: «أنه قد كان فى قتلاكم مثل». (٢) التكملة من المختار، والطبرى. (٣) أراد: ياعاق، فعدل إلى فعل. (٤) لحما؛ أى: ميتا لا يقدر على الانتصار. (٥) السيرة: «القابل».

الذى أمَرَنى به رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، لِمَا بى من الفَرَحْ ، إذْ رأيتُهم انصرفوا إلى مكّة عن المدينة . وفَرِغ الناس لقَتلاهم(١) .

سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم عن سعد بن الربيع

فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، كما حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : حدّثنى محمدُ بن إسحاق . عن محمد بن عبد الله بن أبى(٢) صَعْصعة المازنىّ : أخى بنى النَّجّار : أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : مَن رجلٌ ينظُر لى ما فعلَ سَعدُ بن الرَّبيع ـ وسَعدٌ أخو بنى الحارث ابن الخزرج ـ : أفى الأَحياء هو أم فى الأَموات ؟ فقال رجلٌ من الأَنصار : أنا أنظُر لك يا رسول الله ما فَعل ، فنظر فوجَده جريحًا فى القَتْلى به رَمَقٌ . قال : فقلتُ له : إنَّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أمرنى أن أنْظر : له أفى الأَحياء أنت أم فى الأَموات ؟ قال : فأَنا فى الأَمواتِ ، أَبْلغْ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم وقُلْ له : إنَّ سَعد بن الربيع يقول لك : جَزاكَ الله خيرَ ما جزَى نَبيًّا(٣) عن أُمته ، وأَبلغْ قَومَك عنِّى السلامَ وقُل لهم : إنَّ سَعد بن الربيع يقول : لا عُذرَ لكم عند الله جَلّ وَعزّ إنْ خُلِصَ إلى نَبيِّكم وفيكم عَينٌ تَطْرِف . ثم لم أَبرحْ حتّى مات رحمه الله ، فجئتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم وأَخبرتُه .

التماس الرسول صلى الله عليه وسلم لحمزة

وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ، فيما بلغنى ، يَلْتَمس حَمزةَ ابن عبد المطلب ، عليه السلام ، فوجدَه بِبَطن الوادى قد بُقِرَ بَطْنُه عن كَبِده ، ومُثِلَ به ، فجُدِع أَنْفُه وأُذناه .

(١) الأصول : « لقتالهم » ، تحريف . وما أثبتنا من السيرة ، والطبرى .

(٢) الأصول : « أخى » ، تحريف . وما أثبتنا من الطبرى . (وانظر ترجمته فى تهذيب التهذيب ٩ : ٢٦٢) .

(٣) الطبرى : « وما جزى نبى » .

توعد الرسول صلى الله عليه وسلم المشركين بما فعلوا فى حمزة

وعن ابن إسحاق ، قال : حدّثنى محمدُ بن جَعفر بن الزُّبير : أنّ رسولَ اللهصلّىالله عليهوسلّم قال : حين رأى بحَمزةَ ما رأى : لولا أنْ تَحْزنَ صَفيةُ ،أو تكونَ سُنةً مِن بعدى ،لتركتُه حتّى يكون فى أجْواف السِّباع وحَواصل الطَّير ، ولئنْ أنا أظْهرنى اللهُ على قُريش فى مَوطن من المَواطن لأُمَثِّلَنَّ بثلاثينَ رجلاً منهم . فلمّا رأى المُسلمون حُزْنَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ،وغَيْظَه على ما فُعِل بعَمِّه ،قالوا : والله لئن أظْهَرَنا الله عليهم يومًا من الدَّهر لَنُمَثلنَّ بهم مُثْلةً لم يُمَثِّلْهَا أحدٌ من العرب بأحد قطّ .

ما نزل من القرآن فى هذا التوعد

وعن[1] محمد بن إسحاق ،قال : حدّثنى بُريدةُ[2] بن سُفيان بن فَرْوة الأسلميّ ، عن محمد بن كَعب القُرَظى ، عن ابن عبّاس ؛ قال ابن حميد : قال سَلمة : وحدّثنى محمد بن إسحاق ، قال :وحدثنى[3] الحسن بن عُمارة . عن الحكم بن عُتيبة ؛ عن مِقْسم ، عن ابن عباس :

٢٣/١٤

أنَّ اللهَ عَزَّ وجلّ أنزل فى ذلك مِن قَول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[4] : ﴿ وإنْ عاقبتُم فعاقِبُوا بمثل ما عُوقِبتم به ولئن صَبرتُم لهو خَيرٌ للصَّابرين ﴾[5] إلى آخر السُّورة . فعفا رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم وصَبر ، ونَهَى عن المُثْلة .

حديث خروج صفية لرؤية أخيها حمزة

قال ابن إسحاق ، فيما بلغنى[6] :

خرجَتْ صفيةُبنت عبد المطلبلِتنظرَ إلى حَمزة ، وكان أخاها لأمّها ،

(١) السند متصل بابن جرير على نحو ما جاء قبل . (٢) ب ، س : « أبو بريد ». تحريف . وما أثبتنا بن سائر الأصول ، والطبرى(وانظر ترجمته فى تهذيب التهذيب : ١ : ٤٣٣) (٣)ب ، س : « فحدثنا » . (٤) زيد فى الطبرى : «وقول أصحابه» . (٥) النحل : ١٢٦ . (٦) الطبري (٢ : ٢٠٨) : « قال ابن إسحاق : وأقبلت فيما بلغنى صفية » .

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم لابنها الزُّبير : القَها فأرْجِعْها لاتَرى ما بأخيها ؛ فلقيَها الزُّبير فقال : يا أُمَّه ، إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يأمُرك أن تَرْجِعى ؛ فقالت : ولِمَ ، فقد بَلغنى أنَّه مُثِّل بأخى ، وذلك فى الله جلَّ وعزَّ قليلٌ ، فما أرْضانا بما كان مِن ذلك ، لأحتسبنَّ ولأصبرنَّ إن شاء الله تعالى . فلمَّا جاء الزُّبير رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فأخبره بذلك ، قال : خَلِّ سَبيلَها . فأتَتْه فنَظرَتْ إليه وصَلَّت عليه واسترجَعت واستغفرتْ له ، ثم أمرَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم به فدُفِن .

ما كان من أمر حسيل بن جابر وثابت بن وقش

قال[1] : حدَّثنى محمدُ بن إسحاق ، قال : حدَّثنى عاصمُ بن عمر ابن قَتادة ، عن محمود بن لَبيد ، قال :

لمَّا خرجَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى أُحُد ، وقع[2] حُسَيل ابن جابر - وهو اليَمانُ أبو حُذَيفة بن اليَمان - وثابتُ بن وَقْش[3] بن زعُورا ، فى الآطام مع النِّساء والصِّبيان ، فقال أحدُهما لصاحبه ، وهما شيخان كبيران : لا أبا لك ، ماتَنتظر ، فوالله إنْ بَقِىَ لواحد منَّا من عُمره إلا ظِمْءُ حِمَار[4] ، إنَّما نحن هامةُ اليوم أو غد[5] ، أفَلا نأخذ أسيافَنا ثم نلحقُ برسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لعلَّ الله يَرزقنا شَهادةً

(١) السند متصل بابن جرير على النحو الذى سبق . (٢) الأصول : « رجع ». والسيرة (٣ : ٩٢) : « رفع » : وما أثبتنا من الطبرى. (٣) كذا فى ط ، ل ، والسيرة ، والطبرى. وفى ف : « ثابت بن زعورا ». وفى و : « ثابت بن قيس ». وفى سائر الأصول : « ثابت بن قريش » ، تحريف فى كلها . (٤) الظمء : مقدار مايكون بين الشربتين ، وأقصر الأظماء ظمء الحمار ، لأنه لا يقصر عن الماء ، فضرب مثلا لقرب الأجل . (٥) الهامة : طائر يخرج من رأس القتيل إذا قتل ، فلا يزال يصيح ، فيما زعموا : اسقونى اسقونى حتى يؤخذ بثأره ، فضرب مثلا للميت .

معه . فأخذا أسيافَهما ثم خَرجا حتّى دَخلا فى الناس ، ولم يَعلم أحدٌ بهما. فأمّا ثابت بن وَقش فقتَله المُشركون ، وأما حُسَيل بن جابرِ اليمان فاختلفَتْ عليه أسيافُ المُسلمين فقتَلوه ولم يَعْرفوه ؛ فقال حُذيفة : أبِى ؛ قالوا : والله إنْ عَرَفْناه ،وصَدَقوا . قال حُذيفة : يَغفرُ الله لكم وهو أرحمُ الرّاحمين . فأراد رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أنْ يَدِيَه ، فَتصدّق حُذيفةُ بدِيَته على المُسلمين ، فزادتْه عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خَيرًا .

حديث قزمان

قال[1] : حدّثنى محمدُ بن إسحاق ، عن عاصم بن عُمر بن قتادة ، قال :

كان فينا رجلٌ أتيٌّ[2] لا نَدرى مِن أين هو[3] ، يقال له : قُزمان ، فكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يقول ،إذا ذكَره : إنّه لمن أهْلِ النّار . فلمّا كان يومُ أحُد قاتلَ قِتالاً شديدًا ، فقَتَل هو وحدَه ثمانيةً من المشركين أو تِسْعة ، وكان شَهْمًا شجاعًا ذا بـأس ، فأثبتَتْه الجراحةُ . فاحتُمِل إلى دار بنى ظَفَر . قال : فجعل رجالٌ من المُسلمين يقولون : والله لقد أبلَيْتَ اليوم[4] ياقُزْمان ، فأبْشِرْ ؛ قال : بِمَ أبْشِر ؟ فوالله أنْ قاتلتُ إلاّ على أحْسابِ قَوْمى ، ولولا ذلك ما قاتلتُ . فلمّا اشتدّت عليه جراحتُه أخذ سَهمًا من كِنانته فقَطع رَواهِشَه ، فنزفَه الدمُ فمات . فأُخْبِر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بذلك ، فقال : إنِّى رسولُ الله حقًّا .

(١) السند متصل بابن جرير على النحو الذى سبق .

(٢) الأتى : الغريب . (٣) السيرة : «لا يدرى ممن هو» . الطبرى : «لا يدرى من أين هو» .

(٤) كذا فى ر ، والسيرة ، والطبرى . والذى فى سائر الأصول : «القوم» .

خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلب العدو

وعن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى حُسينُ بن عبد الله ، عن عِكْرِمة . قال :

كان يومُ أُحُد يومَ السبت للنصف من شوّال ، فلما كان الغد من يوم أُحُد ، وذلك يومَ الأَحَد ، لستّ عشرةَ ليلةً خلت من شوّال ، أذَّن مُؤذِّن رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم فى الناس بِطَلَبِ العَدُوّ ، وأَذَّن مُؤذِّنه : أن لا يَخرجنَّ معنا إلا من حَضَر يومَنا بالأَمس . فكلَّمه جابرُ بن عبدالله [ابن عَمرو][1] بن حَرام[2] الأنصارىّ ، فقال : يا رسولَ الله ، إنَّ أَبى ٢٤/١٤ خلَّفنى على أَخَوات لى سَبْع وقال لى : يابُنَىّ ، إنّه لا يَنبغى لى ولا لك أن نَترُكَ هؤلاء النِّسوةَ بلا رَجُلٍ فيهن ، ولستُ بالذى أُوثرك بالجِهاد مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على نَفسى ، فتخلَّفْ على أَخَواتك ، فتخلَّفت عليهنّ . فأَذِن له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فخَرج معه . وإنّما خَرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مُرهِبًا للعدو ، وأنّهم خَرجوا[3] فى طَلَبهم فيظنُّون أنّ بهم قُوّة ، وأنّ الذى أَصابهم لم يُوهِنْهم عن عدوّهم .

حديث الأشهليين

عن محمد بن إسحاق ، قال : فحدّثنى عبد الله بن خارجة[4] بن زيد بن ثابت ، عن أَبى السائب ، مولى عائشة بنت عثمان بن عفان :

أنَّ رجلاً من أَصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، من بنى عبد الأشهل ، كان شَهِد أُحُدًا ، قال : فشهدتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ،

(١) التكلة من المختار ، والطبرى ، والسيرة .

(٢) ا : « حزام » . ب ، س : « حزم » ، وكلاهما تحريف . وما أثبتنا من سائر الأصول ، والطبرى ، والسيرة .

(٣) الطبرى : « وليبلغهم أنه قد خرج فى طلبهم » .

(٤) ب ، س : « محمد بن خارجة » ، تحريف . وما أثبتنا من سائر الأصول ، والطبرى .

أنا وأخٌ لى ، فرجَعنا جريحَيْن ، فلمَّا أَذَّن مؤذِّنُ رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم بالخُروج فى طَلَب العَدوّ قلتُ لأخى وقال لى : أتفوتُنا غَزوةٌ مع رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم ؟ والله ما لنا من دابّةٍ نَركَبُها ، وما مِنَّا إلا جريحٌ ثَقيل . فخرجنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم ، وكُنت أيْسرَ جُرحًا منه ، فكنتُ إذا غُلِب(١) حَملتُه عُقبةً (٢) ، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون .

انتهاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حمراء الأسد ثم رجوعه

فخرجَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم حتَّى انتهى إلى حَمراءِ الأَسد ، وهي من المدينة على ثمانية أَميال ، فأقام بها ثلاثًا : الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رَجَع إلى المدينة .

حديث معبد الخزاعي فى تشبيطه قريش

قال ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عَمْرو بن حَزْم :

أنه مرّ برسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم مَعْبدٌ الخُزاعىّ ، وكانت خُزاعة ، مُسلمُهم ومُشركهم ، عَيْبةَ (٣) رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، لا يُخفون عليه شيئًا كان بها ، ومعبدٌ يومئذ مُشرك ، فقال : يا محمد ، لقد عَزَّ علينا ما أَصابَك فى أصحابك ، ولوَدِدْتُ أنَّ الله قد أعْفاك منهم . ثم خرج من عند رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بحَمراء الأَسد حتَّى لقى أبا سُفيان ابن حَرْب بالرَّوْحاء ومَن معه ، وقد أَجْمعوا الرَّجْعةَ إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وقالوا : أَصَبنا جِدّ(٤) أَصْحابِه وقادتِهم وأشرافهم ،

(١) ب ، س : « غلب عليه » . وما أثبتنا من سائر الأصول ، والطبرى .

(٢) العقبة : النوبة . والعبارة فى الطبرى : « حملته عقبة ومشى عقبة » . وفى المختار : « أحمله ساعة » . (٣) عيبة الرجل : موضع سره . والتى فى السيرة : « عيبة نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم » . (٤) كذا فى أكثر الأصول ، والطبرى . والتى فى ط ، ف ، ل ، والسيرة : « حد » بالحاء المهملة .

ثم رَجعْنَا قبل أن نستأْصلَهم ، لَنَكُرَّنّ على بَقِيَّتهم فلنفرُغنّ منهم . فلمَّا رأى أبو سُفيان مَعْبدًا قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمدٌ قد خَرج فى أصحابه يَطلبكم فى جَمع لم أرَ مثلَه قطُّ ، يَتحرّقون عليكم تَحرُّقًا ، قد اجتمعَ معه مَن كان تَخلَّف عنه فى يومكم ، ونَدِموا على ما صَنعوا ، فيهم من الحَنَق عليكم شىءٌ لم أرَ مثلَه قطُّ ؛ قال : ويلكَ ! ما تقول ؟ قال : والله ما أَراكَ تَرتحل حتَّى ترى نَواصىَ الخيل ؛ قال : فوالله لقد أجمعنا الكرَّةَ [عليهم][1] لنستأْصلَ شأْفتهم[2] ؛ قال : فإنِّى أَنهاكَ عن ذلك ، فوالله لقد حَملَنى ما رأيتُ على أن قُلتُ فيه أبياتًا من شِعر ؛ قال : وماذا قلت ؟ قال : قلتُ :

كادت تُهَدُّ من الأَصوات راحِلتى ... إذْسالت الأَرْضُ بالجُرْد الأَبابيلِ
فظِلْتُ عَدْوًا أَظُنُّ الأَرضَ مائلةً ... لمَّا سَمَوْا برئيسٍ غيرِ مَخذول
فقلتُ ويْلَ ابنِ حَربٍ مِن لقائكمُ ... إذا تَغَطمطتِ البَطْحاءُ بالجِيل[3]
٢٥ إنِّى نذيرٌ لأَهل البَسْل[4] ضاحيةً ... لكُلِّ ذى إرْبَة منهم ومَعْقول[5]
١٤ من جيشِ أحمدَ لاوَخْشٍ[6] تنابلة[7] ... وليس يُوصَفُ ماأنذرت بالقِيل[8]

رجوع أبى سفيان من الارتداد إلى المدينة

قال : فثَنَى أَبا سفيان ومَن معه ، ومَرَّ به رَكْبٌ من عبد القيس ،

(١) التكملة من المختار ، والسيرة ، والطبرى . (٢) المختار ، والسيرة ، والطبرى : « بقيتهم » . (٣) تغطمطت : اهتزت وارتجت . والجيل : الناس .

(٤) كذا فى السيرة ، والطبرى . قال أبو ذر فى شرح السيرة : « وأهل البسل : قريش ، لأنهم أهل مكة ، ومكة : حرام » . والذى فى الأصول ، والمختار : « السيل » . وقد ذكر ياقوت أن « سيل » من غير تعريف : اسم من أسماء مكة . (٥) ضاحية : علانية . والإربة : العقل ، وكذا المعقول . (٦) كذا فى أكثر الأصول ، والسيرة ، والطبرى . والوخش ، بالخاء المعجمة : رذال الناس . والذى فى أ ، ط : « وحش » بالحاء المهملة . (٧) وكذا فى المختار ، والسيرة . والتنابلة : جمع تنبل ، وهو القصير . وفى الطبرى : « تنابله » . (٨) القيل : القول .

فقال : أين تُريدون ؟ قالوا : نُريد المدينة ؛ قال : فلِمَ ؟ قالوا : نُريد الميرةَ ؛ قال : فهل أنتم مُبلِّغون عنّى مُحَمدًا رسالةً أرسلكم بها إليه ، وأحمِّل لكم إبِلَكم هذه غدًا زَبيبًا بعُكاظَ إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم ؛ قال : فإذا جئتموه فأخبروه أنْ قد أجمعْنا السَّيرَ إليه وإلى أصحابه ، لِنستأصلَ شأفتهم[1] . فمرَّ الرَّكْبُ برسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأخبروه بالذى قال أبو سفيان ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه : حَسْبنا الله ونعم الوكيل .

* * *

صوت

أمِنْ رَيْحانةَ الدّاعى السَّميعُ ... يُؤَرِّقُنى وأصْحابى هُجوعُ
بَرانى حُبُّ مَن لا أسْتطيعُ ... ومَن هو للذى أهْوَى مَنُوع
إذا لم تَسْتطعْ شيئًا فدَعْه ... وجاوِزْهُ إلى ما تَستطيع

الشِّعر لعمرو بن معديكرب الزُّبيدىّ ، والغناء للهُذَلىّ ، ثقيل أوّل ، بإطلاق الوتر فى مجرى الوُسطى ، من رواية إسحاق . وفيه ثَقيلٌ أوّل على أوّل مَذهب إسحاق ، من رواية عَمرو بن بانة ؛ وفيه لابن سُرَيج رَمَل بالوسطى ، من رواية حمّاد ، عن أبيه .

(١) السيرة والطبرى : « بقيتهم » .

ذكر

عمرو بن معد يكرب

وأخباره

نسبه

• هو : عمرو بنُ معد يكرب بن عبد الله بن عمرو بن عُصْم بن عمرو ابن زُبَيد[1] ، وهو مُنبِّه .

هكذا ذكر محمدُ بن سلاّم ، فيما أخبرنا به أبو خليفة عنه[2].

وذكر عُمر بن شَبّة ، عن أبي عُبيدة :

أنه : عَمرو بن معد يكرب بن رَبيعةَ بن عبد الله بن عمرو بن عُصْم ابن زُبيد بن مُنبِّه بن سَلمة بن مازن بن رَبيعة بن مُنبِّه بن صَعب ابن سَعد العشيرة بن مَذْحِج[3] بن أُدَد بن زيد[4] بن يَشْجُب بن عَرِيب ابن زَيد بن كَهلان بن سَبأ بن يَشْجُب بن يَعْرب بن قحطان .

• تجريد الأغانى (١٦٤٨ – ١٦٥٢) مختار الأغانى (٥ : ٢٠٢ – ٢٢٠) الاستيعاب لابن عبد البر (ت : ١٩٥٨) الإصابة لابن حجر (ت : ٥٩٧٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة (ص : ١٣٨ – ١٤٠) معجم الشعراء للمرزبانى (ص : ١٥ – ١٧) خزانة الأدب للبغدادى (٢ : ٣٨٨ – ٣٩٠) الطبقات الكبرى لابن سعد (٥ : ٣٨٣) .

(١) وكذا ساقت الطبقات ، والجمهرة (ص : ٤١١) نسب عمرو . وجاء هذا النسب فى التجريد، والمختار، ومعجم الشعراء للمرزبانى: «عمرو بن معد يكرب بن ربيعة بن عبدالله بن عمرو» على النحو الذى سيذكر بعد . وجاء فى الاستيعاب، والإصابة: «عمرو بن معد يكرب بن عبد الله ابن عمرو بن عاصم ... ». (٢) ليس ثمة ذكر له فى طبقات الشعراء لابن سلام التى بين أيدينا .

(٣) التجريد : « ... بن مالك ، وهو مذحج» . (٤) زيد ، هو : مراد. (جمهرة أنساب العرب : ٤٠٦) .

كنيته وأمه

ويُكْنى : أبا ثور . وأُمُّه وأمّ أخيه عبدِ الله : امرأةٌ من جَرْم ، فيما ذُكر ، وهى مَعدودة من المُنْجِبات .

شىء من شجاعته

أخبرنا محمدُ بن دُرَيد ، قال : أخبرنا أبو حاتم ، عن أبى عُبيدة ، قال :

عمرو بنُ معد يكرب فارسُ اليمن ، وهو مُقدَّم على زَيد الخَيل فى الشِّدّة والبأْس .

سبب تلقيبه بفارس زبيد

وروى علىّ بنُ محمد المدائنىّ ، عن زيد بن قُحَيف الكلابىّ ، قال : سمعتُ أشياخَنا يَزعمون :

أنَّ عمرو بن معد يكربَ كان يُقال له : مائِق[1] بنى زُبيد[2] .

فبلغهم أنَّ خَثعم تُريدُهم ، فتأَهَّبُوا[3] لهم ، وجمع مَعد يكربُ بنى زُبيد ، فدخل عمروٌ على أُخته ، فقال : لو أَشْبَعنى أَى غدًا كَفيتُه خثْعَم[4] . قال : فجاء معديكربُ ، فأَخبرتْه ابنتُه ، فقال : هذا المائق يقول ذاك ! قالت : نعم ؛ قال : فسَلِيه ما يُشْبعه ؛ فسألَتْه ، فقال : فَرْقٌ من ذُرة ، وعَنْزٌ رَبَاعِيَةٌ[5] . قال : وكان الفَرْق يومئذ ثلاثةَ أَصْوُع . فصَنَع له ذلك ، وذبحَ العنزَ وهَيّأَ له الطَّعام . قال فجلَس عليه فَسَلتَه[6] جميعًا . وأَتتهم خَثعمُ الصباحَ[7] فلقُوهم ، وجاء

---

(١) المائق : الأحمق. (٢) زيد فى المختار : « وكان لا يدعى فى الخفة » .

(٣) المختار : « فتأهب لهم » . (٤) أ ، ط ، ف ، ل : «لوأشبعنى إلى غدا لكتيبة» . وفى سائر الأصول : « لوأشبعنى إلى غدا الكتيبة » . وما أثبتنا من مختار الأغانى . (٥) المختار : « وعناق رباعية » . والعناق : الأنثى من أولاد المعز . والرباعية : السن التى بين الثنية والناب .

(٦) المختار : « وأكله جميعا » . (٧) المختار : « فى الصباح » .

عَمروٌ فرمَى بنَفْسه ، ثم رفَع رأسَه فإذا لواءُ أبيه قائم ، فوضع رأسَه [ثم رفعه][1] فإذا لواءُ أبيه قد زالَ ، فقام كأنَّه سَرْحةٌ مُحْرقة ، فتلقَّى أباه وقد انْهزموا ، فقال : انْزِلْ عنها ، فاليومُ ظَلَمَ[2] ؛ فقال له : إليكَ [اليومَ][3] يا مائق ! فقال له بنو زُبيد : خَلِّه أيُّها الرجل وما يُريد ، فإنْ قُتل كُفِيتَ مُؤْنته ، وإن ظَهر فهو لك . فألْقى إليه سِلاحَه ، فركِب ، ثم رَمى خَثْعم بنفسه حتى خَرَجَ من بين أظْهرُهم ، ثم كَرَّ عليهم ، وفَعلَ ذلك مِرارًا . وحَملتْ عليهم بنو زُبيد ، فانهزمت خَثْعمُ وقُهِروا ؛ فقيل له يومئذ : فارسُ زبيد . ٢٦/١٤

قال أبو عمرو الشَّيبانىّ :

قدومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان من حديث عمرو بن معد يكرب بن ربيعة بن عبد الله بن زُبيد بن مُنبِّه [بن سَلمة بن مازن بن ربيعة بن مُنبِّه][3] بن صَعب ابن سعد العشيرة بن مِالك ــ وهو مذحِج ــ بن أُدَدبن زيد بن يَشجب ابن عَريب[4] بن زَيد بن كَهلان بن سَبأ بن يشجُب بن يَعرب بن قحطان ، أنَّه قال لقيس بن مَكْشوح المُرادىّ ، وهو ابن أُخت عمرو ، حينَ انتهى إليهم أمْرُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : يا قيسُ ، إنَّك سيِّدُ قومِك ، وقد ذُكر لنا أنَّ رجلاً من قريش ، يقال له : محمدٌ ، قد خَرجَ بالحِجاز ، يُقال :إنَّه[5] نَبىٌ ، فانطلِقْ بنا حتَّى نَعْلم عِلْمَه ، وبادِرْ

(١) التكلة من المختار . (٢) فاليوم ظلم ؛ أى: حقا ، وهو مثل ، وهو شبيه بقول من قال: لاجرم؛ أى: حقا، يقيمه مقام اليمين،وللعرب ألفاظ تشبهها فى الأيمان ، كقولهم : عوض لاأفعل ذلك،وجير لاأفعل ذلك . (٣) التكلة من ط،ف،ل . (٤) ب،س: «يعرب» ، تحريف. (٥) ب ، س : «وله» .

[فروة بن مُسَيك][1] لا يَغلبْك على الأَمْر. فأَبى قَيسٌ ذلك وسَفَّه رأْيَه وعَصاه . فركب عمروٌ مُتوجِّها إلى النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، وقال : خالفتَني يا قيسُ ! وقال عمرو فى ذلك :

أَمَرْتُك يومَ ذى صَنعا ... ءَ أَمْرًا[2] بَيِّنًا[3] رَشَدُهْ
أَمرتُك باتِّقـاءِ اللَّـــ ... ـهِ تَأْتيــــه وتَتَّعدُه[4]
فكُنت كذى الحُميِّرِ غرَّ ... هُ من عَيْره[5] وَتِدُه

حديث إسلامه هو وفروة بن مسيك

قال أَبو عُبيدة :

حدّثنا غيرُ واحد من مَذْحِج قالوا : قدم علينا عمرو فى وفدِ مَذحج ، مع فَرْوة ابن مُسيك المُراديّ ، على النبي صلَّى الله عليه وسلَّم ، فأَسلَموا . وبعثَ فروةَ [على[6]] صدقاتِ مَن أَسْلمَ منهم ، وقال له : ادعُ الناس وتأَلَّفْهم ، فإذا وجدتَ الغَفلةَ فاهتبلْها[7] واغزُ .

حديث مقام فروة ابن مسيك على الرسول صلى الله وسلم عليه

قال أبو عمرو الشَّيبانىُّ :

وإنّما رحلَ فَروةُ مفارقًا لمُلوكِ كِنْدة مُباعِدًا لهم ، إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وقد كانت قبل الإسلام بَين مُرادَ وهَمدانَ وَقعةٌ

(١) التكلة من ط ، ف ، ل . (٢) ذو صنعاء : موضع : (شرح السيرة لأبى ذر) .
(٣) السيرة لابن هشام (٤ : ٢٣٠) : « باديا » .
(٤) المختار : « وتعتمده » . والرواية فى السيرة : « والمعروف تتعده » . (٥) كذا فى ط ، ف ، ل ، والمختار . والذى فى سائر الأصول : « أيره » . ورواية البيت فى السيرة :
خرجت من المنى مثل الـ ... حمير غره وتده
ثم رواه ابن هشام مرة ثانية :
فكنت كذى الحمير غر ... ه مما به وتده
(٦) التكلة من المختار . (٧) المختار : « فاقتبها » .

أصابت فيها همدانُ من مُراد حتّى أثْخنوهم ، فى يوم يُقال له : يوم الرَّزْم[١] ، وكان الذى قاد هَمْدانَ إلى مُراد : الأجدع بن مالك بن حريم ،[٢] الشاعر الهَمْدانى ، بن مَسروق بن الأَجْدَع ، ففَضحَهم يومئذ ، وفى ذلك يقول فَروةُ بنُ مُسَيْك المُرادىّ :

فإنْ نَغلِبْ فغلَّابُون قِدْمًا   وإن نُهزَمْ فغيْر مُهزَّمينَا

فلمّا توجَّه فَروةُ إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنشأ يقول :

لمَّا رأيتُ مُلوكَ كِنْدةَ أعْرَضتْ   كالرِّجْل خانَ الرِّجْلَ عِرْقُ نَسَاها[٣]
يَمَّمتُ راحلتى أمامَ مُحمّد[٤]   أرْجُو فواضلَها وحُسْنَ ثَراها[٥]

فلمّا انتهى إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال له [رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم] ،[٦] فيما بلغنا : هل ساءَكَ[٧] ما أصاب قومَكَ يوم

(١) كذا فى ط ، ف ، ل ، والمختار ، قال ياقوت : «موضع فى بلاد مراد ، وكان فيه يوم بين مراد وهمدان والحارث بن كعب فى اليوم الذى كانت فيه وقعة بدر » . والذى فى سائر الأصول : «الروم» ، تحريف . (وانظر : معجم البلدان، ومراصد الاطلاع ، ومعجم ما استعجم) .

(٢) كذا فى ط ، ف ، ل ، والمختار . والذى فى سائر الأصول : «حزيم» . قال البكرى فى سمط اللآلى : (ص : ٧٤٨) : «واختلف فى مالك بن حريم الهمدانى ، فقال ابن النحاس ، قال لى نفطويه : هو مالك بن حزيم ، بالزاى . قال : وقرأت على أبى إسحاق فى كتاب سيبويه فى بيت أنشده له : مالك بن خريم ، بالخاء المضمومة المعجمة والراء المهملة المفتوحة . وكذلك كان محمد بن يزيد يقول : مالك بن خريم . وقال الهمدانى : هو مالك بن حريم ، بالحاء المهملة المفتوحة والراء المهملة المكسورة » .

(٣) المختار : «نسائها» . وكذا فى السيرة (٤ : ٢٢٩) . (٤) السيرة :

* قربت راحلتى أؤم محمدا *

(٥) الثرى : الثراء . والذى فى المختار ، والسيرة : «ثرائها» ، وزاد ابن هشام رواية أخرى، عن أبى عبيدة :

* أرجو فواضله وحسن ثنائها *

(٦) التكملة من المختار ، والسيرة . (٧) المختار : «شأنك» .

الرِّزْم[١] ؟ قال : يا رسول الله ، مَن ذا الذى يُصيب قومَه مثلُ الذى أصابَ قومى ولا يَسوءُه ؟ فقال له : أمَا إنَّ ذلك لم يَزِد قومَك فى الاسلام إلّا خيرا ، واستعملَه على مُراد وزبيد ومَذْحج كلّها .

ارتداد عمرو وشعره فى ذلك

قال أبو عُبيدة :

فلم يلبثْ عمروٌ أن ارتدَّ عن الإسلام ، فقال حين ارتدّ :

وَجدنا مُلْكَ فَرْوَةَ شرَّ مُلْكٍ حِمارٌ سافَ[٢] مَنْخَرَه بقَذْرِ[٣]
وإنّك لو رأيتَ أبا عُمَيرٍ مَلأْتَ يدَيْك من غَدْرٍ وخَتْرِ[٤]

خروج المسلمين لحرب عمرو ومن ارتد معه

قال أبو عُبيدة :

فلمّا ارتدَّ عمروٌ مع من ارتدَّ عن الإسلام من مَذْحج ، استجاش[٥] فَروةَ [عليهم][٦] النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم ، فوجَّه إليهم خالدَ بن سَعيد ابن العاص ، وخالد بن الوليد ، وقال لهما : إذا اجتمعتم فعليٌّ بن أبى طالب أميرُكم ، وهو على الناس . ووجَّه عليًّا ، عليه السلام ، فاجتمعوا بكَسْرٍ[٧] ، من أرض اليمن ، فاقتتلوا ، وقُتِل بعضُهم ونجا بعض ، فلم يَزل جعفرٌ ، وزُبيد ، وأَوْدٌ[٨] ، بنو سَعد العشيرة ، بعدَها قليلةً .

٢٧/١٤

(١) كذا فى ط ، ف ، ل . والذى فى سائر الأصول : «الروم» ، تحريف . (انظر الحاشية رقم : ١ ، ص : ٥٥٢٦) . (٢) ساف : شم .

(٣) أ ، ط ، ف ، ل : «بقذر» وفى السيرة : «بثفر» . والثفر فى البهائم : بمنزلة الرحم فى الإنسان .

(٤) رواية البيت فى السيرة :

وكنت إذا رأيت أبا عمير ترى الحولاء من خبث وغدر

والحولاء : الجلدة التى تخرج مع الولد وفيها أغراس وعروق وخطوط خضر وحمر .

(٥) استجاش : طلب المدد والجيش . (٦) التكملة من التجريد ، والمختار . (٧) كسر : من قرى حضرموت . والذى فى المختار : «ووجه عليا رضى الله عنه بكتيبة من أرض اليمن» .

(٨) ب ، س : «أدد» ، تحريف . (جمهرة أنساب العرب : ٤١١) .

حديث الصمصامة

وفى هذا الوجه وقعت الصمصامة إلى آل سَعيد ، وكان سببُ وُقوعها إليهم أنَّ ريحانةَ بنت مَعد يكرب سُبيت يومئذ ، ففَداها خالدٌ ، فأثابَه عمرو الصَّمصامةَ[1] ، فصارت إلى أَخيه سَعيد ، فوُجد سَعيدٌ جريحًا يوم عثمان بن عفان ، رضى الله عنه ، حين حُصِر ، وقد ذَهب السَّيفُ والغِمْد ، ثم وُجد الغِمْدُ ، فلما قام معاوية جاءه أعرابىٌ بالسَّيف بغيرِ غِمْد ، وسعيد حاضر ، فقال سَعيد : هذا سَيفى ! فجَحَد الأَعرابىُّ مَقالتَه ؛ فقال سعيد : الدليلُ على أنه سيفى أَنْ تبعث إلَى غِمْدِه فتغمدَه فيكون كِفافه[2] . فبعث معاوية إلى الغِمد فأُتى به من مَنزل سَعيد ، فإذا هو عليه ، فأَقرَّ الأعرابىُّ أنَّه أَصابه يومَ الدّار ، فأَخذه سَعيدٌ منه وأَثابه . فلم يزلْ عندَه حتَّى أَصْعد المَهدىُّ من البصرة ، فلما كان بواسطَ بَعث إلى بَنى[3] سَعيد فيه ، فقالوا : إنَّه للسَّبِيل[4] . فقال : خمسون سَيفًا قاطعًا أَغْنَى من سيفٍ واحد . فأَعطاهم خمسينَ أَلفَ درهم وأَخذه .

حديث إسلام عمرو

وذكر ابن النَّطاح : أنَّ المدائنىَّ حكى عن أَبِى اليَقْظان . عن جُوَيْرِية ابن أَسْماء ، قال :

أَقبلَ النبىُّ صلَّى الله عليه وسلَّم من غَزاةِ تَبُوك يريد المدينةَ ، فأَدْركه عمرو بن معد يكربَ الزُّبيدىّ فى رجال من زُبَيد ، فتقدَّم عمرٌو ليَلْحق برسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فأُمْسِك حتَّى أُوذِنَ به ، فلمَّا تَقدَّم

(١) كذا فى ط ، ف ، ل ، والمختار . والذى فى سائر الأصول : «وأصابه غمد الصمصامة» ، تحريف .

(٢) كفافه : مضمه .

(٣) التجريد : «آل» . وفى ب ، س : «إلى سعيد فيه فقال» .

(٤) السبيل ، أى : للمتمد والأيد والفخر .

رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يَسير ، قال : حَيَّاكَ اللهُ إلهُكَ ، أبيتَ اللَّعن ؛ فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : إنَّ لعنةَ الله وملائكتِه والناسِ أجمعين على الذين لا يُؤمنون بالله ولا باليوم الآخِر . فآمِنْ بالله يُؤْمنْك يومَ الفَزَع الأكبر ؛ فقال عمرو بن معد يكرب : وما الفَزَعُ الأكبر ؟ قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : إنَّه فَزَعٌ ليس كما تحسَب وتظُنّ ، إنَّه يُصاح بالناس صَيْحةً لا يَبقَى حيٌّ إلَّا مات ، إلا ما شاء الله من ذلك ، ثم يُصاح بالناس صَيحةً لا يَبقى ميِّتٌ إلَّا نُشِر ، ثم تَلِجُ تلك الأرض بدَوِيٍّ تَنهدُّ منه الأرض ، وتخِرُّ منه الجبال ، وتَنشقّ السماءُ انشقاقَ القُبْطِية الجديدة ،[1] ما شاء الله من ذلك، ثم تَبْرز النارُ ، فيُنظرُ إليها حمراءَ مظلمةً قد صار لها لسانٌ فى السماء ، تَرمِى بمثل رُؤُوس الجبال من شَرَر النار ، فلا يَبقى ذو رُوح إلَّا انخلعَ قَلْبه ، وذَكر ذَنْبه ، فأين أنتَ يا عمرو ؟ قال : إنِّى أسمع أمرًا عظيما ؛ فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : يا عمرو، أسلِمْ تَسلم . فأسلَم وبايعَ لقومه على الإسلام ، وذلك مُنصرفَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم من غَزاة تَبُوك ، وكانت فى رجب من سنة تِسع .

ما لعمر بن الخطاب فى خلق عمرو

وقال أبو هارون السَّكْسَكيّ البَصريّ : حدَّثنى أبو عمرٍو المدينىّ : أنَّ عُمر بن الخطّاب ، رضى الله عنه ، كان إذا نَظَر إلى عمرو قال : الحمدُ لله الذى خَلَقَنا وخَلق عمرًا ! تَعجبًا من عِظَم خَلْقه .

(١) القبطية : ثياب مصرية رقيقة بيضاء . والجديدة ؛ أى: كما جدها الحائك؛ أى : قطعها .

عمره والخلاف فيه

أخبرنا أحمدُ بن عبدالعزيز الجوهرىّ ، قال : حدّثنا عُمر بن شَبّة ، عن خالد بن خِدَاش ، عن أبى نمَيْلة ، قال : أخبرنى رُمَيْح ، عن أبيه ، قال :

رأيتُ عمرو بنَ معد يكرِبَ فى خلافة مُعاوية شيخًا أعظمَ ما يكون من الرِّجال ، أجشَّ الصوت ، إذا التفتَ التفتَ بجَميع جَسده .

٢٨ / ١٤ وهذا خطأ من الرِّواية ، والصحيح أنَّه مات فى آخر خلافةِ عمر ، رضى الله عنه ، ودُفن بِرُوذة ، بين قمّ والرّىّ .

ومن الناس من يقول : إنه قتل فى وَقعة نَهاوَنَد ، قبرُه فى ظاهرها فى موضع يُعرف بفَنْدِيسَجَان(١) ، وأنَّه دُفِن هناك يومئذ هو والنّعمان ابن مُقرِّن .

وروى أيضا ، من وَجه ليس بالمَوثوق به ، أنَّه أدْرك خلافَة عثمان ، رضى الله عنه . رَوى ذلك ابن النطَّاح ، عن مروان بن ضِرار ، عن أبى إياس البصرىّ ، عن أبيه ، عن جُويريةَ الهُذَلىّ ، فى حديث طويل ، قال :

رأيت عمرو بنَ معد يكرِب ، وأنا فى مسجِد الكوفة فى خلافة عثمان ، حين وجّهه إلى الّرىّ ، كأنّه بعير مَهْنوء .

وقال ابنُ الكَلْبىّ : حدّثنى أسْعَرَ ، عن عمرو بنِ جرير الجُعْفِىّ ، قال : سَمِعتُ خالد بن قَطَن يقول :

(١) كذا فى و ، والمختار . وفنديسجان : قرية من قرى نهاوند . وقد جاءت فى سائر الأصول مضطربة . (معجم البلدان) .

خرج عمرو بن معد يكرب فى خلافةِ عثمان، رضى الله، عنه إلى الرَّىّ ودَسْتَبى[١] ؛ فضربه الفالجُ فى طريقه، فمات برُوذَة .

هو وعمر فيما فرض له

أخبرنى أحمدُ بن عبد العزيز، قال : حدّثنا عُمر بن شبّة، قال : أخبرنى خالدُ بن خِدَاش، قال حدّثنا حمّادُ بن زَيد، عن مُجالد، عن الشَّعبىّ :

أنَّ عُمَرَ بن الخطّاب، رضى الله عنه، فَرَض لعمرو بنِ مَعد يكرب [فى ألفين][٢]، فقال له : يا أمير المؤمنين، ألفٌ ها هُنا، وأَوْمأَ إلى شقّ بطنه الأيمن، وألفٌ ها هنا، وأَومأَ إلى شِقّ بَطنه الأَيسر ؛ فما يكون هاهنا؟ وأَوْمأَ إلى وَسط بَطنه ؛ فضحك عُمر، رضوان الله عليه، وزاده خَمسمائة .

كلمة له فى شجعان العرب

قال علىُّ بن محمد : قال أبو اليَقظان :

قال عمرو بنُ مَعد يكربَ : لو سِرْتُ بظَعينة وَحْدى على مياهِ مَعَدّ كلِّها[٣] ما خِفتَ أَن أُغلبَ عليها، ما لم يَلقَنى حُرَّاها وعَبداها[٤] ؛ فأَمّا الحُرّان : فعامرُ بن الطفيل، وعُتيبة بن الحارث بن شهاب ؛ وأَما العَبْدان : فأَسْودُ بنى عَبس ــ يعنى عَنْترةَ ــ والسُّلَيك بن السُّلَكة، وكُلُّهم قد لقيت ؛ فأَماعامر بن الطُّفيل، فسَريع الطَّعْنِ على الصَّوت ؛ وأَما عُتيبة، فأَوّل الخيل إذا أَغارت[٥]، وآخرها إذا آبت ؛ وأَما عَنترة، فقَلِيلُ الكَبوة، شديدُ الكَلَب[٦] ؛ وأَما السُّليك، فبَعيدُ الغارة، كاللَّيث الضّارى . قالوا :

(١) كذا فى أ، و . ودستبى : كورة كبيرة كانت مقسومة بين الرى وهمذان . وقد جاءت فى سائر الأصول مضطربة . (٢) التكملة من جـ، ط، ف، والمختار . (٣) التجريد : «على مياه العرب كلها» . (٤) كذا فى ط، ف، ل، والتجريد، والمختار . والذى فى سائر الأصول : «أو عبداها» .

(٥) ب، س : «غارت» . (٦) كذا فى أكثر الأصول، والمختار . وفى ب، س : «الجلب» .

فما تقول فى العبّاس بن مرداس ؟ قال : أقُول فيه ما قال فىّ :

إذا ماتَ عمرٌو قلتُ للخيل أَوْطِئُوا ... زُبَيْدًا فقد أَوْدَى بنَجْدتِها عَمْرُو

وقام مُغْضَبًا ، وعلِم أَنّهم أَرادُوا تَوْبيخَه بالعبّاس .

قال علىٌّ : وقال أبو اليَقْظان :

أَحْسب فى اللّفظ غلطًا وأنّه إنّما قال : هَجَينَا مُضَرَ ؛ لأَنّ عَنترة استُرِقّ ، والعبّاس لم يُسْترقّ قطُّ .

ولى عمر فيه وفى طليحة

أخبرنى أبو خَليفة ، قال : حدّثنا أحمدُ بن عبد العزيز ، قال : حدّثنا عُمر بن شبّة ، قال : حدّثنا أحمدُ بن جَناب[1] ، عن عيسى بن يونُس ، عن إسماعيل[2] ، عن قيس[3] :

أنَّ عُمرَ ، رضى الله عنه ، كتبَ إلى سَعد بن أبى وقاص : إنِّى قد أمْددتُك بأَلفَىْ رجُل : عمرو بن معد يكرب ، وطُليحة بن خُوَيلد — وهو طُلَيحة الأَسدى — فشاوِرْهما فى الحَرْب ولا تُولِّهما شيئًا .

هو يوم القادسية وشعره

أخبرنى أحمدُ بن عبد العزيز ، قال : حدّثنا عُمر بن شَبّة ، قال : حدّثنا أحمدُ بن جَناب ، قال : حدّثنا عيسى بنُ يونُس ، عن إسماعيل ، عن قيس ، قال :

شهدتُ القادسيةَ ، وكان سعدٌ على الناس ، فجاءرُسْتُم ، فجعل يَمرّ بنا ، وعمرو بنَ معد يكربَ الزُّبيدىّ يمرُّ على الصُّفوف يَحُضُّ الناس ويقول :

---

(١) جـ ، ط : «حباب» ، تصحيف . (انظر تهذيب التهذيب فى ترجمة أحمد بن جناب ، ١ : ٢١) . (٢) إسماعيل ، هو : ابن أبى خالد ، وعنه يروى عيسى بن يونس . (تهذيب التهذيب : ١ : ٢٩١) . (٣) قيس ، هو : ابن أبى حازم . (تهذيب التهذيب : ٨ : ٣٨٦) .

يا معشر المُهاجرين ، كُونوا أُسُودًا[١] فإنما الأسد من أغنَى شأْنَه[٢] ، فإنَّما الفارسيُّ تَيْسٌ بعد أن يُلْقِيَ[٣] نَيْزَكه[٤] .

قال : وكان مع رُستم أُسوارٌ لا تَسقُط له نُشَّابة[٥] . فقلنا[٦] له : يا أَبا ثَور ، اتَّق ذاك[٧] . فإنَّا لنقولُ له ذلك إذْ رَماه رَمية فأَصاب فَرَسَه ، ٢٩/١٤ وحمل عليه عمرٌو فاعْتَنقه ثم ذَبحَه ، وسَلَبه سِوَارَيْ ذَهبٍ كانا عليه ، وقَباءً[٨] دِيباج .

قال أبو زيد :

فذكر أبو عُبيدة أنَّ عَمْرًا حملَ يومئذٍ على رَجُلٍ فقَتَلهَ ، ثم صاح : يا معشرَ بنِى زُبيد ، دونَكم فإنَّ القوم يَموتون !

وقال علىُّ بن محمد المدائنىّ : وأخبرنا محمدُ بن الفضل ، وعبدُ ربِّهِ ابنُ نافع ، عن إسماعيل ، عن قَيس بن أَبى حازم . قال :

حَضر عَمرٌو الناسَ ، وهم يُقاتِلون ، فرماه رَجُلٌ من العَجم بنُشَّابةٍ ، فوقعت فى كَتفه ، وكانت عليه دِرعٌ حَصينة فلم تَنفُذ ، وحَمَلَ على العِلْج فعانَقه . فسَقطا إلى الأَرض ، فقَتَله عمرٌو وسَلبه ، ورجَع بسَلَبه وهو يقول :

---

(١) الأصول : «كونوا أسدا» . وما أثبتنا من الطبرى (٣ : ٧٨) .
(٢) أغنى شأنه : كفى نفسه . (٣) الطبرى : «إذا ألقى» .
(٤) كذا فى ط ، ه ، والطبرى . والنيزك : الرمح القصير . وفى سائر الأصول : «يبركه» .
(٥) الطبرى : «لا تكاد تسقط له نشابة» . (٦) كذا فى الطبرى . والذى فى الأصول : «فقال» ، تحريف . (٧) الطبرى : «ذلك الفارس» . (٨) الطبرى : «ويلقا من ديباج» . واليلق : القباء ، وهو من الثياب : ما تجتمع أطرافه .

أنا أَبو ثَور وَسيفِى ذو النُّونْ أَضربُهم ضَرْبَ غُلامٍ مَجنونْ
يالَ زُبيد إنَّهم يَموتونْ

قال أَبو عُبيدة :

وقال فى ذلك عَمرو بنُ معد يكرب :

صوت

أَلْمِمْ بسَلْمَى قَبْلَ أن تَظْعنَا إنَّ لنَا من حُبِّها دَيْدَنَا[1]
قد علمتْ سَلْمى وجاراتُها ما قَطَّرَ الفارسَ إلا أنا[2]
شَكَكْتُ بالرمح حَيازيمَه والخَيْلُ تَعْدو زِيَمًا بَيننا[3]

غنىّ فيه الغريضُ ثانىَ ثقيلٍ بالسبّابة فى مجرى البِنصر . وفيه رَملٌ بالبنصر ، يقال : إنه لمعبَد ، ويقال : إنه من مَنحول يحيى المكّىّ .

عمره حين شهد القادسية

قال أبو عُبيدة ، فى رواية أَبى زَيد عُمر بن شَبّة :

شَهِد عمرو بن معد يكرب القادسيّةَ . وهو ابن مائة وستٍّ سنين . وقال بعضهم : بل ابن مائة وعَشر .

عبوره نهر القادسية

قال ولما قَتلَ العِلْجَ عَبر نهر القادسيّة ، هو وقَيْسُ بن مَكشوح المُراديّ ، ومالكُ بن الحارث الأَشتر .

قال : فحدَّثنى يُونس :

أنَّ عَمرو بن معد يكرب كان آخرَهم ، وكانت فرسهُ ضعيفةً ، فطلبَ غيرَها ، فأُتِيَ بفرسٍ ، فأَخَذ بعُكْوةِ ذَنبه وأَخلد[4] به إلى الأَرض ، فأَقْعَى الفرَسُ ، فردَّه

---

(١) الديدن : الدأب والعادة . (٢) قطره : ألقاه على قطره ؛ أى : جانبه .
(٣) زيما : متفرقة . (٤) عكوة الذنب : أصله .

وأُتِيَ بآخرَ ، ففعل به مثلَ ذلك ، فتَحلحلَ[1] ولم يُقْعِ ، فقال : هذا على كُلِّ حالٍ أقوى من تلك ، وقال لأصحابه : إنّي حاملٌ وعابرٌ الجِسْرَ ، فإنْ أسرعتُم بمقدار جَزْر الجزُور وجدتُموني وسَيفي بيدى أُقاتلُ به تلقاءَ وَجْهِي وقد غَفَرَني القوم[2] ، وأنا قائمٌ بينهم ، وقد قَتلتُ وجَرَّدت ؛ وإنْ أبطأْتم وجدتموني قتيلاً بينهم ، وقد قُتلتُ وجُرِّدت . ثم انغمَسَ فحَمل في القوم ، فقال بعضهم : يابَنِي زُبيد ، تَدَعون صاحبَكم ! والله ما نرى أن تُدْرِكوه حيًّا . فحملوا ، فانْتهَوْا إليه وقد صُرِع عن فَرسه ، وقد أخذ برِجْلِ فرسِ رجُلٍ من العَجم فأمْسكَها ، وإنَّ الفارسَ ليضربُ الفرسَ فما تَقدِر أن تَتحرّك من يده . فلما غَشِيناه رَمَى الأعجميُّ بنَفْسه وخَلَّى فرسَه ، فركبه عمرٌو ، وقال : أنا أبو ثَور ، كِدْتم والله تَفقدونني ؛ قالوا : أين فرسُك ؟ قال : رُمِي بنُشَّابةٍ فشَبَّ فصَرعَني وعار[3] .

ورَوَى هذا الخبر محمد بن عُمر الواقديّ ، عن ابن أبي سَبْره[4] ، عن أبي عيسى[5] الخياط[6] ؛ ورواه عليُّ بن محمد أيضًا ، عن مُرّة ، عن أبي إسماعيل الهَمَذانيّ ، عن طَلحة بن مُصرِّف ، فذكَرا مثلَ هذا .

---

(1) تحلحل : مضى وزال عن موضعه . (2) كذا في و . وغفرني القوم ؛ أي : أحاطوا بي وستروني . وفي ط ، ف ، والمختار : «وعقر بي» . والذي في سائر الأصول : «عقرني» ، وكلاهما مصحف عما أثبتنا . (3) عار : ذهب وانفلت . (4) كذا في ل ، و ، وهو : أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة . (تهذيب التهذيب : ١٢ : ٢٧) . والذي في سائر الأصول : «عن أبي سبرة» ، تحريف . (5) كذا في ط ، و ، وهو : عيسى بن أبي عيسى . (تهذيب التهذيب : ٨ : ٢٢٤) . والذي في سائر الأصول : «عن أبي عيسى» . (6) وكذا في تبصير المنتبه (ص : ٥١٧) . وفي تهذيب التهذيب : «الحناط» . وفي هامش المشتبه (ص : ٨٨) : «وعيسى بن أبي عيسى الحباط ، والحناط ، والخياط . وهو يشتهر بعيسى الحناط ، بالحاء والنون» .

مقتل رستم

قال الواقدىّ : وحدّثنى أُسامة بن زيد ، عن أَبَان بن صالح ، قال :

قال عمرو بنَ معد يكرب يوم القادسيّة : أَلزِمُوا خَراطِيمَ الفِيَلة ٣٠/١٤ بالسُّيوف[١] ، فإنّه ليس لها مَقْتلٌ إلّا خراطيمها ؛ ثم شَدّ على رُستمَ ، وهو على الفِيل ، فضَربَ فِيلَه ، فجَذَم عُرقوبَيْه فسَقَط ، وحُمل رُستم على فَرسٍ ، وسَقَط من تحته خُرْجٌ فيه أربعون ألف دينار ، فحازه المسلمون . وسَقط رُسْتمُ بعد ذلك عن الفَرس[٢] فقُتل[٣] .

قال علىُّ بنُ محمد المدائنىُّ : حدّثنى علىُّ بن مُجاهد ، عن ابن إسحاق ، قال :

لمّا ضَرب عَمرٌو الفِيلَ وسَقَط رُسْتُمُ ، سقط على رُستُمَ خُرْجٌ كان على ظَهر الفِيلِ ، فيه أربعون ألف دينار ، فمات رُستمُ من ذلك ، وانهزم المُشركون .

حوادث يوم القادسية

وقال الواقدىّ : حدّثنى ابنُ أَبى سَبْرة ، عن مُوسى بن عُقبة ، عن أَبى حبيبة ، مولى آل الزُّبير ، قال : حدّثنا نِيَار بن مُكرم الأَسلمىّ[٤] ، قال :

شَهِدْتُ القادسيةَ فرأَيتُ يومًا اشتدّ فيه القتالُ بيننا وبين الفُرس ، ورأَيتُ رجلاً يَفعل يومئذ بالعدوّ أفاعيلَ ، يُقاتل فارسًا ثم يَقتحم عن

(١) ب ، س : « السيوف » . وما أثبتنا من سائر الأصول ، والتجريد . (٢) كذا فى و ، والتجريد . وفى ط ، ف ، ل : « من فرسه » . وفى سائر الأصول . « عن فرسه » . (٣) ب ، س : « فقتله » . وما أثبتنا من سائر الأصول ، والتجريد . وزاد ابن واصل « وكانت الهزيمة » .
(٤) كذا فى أكثر الأصول . ونيار ، بكسر أوله وتخفيف التحتانية . ومكرم : بضم أوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه . (تقريب التهذيب) . وفى ط ، ف ، ل ، و : « سيار » ، تحريف . (انظر تهذيب التهذيب فى ترجمة نيار : ١٠ : ٤٩٣) .

فرسه ، ويَربط مِقْوَدَه فى حَقْوِه[١] فيُقاتل ، فقلت : مَن هذا ، جزاهُ الله خيرًا ؟ قالوا : هذا عَمرو بنُ مَعد يكرب .

هو وعيينة بن حصن

أخبرنى محمدُ بن الحسن بن دُريد ، قال : أخبرنا السَّكنُ بن سَعيد ، عن محمد بن عبّاد ، عن ابن الكَلبيّ ، عن خالد بن سَعيد ، عن أبى محمد المُرْهِبيّ ، قال : كان شيخٌ يجالس عبدَ الملك بن عُمَير ، فسمعتُه يُحدِّث ، قال :

قَدِم عُيَينةُ بن حِصْنٍ الكُوفةَ ، فأقام بها أيّامًا ، ثم قال : والله مالى بأبى ثَوْر عَهْدٌ منذُ قَدِمْنا هذا الغائطَ – يعنى ، عمرو بنَ معد يكرب – أَسْرِجْ لى يا غلامُ . فأَسْرج له فرسًا أُنثى من خَيله ، فلما قرَّبها إليه قال له : وَيْحكَ ! أرأيتَنى رَكبتُ أُنثى فى الجاهليَّة فأَرْكَبها فى الإسلام ؟ فأَسْرجَ له حِصانًا ، فركبه وأقبل إلى مَحلَّة بنى زُبَيد ، فسأل عن مَحلَّة عمرو ، فأُرْشِدَ إليها ، فوقف ببابه ونادَى : أىْ أبا ثَور ، اخْرُج إلينا . فخرج إليه مُؤْتزرًا ، كأنّما كسر وجبر[٢] ، فقال : أَنعِمْ صباحًا أبا مالك ، فقال : أوَ لَيس قد أَبْدلَنا اللهُ تعالى بهذا « السَّلامُ عليكم » ؟ قال : دَعْنا ممّا لا نَعرف ، انزِلْ فإنّ عندى كَبْشًا ساحًّا[٣] . فنَزل ، فعمَد إلى الكَبْش فذَبَحه ثم كَشط[٤] عنه وعَضّاه[٥] ، وألقاه فى قِدْر جِماع[٦] وطَبخَه ، حتّى إذا أدرك جاء بجَفْنةٍ عَظيمة فثَرّد فيها ، فأَكْفأ[٧] القِدْر عليها ، فقَعدا

(١) الحقو ، بالفتح ويكسر : الكشح ، حيث يعقد الإزار .
(٢) كذا فى الأصول .
(٣) كذا فى ط ، ف ، ل . والساح من الكباش : البالغ غاية السمن . والذى فى سائر الأصول : « سياحا » ، تحريف . (٤) كذا فى ط ، ف . وفى أ : « كسف » . والذى فى سائر الأصول : « كشف » ، تحريف . (٥) عضاه : جزأه . (٦) الجماع من القدور : التى تجمع الجزور .
(٧) أكفأ : كب وقلب .

فأكلاه ، ثم قال له : أىُّ الشراب أحبُّ إليك : آللَّبن أم ما كنّا نتنادم عليه فى الجاهليّة ؟ قال : أو ليس قد حرَّمها اللهُ جَلَّ وعزَّ علينا فى الإسلام ؟ قال : أنت أكبرُ سنًّا أم أنا ؟ قال ، أنت ، قال : فأنت أقْدَم إسلامًا أم أنا ؟ قال : أنت ؛ قال : فإنّى قد قرأتُ ما بين دَفَّتى المُصحف ،فوالله ماوجَدتُ لها تحريماً إلا أنَّه قال : (فهل أنتم مُنتَهون) [١] فقلنا : لا ، فسكتَ وسَكتْنا . فقال له : أنت أكبرُ سِنًّا وأقدمُ إسلاماً . فجاءا فجلَسا يتناشدان ويَشربان ، ويَذْكُران أيّام الجاهليَّة حتى أمْسَيا ، فلما أراد عُيينةُ الانصرافَ ، قال عمرو : لئن انصرفَ أبو مالك بغير حِباء إنَّه لَوصْمةٌ علىَّ ، فأمر بناقة له أرْحَبية [٢] كأنَّها جَبِيرة الجُين [٣] ،فارتحلَها وحَمَلَه عليها ، ثم قال : يا غلامُ ، هاتِ المِزْوَد ؛ فجاء بمزْود فيه أربعةُ آلافِ دِرْهم ، فوضَعَها بين يدَيْه ، فقال : أمَّا المال ، فوالله لا قَبِلْتُه ؛ قال : والله إنَّه لمن حِبَاء عُمرَ بن الخطاب ،رضى الله عنه . فلم يَقبلْه عُيينةُ وانْصرفَ ، وهو يقول :

جُزِيتَ أبا ثَوْرٍ جَزاءَ كَرامة ... فنِعْمَ الفَتى المُزْدارُ والمُتضيَّفُ
قَرِيْتَ فأكْرَمْتَ القِرَى وأفَدْتَنا ... نَخِيلةَ [٤] عِلْمٍ لم يَكُن قطُّ يُعْرف [٥]
وقُلتَ حَلالٌ أن تُديرَ مُدامةً ... كَلونِ انْعقاقِ البَرْقِ والليلُ مُسْدِف [٦]
وقَدَّمْتَ فيها حُجَّةً عـــربيَّةً ... تَرُدُّ إلى الإنصاف مَن ليس مُنصِف
وأنتَ لنا واللهِ ذى العَرْش قُدْوةٌ ... إذا صَدَّنا عن شُربها المُتكلِّف ٣١/١٤

(١) المائدة : ٩١ . (٢) أرحبية : نسبة إلى فحل نجيب .
(٣) كذا فى أكثر الأصول . والجبيرة : السوار . وفى س: «حبيرة» ، بالحاء . (٤) كذا فى ف .وفى و : «خيلة» . وفى سائر الأصول : «نحية» . (٥) ب،س «تعرف» .
(٦) انعقاق البرق : تشققه . ومسدف : مظلم .

نَقول[1] : أَبو ثَورٍ أَحَلَّ حرامَها   وقَوْلُ أَبى ثَوْر أَسَدُّ وأَعْرَف

هو وطليحة فى زيادة زادها عمر

وقال علىُّ بن محمد : حدَّثنى عبدُ الله بن محمد الثقفىّ ، عن أبيه ، والهُذَلىّ ، عن الشَّعبىّ ، قالا[2] :

جاءت زيادةٌ من عِند عُمر بعد القادسيّة ، فقال عَمرو بنُ معديكرب لطُلَيْحة : أَمَا تَرى أَنَّ هذه الزَّعانفَ تُزاد ولا نُزاد ! انطلقْ بنا إلى هذا الرَّجل [حتى] [3] نُكلِّمه ؛ فقال : هيهاتَ ، كلّا والله لاألقاه فى هذا أبدا ،[4] فلقد لَقِيَنى فى بعض فِجَاج مكّة فقال : يا طُلَيحة ، أَقَتَلْتَ[5] عُكاشةَ[6] ؟ فتَوعَّدَنى وَعيدًا ظننتُ أنَّه قاتِلى ، ولا آمنهُ ؛ قال عمرو : لكنِّى أَلقاه ؛ قال : أنتَ وذاك . فخرجَ إلى المدينة فقَدِم على عُمر ،رضى الله عنه ، وهو يُغدِّى النّاسَ ، وقد جَفَّن لعَشرةٍ عشرة ، فأَقْعده عُمرُ مع عَشرة ،فأَكلوا ونَهَضوا ، ولم يَقُم عَمروٌ ، فأَقْعد معه تكملةَ عَشرةٍ ، [فأَكلوا ونهضوا ولم يَقُم عمرو ، فأَقعده مع تَكملة عشرة] [7] ، حتَّى أَكل مع ثلاثين ، ثم قام فقال : يا أَمير المؤمنين ، إنّه كانت لى مآكلُ فى الجاهليّة مَنعنى منها الإسلامُ ، وقد صَررتُ فى بطنى صَرَّتين[8] وتركتُ بينهما هواءً فسُدَّه ؛ قال [له] [9] :

(١) ب ، س : «يقول» . ف : «بقول» . (٢) ب ، س : «قال» . (٣) التكملة من ط ، ف ، ل . (٤) كذا فى ط ، ف ، ل . وفى المختار : «هيهات والله ، لا ألقاه أبدا» . والذى فى سائر الأصول : «كلا والله ألقاه فى هذا المعنى أبدا» . وهى بادية الاضطراب . (٥) كذا فى ط ، ل ، والمختار . والذى فى سائر الأصول : «أقبلت» ، تصحيف . وانظر خبر مقتل عكاشة بن محصن وثابت بن مقرم فى الإصابة فى ترجمة طليحة بن خويلد الأسدى (ت : ٤٢٩٠) .
(٦) عكاشة ، بضم أوله وتشديد الكاف وتخفيفها . (الإصابة ، ت : ٥٦٣٤) .
(٧) التكملة من ط ، ف ، ل ، والمختار . (٨) المختار : «وقد ضربت فى بطنى ضربتين» .
(٩) التكملة من المختار .

عليك حجارةً من حجارةِ الحَرّة فسُدَّه به ياعَمرو ، إنَّه بلغَنى أنَّك تقول : إنَّ لى سيفًا ، يقال : له الصَّمْصامة ، وعندى سيفٌ أُسمِّيه[1] : المُصمِّم ، وإنِّى إنْ وضعتُه بين أُذنيك لم أرفَعْه حتَّى يخالطَ أضْراسَك[2] .

هو وجبيلة ابن سويد

وذكر ابنُ الكَلْبىّ[3] ، ومحمدُ بن كُناسة :

أنَّ جُبيلة بن سُويد بن رَبيعة بن رَباب ، لقى عَمرو بنَ معديكرب ، وهو يَسوقُ ظُعُنًا له ، فقال عمرٌو لأصحابه : قِفُوا حتَّى آتِيكم بهذه الظُّعن ؛ فقرَّبَ نَحوه ، حتى إذا دنا منه قال : خَلِّ سَبيلَ الظُّعن ؛ قال : فلمَ إذًا وَلَدَتْنى ؟ ثم شَدّ على عَمرٍو فطَعنه فأَذْراه[4] عن فَرَسه وأخذَ فَرَسَه ، فرَجع إلى أصحابه فقالوا : ما وراءك ؟ قال : قال : كأنِّى رأيْتُ مَنِيَّتى فى سِنَانه .

هو وربيعة ابن مكدم

وبنو كنانة يذكُرون أنَّ ربيعةَ بن مُكدِّم الفِراسىَّ ، طَعن عمرو بنَ معد يكرب فأذْراه عن فَرسه وأخَذ فرسَه ، وأنَّه لَقيه مرّةً أُخرى فضَربه فَوقعت الضربةُ فى قَرَبُوس السَّرج فقَطَّته حتَّى عَضَّ السَّيفُ بكاثبة[5] القَرَس ، فسأله عمرٌو وانْصرف .

هو ومجاشع ابن مسعود فى حمالة

قال المدائنى : حدّثنى مَسْلمةُ بن مُحارب ، عن داودَ بن أبى هِنْد ، قال :

حَمل عمرو بنُ معد يكرب حَمالة[6] ، فأتَى مُجاشعَ بنَ مَسعود يسأله فيها .

(١) المختار : « ويقال له » . (٢) المختار : « شرا سيفك » . والشراسيف : أطراف الأضلاع على البطن . (٣) ب ، س : « ابن النطاح » . (٤) أذراه : أطاره .
(٥) الكاثبة من الفرس : مجتمع كتفيه . (٦) الحمالة ، كسحابة : الدية .

وقال حنظلة بن نهشل: حدثنى أبو عوانة، عن حصين بن عبد الرحمن، قال:

بلغنى أن عمرًا أتى مجاشع بن مسعود، فقال له: أسألك حملان[١] مثلى، وسلاح مثلى[٢]؛ قال: إن شئت أعطيتك ذاك من مالى؛ ثم أعطاه حكمه — وكان الأحنف أمر له بعشرين ألف درهم، وفرس جواد عتيق، وسيف صارم، وجارية نفيسة — فمر ببنى حنظلة، فقالوا له: يا أبا ثور، كيف رأيت صاحبك؟ فقال: لله بنو مجاشع، ما أشد فى الحرب لقاءها، وأجزل فى اللزبات[٣] عطاءها، وأحسن فى المكرمات ثناءها؛ لقد قاتلتها فما أفللتها[٤]، وسألتها فما أبخلتها[٥]، وهاجيتها فما أفحمتها.

هو ورجل أراد اختبار ما عنده

وقال أبو المنهال عيينة بن المنهال: سمعت أبى يحدث، قال: جاء رجل، وعمرو بن معد يكرب واقف بالكناسة[٦] على فرس له، فقال: لأنظرن ما بقى من قوة أبى ثور، فأدخل يده بين ساقه[٧] وبين السرج، وفطن عمرو فضمها عليه وحرك فرسه، فجعل الرجل يعدو مع الفرس لا يقدر أن ينتزع يده، حتى إذا بلغ منه، قال: يابن أخى، ما لك؟ قال: يدى تحت ساقك، فخلى عنه، وقال: يابن أخى، إن فى عمك لبقية[٩].

٣٢/١٤

(١) الحملان، بالضم: ما يحمل عليه من الدواب. (٢) فى المختار: «مثلى، فأمر له ...».
(٣) اللزبات، بالتحريك: الشدائد، الواحدة: لزبة. والرواية فى المختار: «وفى الأزمات».
(٤) أفللتها: وجدتها قليلة. والرواية فى المختار: «فما أجبنتها». (٥) المختار: «وما بخلتها».
(٦) الكناسة، بالضم: محلة بالكوفة. (٧) المختار: «وفخذه». (٨) ب، س: «ساقيه».
(٩) المختار: «وإن فى عمك بقية بعد».

من كذبه

وكان عمرٌو ، مع ما ذكرنا من محلّه ، مشهورًا بالكذب .

أخبرني عليُّ بن سُليمان الأخفش ، قال : حدّثنا محمدُ بن يزيد النَّحوى المبرّد ، ولم يتجاوزه ، وذكر ابنُ النطّاح هذا الخبرَ بعينه ، عن محمد بن سَلَّام ، وخبرُ المبرّد أتمّ ، قال :

كانت الأشرافُ بالكوفة يخرجون إلى ظاهرها يتناشدون الأشعارَ ، ويتحدّثون ويتذاكرون أيّامَ الناس ، فوقف عمرٌو إلى جانب خالد بن الصَّقْعَب النَّهْدىّ ، فأقبلَ عليه يحدّثه ويقول : أغرْتُ على بنى نَهْد فخرجوا إلىَّ مُسترعِفين[1] ، وخالد[2] بن الصَّقْعب يقْدُمهم ، فطعنتُه طَعنةً فوقَع ، وضربتُه بالصَّمْصامة حتّى فاضت نَفْسُه[3] ، فقال[4] له الرجلُ : يا أبا ثور ، مَقتُولك[5] الذى تُحدِّثه[6] ؛ فقال : اللهم غَفرًا ، إنّما أنتَ مُحدَّثٌ[7] فاسْمَع ، إنّما نتحدّث بمثل هذا وأشباهه لنُرْهِب هذه المَعدّيّة .

قال محمدُ بن سلّام : وقال يونُس :

أبَت العَربُ إلّا أنّ عَمْرًا كان يكْذب .

رأى خلف الأحمر في كذبه

قال : وقلتُ لخلَفٍ الأحمر ، وكان مَولى الأشعريين ، وكان يتعصّب لليمانيّة : أكان عمرٌو يكذب ؟ قال : كان يَكْذِب باللِّسان ، ويَصْدُق بالفِعال .

(١) مسترعفين : سابقين متقدمين . (٢) ب ، س : « بخالد » . وما أثبتنا من سائر الأصول ، والمختار . (٣) أ ، جـ ، ج ، ك ، ر : « فاضت نفسه » . وفى المختار : « حتى قاظ » ، وإذا استخدم الفعل « قاظ » لا تذكر معه النفس . (٤) وزاد المختار قبل هذا : « وسلبته سلاحه وفرسه » . (٥) ب ، س : « أتلقتهواك » . (٦) المختار : « فقال رجل : يا أبا ثور ، إن مقتولك الذى تذكره هو الذى تحدثه » . (٧) ب ، س ، ر : « أنت تحدث » .

لعمرو في سعد وقد سأله عنه عمر

أخبرني إبراهيمُ بن أيُّوب ، عن ابن قُتيبة[١] :

إنَّ سعدًا كتبَ إلى عُمر ، رضي الله عنه ، يُثْني على عَمْرو بن معديكرب ، فسأله[٢] عُمرُ عن سَعد . فقال: هو لنا[٣] كالأب ، أعرابيٌّ في نَمِرته[٤] ، أسدٌ في تامُورته[٥] ، يَقْسِم بالسَّوِيَّة ، ويَعْدِل في القَضِيَّة ، ويَنْفِر في السَّرِيَّة ، ويَنقُل إلينا حقَّنا كما تَنقُل الذَّرة ؛ فقال عُمر ، رضوان الله عليه : لشَدَّ ما تَقارَضْتُما الثَّناء[٦] .

لسعد في عمرو وقد بلغه عنه وقوعه في الخمر

أخبرني الحسنُ بن عليّ ، قال : حدَّثنا الحارثُ ، عن ابن سَعد ، عن الواقديّ ، عن بُكَير[٧] بن مِسْمار[٨] ، عن زياد ، مولى سَعد ، قال :

سمعتُ سَعْدًا يقول ، وبلَغه أنَّ عمرو بنَ معد يكرب وقَع في الخَمْر ، وأنَّه قد دُلِّهَ ، فقال : لقد كان له مَوْطِنٌ صالحٌ يوم القادسيَّة ، عَظيمُ الغَنَاء ، شديدُ النِّكاية للعَدُوّ ؛ فقيل له : فقَيْس بنُ مَكْشوح ؟ فقال : هذا أبْذلُ لنفسه من قَيس ، وإنَّ قيسًا لَشُجاع .

حديث موته ورثاء امرأته له

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عُمَر بن شَبَّة ؛ وأخبرني إبراهيمُ بن أيُّوب ، عن ابن قُتيبة ؛ ونَسخت هذا الخبرَ من رواية ابن الكَلْبيّ خاصَّة : حدَّثني أسعرُ بن عمرو بن جَرير ، عن خالد ابن قَطَن ، قال : حدَّثني من شَهِد موتَ عمرو بن معد يكرب ، والرواية

(١) الشعر والشعراء (ص : ٣٧٢) والبيان والتبيين (١ : ٦٨) . (٢) المسئول : عمرو بن معد يكرب . (٣) الشعر والشعراء : «هو لهم» . (٤) وكذا في اللسان (نمر) . وفي البيان والتبيين : «عربي في نمرته» . والنمرة : كفرحة ، بردة من صوف تلبسها الأعراب . (٥) التامورة : عرين الأسد . (٦) ب ، جـ ، س : «الشهادة» . (٧) بكير ، بالتصغير : تهذيب (١ : ٤٩٥) . (٨) ب : «يسار» ، س : «سيار» ، تحريف .

قريبة ، وحكايتا عُمَر بن شَبَّة وابن قُتَيْبة ، من أنفسهما ولم يتجاوزاها ؛ قالوا :

كانت مَغازِى العرب إذ ذاك الرَّىَّ ودَسْتَبَى[1] ، فخرج عمرو مع شبابه من مَذْحِج حتى نزل الخانَ الذى دُونَ رُوذَة ، فتغدَّى القومُ ثم ناموا ، وقام كلُّ رجلٍ منهم لقضاء حاجته ، وكان عمرو إذا أراد الحاجة لم يَجْترِئ أحدٌ أن يَدْعوَه وإن أبطأ ، فقام الناسُ للرَّحيل وتَرحَّلوا ، إلا مَن كان فى الخان الذى فيه عمرو ، فلمَّا أبطأ صِحْنا به : يا أبا ثور ، فلم يُجبنا ، وسَمِعْنا عَلَزًا شديدًا[2] ومِرَاسًا[3] فى الموضع الذى دَخَلَه ، وقَصَدْناه فإذا به مُحْمَرَّةٌ عيناه ، مائلاً شِدْقُه ، مَفْلوجًا ، فحملناه على فَرس ، وأمَرْنا غُلامًا شديدَ الذِّراع فارْتَدَفَه لِيَعْدِلَ مَيْله ، فمات بِرُوذَةَ ، ودُفِن على قارعة الطريق . فقالت امرأتُه الجُعْفِيَّة تَرْثيه :

لقد غادَرَ الرَّكْبُ الذين تَحمَّلُوا ... بُروذَةَ شَخْصًا لاضَعِيفًا ولاغُمْرًا[4]

فقُل لِزُبَيدٍ بل لِمَذْحِجَ كُلِّها ... فَقَدْتُم أبا ثَورٍ سِنانَكُمُ عَمْرا

فإنْ تَجْزَعوا لايُغْنِ ذلك عنكُمُ ... ولكنْ سَلُوا الرَّحمنَ يُعْقِبكُم صَبْرا

٣٣ / ٦٤ — أبياته التى فيها الغناء وغيرها

والأبيات العَينية التى فيها الغناء ، وبها افتُتِحَ ذِكْرُ عمرو[5] ، يقولها فى أُخته رَيحانة بنت مَعد يكَرِب ، لمَّا سباها الصِّمَّةُ بن بَكر ، وكان أغار على بَنى زُبيد فى قَيس ، فاستاق أموالَهم وسَبى رَيحانةَ ،

(١) كذا فى أكثر الأصول ، والمختار «ودستبى» : كورة كبيرة كانت مشتركة بين الرى وهمذان ، فقسمت كورتين ، وهذه هى كورة همذان . (٢) العلز ، بالتحريك : القلق والهلع يصيب المريض والأسير والحريص والمحتضر . (٣) المراس : الشدة .
(٤) الغمر ، مثلثة الأول : الذى لم يجرب الأمور . (٥) انظر (ص : ٥٥٢١) .

وانهزمت زُبيد بين يَدَيْه ، وتبعه عَمْرو وأخوه عبدُ الله ، ابنا معديكرب ، ثم رَجع عبدُ الله واتَّبعه[1] عَمرو .

فأخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سلَّام :

أنَّ عَمْرًا اتَّبعه يُناشِدُه أن يُخلِّيَ عنها ، فلم يَفعل ، فلما يَئِس منها ولَّى وهي تُناديه بأعْلى صوتها : يا عَمرو ، فلم يَقْدِرْ على انتزاعها ، وقال :

أَمِنْ رَيحانَةَ الدَّاعي السَّميعُ ... يُؤرِّقُنى وأَصحابى هُجُوعُ
سَباها الصِّمَّةُ الجُشَمىُّ غَصْبًا ... كأنَّ بَياضَ غُرَّتِها صَدِيعُ[2]
وحالت دونَها فُرسانُ قَيْسٍ ... تكشَّفُ عن سواعدها الدُّروعُ
إذا لم تَسْتطِع شيئًا فَدَعْهُ ... وجاوِزْه إلى ما تَستطيعُ[3]

وزاد الناسُ فى هذا الشِّعر ، وغُنِّى فيه :

وكيف أُحبُّ مَن لا أستطيعُ ... ومَن هو للذى أَهْوَى مَنُوعُ
ومَن قد لامني فيه صديقى ... وأهلى ثُمَّ كُلًّا لا أُطيعُ
ومَن لو أظهرَ البَغضاءَ نَحوى ... أتانى قابِضٌ[4] المَوتِ السريعُ
فِدًى لهمُ مَعًا عمِّى وخالى ... وشَرْخُ شَبابِهم إن لم يُطِيعوا

طلاقه امرأته وحزنه لفراقها

وقد أخبرنى الحُسينُ بن يحيى ، قال : قال حمَّادٌ : قرأت على أبي : وأما[5] قِصَّة رَيحانة ، فإنَّ عمرو بنَ معد يكرب تَزوَّجَ امرأةً من مُرَاد ، وذَهب مُغِيرًا قَبل أن يَدْخُلَ بها ، فلمّا قَدِم أُخْبِر أنَّه قد ظَهر بها وَضَحٌ ـ وهو داءٌ تَحذره العربُ ـ فطلَّقها ، وتزوَّجَها رجلٌ آخرُ من بنى مازن بن

(١) المختار : «وتبعه» . (٢) الصديع : الصبح . (٣) وزاد المختار :

فكيف تريد أن تدعو حكيمًا ... وأنت لكل ما تهوى تبوع

(٤) ب ، س : «قابضه» . (٥) كذا جاءت هذا الخبر فى الأصول . وهو ظاهر الخلط إذ المعروف أن ريحانة هي أخت عمرو ، وأن هذه القصيدة العينية فيها .

رَبيعة ، وبلغ ذلك عَمْرًا ، وأنَّ الذى قيل فيها باطلٌ ، فأخذ يُشبِّب بها ، فقال قصيدتَه ، وهى طويلةٌ :

أَمِن رَيحانةَ الداعى السميعُ يُؤرِّقنى وأصحابى هُجوعُ

مقتل عبد الله أخيه

وكان عبدُ الله بن معد يكرب ، أخو عَمْرو ، رئيسَ بنى زُبيد ، فجَلس مع بنى مازن فى شَرْبٍ منهم[1]. فتَغَنَّى عنده حَبَشىٌّ ، عَبدٌ للمُخزِّم[2] أحدِ بنى مازن ، فى تَشبيب[3] بامرأةٍ من بنى زُبيد ، فلَطمه عبدُ الله وقال له : أمَا كَفاك أن تَشربَ معنا حتى تُشبِّب بالنِّساء ! فنادى الحَبَشىُّ : يا آل بنى مازن[4] ، فقامُوا إلى عبد الله فقتَلوه ، وكان الحبشىُّ عَبدًا للمُخزِّم[5] ، فرُئِّس[6] عمرٌو مكانَ أخيه .

شعر عمرو فى توعد أبى المرادى إياه وحديث ذلك

وكان عمرٌو غَزا هو وأُبَىٌّ المُرادىّ فأصابُوا غنائمَ ، فادّعى أُبَىٌّ أنّه قد كان مُسانِدًا ، فأَبى عَمرٌو أن يُعطيه شيئًا ، وكَرِه أُبَىٌّ أن يكون بَينهما شَرٌّ ، لِحَداثةِ قَتْلِ أبيه ، فأَمسَكَ عنه ، وبلغ عَمْرًا أنَّه تَوعّده ، فقال عمرٌو فى ذلك قصيدةً له ، أوّلها[7] :

---

(١) الشرب : جماعة الشاربين .

(٢) المخزم ، بوزن محمد ، وزاى ، هو : ابن سلمة . (الاشتقاق لابن دريد : ٤١٢ ، تبصير المنتبه : ١٢٦٧) . قال ابن دريد : « وهو الذى قتل عبد الله بن معد يكرب ، أخا عمرو براعى إبله ، وكان ذلك سبب خروج بنى مازن من سلمة إلى بنى تميم » .

(٣) ب ، س : « فى تشبيب امرأة » .

(٤) المختار : « يا لبنى مازن » . (٥) تقدمت هذه العبارة .

(٦) المختار : « ورأس » . (٧) فى الإصابة ، والكامل للمبرد (ص : ٥٥٠) ومعجم الشعراء للمرزبانى ، وسمط اللآلى (ص : ٦٣) أن هذه الأبيات قيلت فى قيس بن مكشوح المرادى .

صوت

أعاذِلَ شِكَّتى[1] بَدَنى ورُمحى ... وكلُّ مُقلِّصٍ[2] سَلِسٍ[3] القِيادِ
أعاذِلَ إنَّما أَفْنَى شَبابى ... وأَقْرحَ عاتِقى ثِقَلُ[4] النِّجادِ
تَمنَّانى لِيَلْقانى أُبَىٌّ[5] ... وَدِدْتُ وأينما مِنِّى ودادى
٣٤/١٤ ولو لاقيتَنِى ومَعى سِلاحى ... تكشَّفَ شَحْمُ قَلبِك عن سَوادِ
أُرِيدُ حِباءَه[6] ويُرِيدُ قَتْلى ... عَذِيرَك مِن خَلِيلك مِن مُرادِ[7]

وتمام هذه الأبيات:

تَمنَّانى وسابِغَتى دِلَاصٌ ... كأنَّ قَتيرَهَا حَدَقُ الجَرادِ[8]
وسَيفى كان مُذ عَهْدِ ابنِ ضِدٍّ[9] ... تَخَيَّرَه الفَتَى مِن قَوْمِ عادِ
ورُمْحِى العَنْبرىُّ تَخالُ فيه ... سِنانًا مثلَ مِقْباسِ الزِّنادِ
وعِجلِزةٍ[10] يَزِلُّ اللِّبْدُ عنها ... أُمِرَّ سَراتُها[11] حُلُقٌ[12] الجيادِ[13]
إذا ضُرِبَتْ سَمِعْتَ لها أَزِيزًا ... كوَقْعِ القَطْرِ فى الأُدُمِ الجِلادِ[14]

(١) وكذا فى التجريد، والشعر والشعراء، ورغبة الآمل (٧ : ١٢٤). والرواية فى المختار: «ملى». (٢) المقلص: الفرس الطويل القوائم الضامر البطن. (٣) التجريد: «سهل».
(٤) التجريد: «حمل». والمختار: «أثر». (٥) سمط اللآلى (ص: ٦٣): «قيس»، تصغير: قيس، يريد: قيس بن مكشوح المرادى.
(٦) التجريد، والمختار: «حياته». (٧) عذيرك، أى: من يعذرك، قيل: بمعنى: فاعل. وهو منصوب على إضمار «هات». (٨) الدلاص من الدروع: البراقة الملساء اللينة. والقتير: رؤوس مسامير حلق الدرع. (٩) الأصول، والمختار: «صد»، بالصاد المهملة، تصحيف. وما أثبتنا من رغبة الآمل، والقاموس (ضد). قال الفيروزابادى: «وبنو ضد، بالكسر: قبيلة من عاد». (١٠) العجلزة، بكسر الأول والثالث، وبفتحهما: الفرس الشديد الخلق. (١١) أمر: أحكم. والسراة: الظهر. (١٢) كذا فى أكثر الأصول، ورغبة الآمل. وحلق، بضمتين: جمع حلق، نادر، يريد: أحكم ظهرها كثرة ضمر الخيل الجياد. وفى جـ: «خلق»؟ بالخاء المعجمة. (١٣) ط: «الحياد»، بالحاء المهملة. (١٤) الأزيز: صوت غليان القدر. والأدم، بضمتين: جمع أديم، وهو الجلد. والجلاد: اليابسة الصلبة.

إذا وَجدتَ خالكَ غيرَ نِكْسٍ[1] ولا مُتَطَعِّمٍ[2] قَتَلَ[3] الوِحَادِ[4]

يُقلِّبُ للأمورِ شَرَنْبثاتٍ بأَظْفَارٍ مَغارِزُها جِعَادِ[5]

لابن سُريج فى الأول والثانى ثانى ثقيل بالبنصر ، ولابن مُحرِز[6] فى السادس والخامس ثانى ثقيل بالخنصر فى مجرى الوسطى ، وفى الرابع والخامس والسادس لحنٌ للهُذَلىّ ، من رواية يونُس .

وهذا البيت الخامس كان علىّ بن أبى طالب ، عليه السلام ، إذا نَظر إلى ابن مُلْجَم[7] تَمثَّل به .

تمثل على ببيت لعمرو عند رؤيته ابن ملجم

أخبرنى أحمدُ بن عبد العزيز الجوهرىّ ، قال ، حدّثنا عمر بن شَبّة ، قال : حدّثنا حَيَّان[8] بن بِشْر ، قال : حدّثنا جَرير ، عن حَمزة الزّيّات ، قال :

كان علىٌّ ، عليه السلام ، إذا نَظر إلى ابن مُلجَم قال :

أُريدُ حِباءَه[9] ويُريدُ قَتْلى عَذيرَكَ من خَليلكَ من مُرادِ

حدّثنى العباسُ بن علىّ بن العبّاس ، ومحمدُ بن خَلَفٍ وكيع ، قالا :

---

(١) النكس ، بالكسر الضعيف . (٢) ب ، س : «ولا متطيا» . (٣) ب ، ج ، س : «قبل» ، تصحيف . (٤) الوحاد : «المنفردون» ؛ المفرد : وحد ، كجبل . يقول : لا أحمل على المنفرد وإنما أحمل على الكتيبة . وفى ج : «الوخاد» ، بالخاء المعجمة ، تصحيف .

(٥) الشرنبثات : الأكف الغليظة ؛ الواحدة : شرنبثة .

(٦) الأصول : «محرز» ، تصحيف . (انظر : فهرست هذا الكتاب) .

(٧) ابن ملجم : عبد الرحمن ، وكان من شيعة على ، وشهد معه صفين ، ثم خرج عليه وكان إليه قتله ، حين اتفق هو والبرك ، وعمرو بن بكر ، على قتل : على ومعاوية وعمرو ابن العاص . ولقد سمع مرة يقول فى على : والله لأريحنهم منك . وكان يقال لعلى ، بعد أن يتمثل بهذا البيت : كأنك قد عرفته وعرفت ما يريد بك ، أفلا تقتله ؟ فقال : أفأقتل قاتلى . (الكامل للمبرد : ٥٥٥) . وسيعرض المؤلف لشىء من هذا بعد قليل . (٨) ف : «حسان» . (٩) انظر الحاشية (رقم : ٦ ص : ٥٥٤٧) .

حدّثنا أحمدُ بن منصور الرّماديّ ، قال : حدّثنا عبدُ الرزّاق ، قال : أخبرنا مَعْمَرٌ ، عن أيُّوب ، عن ابن سِيرين ، عن عَبِيدة[1] السَّلْمانى ، قال :

كان علىٌّ بن أبى طالب إذا أعطى النَّاسَ فرأى ابنَ مُلْجَم قال :

أُريد حِبَاءه ويريد قَتْلى عَذِيرَكَ من خَلِيلك من مُرادِ

تنبؤ على بن أبي طالب بمقتله

حدثنى محمدُ بن الحسن الأُشْنانىّ ، قال : حدّثنا علىٌّ بن المنذر الطَّرِيقىّ[2] ، قال: حدّثنا محمدُبن فُضَيل ، قال: حدّثنا فِطْر[3] بن خليفة ، عن أبى الطُّفيل عامر بن واثلة ، والأَصْبغ بن نُباتة ، قال :

قال علىٌّ عليه السلام : ما يَحْبِس أشقاها[4] ؟ والذى نَفسى بيده ، لتُخْضَبنَّ هذه من هذا .

ظن على بابن ملجم

قال أبو الطُّفيل :

وجَمع علىٌّ الناسَ للبَيْعة ، فجاءه عبدُ الرحمن بن مُلجَم المُرادىّ ، فردَّه مرّتين أو ثلاثًا ، ثم بايعه ، ثم قال : ما يَحبس أشقاها ؟ فوالذى نفسى بيده لتُخضَبنّ هذه من هذا ، ثم تمثّل بهذَين البيتين :

اشْدُدْ حيازِيمكَ[5] للموتِ فإنَّ الموتَ يأتيكَ[6]
ولا تَجْزَعْ من القتلِ إذا حَــلَّ بِواديكَ

(١) عبيدة ، بالفتح . (انظر : تبصير المنتبه : ٩١٢) ، وهو : ابن عمرو .
(٢) الطريقى ، بالقاف . (تبصير المنتبه : ٨٧٤ ، الأنساب للسمعاني) . وفى الأصول : « الطريفى » : بالفاء ، تصحيف . (٣) الأصول : « قطن » ، تحريف . (انظر : تهذيب التهذيب : ٨ : ٣٠٠) . (٤) يشير إلى قوله تعالى فى ناقة صالح : (إذ انبعث أشقاها) الشمس : ١٢ . (٥) [illegible] (٥) [illegible]
(٦) قال المبرد (الكامل : ٥٥٢) : « والشعر إنما يصح بأن تحذف « اشدد » ، ولكنه

رجع الخبر إلى سياقة خبر عَمرو

عمرو وبنو مازن فى مقتل أخيه عبد الله

قال : وجاءت بنو مازن إلى عمرو ، فقالوا : إنَّ أخاك قتلَه رَجلٌ منَّا سَفِيهٌ وهو سَكرانُ ، ونحن يَدُك وعَضُدك ، فنَسألك الرَّحِمَ إلا أخذت الدِّيَةَ ما أحببتَ ؛ فهمَ عمرو بذلك . وقال :

* إحدى يَدىَّ أصابَتْنى ولم تُرِدِ[1] *

لأخت عمرو فى تعييره بقبول الدية ورده عليها

فبلغ ذلك أختًا لعمرو ، يُقال لها : كَبْشة ، وكانت ناكحًا[2] فى بنى الحارث بن كَعب ، فغَضِبت ، فلمَّا وافَى النَّاسُ من المَوسم قالت شعرًا تعيِّر عَمْرًا :

٣٥
١٤

أأَرسلَ[3] عبدُ الله إذ حانَ يَوْمُه إلى قَوْمه لا تَعْقِلوا لهمُ دَمِى

— الفصحاء من العرب يزيدون ماعليه المعنى ولايعتدون به فى الوزن ، ويحذفون من الوزن علماً بأن المخاطب يعلم ما يحذفونه ، فهو إذا قال : حيازيمك للموت ، فقد أضمر « اشدد » ، فأظهره ولم يعتد به » .

وقال ابن رشيق (العمدة : ١ : ٩٢) : « ويأتون بالخزم ، وهو ضد الخروم ، وليس الخزم عندهم بعيب ، لأن أحدهم إنما يأتى بالحرف زائداً فى أول الوزن ، إذا سقط لم يفسد المعنى ولا أخل به ولا بالوزن . وربما جاء بالحرفين والثلاثة . ولم يأتوا بأكثر من أربعة أحرف » . ثم أورد البيتين ، وقال : « فزاد « اشدد » بياناً للمعنى ، لأنه هو المراد » .

(١) عجز بيت لأعرابى ، قتل أخوه ابناً له ، فقدم إليه ليقتاد منه . وصدر البيت :

* أقول للنفس تأساء وتعزية *

(شرح الحماسة للتبريزى ١ : ٢٠٠) .

(٢) المختار : « ناكحة » . والناكح ، والناكحة ؛ من النساء : التى لها زوج . (٣) شرح الحماسة (١ : ٢٩٧) : « أرسلَ » . وعلى هذه الرواية يكون فى البيت خرم ، وهو حذف الفاء من « فعولن » .

ولا تَـأْخُذوا مِنهم إفَالاً وأبْكُرًا ... وأُتْرَكَ فى بيت بصَعْدَةَ مُظْلِمِ(١)

ودَعْ عَنكَ عَمْرًا إنَّ عَمْرًا مُسالِمٌ ... وهل بَطْنُ عَمْرٍو غيرُ شِبْرٍ لِمَطْعَمِ

فإن أنتمُ لم تَقْبلوا واتَّديتُمُ(٢) ... فَمشُّوا بآذانِ النَّعامِ المُصَلَّمِ(٣)

أيَقْتلُ عبدَ اللهِ سيِّدَ قَومه ... بنُو مازنٍ أن سُبَّ رَاعى المُخَزَّمِ(٤)

فقال عمرٌو قصيدةً له عند ذلك ، يقول فيها :

صوت

أرِقْتُ وأمْسَيتُ لا أرْقُدُ ... وسَاوَرَنى المُوجِعُ الأسْوَدُ

وبِتُّ لِذِكْرَى بنى مازِنٍ ... كأنِّىَ مُرْتَفِــــقٌ أرْمَدُ(٥)

فيه لحن من خفيف الثقيل الأوّل بالوُسطى ، نَسبه يحيى المكّى إلى ابن مُحرِزٍ(٦) . وذكر الهشاميّ أنّه مَنْحول .

الحرب بين عمرو وبنى مازن

ثم أكَبَّ على بنى مازن ، وهم غارُّونَ(٧) فَقَتلهم ، وقال فى ذلك شِعرًا :

خُذُوا حُقُقًا(٨) مُخَطَّمةً صَفَايا(٩) ... وكَيْدِى يامُخَزَّمُ أن أكِيدَا(١٠)

---

(١) الإفال : جمع أفيل ، وهو ما بلغ سبعة أشهر من أولاد الإبل . وصعدة : مخلاف باليمن بينه وبين صنعاء ستون فرسخا .

(٢) اتديتم : قبلتم الدية . والرواية فى المختار : « لم تفعلوا وأبيتم » . وفى شرح الحماسة : « لم تثأروا واتديتم » . (٣) مشوا ، امشوا ، وضعف الفعل للتكثير . والمصلم : المجدع . والمعنى : إن لم تقتلوا قاتل وقبلتم ديتى فامشوا أذلاء كآذان النعام ؛ أى : صماعما يتكلم الناس من عيبكم .

(٤) انظر الحاشية (رقم : ٢ ص : ٥٥٤٦) . (٥) المرتفق : المتكىء على مرفق يده ، أو على مرفقة ؛ أى : وسادة . والمراد على الحالين الإخلاد والقعود عن طلب الثأر .

(٦) الأصول : « محرز » ، تصحيف . (انظر : فهرست هذا الكتاب) .

(٧) غارون : غافلون . (٨) كذا فى ف ، ل ، والحقق ، بضمتين : جمع حقة ، بالكسر ، وهى من النوق : ما استكملت الثالثة ودخلت فى الرابعة . والذى فى سائر الأصول : « حقاً » . (٩) الصفايا من النوق : الغزيرة الألبان . (١٠) كذا فى ل . والذى فى سائر الأصول : « ما أكيد » .

قَتلتمْ سادتِى وتَركتمُـــونى على أكتافكم عِبْئًا جَديدا[1]

[فمن يَأْبَى من الأقوامِ قَصْرًا ويتْركُنا فإنَّا لن نُريدا]

وأرادت بنو مازن أن تَرُدَّ عليهم الدِّيَةَ ، لمَّا آذنهم بحَرب ، فأَبَى عمرو ، وكانت بنو مازن من أعداءَ مَذْحِج ، وكان عبدُ الله أخا كَبْشة لأبيها وأُمّها دون عَمرو . وكان عَمرٌو قد هَمَّ بالكَفّ عنهم ،حين قَتَلَ من قَتل منهم ، فركبت كَبشةُ فى نِساءٍ من قَومها وتَركت عَمرًا أخاها وعَيَّرتْه فأَحْمَتْه ، فأَكَبَّ عليهم أيضًا بالقَتل ، فلما أكثر فيهم القَتْلَ تَفرَّقُوا ، فلحقت بنو مازن بصاحبهم بتَميم ، ولحقت ناشرةُ ببنى أسَد ، وهم رَهطُ الصَّقْعب بن الصَّحْصَح ، ولحقت فالجُ بسُلَيم بن مَنصور. وفالجُ وناشرة : ابنا أنمار بن مازن بن ربيعة بن مُنبِّه بن صَعب بن سعد العشيرة ، وأُمُّهما : هند بنت عُلَس[2] بن زيد بن عَبد الله بن دارم . فقال كابيةُ ابن حُرْقُوص بن مازن :

يا لَيلتِى ما لَيلتِى بالبَلْدةِ رُدَّتْ علىَّ نُجومُها فارتدَّتِ

مَن كان أسرَعَ فى تَفرُّقِ فالجٍ فلَبُونه جَربتْ معًا وأَغَدَّتِ[3]

[هلَّا كناشرةَ الذى ضَيَّعتمُ كالغُصْن فى غُلْوائه المُتنبِّتِ][4]

---

(١) كذا فى ل ، و . ورواية البيت فى سائر الأصول :

قتلتم سادتى عرضا فـــأنى على أكتافكم عبث حديد

(٢) علس بن دارم ، هذا ، بضمتين ، ومن سواه ، فهو على وزن زفر ، بضم ففتح . (مختلف القبائل . القاموس : علس) .

(٣) اللبون : ذات اللبن الغزيرة من النوق وغيرها . وجربت : هلكت . وأغدت : أصابتها الغدة ، وهى طاعون خاص بالإبل . (٤) التكملة من ل ، و .

وقال عمرو فى ذلك :

تَمنَّت مازِنٌ جَهْلاً خِلَاطِى ... فذاقتْ مازِنٌ طَعْمَ الخِلَاطِ(١)

أطَلتُ(٢) فِراطكم(٣) عامًا فعامًا ... ودَين المَذحجِىِّ إلى(٤) فِراط

أطلْتُ فِراطكم(٥) حتّى إذا ما ... قتلتُ سَراتكم(٦) كانت(٧) قَطَاطِ(٨)

غَدرْتم غَدرةً وغَدرتُ أخرى ... فما إنْ بيننا أبدًا يَعَاطِ(٩)

حديث قرشى ابتاع جارية استشهدت ببيت له

أخبرنى الحسينُ بن يحيى ، قال : قال حمّاد : قرأتُ على أبى : قال المدائنىُّ : حدّثنى رجلٌ من قريش ، قال :

كُنّا عند فلان القُرشىّ ، فجاءه رجلٌ بجارية ، فغَنَّتْه :

بالله يا ظَبْىَ بنِى الحارث ... هل مَن وَفَى بالعهدِ كالنّاكثِ

وغنّته أيضًا بغناء ابن سُريج :

يا طُولَ لَيْلِى وبتُّ لم أنِمَ ... وِسَادىَ الهمُّ مُبْطَنٌ سَقَمِى

فأعجبته واستام(١٠) مولاها ، فاشتطّ عليه . فأَبَى شراءها ، وأعجبت الجارية بالفتى ، فلما امتنع مولاها من البيع إلّا بشَطط ، قال القُرشىّ : فلا حاجةَ لنا فى جاريتك . فلما قامت الجاريةُ للانصراف رفعَتْ صوتَها تُغنِّى وتقول :

(١) خلاطى ؛ أى : منعى دون أخذى حقى . والخلاط فى الأصل : أن يخلط الرجل ماله بمال غيره ليبخس المصدق فيما يجب له . (٢) ب، س : «أطمت» . (٣) الفراط : الإمهال . (٤) ب ، س : «آتى» . (٥) اللسان (فرط ، قطط) : «فراطهم» . (٦) اللسان (فرط ، قطط) : «سراتهم» . (٧) وكذا فى اللسان (فرط) . وفى اللسان (قطط) : «قالت» . (٨) قطاط ؛ أى : حسبى . والمعنى : أطلت إمهالكم والتأنى بكم إلى أن قتلتكم . (اللسان : فرط ، قطط) . (٩) الأصول : «تعاطى» . والظاهر أنه محرف عما أثبتنا . ويعاط ، مثل قطام ؛ كلمة ينذر بها الرقيب أهله إذا رأى جيشا . يعنى أن ما بيننا وبينهم يكون مفاجأة لا يسبقه إنذار .

(١٠) استام : ساوم .

إذا لم تَسْتطعْ شيئًا فدَعْه   وَجاوِزْه إلى ما تَستطيعُ

قال : فقال الفتى القُرشىّ : أفأنا لا أستطيع شِراءك ؟ والله لأشترينَّك بما بلغتِ ؛ قالت الجارِيةُ : فذاكَ أرَدْتُ ؛ قال القُرشىُّ : إذًا لأَجَبْتُكِ ، وابتاعها من ساعتِه . والله أعلم .

* * *

نسبة ما فى هذا الخبر من الغناء

٣٦/١٤

صوت

باللهِ يا ظَبْىَ بَنى الحارثِ   هل مَنْ وَفى بالعَهدِ كالناكِثِ
لا تَخدَعَنّى بالمُنى باطلاً   وأنتَ بى تَلْعبُ كالعابثِ

عروضه من السريع . الشِّعر لعُمر بن أبى رَبيعة[1] . والغناء لابن سُريج ، رَمَلٌ بالبِنصر ، وفيه لِسياط خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى ؛ وفيه لإبراهيمَ الموصلىّ لحنٌ من رواية بَذْل .

ومنها :

صوت

يا طُولَ لَيلى وبِتُّ لم أنَم   وِسادِىَ الهَمُّ مُبْطَنٌ سَقَمِى
إذْ قُمتُ ليلاً على البَلاطِ فأبْـ   ـصَرْتُ رَشًا فلَيتَ لم أقُم[2]

---

(١) الديوان (ص : ٤٨٧) . (٢) رشا : أى : رشأ ، بالهمز ، فسهل . وهو الظبى إذا قوى ومشى مع أمه . يريد : امرأة . وفى ف ، له ، «زينبا» . وفى ط : «رببها» . وفى سائر الأصول : «رشاقا» ، والظاهر أنها محرفة عما أثبتنا .

فقلتُ عُوجِي تُخبِّرِى خبرًا وأنتِ منه كصاحب الحُلُم
قالت بل اخشى العُيونَ إذ حضرت حَوْلى وقلبى مُباشِرُ الألَم

عَرُوضه [من المُنسرِح . والشِّعر و] [١] الغناء لابن سُرَيج ، رَمَل بالسبَّابة فى مَجرى الوسطى ، عن إسحاق .

حديث تولية المأمون خراسان لطاهر وسماعه غناء المغنين فى شعر لعمرو

وذكر محمدُ بن الفضل ، قال : حدَّثنا أبى ، قال :

كانَ المأمونُ قد أطلق لأصحابه الكلامَ والمُناظرةَ فى مَجلسه ، فناظرَ بين يديه محمّدُ بن العبّاسِ الصُّولىُّ علىَّ بنَ الهيثم جُونَقا [٢] فى الإمامة ، فتقلَّدها أحدُهما ودفعها الآخر ، فَلجَّت المناظَرةُ بينهما إلى أن نَبَّط [٣] محمدٌ عليًّا ، فقال له علىّ : إنَّما تكلَّمتَ بلسان غَيرك ، ولو كنتَ فى غير هذا المجلس لسمعتَ أكثرَ مما قلتَ ؛ فغضِب المأمونُ وأنكر على محمد ماقاله ، وماكان منه من سُوء الأدب بحَضرته ، ونَهَض عن فَرشه ، ونَهض الجلساءُ فخرجوا ، وأراد محمدٌ الانصرافَ ، فمنعه علىّ بن صالح صاحبُ المُصلَّى ، وهو إذْ ذاك يَحْجُب المأمون ، وقال : فعلتَ [٤] مافعلتَ بحَضرة أمير المؤمنين ، ونَهَض على الحال التى رأيتَ ، ثم تَنصرفُ بغير إذن ؟ اجْلسْ حتى نَعرفَ رأيه فيك [٥] ، وأمر بأن يُجلس .

(١) التكملة من ط ، ف ، ل . وفيها جميعها : « من الخفيف » ، تحريف .
(٢) كذا فى ط ، ف ، ل ، و ، وبهذا اللقب يعرف على بن الهيثم . (انظر : معجم الأدباء (١٥ – ١٤٠) وبغية الوعاة (للسيوطى : ٣٥٨) . وقد مر قبل فى هذا الكتاب (انظر : الفهرست) . والذى فى سائر الأصول هنا ، وفى المختار : « جولنا » ، تحريف .
(٣) فى الاصول ، والمختار : « ثبط » ، بالثاء المثلثة . وظاهر أنها مصحفة عما أثبتنا . ونبطه : نسبه إلى النبط . وكأنه أراد أن يهجنه .
(٤) ب ، س : « أفعلت » . وما أثبتناه من سائر الأصول ، والمختار . (٥) المختار : « فاجلس حتى يرى رأيه فيك » .

قال : ومكث المأمونُ ساعةً [ثم خرج] ،(١) فجلس على سريره ، وأمرَ بالجُلساء فرُدُّوا إليه(٢) ، فدخل إليه على بن صالح فعرّفه ما كان من أمرِ(٣) محمد في الانصراف ، وما كانَ من منْعه إيّاه ؛ فقال : دَعْه ينصرف إلى لعنةِ الله ، فانصرف . وقال المأمونُ لجلسائه : أتدرُونَ لمَ دخلتُ إلى النِّساء في هذا الوقت ؟ قالوا : لا ؛ قال : إنّه لمّا كان من أمْرِ هذا الجاهلِ ما كان لم آمَنْ فَلتاتِ الغَضَب ، وله بنا حُرْمة ، فدخلتُ إلى النِّساء فعابثْتُهنّ(٤) حتّى سَكَن غضبي .

قال : وما مَضى محمدٌ عن وَجهه إلّا إلى طاهر(٥) ، فسأله الرُّكوب إلى المأمون ، وأن يَستوهبه جُرْمَه ؛ فقال له طاهر : ليس هذا من أوقاتي ، وقد كَتب إليّ خليفتي في الدار أنّه قد دَعا بالجُلساء ؛ فقال : أكرهُ أن أبيت ليلةً ، وأمير المؤمنين عليّ ساخط . فلم يزل به حتى ركب طاهر معه ، فأُذِن له ، ومجيرٌ الخادم واقفٌ على رأس المأمون ، فلمّا بَصُر المأمونُ بطاهر أخذَ منْديلاً(٦) فمَسَح به عينَيْه مرّتين أو ثلاثًا ، إلى أنْ وَصل إليه وحرَّك(٧) شفتَيه بشيء أنكره طاهر ، ثم دَنا فسَلَّم ، فردَّ السلامَ ، وأمره بالجُلوس ، فجلسَ في موضعه ، فسَأله عن مَجيئه في غَير وقته ، فعرّفه الخَبرَ واستوهبه ذَنْبَ محمد ، فوَهبه له وانصرف ؛ وعرّف

(١) التكملة من مختار الأغاني . (٢) المختار : « إلى المجلس » .
(٣) الأصول : « ما كان من قول على بن محمد » وما أثبتنا من مختار الأغاني . (٤) كذا في ط . وفي ب ، س : « فعانقتهن » . وفي سائر الأصول : « فعاتبتهن » . والرواية في المختار : « فلاعبتهن » . (٥) المختار : « ومضى محمد من وجهه إلى طاهر » .
(٦) المختار : « منديلا من بين يديه » . (٧) المختار : « حتى وصل طاهر وحرك فيه » .

محمدًا ذلك. ثم دَعا بهارون بن جَبْغويَه[١]، وكان شيخًا خراسانيًا داهيةً ٣٧/١٤ ثقَة عنده، فذَكر له فِعلَ المأمون، [من تحريك شَفتيه ومسح عينيه][٢]، فقال له[٣]: كاتِبْ مُجيرًا[٤] والطُفْ له، واضمنْ له عَشرةَ آلاف درهم على تَعريفك ما قاله المأمون. ففَعل ذلك ولطَف[٥] له، فعرّفه أنّه لما رأى طاهرًا دَمَعت عيناه وتَرحّم على محمد الأمين، ومَسح دَمْعَه بالمِنْديل.

فلما عرَف ذلك طاهرٌ رَكِب من وَقْته إلى أحمدَ بن أبى خالد الأحْول - وكان طاهرٌ لا يَركب إلى أحد من أصحاب المأمون، وكلُّهم يَركب إليه - فقال له: جئتُكَ لتولِّيَنى خراسانَ وتحتالَ لى فيها - وكان أحمد يَتولّى فَضَّ الخرائط بين يدَى المأمون، وغسّانُ بن عَبّاد يَتولّى، إذْ ذاك، خراسان - فقال له أحمدُ: هلّا أقمتَ بمنزلك وبَعثت إلىّ حتى أصِيرَ إليك ولا يُشْهر الخبرُ فيما تُريده مما ليس من عادتك[٦]، لأنّ المأمون يعلم أنّك لا تَركب إلى أحد من أصحابه، وسيبلغه هذا فيُنكره، فانصرف وأغْضِ[٧] عن هذا الأمْر. وأمهِلْنى مدّةً حتى أحتال لك [فيه][٨]. فلَبث مُدّةً، ثم[٩] زوّر ابن أبى خالد كتابًا عن غسّانَ بن عبّاد إلى المأمون، يَذكر فيه أنّه عَليلٌ لا يأمن على نَفسه، ويسأل أن يَستخلف غيرَه على خُراسان، وجعلَه فى خَريطة، وفَضّها بين يدى المأمون، فى خرائط وَردتْ

(١) الأصول، والمختار: «خنمويه». وما أثبتنا من تصويبات جويدى على الأغانى. (انظر «جدول كتاب الأغانى»: ص ٦٨٠ طبعة أوربة).

(٢) التكملة من المختار. (٣) الأصول: «وقال له». وما أثبتنا من المختار. (٤) الأصول: «الق كاتب مجير». وما أثبتنا من المختار. (٥) المختار: «والطف له». (٦) المختار: «ولا يشتهر الخبر بما تريده مما ليس بعادتك». (٧) ب، س، والمختار: «وغض». (٨) التكملة من المختار. (٩) الأصول: «وزور». وما أثبتنا من المختار.

عليه . فلما قرأ على المأمون الكِتابَ اغتمّ به ، وقال له : ما ترى ؟ فقال : لعلّ هذه علّةٌ عارضةٌ تَزول ، وسَيرِدُ بعد هذا غيرُه فيرى حينئذ أميرُ المؤمنين رأيَه . ثم أمسكَ أيّامًا ، وكَتب كتابًا آخَرَ ودَسّه فى الخرائط ، يَذْكرُ فيه أنه تَناهَى فى العلّة إلى ما لا يَرْجو معه نَفْسَه . فلما قرأه المأمون قَلِق ، وقال : يا أحمد ، إنه لا مَدْفَع لأمر خراسان ، فما تَرى ؟ فقال : هذا رأيٌ إن أشرت فيه بما أرى فلم أُصِب لم أَسْتَقِلْه[1] ، وأمير المؤمنين أعلَمُ بخَدَمه ومن يَصلُح بخراسان منهم . قال : فجعلَ المأمونُ يُسمِّى رجالاً ، ويَطعن أحمدُ فيهم واحدًا بعد واحد[2] ، إلى أن قال : فما تَرى فى الأعور ؟ قال : إن كان عندَ أحد قيامٌ بهذا الأمْر ونُهوضٌ فيه فعنده . فدَعا به المأمون ، فعقَد له على خُراسان ، وأمَره أن يُعسكر بمُعسكر[3] بباب خراسان ، ثم تَعقّب الرأيَ ، فعلم أنّه قد أخطأ ، فتوقّف عن إمضائه ، وخَشِي أن يُوحِش طاهرًا بنَقْضه ، فمَضى شهرٌ تامٌّ وطاهرٌ مُقيمٌ بمعسكره . ثمّ إنّ المأمون فى السَّحَر ، من ليلة أحد وثلاثين يومًا من عَقْدِه له ، عَقد اللِّواء لطاهرٍ ظاهرًا ، وأمر بإحْضار مُخارق المغنِّى فأُحْضِر ، وقد صلّى المأمون الغداةَ مع طُلوع الفجر ، فقال : يامُخارق ، أتُغنِّى :

إذا لم تَستطع شيئًا فدَعْهُ ... وجاوِزْهُ إلى ما تَستطيعُ
وكيف تريدُ أن تُدْعَى حَكِيمًا ... وأنت لكُلِّ ما تَهوىٰ تَبُوعُ[4]

(١) لم أستقله : لم أطلب إعفائى من الخطأ فيه . والذى فى الأصول : «لم أستقبله» .
(٢) ب ، جـ ، س : «ويطعن أحمد على واحد واحد منهم» . وماأثبتنا من سائر الأصول والمختار . (٣) الأصول : «فسكر» . وما أثبتنا من مختار الأغانى .
(٤) تبوع : تابع .

قال : نعم ؛ قال : هاته . فغنّاه ، فقال : ما صَنعت شيئًا ، فهل تَعرفُ من يقوله أحسنَ ممّا نقوله[١] ؟ قال : نعم ، عَلُّوَيْه الأعسر . فأمر بإحضاره . فكأنّه كان وراءَ السِّتر ، فأمَره أن يُغَنِّيَه ، فغنّاه واحْتفل ، فقال : ما صنعتَ شيئًا ، أتعرف مَن يقوله أحسنَ ممّا تقوله ؟ قال : نعم ،عَمرو بن بانة شَيخنا ؛ فأمَر بإحْضاره ، فدَخَلَ فى مِقدار دُخول عَلُّويه ، فأمر بأن يُغنِّيه الصوتَ ، فغنّاه [فأحْسن][٢] ، فقال : أحسنتَ ما شِئت[٣] ، هكذا يَنبغى أن يُقال ؛ ثم قال : يا غلام ، اسْقِنى رطْلاً ، واسْق صاحبَيْه رِطلاً رطلاً . ثم دَعا له بعشرة آلاف درهم ، وخلْعة ثلاثة أثواب[٤] ؛ ثم أمَره بإعادته ، فأعاده ، فردَّ القولَ الذى قاله ، وأمَر له بمثل ما أمر ، حتّى فَعل ذلك عَشْرًا ، وحصل لعمرو مائة ألف درهم وثلاثون ثوبًا . ودخَل المُؤذّنون فأذّنوا بالظُّهر ، فعَقد[٥] إصْبعَه الوُسطى ٣٨/١٤ بإبهامه وقال : بَرقٌ يَمان ، برقٌ يَمان . وكذلك كان يفعل إذا أراد أن يَنصرفَ من بحضرته من الجُلساء ؛ فقال عمرو : يا أمير المؤمنين ، قد أنْعمتَ علىّ وأحسنتَ إلىّ ، فإنْ رأيتَ أن تأْذن لى فى مُقاسمة أخوىَّ[٦] ما وصَل إلىّ ، فقد حَضَراه ؟ فقال : ما أحسنَ ما استَمحْتَ لهما ، بل نعطيهما نحنُ ولا نلحِقهما بك ، وأمَر لكُلّ واحد بمثل[٧] جائزة عمرو ، وبَكرَ إلى طاهر فرَحَّله ، فلما ثَنى عنانَ دابتِه مُنصرفًا دَنا

(١) المختار : « من يقول أحسن مما تقول » .

(٢) التكملة من ط . (٣) وكذا فى المختار . وفى ب ، س : « ماغنيت » . (٤) المختار : « وثلاثة أثواب » . (٥) و كذا فى المختار . والذى فى ط ، ف ، ل ، و : « فنقد » .

(٦) كذا فى أكثر الأصول ، والمختار . والذى فى ط ، ف ، و : « إخوى » .

(٧) كذا فى أكثر الأصول ،والمختار. وفى ف: « بنصف » .

منه حُميدُ الطوسيّ فقال: اطرح على ذَنَبه ترابا[١]؛ فقال: اخسأ يا كلب. ونَفَذ[٢] طاهر بوجهه، وقدم غسّان بن عبّاد، فسأله عن علته وسببها، فحلف له أنّه لم يكن عليلاً، ولا كتبَ بشيء في هذا. ففهم المأمون أنّ طاهرا احتال عليه بابن أبي خالد، وأمسك على[٣] ذلك. فلما كان بعد مُدة من مقدم طاهر إلى خراسان، قَطَعَ الدعاءَ للمأمون على المنبر يوم الجمعة، فقال له عون بن مجاشع بن مسعدة صاحب البريد: لم تَدْعُ في هذه الجمعة لأمير المؤمنين؟ فقال: سَهوٌ وَقَع فلا تكتب به. وفعل مثل ذلك في الجمعة الثانية، وقال لعون: لا تكتب به، وفعله في الجمعة الثالثة. فقال له عون: إنّ كتب التجّار لا تنقطع من[٤] بغداد، وإن اتّصلَ هذا الخبرُ بأمير المؤمنين من غيرنا لم آمَنْ أن يكون سبب زوال نعمتي؛ فقال: اكتب بما أحببت، فكتب إلى المأمون بالخبر، فلما وصل كتابه دعا بأحمدَ بن أبي خالد، وقال: إنه لم يذهب عليّ احتيالك في أمر طاهر وتمويهُك له، وأنا أعطي الله عهدا لئن لم تُشخص حتى توافيني به كما أخرجته من قبضتي وتصلحْ ما أفسدته عليّ من أمر مُلكي[٥] لأبيدَنّ غضراءك[٦]. فشخص أحمدُ وجعل يتلوم[٧] في الطريق ويقول لأصحاب البُرُد: اكتبوا بخبر علة[٨] أجدها. فلما وصل الريّ لقيته الأخبارُ، ووافاه رسولُ طلحة بن طاهر بوفاة طاهر، فأغذّ السيرَ حتى

(١) كذا في الأصول، والمختار. ولعله يطلب إليه أن يعفي على أثر ما خلف وراءه.
(٢) ب، س: «وبعد». والذي في المختار: «وسار».
(٣) المختار: «عن». (٤) المختار: «عن». (٥) المختار: «ملكي».
(٦) الغضراء: المتعة والخير والسعة. وفي المختار: «لتفنين عاقبتك».
(٧) يتلوم: يتلبث. (٨) المختار: «بخبر علي».

قَدِم خراسانَ ، فلقيه طلحةُ على حين[٧] غَفْلة ، فقال له أحمد : لا تُكلِّمْنى ولا ترنى وَجْهَك . فإنَّ أباك عَرّضنى للعطَبِ وزوال النعمة ، مع احتيالى له ، وسَعْيى [إنما] [١] كان فى مَحبّته ؛ فقال له : أبى (الآن] [٨] قد مضى لسبيله ، ولو أدركتَه لما خَرجَ عن طاعتك ، وأمّا أنا فأحْلف لك بكلّ ما تَسْكن به[٢] نَفسُك . وأبْذل كلَّ ما عندى من مال وغيره ، فاضمنْ له عنى حُسْنَ الطاعة ، وضَبْط الناحية ، والإخلاصَ فى النّصيحة[٣]. فكتب أحمدُ بخبره وخبر طاهر وخَبر طَلحة إلى المأمون ، وأشار بتَقليده . فأنفذ المأمون إليه اللواء والخِلَعَ والعَهْد ، وانصرفَ أحمدُ إلى مدينة السلام.

تضمين ابن هرمة شعره بيتا لعمرو

أخبرنى وكيعٌ ، قال : حدّثنى هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات ، قال : حدّثنى حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، قال :

مدح ابنُ هَرْمةَ رَجلاً من قُريش ، فلم يُثِبه ، فقال له ابنُ عمٍّ له : لا تَفعل ، فإنه شاعرٌ مُفوّه ؛ فلم يَقبلْ منه ، فقال فيه ابنُ هَرْمة :

فهلّا إذْ عجزتَ عن المَعالى ... وعمّا يَفعل الرَّجُل القَرِيعُ[٤]
أخذتَ برأى عَمرو حين ذَكّى ... وشبّ لناره الشرفُ الرّفيعُ[٥]
إذا لم تَستطع شيئًا فدَعْه ... وجاوِزْه إلى ما تَستطيعُ

شعر لعمرو فى أخته تسب لسهل ابن الحنظلية

٣٩/١٤

وممّا قاله عمرو بن معد يكرب فى رَيحانةَ أخته ، وغُنِّىَ فيه ، قولُه :

هاجَ لكَ الشّوق مِنْ رَيحانةَ الطَّرَبا ... إذْ فارقتكَ وأمْست دارُها غرُبًا[٦]

---

(١) فى أكثر الأصول : «على حد» . وما أثبتنا من ب ، س . (٨) التكملة من المختار .
(٢) المختار : «إليه» . (٣) المختار : «فى الصحبة» .
(٤) القريع : السيد والرئيس . (٥) لناره ؛ أى : نار قراه وكرمه . يعنى أن شرفه كان الباعث إلى شب ناره .
(٦) غرب : غريب ، وذكر على معنى المنزل .

مازلتُ أَحْبِس يومَ البَيْن راحلَتى
حتى استمرُّوا وأَذرَتْ[١] دَمعَها سَرَبا[٢]
حتّى ترفَّعَ بالحُزّان يَرْكُضها مِثلَ المَهاة مَرَتْه الرِّيحُ فاضْطَربا[٣]
والغانياتُ يُقَتِّلنَ الرِّجالَ إذا
ضَرَّجْن بالزَّعفران النيط[٤] والنُّقُبا[٥]
من كلِّ آنسة لم يَغْذُها عُدُمٌ[٦] ولا تَشُدُّ لشىء صَوتَها صَخَبا[٧]
إنَّ الغوانىَ قد أَهْلَكْننى وأَرَى حِبالَهنَّ[٨] ضَعِيفاتِ القوى كُذبا

غنّى فى هذا الشّعر ابنُ سُريج خفيفَ ثقيلٍ ،من رواية حمّاد . وفيه رَمل ، نَسبه حَبَش إليه أيضًا .

وقال الأَصمعىّ :

هذا الشِّعر لسَهْلِ بن الحَنظليّة الغَنَوىّ ، ثم الضَّبِينىّ ، ثم الجابرىّ ، وهو جابر بن ضَبِينة[٩] .

قال أبو الفرج الأَصبهانىّ :

---

(١) أذرت : أرسلت . و ف ب ، س : « ودرت » ، تحريف . (٢) سربا : سائلا . (٣) الحزان ، بضم الحاء وكسرها : جمع حزين ، وهو ما غلظ من الأرض . والمهاة : البقرة الوحشية . ومرته : استدرته وأخرجت ما عنده .

(٤) كذا فى الأصول ، ولعلها محرفة عن : الريط ، جمع ريطة ، وهى الملاءة من قطعتين.

(٥) النقب : جمع نقبة ، بالضم ، وهى ثوب كالإزار تجعل له حجزة مطيفة .

(٦) العدم ، بالضم وبضمتين : الحرمان . (٧) ب ، ج ، س : « ولا تسدد بشىء صوتها صخبا » .

(٨) فى أكثر الأصول : « قد أهلكنى تبعا » « وخلتهن » . وما أثبتنا من ط ، ف ، ل .

(٩) ضبينة ، كسفينة : أبوقبيلة . (القاموس : ضبن) .

وسَهْل بن الحَنظَلِيَّة[1] ، أحدُ أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وقد رَوى عنه حديثًا كثيرًا .

حديث هذا الشعر الذى نسب لسهل

فذكر الأصمعيُّ أنّ السَّبب في قوله هذا الشِّعرَ أنّه اجتمع ناسٌ من العَرب بعُكاظ ، منهم : قُرَّة بن هُبيرة القُشَيرى ، والمخَبّل ، وهو في جوار قرة بن هُبيرة القُشيرىّ ، في سنينَ تتابعَتْ على الناس ، فتواعَدُوا وتَواقَفوا أن لا يتغَاوروا[2] حتى يخصب الناس ، ثم قالوا : ابعثوا إلى المُنتشر بن وهب الباهليّ ، ثم الوائليّ ، فلْيَشهدْ أمْرنا ، وأنُدْخلْه مَعنا . فأتاهم فأعْلموه ما صنعوا ؛ قال : فما يأكلُ قومى إلى ذاك ؟ فقال له ابن حارم[3] الضَّبِّيّ : إنّك لهُناك يا أخا باهلة ؟ قال : أمّا أنا فالغسل والنساءُ علىّ حرامٌ حتىْ آكلَ من قَمَع إبلك[4] . فتفرّقوا ولم يكن إلّا ذلك . وقال ابن جارم للمُنتشر ، عند قوله : اسْتُكَ أضيقُ من ذاك . فأغار المنتشرُ على ابن جارم ، فلما رآه ابنُ حارم رَمَى

---

(١) الحنظلة : أمه ، وهو : سهل بن عمرو ؛ ويقال : الربيع بن عمرو ؛ وقيل : عقيب بن عمرو بن عدى بن زيد بن جشم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو ، وهو ثتبت بن مالك بن الأوس الأنصارى. شهد بيعة الرضوان واحد ، والخندق والمشاهد كلها ما عدا بدرا . (الاستيعاب ، ت : ١٠٨٣ ، الإصابة ، ت : ٣٥٢٥ ، تهذيب تهذيب : ٤ : ٢٥٠) . وهو غير سهل الذى ذكره الأصمعى ، وما ساقه ابو الفرج استطراد .

(٢) ان لا يتغاوروا ؛ أى : أن لا يغير بعضهم على بعض .

(٣) كذا فى ا ، ط ، ل ، و . والذى فى سائر الأصول وديوان الأعشين : « ابن حازم » . وقد جاء فى ديوان الأعشين (ص : ٢٦٦ ، طبعة اوربة) بالاثنتين ، قال اعشى باهلة :

سمى اليوم الجارمى سيدع ... إذا لم ينل فى اول الغزو عقبا

ويعده البيت الذى سذكره المؤلف بعد قليل ، وفيه : « ابن حارم » . وانظر الحاشية (رقم : ٣) .

(٤) القمع ، بالتحريك : جمع قمعة ، وهى أعلى السنام .

بنفسه فى وِجارِ ضَبُع ، وأطْرد المنتشرُ إبلَه ورِعاءها ؛ فقال سَهلٌ فى ذلك :

• هاج لك الشَّوْق من رَيْحانةَ الطَّرَبَا •

فى قصيدة طويلة له حَسنة . وقال فى ذلك أعْشى باهلة :

فِدًى لك نَفْسى إذْتركتَ ابنَ جارمٍ[1] أجَبَّ السَّنَام بعدَ ما كان مُصْعبَا[2]

وقال المُخبَّل فى ذلك :

إنَّ قُشَيرا من لِقاح ابن جَارم[3] كغاسلة حَيْضًا وليستْ بطَاهِرِ
وأُنبِئْتُمانى أنَّ قُــــرَّةَ آمِنٌ فناك[4] أباه من مُجير وخافِرِ
فلا تُوكلوها الباهلىَّ وتَقْعُدوا لَدَى غَرَض أرْمِيكُمُ بالنَّواقِرِ[5]
إذا هى حلَّتْ بالذَّهاب وذى حُسًى[6]
وراحت خفافَ الوَطْء حُوسَ[7] الخواطر

بين عمرو والأشعث وقد تنازعا

أخبرنا أحمدُ بن عبيدالله بن عمّار ، قال : أخبرنى يعقوبُ بن إسرائيل ، قال : حدّثنى قَعْنَبُ بن المُحرِز[8] ، قال : أخبرنا الهَيْثمُ بن عَدِىّ ، عن ابن عيّاش[9] ، عن محمد بن المُنْتشر ، قال :

أخبرنى من شَهِد الأشعثَ بن قيس . وعَمرو بن معديكرب ، وقد تنازعا

(١) ديوان الأعشين : « ابن جازم » . (٢) الأجب : المقطوع السنام ، والمصعب : الفحل الكريم .
(٣) الأصول : « ابن حازم » . (انظر الحاشية : ٣ ص : ٥٥٦٣) (٤) جـ : « فناله » ب ، س : « قتالاه » . (٥) كذا فى ط ، و . والنواقر : السهام . والذى فى سائر الأصول : « بالتواتر » .
(٦) الذهاب ، بضم أوله وكسره : غائط من أرض بنى الحارث بن كعب . وذو حسى : واد بأرض الشربة ، من ديار عبس وغطفان . (٧) حوس : بطاء ؛ الواحد : أحوس وحوساء . وفى ب ، س : « حوش » ، بالشين المعجمة . (٨) الأصول : « المحرز » ؛ تصحيف . وضبطه الذهبى فى المشتبه وابن حجر فى تبصير المنتبه ، بالعبارة : « بمهملتين ، بوزن محمد » . (تبصير المنتبه ١٢٦١ - ١٢٦٢) . (٩) كذا فى أكثر الأصول ، وهو : عبدالله بن عياش . (ميزان الاعتدال فى ترجمة الهيثم بن عدى ٤ : ٣٢٤) والذى فى جـ : « عن ابن عباس » .

فى شىء ، [عند سعد بن أبى وقاص][1] فقال عمرو للأشعث : نحنُ قتلنا أباك ونكْنا أمّك ؛ فقال سعد : قوما أفٌ لكما ؛ فقال الأشعث لعمرو : والله لأُضَرِّطنك ؛ فقال : كلّا إنها عزوز مُوثقة[2] .

جرير البجلى فى قوة عمرو والأشعث

قال جرير بن عبد الله البجلى :

فأخذت بيد الأشعث فنترته[3] فوقع على وجهه ، ثم أخذت بيد عمرو فحلَبْته فما تَحلْحل[4] والله ، لكأنّما حرّكت أسطوانة القَصْر .

٤٠

وقال أبو عُبيدة :

١٤

هو والأجلح بين يدى عمر ابن الخطاب

قَدِم عمرو بن معديكرب ، والأجْلح بن وقاص الفهمىّ ، على عُمر بن الخطّاب ، رضى الله عنه ، فأتياه ، وبين يديه مال يُوزن ، فقال : متى قدمتما ؟ قالا : يومَ الخميس ؛ قال : فما حبَسكما ؟ قالا : شغلنا بالمنزل يوم قدمنا ، ثم كانت الجُمعة ، ثم غدونا عليك اليوم . فلما فرغ من وزن المال نحاه ، ثم أقبل عليهما فقال : هيه ! فقال عمرو : يا أمير المؤمنين ، هذا الأجلح بن وقاص ، شديد المِرّة ، بعيد[5] الغَرّة ، وشيك[6] الكرّة ، والله ما رأيت مثله من الرجال صارعا ومصروعا ، والله لكأنه لا يموت ؛ فقال عُمر للأجلح بن وقاص ، وأقبلَ عليه : هيه ؛ قال ، وأنا أعرف الغضب فى وجهه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، الناس صالحون ، كثير نَسْلهم ، دارّة أرزاقهم ، خصب نبّاتهم ، أجْرِياء على عدوّهم ، جبان عدوهم عنهم ، صالحون بصلاح إمامهم ، والله ما رأينا

(1) التكملة من ل . (2) كذا فى ط ، ل ، و . والعزوز من الشاه : البكئة القليلة اللبن الضيقة الإحليل ، جعله استه من ذلك ، تلة إفلات وضيق مخرج . وفى ج : «عزوز» . وفى ف : «غرور» . (3) نتره : جذبه بشدة . (4) المختار : «تخلخل» .

(5) ب ، س : «الفرة» . وما أثبتنا من سائر الأصول ، والمختار . (6) المختار : «شديد» .

مِثلَك إلا مَن تَقدَّمك ، فنَستمتعُ اللهَ بك[١] ؛ فقال : ما مَنعك أن تقول فى صاحبك مثلَ الذى قال فيك ؟ قال : مَنعَنى ما رأيتُ فى وَجهك ؛ قال : قد أصبتَ ، أمَا لو قلت له مِثلَ الذى قال لك لأَوجعتُكما عُقوبةً[٢].

فإنْ تركتُك لِنفْسك فسوف أتْركه لك[٣] ، والله لَوددتُ لو سَلِمَتْ لكم حالكُم هذه أبداً ، أمَا إنّه سيأْتى عليك يومٌ تَعضُّه ويَنْهشك ، وتَهرُّه ويَنْبحك ، ولستَ له يومئذ وليس لك ، فإنْ لم يكن بعَهْدكم[٤] فما أقربَهُ منكم[٥] .

هو وبشر بن ربيعة وغنائم القادسية وشعرهما فى ذلك

قال أبو عبيدة : حدّثنا يونُس ، وأبو الخطّاب ، قالا :

لمَا كان يومُ القادسيَّة أصاب المسلمون أسلحةً وتيجانًا ومَناطق ورِقابًا[٦] ، فبلغتْ مالاً عظيمًا ، فعزل سَعدٌ الخُمْس ، ثم فَضَّ البقيّة[٧] ، فأصاب الفارسَ سِتةُ آلاف ، والراجلَ ألفان ، فبَقى مالٌ دَثْر[٨] ، فكَتب إلى عمر ، رضى الله عنه ، بما فَعل ، فكتب إليه : أنْ رُدَّ على المُسلمين الخمس ، وأعْطِ من لَحِقَ بك ممّن لم يَشهدَ الوَقْعة ؛ ففعل ، فأجْراهم مَجرى من شَهِد[٩] ، وكَتب إلى عمر بذلك ، فكتب إليه : أنْ فُضَّ ما بَقى على حَمَلة القُرآن . فأتاه عَمرو بنُ معد يكربَ ، فقال [له][١٠] : ما معك

(١) أى : نسأل الله أن يمتعنا بك . (٢) المختار : « ضربا وعقوبة » .
(٣) المختار : « فإن تركتك لنفسك فإنى ساتر للك » . (٤) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، س : « بعدكم » . وفى المختار : « بعيدا » . (٥) كذا فى ط ، ف ، ل ، و ، والمختار . والذى فى سائر الأصول : « فما أقربكم منكم » .
(٦) و : « وذوائب » . وفى المختار : « ورقاب وغير ذلك » . (٧) فض البقية ؛ أى : فرقها . (٨) دثر : كثير . (٩) المختار : « ففعل وأجرى من لم يشهد مجرى من شهد » .
(١٠) التكملة من المختار .

مِن كتاب الله تعالى ؟ فقال : إنى أَسْلمت باليمن ، ثم غزوتُ فشُغِلتْ عن حفظ القرآن ؛ قال : ما لَك فى هذا المال نصيبٌ .

قال : وأتاه بِشْر بن ربيعة الخَثْعمىّ ، صاحبُ جبّانة بِشْر ، فقال : ما معك من كتاب الله ؟ قال : بسم الله الرحمن الرحيم . فضَحِكَ القومُ منه ، ولم يعطه شيئًا ؛ فقال عمرو فى ذلك :

إذا قتلنا ولا يَبْكى لنا أحدٌ ... قالت قريش ألا تلك المَقاديرُ
نُعطى السَّوِيّةَ مِن طَعْنٍ له نَفَذٌ ... ولا سَوِيّةَ إذ تُعْطَى الدَّنانيرُ(1)

وقال بشرُ بن ربيعة :

أَنَخت بباب القادسيّة ناقَتى ... وسَعْدُ بنُ وقّاص(2) علىَّ أميرُ
وسَعْدٌ أميرٌ شرُّه دونَ خيره ... وخَيْرُ أميرٍ بالعِراق جَرِير
وعند أمير المؤمنين نَوافلٌ ... وعند المُثنَّى فضّةٌ وحرير
تذكَّرْ هداكَ الله وقْعَ سُيوفنا ... بباب قُدَيس والمكَرُّ عسير(3)
عَشيّة ود القومُ لو أنّ بعضهم ... يُعَار جَناحَىْ طائرٍ فيَطير
إذا ما فرغنا من قِراعِ كتيبة ... دَلَفْنا لأخرى كالجبال تَسير
تَرى القومَ فيها واجمين(4) كأنّهم ... جمالٌ بأحْمال لهنّ زَفير

فكتب سعدُ إلى عُمر ، رضى الله تعالى عنه ، بما قال لهما وبما ردّا عليه ، وبالقصيدتين(5) ، فكتبَ : أنْ أعطِهما على بلائهما . فأعطى كلَّ واحد منهما ألفى درهم . ٤١/١٤

(1) السوية : العدل . (2) يعنى : سعد بن ابى وقاص .
(3) قديس : موضع بناحية القادسية . (4) ب ، س : « فيها أجمين » ، تحريف .
(5) المختار : « من القصيدتين » .

كتاب عمر إلى سلمان فى شأنه وشأن طليحة

قال : وحدّثنى أبو حفص السُّلمى ، قال :

كتب عمر إلى سلمان[١] بن ربيعة الباهلىّ : إنّ فى جندكَ عَمرو بنَ معد يكرب ، وطُليحة بن خويلد الأسدىّ ، فإذا حَضر الناسُ فأدْنهما وشاوِرْهما وابعثْهما فى الطّلائع ، وإذا وَضعت الحرب أوزارَها فضعْهما حيثُ وضعا أنفسَهما . يعنى بذلك : ارتدادهما ، وكان عمرو ارتدّ وطليحة تنبّأ .

كتاب عمر إليه وقد بلغه عنه مقاله لأميره

قال : وحدّثنا أبو حَفص السُّلمىُّ ، قال :

عَرض سَلمان[١] بنَ ربيعة جُندَه بأرْمينية ، فجَعلَ لا يقبل إلا عَتيقًا ، فمر به عَمرو بن معد يكرب بفرسٍ غَليظ ، فقال سَلمان : هذا هجين ؛ فقال عمرو : والهَجينُ يعرف الهَجين . فبلغ عمرَ ، رضى الله تعالى عنه ، قولُه ، فكتب إليه : أمّا بعد ، فإنك القائلُ لأميرك ما قلت ، وإنه بلغنى أنّ عندك سيفًا تُسميه : الصَّمصامة ، وعندى سيفٌ أسمّيه : مُصمِّمًا ، وأُقسم[٢] لئنْ وَضعته بينَ أذنيك لا أُقلع حتّى يبلغ قِحْفَك[٣] . وكتب إلى سَلْمانَ يلومه فى حِلْمه عنه .

كتاب عمر إلى النعمان بن مقرن فيه وفى طليحة

قال :

وزعموا أنّ عَمرًا شَهد فتحَ اليَرموك ، وفتحَ القادسيّة ، وفتح نَهاوَند ، مع النُّعمان بن مُقرِّن المُزنىّ ، وكتب عُمر إلى النُّعمان : إنّ فى جُندك رجُلَين : عمرو بن معد يكرب ، وطُليحة بن خويلد الاسدىّ ،

(١) ب ، جـ ، س : « سليمان » ، تحريف . (انظر : تهذيب التهذيب ٤ : ١٣٦ ، جمهرة أنساب العرب : ٢٤٧) .

(٢) ب ، س : « واسمه مصمم » . (٣) القحف : عظم الدماغ .

من بنى قَعَين ، فأَخْبِرْهما الحَرْب وشاوِرْهما فى الأمْر ، ولا تُولِّهما عملاً . والسّلام .

* * *

صوت

خَليلىَّ[1] هُبَّا طالما قد رَقَدْتُما ... أَجِدَّكما لا تَقْضِيان[2] كَرَاكما
سأَبْكيكما[3] طولَ الحياة وماالذى ... يَرُدُّ على ذى لَوْعة أنْ بَكاكما

ويُروى : ذى عولة[4] .

الشعر لقُسّ بن ساعدةَ الإيادىّ ، فيما أخبرنا به محمدُ بن العبّاسّ اليزيدىّ ، فى خبر أنا ذاكرُه هاهنا .

وذكر يعقوبُ بن السكّيت أنّه لعيسى بن قدامة الأسدى .

وذكر العُتبى أنّه لرجلٍ من بنى عامر بن صعصعة ، يقال له : الحسن ابن الحارث .

والغناء لهاشم بن سليمان ، ثقيلٌ أوّل بالوُسطى ، عن عمرو .

---

(١) معجم البلدان (راوند) : « نديمى » . وقد روى فيه هذا الشعر لقس بن ساعدة ، ثم جاء بعه : « وقال آخرون : هذا الشعر لنضر بن غالب يرثى اوس بن خالد وأنيسا » .

(٢) التجريد : « ما تقضيان » . (٣) معجم البلدان : « وابكيكما » .

(٤) وهى رواية التجريد ، ومعجم البلدان .

ذكر خبر

قس بن ساعدة

ونسبه وقصته فى هذا الشعر

نسبه

* هو: قُسّ بن ساعدة بن عمرو – وقيل مكان عمرو: شمْر[1] – ابن عدىّ بن مالك بن أيْدعان[2] بن النَّمر بن واثلة بن الطمثان بن زيد مناة[3] بن يَقْدُم بن أفْصَى بن دُعْمِىّ بن إياد[4].

شىء عنه

خطيبُ العرب وشاعرها، وحَليمها وحَكيمها[5] فى عصره.

يُقال: إنه أوّلُ مَن عَلا على شَرَف وخطب عليه، وأوّل مَن قال فى كلامه: أمّا بعد، وأول من اتّكأ عند خطبته على سَيف أو عَصًا.

إدراك رسول الله صلى الله عليه وسلم له

وأدْركه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قبلَ النُّبوة، ورآه بعُكاظ، فكان يأْثُر عنه كلامًا سَمِعه منه. وسُئل عنه، فقال: يُحشر أُمّةً وحدَه.

وقد سمعتُ خبرَه من جهات عِدّة، إلا أنّه لم يَحضُرنى وقتَ كتبتُ

---

* التجريد (١٦٥٣ – ١٦٥٥) والمختار (٦ : ٢٢٣ – ٢٢٦) خزانة الأدب (١ : ٢٦٨–٢٦٨). كتاب المعمرين للسجستانى (ص : ٦٩–٧١) الإصابة لابن حجر (ت:٧٣٤٢).

(١) وهى رواية جمهرة أنساب العرب (ص : ٣٢٧ – ٣٢٨). (٢) شرح القاموس (طمث): «وأيدغان» بالغين المعجمة. (٣) كذا فى ب، س، ط، وهو يتفق وما جاء فى مختلف القبائل (ص : ١٣) والمقتضب (ص: ٦٥). وفى جـ، ف، ل: «عودمناة». وهى رواية شرح القاموس «طمث». وقريبة منها رواية الخزانة، ففيها: «عود بن مناة». وفى سائر الأصول: «عبد مناة»، وكذا فى التجريد، والمختار، والجمهرة. (٤) ساق السجستانى فى كتابه المعمرين نسب قس كما يلى: «قس بن ساعدة بن حذافة بن زفر، وقيل: حذافة بن زهر، ابن إياد بن نزار». وقد نقل هذا البغدادى وجعله رواية أخرى. وقريب منه ما فى الإصابة: «قس بن ساعدة بن جذامة بن زهر بن إياد».

(٥) وكذا فى التجريد، وفى المختار: «وحكمها».

هذا الخبر غيرهُ ، وهو وإن لم يكن من أقواها ، على مَذْهب أهل الحديث ، إسنادًا ، فهو من أتمّها .

بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين وفد إياد في شأنه

٤٢ / ١٤

أخبرنى محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدّثنا أبو شُعيب صالح ابن عِمران ، قال : حدّثنى عُمر بن عبد الرحمن بن حَفْص النَّسائى ، قال : حدّثنى عبد الله بن محمد ، قال : حدّثنى الحسن بن عبد الله ، قال : حدّثنى محمد بن السائب ، عن أبى صالح ، عن ابن عبّاس ، قال :

لمَّا قدِم وَفدُ إيادَ على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، قال : مافَعَلَ قُسّ ابن ساعدة ؟ قالوا : مات يا رسول الله ؛ قال : « كأنّى أنْظرُ إليه بسُوقِ عُكاظَ على جَملٍ له أوْرَق[1] ، وهو يتكلم بكلامٍ عليه حَلاوةٌ ، ما أجِدُنى أحفظه ؛ فقال رجلٌ من القوم : أنا أحْفظه يا رسولَ الله ؛ قال : كيف سمعته يقول ؟ قال سَمعته يقول :

أيُّها الناس ، اسمَعُوا وعُوا[2] ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكلُّ ما هو آت آت . ليَلٌ داج ، وسماءٌ ذات أبْراج ، بحارٌ تزْخَر ، ونُجومٌ تَزْهر ، وضَوءٌ وظَلام ، وبِرٌ وآثام ، ومَطْعَمٌ ومشْرَب ، وملبَس[3] ومرْكب ؛ مالى أرى الناسَ يذهبونَ ولاَ يرجعون ؟ أرَضُوا بالمُقام فأقاموا ، أم تُرِكوا فناموُا ؟ وإلهِ قُسّ بن ساعدةَ ما على وجهِ الأرض دِينٌ أفضلُ من دِينٍ قد أظلّكم زمانُه ، وأدرككم أوانُه ، فطُوبَى لمن أدركه فاتّبعه ، وويلٌ لمن خالفه . ثم أنشأ يقول :

---

(١) الأورق من الإبل : ما فى لونه بياض إلى سواد . وفى البيان والتبيين (١ : ٣٠٨ ، طبعة لجنة التأليف) والعقد الفريد (٤ : ١٢٨ طبعة لجنة التأليف) : « أحمر » .

(٢) البيان والتبيين : « اجتمعوا واسمعوا وعوا » . (٣) البيان والتبيين : « لباس » .

في الذاهبين الأوّليـ ... ن من القرون لنا بَصائرْ
لما رأيت مـوارداً ... للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها ... يمضي الأصاغر والأكابر[1]
أيقنت أني لا محا ... لة حيث صار القومُ صائر[2]

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يرحم الله قسا ، إني لأرجو أن يُبعث يوم القيامة أمةً وحده . فقال رجل : يا رسول الله : لقد رأيت من قس عجبا ؛ قال : وما رأيت ؟ قال : بينا أنا بجبل ، يقال له : سِمْعان ،[3] في يوم شديد الحر ، إذْ أنا بقس بن ساعدة تحت ظل شجرة عند عين ماء ، وعنده سباع ، كلما زأر سبع منها على صاحبه ضربه بيده ، وقال : كفّ حتى يشرب الذي ورد قبلك . قال : ففرقت ؛ فقال : لا تخفْ ، وإذا أنا بقبريْن بينهما مسجد ، فقلت له : ما هذان القبران ؟ قال : هذان قبرا أخوين كانا لي فماتا ، فاتخذت بينهما مسجدا أعبدُ الله جلّ وعز فيه ، حتى ألحق بهما ، ثم ذكر أيامهما فبكى ، ثم أنشأ يقول :

خليلي هُبَّا طالما قد رقدتما ... أجدكما لاتقضيان كرَاكما[4]

---

(١) زاد المختار بعد هذا البيت بيتا ، وهو :
لا يرجع الماضي إلى ... ولا من الماضين غابر
ورواية هذا البيت في البيان ، والعقد الفريد :
لا يرجع الماضي ولا ... يبقى من الباقين غابر
(٢) وانظر خبر هذا أيضا في : صبح الأعشى (١ : ١١٢) ، إعجاز القرآن (ص : ١٢٤) ، مجمع الأمثال للميداني (١ : ٧٤) . (٣) سمعان ، بالكسر : جبل في ديار بني تميم .
(٤) مر هذا البيت والتعليق (ص : ٥٥٦٩) .

أَلَم تَعلما أَنِّى بِسِمْعانَ مُفْرَدٌ   ومالِىَ فيهِ مِن حَبيبٍ سِواكما[١]
أُقيمُ على قَبرَيْكما لست بارِحًا   طَوَالَ اللَّيالى أَو يُجيبَ صَداكما
كأَنَّكما والموتُ أَقربُ غاية   بجِسْمِىَ فى قَبْرَيْكما قد أَتاكما
فلو جُعِلتْ نَفْسٌ لِنَفس وقايةً   لجُدْتُ بنَفْسى أَن تكونَ فِداكما

فقال النبىُّ صلى الله عليه وسلم : يَرحم الله قُسًّا .

قول ابن السكيت فى نسبة الشعر إلى ابن قدامة

وأَما الحكاية عن يَعقوب بن السِّكِّيت : أَنَّ الشِّعر لعيسى بن قُدامة الأَسدىّ ، فأَخبرنى بها علىّ بن سليمان الأَخفش ، عن السَّكونىّ[٢] ، قال : قال يَعْقوب بن السِّكِّيت :

قال عيسى بن قُدامة الأَسدىّ ، وكان قدِم قاشان[٣] ، وكان له ندمان فماتَا ، وكان يَجىءُ فيَجلس عند القَبْرين ، وهما برَاوَنْد[٤] ، فى موضعٍ يقال له خُزَاق[٥] ، فيَشرب ويَصبُّ على القَبرين حتَّى يَقْضِىَ وَطَرَهُ ، ثم ينصرف ويُنشِد وهو يَشرب :

---

(١) فى معجم البلدان (فى رسم : راوند) :

ألم تعلما ما لى براوند كلهـــا   ولا بخزاق من صديق سواكما

وقد أورد ياقوت البيت (فى رسم سمعان) ولم ينسبه ، ووضع فيه « براوند » مكان « بسمعان » .

(٢) السكونى : نسبة إلى سكون ، بالفتح والضم : بطن من كندة .

(٣) كذا فى أكثر الأصول ، والتجريد . وقاشان : مدينة قرب أصبهان . وفى المختار : «خراسان» . والذى فى ب ، س : «قاسان» ، بالسين المهملة . وهى مدينة كانت بماوراء النهر فى حدود بلاد الترك ، وظاهر أن ما أثبتنا هو المراد. (٤) راوند : بليدة قرب قاشان . (٥) خزاق ، بضم أوله وآخره قاف : اسم موضع بعينه فى بلاد العرب ، كذا قال ياقوت ، ثم قال : « ويروى لقس ابن ساعدة الأيادى من قطعة يذكر فيها راوند » . وذكر البيت الآتى بعد .

٤٣/١٤

خليلىَّ هُبَّا طالما قد رَقَدتُما　　أَجِـدَّكما لا تَقضيان كَرَاكما[١]
أَلم تَعلما مالى براَوَنْد هذهِ[٢]　　ولا بخُزاق[٣] من نَديم[٤] سِواكما
مُقيمٌ[٥] على قَبْرَيكما لستُ بارحًا　　طَوالَ الليالى أو يُجيبَ صَداكما
جَرَى المِيتُ[٦] مَجرى اللَّحمِ والعَظْمِ[٧] منكما
كأَنَّ الذى يَسْقى العُقارَ[٨] سَقاكما
تَحمَّل مَن يَهوى[٩] القُفولَ[١٠] وغادَروا　　أخًا لكما أَشْجاه ما قد شَجاكُما
فأَىٌّ[١١] أَخٍ يَجْفُو أخًا بعد مَوْتِه　　فلَستُ الذى مِنْ بَعدِ مَوتٍ جَفاكما
أَصُبُّ على قَبْرَيْكما من مُدامة　　فإِلّا تَذُوقا أَرْوِ منها ثَرَاكما[١٢]
أُناديكما كَيما تجيبا وتَنْطِقا　　وليس مُجابًا صَوْتُه من دَعاكما
أَمِن طُولِ نَومٍ لا تُجيبان داعيًا　　خِليلىَّ ما هذا الذى قد دَهَاكما
قضَيْتُ بأَنِّى لا مَحالةَ هالِكٌ　　وأَنِّى سَيَعْرونى الذى قد عَراكما
سأَبْكيكما طُولَ الحياة وما الذى　　يَرُدُّ على ذى عَوْلة أَنْ بَكاكما[١٣]

قول آخر فى نسبه هذا الشعر

أخبرنى ابنُ عمّارٍ، أَبو العبّاس أَحمد بن عبيد الله، بخَبر هؤلاء، عن أَحمد بن يَحيى البَلاذُرىّ، قال: حدّثنا عبد الله بن صالح بن مُسلم العِجلىّ، قال:

---

(١) مر البيت والتعليق عليه (ص: ٥٥٦٩) . (٢) معجم البلدان : « كلها » . (٣) انظر الحاشية (رقم: ٥ ص: ٥٥٧٣) . (٤) معجم البلدان : « صديق » . (٥) معجم البلدان : « أقيم » .
(٦) المختار ، ومعجم البلدان : « النوم » . (٧) معجم البلدان : « بين العظم والجلد » .
(٨) معجم البلدان : « كأنككما ساق عقار » .
(٩) التجريد : « يبغى » . (١٠) ب ، س : « العقول » ، تحريف. (١١) التجريد : « وأى » .
(١٢) المختار : « ترو » . والرواية فى معجم البلدان :
* فإلا تذوقاها ترو ثراكا *
(١٣) مر البيت والتعليق عليه (ص : ٥٥٦٩)

بلغني أنْ ثلاثةَ نفرٍ من أَهل الكُوفة كانُوا فى الجَيش الذى وجّهه الحجّاجُ إلى الدَّيْلم ، وكانوا يَتنادمون ، لا يُخالطون غيرَهم ، فإنَّهم لعلَى ذلك إذْ ماتَ أَحدُهم ، فدفَنه صاحباه ، وكانا يَشْربان عند قَبره ، فإذا بلغَه الكأْسُ هَراقاها على قَبْره وبكَيا ؛ ثم إنَّ الثانىَ مات ، فدَفنه الباقى إلى جَنْب صاحِبه ، وكانَ يَجْلِسُ عند قَبْرَيهما فيَشرب ويَصُبُّ الكأْسَ على الذى يليه ثم على الآخر ويَبكى ، وقال فيهما :

* نَديمَى(١) هُبَّا طالما قد رَقَدْتُما *

وذكر بعضَ الأَبيات التى تقدّم ذِكْرها ، وقال مكان « بِرَاوند هذه » « بقَزوين » ، وسائر الخَبر نحو ما ذكرناه .

قال ابن عمّار :

فقبورهم هناك ، تعرف بقُبور النُّدماء .

قول ثالث فى نسبتها الشعر

وذكر العُتبىّ ، عن أَبيه :

أن الشِّعر للحِزين بن الحارث ، أَحد بنى عامر بن صَعصعة ، وكان أَحدُ نديميه من بنى أَسد ، والآخر من بنى حَنيفة ، فلما مات أَحدُهما كان يَشرب ويَصُبُّ على قبره ويقول :

لا تُصَرِّدْ هامةً من كَأْسها واسْقِهِ الخَمْرَ وإنْ كان قُبِرْ(٢)

كان حُرًّا فَهَوَى فيمَن هَوَى كلُّ عُود ذى شُعُوب يَنْكَسِر

قال : ثم مات الآخر ، فكان يَشرب عند قَبرِيهما ، ويُنشد :

* خليلَىَّ هُبَّا طالما قد رقدتما *

---

(١) وهى رواية معجم البلدان . (وانظر : ص ٥٥٦٩) .

(٢) التصريد : السّقى دون الرى . والهامة، هنا : الميت. ومن كأسها؛ أى: من كأس الخمر .

الأبيات .

قال : ثم قالت له كاهنةٌ : إنّك لا تموت حتّى تَنْهشَك حيةٌ في شَجرةٍ بوادى كذا وكذا . فورَد ذلك الوادىَ فى سَفَرٍ له ، وسأل عنه فعرَفَه ، وقد كان حَطَّ في أصل شجرة، [ومدّ] [1] رِجْلَه عليها ، فنَهشتْه حيّة ، فأنشأ يقول :

خليلىَّ هذا حَيثُ رَمْسِى فعرِّجَا عَلَىَّ فإنِّى نازلٌ فمُعَرِّسُ
لَبِستُ رِداءَ العَيْشِ أَحْوَى [2] أُجُرُّه الـ عَشِيَّاتِ [3] حتَّى لم يَكُنْ فيه مَلْبس
تركتُ خِبائى حيثُ أُرْسِى [4] عِمادُه علىَّ وهذا مَرْمَسِى حيث أُرْمَس
أَحَتْفِى الذى لا بُدَّ أَنَّك قاتِلِى هَلُمَّ فما في غابرِ العَيش مَنْفَس [5]
أَبعدَ نَدِيمىَّ اللذَيْنِ بعَاقلٍ [6] بَكَيْتُهما [7] حولاً مَدَى أَتوَجَّس

(١) التكملة من ط ، ل ، و ، والمختار . (٢) الأحوى : الأسود ؛ يعنى : شعر رأسه ، يشير إلى عهد الشباب . (٣) ب ، جـ ، س : « عشيات » .

(٤) المختار : « أُسِى » .

(٥) غابر العيش ؛ يريد : باقيه وما يستأنف منه . ومنفس ؛ أى : مهلة . (٦) عاقل ، أكثر من موضع ، ذكرها ياقوت ، وليست ثمة قرينة تدل على المراد منها هنا . (٧) وكذا فى المختار. وفى ب ، جـ ، س : « بكيتكما » .

ذكر

هاشم بن سليمان

وبعض أخباره

اسمه وكنيته

*هو: هاشم بن سليمان، مولى بنى أميّة. ويُكْنى: أبا العبّاس، وكان موسى الهادى[1] يُسمِّيه أبا الغَرِيض.

شىء عنه

وهو حَسَن الصَّنعة عَزيزها، وفيه يقول الشاعر:

يا وَحْشَتى بَعدك يا هاشمُ … غِبْتَ فشَجْوِى بك لى دائمُ

اللَّهْوُ واللذَّةُ يا هاشمُ … ما لم تكن حاضرَه مأْتَمُ[2]

تلقيب الهادى له

أخبرنى علىٌّ بن عبد العزيز، قال: حدّثنا عبيد الله بن عبد الله بن خُرْدَاذْبه، قال:

كان موسى الهادى يَميل إلى هاشم بن سُليمان ويُمازحُه، ويلقِّبه: أبا الغَرِيض.

غنى الهادى فأطربه فسأله فأعطاه

وأخبرنى الحسينُ بن يحيى، عن حمّاد، قال:

بلغنى أن هاشم بن سليمان دَخل يومًا على موسى الهادى، فغنّاه:

صوت

لو يُرسِل الأَزْلُ الظِّبا … ءَ تَرُودُ ليس لهنّ قائدْ[3]

لتَيمَّمَتْك تَدُلُّهـــــا … رَيّاكَ المُسْبُل المَوارد[4]

---

* لم يذكره ابن واصل فى التجريد، كما لم يذكره ابن منظور فى المختار.

(1) ب، جـ، س: «مولى الهادى». (2) كذا فى أ، ط، و. والذى فى سائر الأصول: «مأثم».

(3) الأزل: شدة الزمان؛ يعنى: الجدب والقحط؛ أى: لو خرجت الظباء هائمة يدفعها الجدب والقحط. (4) رياك؛ أى: ريحك الذكية الطيبة.

وإذا الرِّياحُ تَنكَّرتْ نُكْبًا هَواجرُها صَوَارِد[١]
فالنَّاسُ سائلةٌ إليـــــكَ فصادرٌ يَغْنَى ووارِد[٢]

الشِّعر لطريح بن إسماعيلَ الثَّقفيّ ، يقوله في الوليد بن يزيد بن عبد الملك . والغناء لهاشم بن سُليمان ، خفيف ثقيل أوّل بالبنصر .

فطَرب موسى ، وكان بين يديه كانونٌ كبير ضَخمٌ عليه فَحم ، فقال له : سَلْني ما شِئْتَ ؛ قال : تملأ لي هذا الكانونَ . فأمر له بذلك ، وفُرِّغ الكانونُ ، فوَسِعَ ستَّ بُدور[٣] ، فدَفَعها إليه .

رواية أخرى لهذا الخبر

وقد أخبرني بهذا الخبر الحسنُ بن عليّ ، قال : حدّثنا ابن مَهْرويه ، قال : حدَّثنا عبدُ الله بن أبي سَعد ، عن أبي تَوْبة ، عن محمد بن جَبْر ، عن هاشم بن سليمان ، قال :

أصبح موسى ، أميرُ المؤمنين ، يومًا وعنده جماعةٌ منّا ، فقال : ياهاشم ، غنِّني :

* أَبَهارُ قد هَيَّجتِ لي أوجاعا *

فإنْ أصبتَ مُرادى فيه فلك حاجةٌ مَقْضِيّة . فغنّيته ؛ فقال : قد أَصَبْتَ وأَحْسنت ، سَلْ حاجَتك ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، تأمُرُ أن يُملأ هذا الكانُون دَراهمَ ، قال : وبين يديه كانونٌ عظيم ، فأمَر به فمُلئ . فوَسِع ثلاثين ألف درهم ، فلما حَصَّلتها ، قال : يا ناقِصَ الهِمَّة ،

(١) النكب من الرياح : التي تقع بين مهب ريحين ، فتكون عاصفة لا خير معها . والهواجر : جمع هاجرة ، وهي في الأصل : نصف النهار عند اشتداد الحر ، ويعني هنا : الرياح التي تكون مع الهاجرة . وصوارد : باردة لا ماء فيها . وإذا كانت رياح الهواجر كذلك ، وهي من شأنها أن تكون حارة ، دل ذلك على الإمعان في الجدب والشدة . (٢) سائلة : متدفقة .

(٣) البدور : جمع بدرة ، وهو كيس فيه ألف ، أو عشرة آلاف درهم ، أو سبعة آلاف دينار.

والله لو سألْتَنى أن أملأه دنانيرَ لفعلتُ ؛ فقلتُ : أَقِلْنِى يا أمير المؤمنين ؛ فقال : لا سَبيلَ إلى ذلك ، فلم يُسْعِدْك الجَدُّ به .

* * *

نسبة هذا الصوت

أَبَهارُ قد هَيَّجْتِ لى أَوْجاعَا ... وتَركْتِنى عَبْدًا لكَمْ مِطْوَاعَا
بحَديثِكِ الحَسَنِ الذى لو كُلِّمتْ ... وَحْشُ الفَلاةِ به لَجِئْنَ سِرَاعا
وإذا مَررتُ على البَهَارِ مُنَضَّدا ... فى السُّوقِ هَيَّجَ لى إليكِ نِزَاعا(١)
واللهِ لو عَلِم البَهَارُ بأنَّها ... أَضْحَتْ سَمِيَّتَه لصار ذِرَاعا

الغناء لهاشم ، ثانى ثقيل بالبنصر ، عن عمرو ، وفيه ثقيل أول بالبنصر ، يُنسب إلى إبراهيم الموصلىّ ، وإلى يَحيى المكّىّ ، وإلى إسحاق .

٤٥/١٤

خبر يتصل بهذا الصوت

أخبرنى أحمدُ بن عبد العزيز ، وإسماعيلُ بن يونس ، قالا : حدّثنا عُمر بن شَبّة ، قال : حدّثنى بعضُ أصحابنا ، قال :

كُنّا فى منزل محمد بن إسماعيل بن علىّ بن عبد الله بن عبّاس ، وكان عالمًا بالغناء والفِقْه جميعًا ، وقد كان يحيى بنُ أكثم وصَفَه للمأمون بالفِقْه ، ووصَفَه أحمدُ بن يوسف بالعِلم بالغناء ، فقال المأمونُ : ما أعجبَ ما اجتمع فيه : العِلم بالفِقْه والغناء ؛ فكتب(٢) إلى إسحاقَ ابن إبراهيم الموصلىّ أن يَتحوّل إلينا ، وكان فى جِوارنا ، وعندنا يومئذ محمدُ بن أيّوب بن جَعفر بن سُليمان ، وذُكاءُ ، وصَغيرٌ ، غلامَا أحمد ابن يوسف الكاتب ، فكتب إلينا إسحاق : جُعلتُ فداءكم ، قد أخذت

(١) النزاع : الشوق . (٢) فكتب ؛ يعنى : محمد بن إسماعيل .

دواء ، فإذا خرجتُ منه حَملتُ قِدْرى وصِرْت إليكم ، وكتب فى أسفل كتابِه :

أنا شَماطيطُ الذى حُدِّثتَ به   متَى أُنَبَّهْ للغَدَاءِ أَنْتبهْ[١]
ثم أَدُور[٢] حَولَه وأَجْتَبِـهْ   حتَّى يُقالَ شَرِهْ ولستُ بِهْ[٣]

ثم جاءنا ومعه بُديحٌ ، غلامُه ، فتَغدَّينا وشَرِبنا ، فغنَّى ذُكاءُ ، غلامُ أحمدَ بنِ يوسف :

* أبَهارُ قد هَيَّجتِ لِى أَوْجاعَا *

فسأَله إسحاقُ أن يُعيدَه ، فأَعاده مِرارًا ، ثم قال له : مِمَّن أخذتَ هذا ؟ فقال : مِن مُعاذ بن الطَّبيب . قال : والصَّنعةُ فيه له . فقال له إسحاق : أُحِبُّ أن تُلقِيَه على بُديح ، ففعل . فلما صُلِّيت العِشاءُ انصرفَ ذُكاءُ ، وقَعد أبو جعفرٍ[٤] يَشرب ــ يَعنى[٥] : مولاه[٦] ــ وعنده قومٌ ، وتخلَّف صَغِيرٌ فغنَّانا ، فقال له إسحاق : أنت واللهِ يا غلامُ ماخُوريٌّ . وسَكِر محمدُ بن إسماعيل فى آخرِ النَّهار ، فغَنانا :

هَبُونى أَغُضُّ إذا ما بَدَت   وأَمْلِكُ طَرْفى فلا أَنْظرُ

---

(١) شماطيط : اسم رجل . (اللسان ، شرح القاموس : شمط) . (٢) اللسان، وشرح القاموس : « أنز » . من : نزى تنزية ، إذا وثب . (٣) الهاء فى « أجتبه » زائدة للوقف . و«يقال» ، روى مرفوعا، لأنه أنما أراد فعل الحال. ، وفعل الحال مرفوع فى باب «حتى » . ألا ترى أن قولهم : سرت حتى أدخلها ، إنما هو فى معنى قوله : حتى أناق حال دخولى ، ولا يكون قوله : «حتى يقال شره» ، على تقدير الفعل الماضى، لأن هذا الشاعر إنما أراد أن يحكى حاله التى هو فيها ، ولم يرد أن يخبر أن ذلك مضى . (اللسان) .

(٤) أبوجعفر : لقب أحمد بن يوسف . (٥) كذا فى ط ، و . والذى فى سائر الأصول : « ويغنى » ، تحريف . (٦) مولاه : أى : مولى ذكاء .

فقال إسحاقُ لمحمد بنِ الحسن : آجَرَك الله فى ابن عمِّك ؛ أى : قد سَكِرَ فأَقْدَمَ على الغناء بحضرتى .

* * *

صوت

هَبُونى أَغُضُّ إذا ما بَدَتْ   وأَمْلِكُ طَرْفى فلا أَنْظُرُ

فكيف احْتيالى[1] إذا ما الدُّمُوعُ   نَطَقْنَ فبُحْنَ بما أُضْمِرُ

أيا مَنْ[2] سُرورى به شِقْوَةٌ   ومَنْ صَفْوُ عَيْشى به أَكْدَرُ[3]

أَمِنِّى تَخاف انْتشارَ الحَديثِ   وحَظِّىَ فى سَتْرِه[4] أَوْفَر

ولو لم أَصُنْه لِبُقْيَا عَلَيْكَ[5]   نَظَرْتُ لِنَفْسى كما تَنْظُر

الشِّعر للعبّاس بن الأحنف . والغناء للزُّبير بن دَحْمان ، ثقيل أوّل بالوسطى ، عن عمرو ، فى الأبيات الثلاثة الأُول . وفيها لعمرو بنِ بانة ماخوريّ .

وفى :

* أيا مَنْ سُرورى به شِقْوَةٌ *

لسُلَيم هزَجٌ . وفيه ثانى ثقيل يُنسَب إلى حُسين بن مُحَرِّز[6] ، وإلى عبّاسِ بن مِنْقار[7] .

* * *

(١) ديوان العباس (ص : ١٤٥) : « استتارى » . (٢) الديوان : « فيا من » .
(٣) الديوان : « يكدر » . (٤) الديوان : « من صونه » (٥) الديوان :
« ولو لم يكن فى بقيا عليك »
(٦) الأصول : « محرز » ، تصحيف . (انظر : فهرست هذا الكتاب) .
(٧) ب ، س : « عباس منقار » ، وقد مر (ص : ٢٢٣٢) .

صوت

هذا أوانُ الشَدِّ فاشتدِّى زِيَمْ   قد لَفَّها اللَّيلُ بِسَوَّاقٍ حُطَمْ[١]
ليسَ بِرَاعِى[٢] إِبِلٍ ولا غَنَمْ   ولا بجزّارٍ على ظَهْرِ وَضَمْ

عروضه من الرَّجز . الشِّعر لرُشَيد بن رُمَيض العَنَزِىّ[٣]، يقوله فى الحُطَم ، وهو : شريح بن ضُبَيعة . وأُمّه : هِندُ بنت حسّانَ بن عمرو بن مَرْثد . والغناءُ ليزيدَ حَوراء ، خفيف ثقيل أوّل بالبِنصر ، وفيه خفيفُ رَمَلٍ ، يُقال : إنّه لأحمد المكّىّ . ٤٦/١٤

شعر رشيد فى الحطم وقصته

قال أبو عبيدة :

كان شريح بن ضبيعة غَزا اليَمنَ فى جُموعٍ جَمَعَها من رَبيعة ، فغَنِم وسَبَى ، بعد حَربٍ كانت بينه وبين كِنْدة ، أَسَر فيها فَرْعَان[٤] بن مهدىّ ابن معد يكرب ، عمّ الأشعث بن قَيس ، وأخذَ على طَريق مَفازة ، فضَلَّ بهم دَليلُهم ثمّ هَرب منهم ، وماتَ فرعان[٤] فى أيديهم عَطَشًا ، وهلكَ منهم ناسٌ كثيرٌ بالعطش . وجعل الحُطَمُ يَسُوق بأصحابه سَوْقًا عَنِيفًا ، حتّى نَجَوْا ووردُوا الماء ، فقال فيه رُشَيد :

هذا أوانُ الشدِّ فاشتدِّى زِيَمْ   ليسَ براعِى إبلٍ ولا غَنَمْ

---

(١) زيم : اسم فرس . وحطم : عسوف عنيف .

(٢) وكذا فى البيان والتبيين (١ : ١٠٨ ، ٢ : ٣٠٨) والكامل للمبرد (ص : ٢١٥) واللسان (حطم) . والذى فى ب ، س ، واللسان (وضم) : « لست براعي » . (٣) فى الكامل للمبرد : « رويشد بن رميض العنبرى » . وقد عقب عليه الشارح ورد النسبة إلى عنزة . وقد نسب ابن منظور فى اللسان (حطم ، وضم) الأبيات إلى أبى زعبة الخزرجى ، قالها فى يوم أحد . ثم قال : « وقيل : هى للحطم القيسي ، وقيل : لرشيد بن رميض العنزى » . (٤) ج ، ط : « فرغان » ، بالغين المعجمة .

ولا بِجَزّار على ظَهْرِ وَضَمْ   نامَ الحُداةُ وابن هِنْد لم يَنَم[1]
باتتْ[2] يُقاسِيها غُلامٌ كالزُّلَم   خَدلَّجُ السَّاقَيْن خَفَّاقُ القَدَمْ[3]
قد لَفَّها اللَّيلُ بسَوّاق حُطَمْ

فلُقِّب يومئذ : الحُطَم ، لقول رشيد هذا فيه .

إسلام الحطم وارتداده

وأدرك الحُطمُ الإسلامَ فأَسْلم ، ثم ارتدَّ بعد وفاة رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم .

ارتداد عبد القيس وبكر وعبد الجارود

حدّثنا محمدُ بن جرير الطَّبرىّ ، قال : حدّثنا عبيد اللهبن سعد[4] الزُّهرىّ ، قال : أخبرنا عمىّ يعقوب[5] ، قال : أخبرنى سَيْف[6] ، قال :

خرج العلاءُ بن الحَضرمىّ نحو البَحرين ، وكان من حديث البَحرين أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لما ماتَ ارتدّوا ، ففاءت عبدُ القَيس منهم . وأمّا بَكر فتمّت على رِدّتها . وكان الذى ثَنَى عبدَ القيس الجارُودُ ابن المُعلَّى .

فذكر سَيفٌ ، عن إسماعيل بن مُسلم :

---

(١) الوضم : ما يوضع عليه اللحم من خشب أو بارية يوقى به من الأرض .
(٢) اللسان (حطم) : « بات » .
(٣) الزلم : جمع زلمة ، وهى هنة معلقة فى حلق الشاة ، يضرب بها المثل فيما لا يؤبه له . وخدلج الساقين : عظيمهما . وخفاق القدم : عريض باطن القدم .
(٤) الطبرى (٢ : ٥١٩) : « عبيد الله بن سعيد » ، تحريف . (انظر تهذيب التهذيب ٧ : ١٤) .
(٥) يعقوب ، هو : ابن إبراهيم بن سعد . (تهذيب التهذيب : ١١ : ٣٨٠)
(٦) سيف ، هو : ابن عمر التميمى البرجمى . (تهذيب التهذيب : ٤ : ٢٩٥) .

فأسْلم وأقام بالمدينة حتّى فَقُه[1] .

ارتداد ربيعة وتمليكهم المنذر

حدّثنا محمدُ بن جرير ، قال : حدّثنا محمدُ بن حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة بن الفَضل ، عن أبى إسحاق ، قال :

اجتمعت ربيعةُ بالبحرين [وارتدت][2] ، فقالوا : رُدُّوا[3] المُلكَ فى آل المُنذر . فملّكوا المُنذرَ بن النّعمان بن المُنذر ، وكان يُسمَّى : الغَرُور . ثم أسلم بعد ذلك ، وقال : لست[4] بالغَرور ولكنِّى المَغرور .

خبر ارتداد الحطم

حدّثنا محمد بن جرير ، قال : حدّثنا عبيد الله بَن سعد ، قال : أخبرنى عَمّى ، قال : أخبرنا سيفٌ ، عن إسماعيل بن مُسلم ، عن عُمَير ابن فلان العَبدىّ ، قال :

لما ماتَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم خَرج الحُطَم بن ضُبَيعَة ، فى بنى قيس بن ثعلبة ، ومن اتَّبعه[5] من بكر بن وائل ، على الردّة ، ومَن تأشَّبَ [إليه][6] من غير المُرتدين ممن لم يَزلْ كافرًا ، حتّى نزل القَطِيف وهَجَر[7] ، واستغوى [الخَطّ][8] ومن وكان بها من الزُّطّ[9]

(١) ساق الطبرى (٢: ٥١٩-٥٢٠) هذا الخبر بتمامه ، قال : « حدثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا عمى ، أخبرنا سيف ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن بن أبى الحسن ، قال : قدم الجارود ابن المعلى على النبى صلى الله عليه وسلم مرتادا ، فقال : أسلم يا جارود ، فقال : إن لى دينا ؟ قال له النبى صلى الله عليه وسلم : إن دينك يا جارود ليس بشىء وليس بدين ؟ فقال له الجارود : فإن أنا أسلمت فما كان من تبعة فى الإسلام فعليك ؟ قال : نعم ، فأسلم ومكث بالمدينة حتى فقه » .

(٢) التكملة من الطبرى (٢ : ٥٢١) . (٣) الطبرى : « نرد » . (٤) الطبرى : « وكان يقول حين أسلم وأسلم الناس ، وغلبهم السيف : لست » . (٥) الطبرى (٢: ٥٢١) : « أخو بنى قيس بن ثعلبة فيمن اتبعه من بكر ... » . (٦) التكملة من الطبرى.

(٧) القطيف ، بفتح أوله وكسر ثانيه ، مدينة بالبحرين . وهجر ، بفتح أوله وثانيه : قاعدة البحرين . (٨) التكملة من الطبرى . والخط ، بفتح أوله : سيف البحرين ، ومن قراه : القطيف . (٩) الزط : جيل من الهند .

والسَّبابِجة(١) ، وبعثَ بَعْثًا إلى دارينَ(٢) ، فأقَاموا(٣) له ، ليجعلَ عبدالقَيس بينهم وبينه ، وكانوا مُخالفِينَ له ، يُمدّون [المُنذرو] (٤) المُسلمين. ⌉ وأرسل إلى الغَرُور بن سُويد بن المُنذر ، ابن أخى النُّعمان بن المُنذر (٥) ، [فبعثه إلى جُواثى] (٦) ، فقال له : اثْبت ، فإنى إنْ ظَفرتُ ملَّكتك البَحرين ، حتَّى تكون كالنُّعمان بالحِيرة . وبَعث إلى رواثا (٧) – وقيل : إلى جُواثا – فحاصرهم وألحّ عليهم ، فاشتدّ الحِصار على المحصورين من المُسلمين ، وفيهم رَجلٌ من صالحى المُسلمين ، يقال له : عبد الله ابن حَذَف ، أحد بنى أَبى بكر بن كِلاب ، فاشتدّ عليه وعليهم الجوعُ حتَّى كادوا يَهلِكون ، فقال عبد الله بن حَذَف :

أَلَا أَبلِغْ أَبا بَكْرٍ رَسُولاً وفِتْيانَ المدينةِ أَجْمعينَا
فهلْ لكُمُ إلى قَومٍ كِرامٍ قُعُودٍ فى جُوَاثى مُحْصَرينا
كأَنَّ دِماءَهم فى كُلِّ فَجٍّ شُعاعُ الشَّمسِ يُغْشِى(٨) النّاظرينا
تَوكَّلْنا عــلى الرّحمن إنَّا وجَدنا النَّصْر للمُتوكِّلينا

٤٧
١٤

(١) الأصول ، والطبرى : « السيابجة » ، بالمثناة التحتية . تصحيف ، والتصويب من شرح القاموس ، والصحاح (سبج) .والسبابجة : قوم من السند كانوابالبصرة جلاوزة وحراس السجن ، والهاء للعجمة والنسب . وقال ابن السكيت : السبابجة : قوم من السند يستأجرون ليقاتلوا . (٢) دارين ، فرضة البحرين .
(٣) الأصول : « فأقاله » ، تحريف . وما أثبتنا من الطبرى . (٤) التكلة من الطبرى.
(٥) الطبرى : « الغرور بن سويد أخى النعمان بن المنذر » . (٦) التكلة من الطبرى . وجؤاثى ، بالقصر ويمد ، وبالهمز ومن غير همز : حصن لعبد القيس بالبحرين . وقيل : جؤاثى : مدينة الخط . (٧) لم تذكر معاجم البلدان بلدا بهذا الاسم . والذى فى الإكليل (١١٠:٨) : « روثان » ، من محافد اليمن فى الغــائط ، بين الجــوف ومــأرب » . والعبارة فى الطبرى : « وبعث الى جوائى » . وفى ابن الأثير (٢ : ٢٤٩) : « وبعث الى دارين وبعث الى جوائى » . (٨) الطبرى : « يغشى » . وابن الأثير ، ومعجم البلدان : « تغشى »

ما أكرم الله به العلاء بن الحضرمى فى حربه أهل الردة بالبحرين

حدّثنى محمد بن جرير ، قال : كتب إلىّ السرىّ بن يَحيى ، عن شُعيب بن إبراهيم ، عن سَيف بن عمر ، عن الصَّقْعب[1] بن عَطيَّة بن بلال ، عن سَهم بن مِنْجاب[2] ، عن [مِنْجاب][3] بن راشد ، قال :

بَعث أبو بكرٍ العلاءَ بن الحَضرمىّ على قِتال أهل الرّدة بالبَحْرين : فتلاحَقَ به مَن لم يَرتدّ من المُسلمين ، وسَلك بنا الدَّهناء[4] ، حتّى إذا كُنّا فى بُحبوحتها أَراد[5] الله عزّ وجلّ أن يُرينَا آية ، فنزل العلاءُ وأمر النّاسَ بالنُّزول ، فنَفرت الإبلُ فى جَوف اللَّيل ، فما بَقى بَعيرٌ ولا زاد ولا مَزاد[6] ولا بِناءٌ — يعنى الخِيم قبل أن يَحطُّوا — فما علمت جَمعًا هَجم عليه من الغمّ ما هَجَم علينا ، وأَوْصى بعضنا إلى بعض ، ونادى مُنادِى العَلاء : اجتمِعُوا ، فاجتمعنا إليه ، فقال : ماهذا الذى ظَهَر فيكم وغلبَ عليكم ؟ فقال النّاس : وكيفَ نُلام ونحنُ إن بَلَغْنا غدًا لم تَحْمَ شَمْسُه حتّى نَصِيرَ حديثًا . فقال : أَيُّها الناس ، لا تُراعُوا ، أَلستم مُسلمين ؟ أَلستم فى سبيل الله ؟ أَلستم أَنصارَ الله ؟ قالوا : بلى ؛ قال : فأَبْشِروا ، فوالله لا يَخذُل اللهُ ، تبارك وتعالى ، مَن كان فى مِثْلِ حالكم . ونادى المنادى بصلاة الصُّبح حينَ طَلع الفَجر ، فصلّى بنا ، ومنّا المُتيمِّم ومنّا من لم يَزَلْ على طُهوره ، فلما قَضى

(١) الصقعب ، بفتح فسكون ففتح . (الخلاصة) . والذى فى الطبرى : « الصعب » .
(٢) منجاب ، بكسر أوله وإسكان ثانية . (الخلاصة) . (٣) التكلة من أ ، ب ، ل ، والطبرى . ومنجاب بن راشد ، هو : أبو سهم . (تهذيب التهذيب : ٤ : ٢٦٠) .
(٤) الدهناء : سبعة أجبل من الرمل فى عرضها ، وطولها من حزن ينسوعة إلى رمل يبرين . (معجم البلدان) . (٥) الطبرى : « فى بحبوحتها والحنانات والعزافات عن يمينه وشماله ، وأراد الله ... » . (٦) فى أكثر الأصول : « مراد » ، بالراء المهملة . وما أثبتنا من ل ، و ، والطبرى .

صلاتَه جَثا لرُكبتَيه ، وجَثا الناسُ معه ، فنَصِبَ[١] في الدُّعاء ونَصِبُوا ، فلَمع لهم سَرابٌ ، فأَقبلَ على الدُّعاء ، ثم لمَع لهم آخر كذلك ، فقال الرائد : ماء ، فقام وقام الناسُ ، فمَشَينا حتّى نزلنا عليه ، فشَرِبنا واغتسَلنا ، فما تعالى النهارُ حتّى أقبلت الإبلُ من كُلِّ وَجْه ، وأناخت إلينا ، فقام كلُّ رجلٍ إلى ظَهره[٢] فأَخذَه ، فما فَقدنا سِلكا[٣] ، فأَرْويناها العَلَل بعد النَّهَل ، وتَروَّينا ثم تروَّحنا .

وكان أبو هريرةَ رَفيقي ، فلما غِبْنا عن ذلك المكان قال لي : كيف عِلْمُك بموضِع ذلك الماء ؟ فقلتُ : أنا أَهْدَى الناس بهذه البلاد[٤] . قال : فكَرَّ مَعي حتى تُقيمَني عليه ؛ فكررتُ به . فأَنختُ على ذلك المكان بعَيْنه ، فإذا هو لا غَديرَ به ، ولا أثرَ للماء ، فقلتُ له : والله لولا أنّي لا أرى الغديرَ لأَخبرتُك أنَّ هذا هو المكان ، وما رأيتُ بهذا المكان ماءً قبل ذلك . فنظر أبو هُريرة فإذا إداوةٌ مَملوءة ، فقال : يا أبا سَهْم[٥] ، هذا والله المكانُ ، ولهذا رجعتُ ورجعتُ بك . وملأْتُ إداوتي هذه ثم وضعتُها على شَفير الوادي ، فقلت : إن كان مَنًّا من المَنِّ وكانت آيةً عرفتُها ، [وإن كان غِياثًا عرفتُه . فإذا مَنٌّ من المَنّ][٦] ، وحِمدت[٧] الله جلّ وعَزّ .

(١) نصب : كد واجتهد. (٢) ظهره : إبله. (٣) السلك : جمع سلكة ، وهي الخيط يخاط به .

(٤) الطبري : « فقلت : أنا من أهدى العرب بهذه البلاد » . (٥) الأصول : « ياسهم » ، تحريف . وماأثبتنا من الطبري . ورجل القصة ، هو : المنجاب بن راشد أبو سهم ، لا سهم بن المنجاب . (٦) التكلة من الطبري . (٧) الطبري : « فحمد » .

مقتل الحطم

ثمَّ سِرنا حتّى نزلنا هَجر . فأرسل العلاءُ إلى الجارود ورَجُلٍ آخر : أن انْضمّا فى عَبد القيس حتّى تنزلا على الحُطَم مما يليكما . وخَرج هو فيمن معه وفيمن قدِم عليه[1] ، حتّى ينزل[2] مما يلى هَجر . وتجمّع المُسلمون كلُّهم إلى العَلاء بن الحَضرمىّ ، ثم خندقَ المسلمون والمشركون فكانوا يتَراوحون القِتال ويَرجِعون إلى خَنْدقهم ، فكانوا كذلك شَهْرًا ، فبينا النّاسُ ليلةً كذلك إذ سَمع المُسلمون فى عَسكر المُشركين ضَوضاءً شديدةً ، فكأنّها ضَوضاءُ هَزيمة[3] ؛ فقال العلاءُ : مَن يأتينا بخَبر القَوم؟ فقال عبدُ الله بن حَذَف : أنا آتيكم بخبر القوم — وكانت أمّه عِجْليّة — فخَرج حتّى إذا دَنا من خَندقهم أخذُوه ، فقالوا له : مَن أنت ؟ فانتسب لهم ، وجَعل يُنادى يا أَبْجراه ! فجاء أَبْجرُ بن بُجَير فعَرفه ، فقال : ٤٨ / ١٤ ما شأنك ؟ فقال : لا أُضيعنَّ الليلةَ بين اللَّهازم[4] ، علامَ أُقتَل وحولى عَساكرُ من عِجْل وتَيمْ اللات وعَنَزة وقَيس ! أيتَلاعبُ بى الحُطَم ونُزّاعُ[5] القبائل وأنتم شُهود ؛ فتخلّصه وقال : والله إنّى لأظُنك بئسَ ابن الأُخت لأَخْوالك الليلةَ ؛ قال : دَعْنى من هذا وأَطْعِمْنى ، فقد مِتُّ جُوعًا . فقرّب إليه طَعامًا فأكَل ، ثم قال : زوِّدنى واحْملنى وجَوِّزْنى أنْطلق إلى طِيّتى . ويقول ذلك لرجُلٍ قد غَلبَ عليه الشّرابُ . ففعل وحمَله على بَعير وزَوّده وجَوّزه[6] . وخرج عبدُ الله حتّى دخل عَسكر المُسلمين ،

---

(١) الأصول: «وفيمن قدر عليه» . وما أثبتنا من الطبرى. (٢) الطبرى: «حتى تنزلا عليه» .
(٣) الطبرى : «هزيمة أو قتال» . (٤) اللهازم : لقب تيم الله بن ثعلبة بن عكابة ، وهم حلفاء بنى عجل . (٥) النزاع : جمع نزيع ، وهو الغريب والبعيد .
(٦) جوزه : جعله يجوز ويمر .

فأخبرهم أنّ القوم سُكَارى ، فخرج القومُ عليهم حتى اقتحموا عَسْكَرهم ، فوضعوا فيهم السُّيوفَ حيث شاءُوا ، واقتحموا الخَنْدقَ هُرّابا . فمُتَرَدٍّ وناجٍ ودَهِشٌ ومَقتولٌ ومَأْسُور . واستولى المسلمون على ما فى العَسكر ، ولم يُفْلِت رجلٌ إلّا بما عليه . فأمّا أبجر فأفلتَ ، وأمّا الحُطم فإنّه بَعِل[1] ودَهِش وطار فؤاده ، فقام إلى فَرَسه ، والمُسلمون خِلالَهم يَجُوسونهم[2] ، ليَرْكَبه ، فلما وَضع رِجْلَه فى الرِّكاب انقطع [به][3] ، فمَرّ به عَفيفُ ابن المُنذر ، أحد بنى عمرو بن تَميم ، والحُطَم يَستغيث ويقول : ألَا رَجُلٌ من بنى قَيس بن ثَعلبة يَعْقِلنى[4]؟ فرفع صَوتَه ، فعرَفه عفيفٌ ، فقال : أبو ضُبيعة ؟ قال : نعم ؛ قال : أَعْطِنى رِجْلَك أعْقِلْك . فأعطاه رِجْلَه يَعْقِلُها ، فنفَحَها فأطَنَّها[5] من الفَخِذ ، وتركه ، فقال : أَجْهِزْ علىّ ؛ فقال : إنّى لأُحِبُّ أن لا تموتَ حتى أُمِضّك[6] . وكان مع عَفيف عِدّةٌ من وَلدِ أبيه ، فأُصِيبوا لَيْلتئذ ، وجَعل الحُطَمُ يقول ذلك لمن لا يعرفه[7] ، حتّى مَرّ به قيسُ بن عاصم ، فقال له ذلك ، فعَرَفَه ، فمالَ عليه[8] فقتله ، فلما رأى فخذَه نادرةً[9] قال : واسوأتاه ! لو عرفتُ الذى به لم أُحرّكْه .

مقتل أبجر والمنذر بن سويد وأسر الغرور

وخرج المسلمون ، بعد ما أَحْرَزُوا الخَندقَ على القوم يَطلبونهم ، فاتّبعوهم ، فلحق قيسُ بن عاصم أَبْجَرَ ، وكان فرسُ أَبْجَرَ أقوى من

(١) بعل : لم يدر ما يصنع . (٢) الجوس : الطلب باستقصاء .
(٣) التكلة من الطبرى (٤) يعقلنى ؛ أى : يقيمنى على إحدى رجل .
(٥) نفحها ؛ أى : تناولها بسيفه . وأطنها : قطعها . (٦) أمضه : جعل الحزن يبلغ من قلبه . (٧) الطبرى : « وجعل الحطم لا يمر به فى الليل أحد من المسلمين إلا قال له : هل لك فى الحطم أن تقتله ، ويقول ذلك لمن لا يعرفه » . (٨) كذا فى ل ، و ، والطبرى . وفى ج : « قات عليه » . وفى سائر الأصول : « فصلت عليه » . (٩) نادرة : ساقطة . والذى فى الأصول : « نادرا » . والتصويب من الطبرى ، إذ الفخذ مؤنثة .

فَرسِ قَيس ، فلما خَشى أن يَفوتَه طَعنَه فى العُرْقوب فقَطَع العَصَبَ وسَلِم النَّسَا ، فقال عفيف بن المُنذر فى ذلك :

فإن يَرْقأ العُرقوبُ لا يَرْقأ النَّسا[1] وما كُلُّ مَن تَلْقى[2] بذلك عالمُ
ألم تَرَ أنّا قد فَلَلْنا حُمَاتَهم بأُسْرةِ عَمْرٍو والرِّبابُ الأكارم[3]

وأسر عفيفُ بن المنذر ، الغَرُورَ ، ابنَ أخى[4] النعمان بن المُنذر ، فكلَّمته الرِّبابُ فيه . وكان ابنَ أُخْتهم[5] ، وسألوه أن يُجيره ، فجاء به إلى العَلاء ، قال : إنِّى أجرتُه[6] ؛ قال : ومن هو؟ قال : الغَرور ؛ قال العلاء : أنت غَررتَ هؤلاء ؛ قال : أيُّها الملك ، إنِّى لستُ بالغَرور ، ولكنِّى المَغرور ؛ قال : أسْلِمْ ، فأسلمَ وبَقِى بهَجَر .

وكان « الغَرور » اسمَه ، ليس بلَقَب .

وقتل[7] العفيفُ أيضًا المُنذرَ بن سُوَيد ، أخا الغَرور لأُمّه ، وكان له يومئذ بلاءٌ عظيم .

تتبع الفارين إلى دارين

فأصبح العلاءُ يقَسِّم[8] الأنفالَ ، ونَفَّل رِجالاً من أهل البلاء ثِيابًا فيها خَميصةٌ[9] ذات أعلام ، وكان الحُطَم يُباهِى فيها ، وباع الباقى[10] . وهَرَبَ الفَلّ[11] إلى دارِينَ ، فركبوا إليها السُّفُنَ ، فجمعَهم الله عزّ وجلّ بها ، ونَدَبَ العلاءُ الناسَ إلى دارِينَ ، وخَطبهم فقال : إنّ الله عزّ وجلّ قد جَمع لكم أحْزابَ الشَّيطان ، وشُذّاذ[12] الحرب فى هذا البَحْر ،[13]

(١) رقأ : جف سيلان دمه وسكن . (٢) الطبرى . وابن الأثير : « يهوى » .
(٣) الرباب ، بالكسر : أحياء ضبة ، لأنهم أدخلوا أيديهم فى رب وتحالفوا .
(٤) انظر الحاشية (رقم : ٥ ص : ٥٥٨٥) . (٥) الطبرى : « وكان أبوه ابن أخت التيم » . (٦) الطبرى : « فقال العلاء : إنى قد أجرت هذا » . (٧) كذا فى ل ، و ، والطبرى . والذى فى أ : « وقيل » . وفى سائر الأصول : « وكان » . (٨) الطبرى : « وأصبح العلاء تقسم » .
(٩) الخميصة : كساء أسود مربع له علمان . (١٠) الطبرى : « الثياب » . (١١) الفل : المنهزمون .
(١٢) الشذاذ : الهاربون النادون . وفى الطبرى : « وشراد » ، جمع : شارد . (١٣) الأصول : « اليوم » . وما أثبتنا من الطبرى ، وهو يتفق وما جاء بعد .

وقد أراكم من آياته فى البرِّ لتعتبروا[1] بها فى البحر ، فانهضُوا إلى عَدُوّكم ثم اسْتَعرِضوا البَحْرَ إليهم ، فإنَّ الله جلَّ وعزَّ قد جَمعهم به ؛ فقالوا : نَفعلُ ولا نَهاب والله بعدَ الدَّهناء هَوْلاً مابَقِينا . فارتحَلَ وارتحلوا ، حتى أتى ساحلَ البحر فاقتحموه على الخَيل ، هم والحَمولة والإبلُ والبغال ، الراكب والراجل[2] ، ودَعا ودَعَوا ، وكانَ [دعاؤه و][3] دُعاؤهم : يا أرحمَ الراحمين ، يا كريمُ ياحليم ، يا [أحد ، يا][3] صَمدُ ، ياحىُّ ، يامُحيى الموتى ، ياحىُّ ياقَيّوم ، لا إله إلا أنتَ ياربّنا . فأجازوا ذلك الخليجَ بإذن الله ، يَمشون على مِثلِ رَمْلة مَيْثاء فوقها ماءٌ يغمُر أخْفافَ الإبل ، وإن بين الساحل ودارينَ مَسيرةُ يوم وليلة لِسُفُن البَحر . ووصلَ المسلمون إليها ، فما تَركوا من المُشركين بها مُخْبِرًا ، وسبَوا الذَّرارى ، واستاقُوا الأموالَ . فبلَغ من ذلك نَفَل[4] الفارِسِ من المُسلمين ستّةَ آلاف ، والراجل ألفين.

٤٩/١٤

فلما فرغُوا رَجَعوا عَوْدَهم على بَدْئهم ، وفى ذلك يقول عَفيفٌ :

ألم تر أنَّ الله ذلَّل بَحْرَه ... وأنْزلَ بالكُفّار إحْدَى الجَلائلِ
دَعَوْنا الذى شَقَّ البِحارَ فجاءَنا ... بأعَجبَ مِن شَقِّ[5] البِحَارِ الأوائل

غدر أهل الحطم بثمامة

وأقفَل[6] العلاءُ الناسَ ، إلّا من أحبَّ المُقَام ، فاجتاز[7] ثُمامةُ بن أُثال ، الذى نَفَّله العلاءُ خميصةَ الحُطَم ، حتى[8] نزل على ماءٍ لبنى قَيْس بن ثعلبة . فلمّا رأوه عَرفوا الخَميصةَ ، فبعثُوا إليه رجلاً فسألوه : أهو الذى قَتل الحُطَم ؟ قال : لا ، ولَوددتُ أنّى قَتلتُه ؛ قالوا : فأنّى لك حُلّته ؟ قال :

---

(١) الأصول : « لتعبروا » . وما أثبتنا من الطبرى. (٢) الطبرى : « حتى إذا أتى ساحل البحر اقتحموا على الصاهل والحامل والشاحج والناهق والراكب والراجل » .
(٣) التكلة من الطبرى . (٤) النفل : الغنيمة . (٥) الطبرى ، وابن الأثير : « فلق » .
(٦) أقفل : أرجع . (٧) ب ، ج ، س: « فاختار » . (٨) ب ، ج ، س : « حين » .

نُفِّلْتُها ؛ قالوا : وهل يُنَفَّل إلا القاتل ؟ قال : إنها لم تكن عليه إنّما كانت فى رَحْله ؛ قالوا : كذبتَ ، فقتَلوه .

حديث إسلام راهب هجر

وكان بِهَجَرَ راهبٌ فأَسْلم [يومئذ] (١) ، فقيل له : ما دعاكَ إلى الإسلام ؟ فقال : ثلاثة أشياء . خَشيتُ أن يَمسخنى الله بعدها إنْ أنا لم أفعلْ : فَيْضٌ فى الرِّمال ، وتَمهيدُ أَثْباج البُحور (٢) ، ودُعاءٌ سمعتُه فى عسكرهم فى الهواء من السَّحر ؛ قالوا : وما هو ؟ قال : اللهمّ إنك أنت الرحمن الرحيم ، لا إِلٰه غيرُك ، والبديعُ ليس قبلَك شىءٌ ، والدائم غيرَ الغافل ، والحىُّ الذى لا يموت ، وخالقُ ما يُرى وما لا يُرى ، وكلَّ يومٍ أنتَ فى شأْن ، وعَلِمْتَ اللهم كُلَّ شىءٍ بغير تعليم (٣) . فعلمتُ أنَّ القوم لم يُعاوَنوا (٤) بالملائكة إلَّا وهم على أَمْرِ الله جلَّ وعزَّ .

فلقد كان أصحابُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يَسمعون هذا من ذلك الهَجرىّ بعد .

* * *

صوت

يا خليلىَّ من مَلامٍ دَعانِى وأَلِمَّا الغَداةَ بالأَظْعانِ (٥)

لا تَلُومَا فى آل زَينبَ إنَّ الْ قَلبَ رَهْنٌ بآلِ زَيْنبَ عانِ (٦)

الشِّعر لعمر بن أبى ربيعة (٧) . والغناءُ للغريض ، خفيفِ رَمل

---

(١) التكلة من الطبرى . (٢) أثباج البحور : أوساطها .

(٣) الطبرى : « تعلم » . (٤) الطبرى : « لم يعانوا » . (٥) ألما : أنزلا . والأظعان : جمع ظعينة ، وهى المرأة ما دامت فى الهودج ، وكذلك الهودج فيه امرأة أم لا . (٦) العانى : الأسير . (٧) الديوان (ص : ٢٨٨) . وقد مر هذا الشعر (ص : ٩٤) .

بالبنصر . وهذا الشِّعر يقوله فى زَينب بنت موسى ، أُخت قُدامةَ بن موسى الجُمحىّ .

خبر شعر ابن أبى ربيعة الذى فيه الصوت

أخبرنى الحرمىّ بن أَبى العلاء ، قال : حدّثنا الزُّبيرُ بن بكّار ، قال : حدّثنى عبدُ الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أَبى سَلمة ، قال : حدّثنى قدُامةُ بن موسى ، قال :

خرجتُ بأُختى زَينبَ بنت موسى إلى العُمْرة ، فلما كنتُ بسَرِف[1] لَقِيَنى عمرُ بن أَبى ربيعة على فرسٍ ، فَسَلَّم علىّ ، فقلتُ : إنِّى أَراك مُتوجِّها[2] يا أَبا الخَطَّاب ؟ قال : ذُكرت لى امرأَةٌ من قَومى بَرْزَة[3] الجَمَال ، فأَردتُ الحديثَ معها ؛ قلتُ : أَمَا علمتَ أَنَّها أُخْتى ؟ قال : لا والله ، واسْتَحيا وثَنَى عُنُقَ فَرَسِه راجعًا إلى مكة .

أخبرنى الحرمىُّ ، قال : حدّثنى الزُّبيرُ : قال حدّثنى عبدُ الرحمن ابن عبد الله بن عبد العزيز الزُّهرىّ ، قال :

نَسَب[4] ابن أَبى رَبيعة بزَيْنبَ بنت موسى الجُمحىّ ، أُخت قُدامة ابن موسى ، فقال :

٥٠ / ١٤

* يا خليلىَّ من مَلامٍ دَعانِى *

وذكر البيتَين . وبعدهما :

لم تَدَعْ للنِّساءِ عِنْدى نَصِيبًا[5] غيرَ ماقُلتُ[6] مازِحًا بلسانِى

(١) سرف : موضع على أميال من مكة لا تجاوز الاثنى عشر .
(٢) متوجها ؛ أى : موليا وجهك شطر البيت .
(٣) برزة : بارزة . (٤) كذا فى أ ، ل ، و ، . والذى فى سائر الأصول : « تشبب » .
(٥) وكذا فى الديوان . وفيما مر من هذا الكتاب (ص -: ٨٤) : « حظا » .
(٦) الديوان : « كنت » .

فقال له ابنُ أبى عتيق : أمَّا قَلْبك فمُغَيَّب عنَّا ، وأمَّا لسانُك فشاهدٌ عليك .

أخبرنى الحرمىُّ ، قال : حدّثنى الزُّبيرُ ، قال : قال عبدُ الرحمن ابن عبد الله بن عبد العزيز الزُّهْرىّ :

لمَّا نَسَب[1] عمرُ بن أبى ربيعة بزَينب قال :

لم تَدَعْ للنِّساء عِندى نصيبًا   غيرَ ما قُلتُ مازحًا بلسانى

قال له ابنُ أبى عتيق : رضِيتَ لها بالمودَّة ، وللنِّساء بالدَّهْفشَة[2] .
قال : والدَّهْفشة : التَّجميش[3] والخَديعة بالشىء اليسير .

أخبرنى الحرمىُّ بن أبى العلاء ، قال : حدّثنا الزُّبيرُ ، قال : أخبرنى مثلَ ذلك عبدُ الملك بن عبد العزيز ، عن يوسفَ بنِ الماجشون ، قال :

فبلغ ذلك أبا وَداعة السَّهمىَّ فأنْكره ، فقيل لابن أبى عَتيق : أبو وَداعة قد اعترضَ لِعُمرَ بن أبى ربيعة دونَ زَينب بنت مُوسى الجُمحىّ ، وقال : لا أُقِرُّ له أن يَذْكُرَ فى الشِّعر امرأةً من بنى هُصَيص ؛ فقال ابنُ أبى عتيق : لا تَلُومُوا أبا وَداعة أن يُنْعِظَ من سَمَرْقَنْد على أهْل عَدن[3] .

ولابن أبى ربيعة فى زينب

قال عبدُ الملك :

وفيها يقول أيضًا عُمَرُ :

طالَ عن آل زَينب الإعْراضُ   للتَّعدِّى[4] وما بِنا[5] الإبْغاضُ

---

(١) انظر الحاشية (رقم : ٤ ص : ٥٥٩٣) (٢) أ ، ل ، و : «بالدهشة» . ج: «بالدهشنة» ، وكلتاهما تحريف . (٣) كذا فى أكثر الأصول . والتجميش: المغازلة والملاعبة. والذى فى أ ، س: «التخميش» ، تصحيف . (٤) مر هذا الخبر فى تفصيل أكثر (ص: ٩٧ من هذا الكتاب) . (٤) فى الأصول هنا : «للتعزى» . وما أثبتنا مما سبق من هذا الكتاب (ص : ١٠١) والديوان (ص: ٣٩٦) . (٥) وكذا فى الديوان . وفيما سبق من هذا الكتاب : «بها» .

ووليدًا قد كان[١] عُلِّقها القَلْـ ... ـبُ إلى أنْ علا الرُّءوسَ البَياضُ
حَبْلُها عندنا مَتينٌ وحَبْلِى ... عندَها واهنُ القُوى أنْقاضُ[٢]

غنَّاه ابن مُحَرِّز[٣] ، رَمل بالبنصر عن حبش .

وفيها يقول أيضًا :

صوت

أيُّها الكاشِحُ المُعيِّرُ[٤] بالصَّر ... مِ تَزَحزَحْ فمابها[٥] الهِجرانُ
لا مُطاعٌ فى آل زَينبَ فارْجِعْ ... أو تَكَلَّمْ حتَّى يَمَلَّ اللِّسان
فاجْعلِ الليلَ مَوعِدًا حين تُمسى ... ويُعفِّى حديثَنَــــا الكِتْمان[٦]
كيفَ صَبْرِى عن بعضِ نَفسى وهل يَصْـ ... ـبِر عن بَعضِ نَفسِه إنْسان[٧]
ولقد أشهدُ المُحدَّثَ عند الْـ ... ـقَصْر فيه تَعفُّفٌ وبَيان[٨]
فى زمانٍ من المعيشة لَذٍّ[٩] ... قد مَضَى عَصْرُه وهذا زَمان

عروضه من الخفيف ، غنَّاهُ ابن سُريج ، ولحنه رَمل بالوسطى من نسخة عمرو بن بانة الثانية ، ووافقتْه دَنانيرُ . وذكر يونس أنَّ فيه لابن مُحَرِّز[٣] ، ولابن عبَّاد الكاتب ، لَحْنين ، ولم يُجنِّسهما . وأوَّل لَحن ابن عبَّاد : « لا مطاع فى آل زينب » ، وأوَّل لحنِ ابن مُحرِّز[٣] :

(١) فيما سبق ، والديوان : « ووليدين كان » . (٢) أنقاض : جمع نقض ، بالكسر ، وهو من الحبال : الذى لم يجود فتله ولم يبرم . (٣) الأصول : « محرز » ، تصحيف. (انظر : فهرست هذا الكتاب) .

(٤) الديوان (ص : ٢٩٤) : « المعرض » . (٥) فيما سبق . والديوان : « لها » .

(٦) الرواية فيما سبق ، والديوان :

نجعل الليل موعدا حين نمسى ... ثم يخفى حديثنا الكتمان

(٧) فيما سبق ، والديوان : « الإنسان » . (٨) المحدث : مكان التحدث ، أو الحديث . يعنى أنه وإياها كان حديثهما ، أو مجلس حديثهما ، عند القصر فيه تعفف وفيه مصارحة .

(٩) وهى رواية الديوان ، وبعض النسخ فيما سبق . وفى سائرها هناك : « لدن » ؛ أى : رخاء ولين .

« ولقد أشهد المُحدَّث » .

قال :

وفيها يقول أيضا :

صوت

أحدّث نفسى والأحاديث جمّةٌ ... وأكبر همّى والأحاديثِ زَينبُ[١]
إذا طلعَتْ شَمْسُ النَهار ذَكرتُها ... وأُحْدث[٢] ذكراها إذا الشمسُ تَغرب

ذكر حمّادٌ عن أبيه أنّ فيه للهُذلىّ لحنًا لم يَنْسُبْه .

* * *

٥١/١٤

صوت

يا نُصْبَ عَيْنَىَ لا أرَى ... حَيثُ التفتُّ سواكِ شَيّا
إنّى لمَيْتٌ إنْ صَـــدَدْ ... تِ وإن وَصَلْتِ رجَعتُ حيّا

الشّعر لعلىّ بن أديم[٣] الجُعفىّ الكُوفىّ . والغناء لعمرو بن بانة ، رَمل بالوسطى .

---

(١) الديوان(ص:٣٧٦) . (٢) جـ : « فأحدث » .

(٣) كذا فى أ ، ط ، ل ، و . وهو يتفق وما جاء فى كتاب الفهرست لابن النديم (ص : ٤٢٦ طبعة مصر) عند ذكر أسماء العشاق من سائر الناس ، ففيه : « ممن ألف فى حديثه كتاب ... كتاب على بن أديم ومنهلة » . والذى فى سائر الأصول : « آدم » .

ذكر

على بن أديم

وخبره

شيء عنه وعن معشوقته منهلة

* هو : رجلٌ من تُجّار أهل الكُوفة كان يَبيع البَزّ[١] ، وكان مُتأدِّبًا صالحَ الشِّعر ، يَهوى جاريةً ، يقال لها : مَنْهلة[٢] ، واستهُيِم[٣] بها مُدَّةً ، ثم بيعت فمات أسفًا عليها . وله حديثٌ طويلٌ معها فى كتابٍ مُفرد مشهور[١] ، صنَّفه[٤] أهلُ الكوفة لهما ، فيه ذِكْرُ قِصصهما وَقتًا وقتًا ، وما قال فيها من الأشعار . وأمْرُهما متعالَمٌ عند العامّة ، وليس مما يَصلح الإطالة به .

موته و موتها

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عمّار ، قال : حدّثنى محمدُ بن داود ابن الجرّاح[٥] ، قال : حدّثنا أحمد بن أبى خَيثمة ، قال : قال دِعْبل بن علىّ :

كان بالكوفة رَجُلٌ يقال له : علىّ بن أَدِيم[٦] ، وكان يَهْوَى جاريةً لبعض أهلها[٧] ، فتعاظمَ أمْرُه . وبيعت الجاريةُ فمات جَزعًا عليها ، وبلغها خَبرُه فماتت .

(*) لم يذكره ابن واصل فى التجريد ، كما لم يذكره ابن منظور فى المختار .

(١) انظر الحاشية (رقم : ٢ ، ص : ٥٥٩٩) . (٢) انظر الحاشية (رقم : ٣ ، ص : ٥٥٩٦) .

(٣) كذا فى جـ ، والذى فى سائر الأصول : « واستهام » . والوارد ما أثبتنا . (٤) جـ : « صنعه » .

(٥) أ : « عمر بن داود بن الجراح » . (٦) كذا فى أ ، ط ، ل ، و . والذى فى سائر الأصول : « آدم » . (انظر الحاشية : ٣ ، ص : ٥٥٩٦) . (٧) أهلها ؛ أى : أهل الكوفة .

حديث عشقه لها

قال :

وحدّثنى بعضُ أهل الكوفة أنّه عَلِقها وهى صَبيةٌ تَختلف[1] إلى الكُتّاب ، فكان يجئُ إلى ذلك المؤدِّب فيجلس عنده لينظرَ إليها ، فلما أنْ بلغَتْ باعها مواليها لِبعض الهاشميّين ، فمات جَزعًا عليها .

من شعره فيها

قال : وأنشدنى له أيضًا :

صوت

صاحُوا الرَّحِيلُ وحثّنى صَحْبِى ⁂ قالوا الرَّواحُ فطَيَّرُوا لُبِّى
واشْتَقْتُ شَوْقًا كاد يَقْتلنى ⁂ والنَّفْسُ مُشرِفةٌ على نَحْب[2]
لم يَلْقَ عند البَيْنِ ذو كَلَفٍ ⁂ يومًا كما لاقيتَ من كَرْب
لا صَبْرَ لى عند الفِراق على ⁂ فَقْدِ الحَبيب ولَوْعةِ الحُبِّ

الشعر لعلىّ بن أديم الكُوفىّ الجُعفىّ . والغناء لحَكَم الوادىّ . وذكر حبشٌ أن لإبراهيم بن أبى الهيثم فيه لحنًا[3] . والله أعلم .

شيء من حديثهما

أخبرنى محمدُ بن خلف بن المرزُبان ، قال : حدّثنى أبو بكر العُمرىّ ، قال : حدّثنى دِعْبلُ بن علىّ ، قال :

كان بالكُوفة رجلٌ من بنى أسد ، يُقال له : علىّ بن أديم ، فهوِىَ[4] جاريةً لبعض نساء بنى عَبس ، فباعتْها لرجُلٍ من بنى هاشم ، فخرج بها عن الكوفة ، فمات علىٌّ بن أديم جَزَعًا عليها بعد ثلاثةِ أيّام من خروجها . وبلغها خبرُه فماتت [بعده][5] ، فعَمِل أهلُ الكوفة لهما أخبارًا ، هى مشهورةٌ عندهم .

(١) كذا فى و . وفى جـ : «تتخلف» . وفى سائر الأصول : «فتختلف» .
(٢) النحب : الخطر العظيم ، والموت . (٣) كذا فى أ ، ط . والذى فى سائر الأصول : «لحنان» وصوابها إن صحت : «لحنين» . (٤) ب ، جـ ، س : «يهوى» . (٥) التكملة من أ ، ط ، ل .

آخر من مات عشقا وحديث ذلك

حدّثني محمدُ بن خلف بن المَرْزُبان ، قال : حدّثنا أبو بكر العُمَرِيّ(١) ، قال : حدّثنا أبو صالح الأَزْدِيّ ، قال : حدّثنا محمدُ بن الحُسين الكوفيّ ، قال : حدّثنا محمدُ بن سَماعة ، قال :

آخر مَن مات من العِشق عليُّ بن أَديم الجُعْفيّ ، مرَّ بمَكتب في بني عَبْس بالكُوفة ، فرأى فيه جاريةً ، تُسمَّى : مَنهلةَ ، عليها ثيابُ سَوادٍ ، فاستُهِيم بها وأَعْجبته ، وكَلِف بها ، وقال فيها :

إنِّي لِمَا يَعْتـادني ... من حُبِّ لابِسَة السَّوادِ
في فِتْنة وبَلِيّـة ... ماإنْ يُطيقهما فُؤادي
فبَقِيتُ لا دُنْيا أَصَبْـ ... ـتُ وفاتَني طَلَبُ المَعَاد

٥٢ / ١٤

وسأل عنها ، فإذا لها مالكةٌ عَبْسيّة، وكان ابن أديم خزّازا(٢) ، فتَحمّل أبوه بجماعة من التُّجّار على مولاتها لِتَبيعَها ، فأبَتْ ، وخَرج إلى أمِّ جعفر ورَفع إليها قِصّتَه يَسألُها فيها المَعُونةَ على الجارية ، فخرج له تَوقيعٌ بما أَحبّ ، وأقام يتَنَجَّز تمامَ أَمْره . فبينا هو ذاتَ يومٍ على باب أُمّ جعفر إذْ خَرجت امرأةٌ من دارها فقالت : أينَ العاشق ؟ فأشاروا إليه ؛ فقالت : أنت عاشقٌ وبينك وبين من تُحبُّ القناطرُ والجُسور ، والمياه والأنهار ، مع ما لا يُؤمَن من حُدوث الحوادث ، فكيف تَصبر على هذا ، إنّك لجَسُورٌ صَبُور . فخامر قلبَه هذا القولُ ، وجَزِع ، فبادر(٣) فاكْتَرى بَغْلاً إلى الكُوفة على الدُّخول ، فماتَ يوم دُخُول الكوفة .

(١) جـ ، هنا : « العميرى » .
(٢) كذا في جـ، و. والخزاز : بائع الخز. وهو من الثياب . وكان الأولى أن تكون « بزازا » لتتفق وما جاء في صدر هذه الترجمة من أنه كان يبيع البز ، وهي الثياب . والذي في سائر الأصول: « خرازا » ، ولا يستقيم بها الكلام ، إذ الخراز : صانع الأخفاف، وما تقدم يتأبيه .
(٣) كذا في ط ، ل ، و . والذي في سائر الأصول : « فنادى » .

ذكر
عمرو بن بانة

نسبه (*) هو: عَمرو بنُ محمد بن سُليمان[1] بن راشد، مولى ثَقيف.

أبوه وكان أبوه صَاحبَ دِيوان[2]، ووَجيهًا من وُجوه الكُتّاب.

أمه ويُنسَب إلى أُمّه: بانة، [بنت رَوح][3] القَحْطَبيّة[4].

شيء عنه وكان مُغنّيًا مُحسنا، وشاعرًا صالح الشِّعر، وصَنعته صَنعةٌ مُتوسِّطة، النادِرُ منها ليس بالكَثير[5]، وكان يُقعده عن اللَّحاق بالمُتقدِّم[6] في الصنعة أنه كان مُرتجلاً، والمُرتجل من المُحْدثين لا يَلحق الضُّرّابَ. وعلى ذلك فما فيه مَطْعن[7]، ولا يُقصِّر جَيِّدُ صَنعته عن صَنعة [غيره من][8] طَبقته، وإن كانت قليلةً. وروايته أحسنُ رواية، وكتابه في الأغاني أصْلٌ من الأُصول.

تعصبه لابن المهدي وكان يذهبُ مذهبَ إبراهيم بن المهديّ في الغِناء وتَجْنيسِه، ويُخالف إسحاقَ ويتعصَّب عليه تَعصُّبًا شديدًا، ويُواجهُه بذلك ويَنصرُ[9] إبراهيم ابن المهديّ عليه.

(*) مختار الأغاني (٥: ٢٢١–٢٢٢) نهاية الأرب للنويري (٥: ٢١).

(١) وكذا في نهاية الأرب. والذي في مختار الأغاني: «سليم». (٢) الديوان، بالكسر ويفتح: مجتمع الصحف، والكتاب يكتب فيه أهل الجيش وأهل العطية؛ والجمع: دواوين ودياوين، وأول من وضعه عمر بن الخطاب، رضي الله تعالى عنه. يريد أنه كان إليه ديوان من هذه الدواوين. (٣) التكلة من ل، ومختار الأغاني. (٤) كذا في ط، ل، و، ومختار الأغاني. والذي في سائر الأصول: «القحطبيه». (٥) كذا في ط، ل، و. والذي في سائر الأصول: «النادر منها ماليس بالكثير». (٦) ب، س: «بالتقدم». وفي المختار: «بالمتقدمين في صنعته». (٧) المختار: «وليس فيه مطعن». (٨) التكلة من ط. (٩) ب، س: «فينصره».

لبعض الشعراء فيما كان به من وضح

وكان تَيَّاهًا مُعْجَبًا شديدَ الذَّهاب بنفسه ؛ وهو مَعْدودٌ فى نُدماء الخُلفاء ومُغنِّيهم ، على ما كان به من الوَضَح[1] ، وفيه يَقول الشاعر :

أَقولُ لَعمْرٍو وقد مَرَّ بى فسَلَّم تَسْليمةً جافِيَهْ
لئن فَضَّلُوك بفَضْل الغِناء[2] لقد فَضَّل اللهُ بالعافِيه

كان حسن الحكاية حسن التعليم

وقال ابن حَمْدون :

كان عمرٌو حَسَنَ الحِكاية لمن أخذ الغناءَ عنه ، حتّى كان مَن يَسمعُه ، لو تَوارى عن عَينه عَمرو ثم غَنَّى ، لم يَشْكُكْ فى أنَّه هو الذى أخذ عنه ، لِحُسْنِ حِكايته . وكان مَحْظوظًا[3] ممن يُعلِّمه ، ما علَّم أحدًا قطُّ إلا خَرَج نادرًا مُبرِّزًا .

علم عشرة كلهم حذاق

فأخبرنى جَحظة ، قال : حدّثنى أبو العُبَيْس[4] بن حَمدون ، قال : قال لى عمرو بنُ بانة :

علَّمتُ عَشرةَ غِلمان كلُّهم تَبيَّنت[5] فيهم الثقافةَ والحِذْق ، وعلمت أنَّه مُتقدِّم[6] ، [أحدُهم][7] أنت ، وتَمرة ، وما تبيَّنت قطُّ من أحد خلافَ ذلك فعَلَّمتُه .

بينه وبين إسحاق الموصلى

وقال محمدُ بنُ الحسن الكاتب : حدّثنى أبو جارية[8] الباهلىّ ، عن أخيه أبى معاوية ، قال :

---

(١) الوضح : البرص . (٢) كذا فى ط ، ل ، و ، والمختار ، ونهاية الأرب . والذى فى سائر الأصول:

« لئن فضل الله فضل الغناء »

(٣) كذا فى ط ، ل ، و ، ونهاية الأرب . والذى فى سائر الأصول: « محفوظا » ، تحريف .

(٤) ب ، س : « أبو العنبس » . (انظر : فهرست هذا الكتاب) .

(٥) ب ، ج ، س : « ثبتت » . تحريف . (٦) ط : « يتقدم » . (٧) التكلة من ط ، ل ، و . (٨) ط ، ل ، و : « حارثة » . (انظر : فهرست هذا الكتاب) .

سمعتُ عمرو بنَ بانةَ يقول لإسحاقَ ، فى كلامٍ جَرى بينهما : ليس مِثْلى يُقاس بمثلك ، لأنَّك تَعلَّمتَ الغناءَ تَكَسُّبًا ، وتعلَّمتُه تَطرّباً ، وكنت أُضْرَب لئلا أتعلَّمه ، وكنتَ تُضرب حتّى تَتَعلَّمه .

سؤاله ابن الضحاك أن يقول شعرا فى غلام ابن شغوف ليغنى فيه

وأخبرنى علىُّ بنُ سُليمان الأَخفش ، قال : حدّثنى محمدُ بن الحسن ابن الحَرُون[١] ، قال :

٥٣/١٤

اجتمع عمرو بنُ بانة والحُسين بن الضحّاك فى مَنزلِ ابن شَغُوف[٢] وكان له خادمٌ ، يقال له : مُقْحَم[٣] ، وكان عمرٌو يُتَّهم به ، فلما أَخذَ فيه[٤] الشرابُ سأَل عمرٌو الحُسينَ بن الضحّاك أن يَقُول فى مُقْحَم شِعرًا لِيُغنِّى فيه ، فقال الحُسينُ :

وابِأَبِى مُقْحَمٌ لِعِزّته[٥] قُلتِ له إذ خَلوتُ مُكتتمَا
تُحِبّ بالله من يَخُصُّك بالْـ ـحُبِّ[٦] فما قال لا ولانَعما

الشِّعر للحُسين بن الضحّاك . والغناءُ لعَمرو بنِ بانة ، ثانى ثقيل بالبِنصر .

قال : فغنّى فيه عمرٌو ، ولم يَزل هذا الشِّعرُ غِناءَهم ، وفيه طَربُهم إلى أن تفرّقوا .

---

(١) ب ، جـ ، س : «..الحسن الحرون» ، وقد مر . (انظر : فهرست هذا الكتاب) .

(٢) ب ، جـ ، س : «شعوف» بالعين المهملة . وما أثبتنا من سائر الأصول هنا ، ومما مر قبل (ص : ٢٦١٣) .

(٣) كذا فى أكثر الأصول . هنا ، وكذا فيما مر من هذا الكتاب . وفى ط ، ل ، و ، هنا : «مفحم» ، بالفاء .

(٤) ب ، جـ ، س : «فيهم» .

(٥) ب ، س ، ل : «لعزته» . وقد مر هذا الشعر (ص : ٢٦١٣) .

(٦) كذا فى ط ، ل ، و . والذى فى سائر الأصول ، هنا ، وفى جميعها فيما مر ، وفيما سيأتى : «بالود» .

وأتاهم فى عَشِيَّتهم إسحاقُ بن إبراهيم الموصلى، فسألوا ابن شغُوف(١) أن لا يأْذن له ، فحَجبَه ، وانصرف إسحاقُ بن إبراهيم الموصلىّ إلى منزله ، فلما تفرَّقوا مرَّ به الحُسينُ بن الضحاك وهو سَكران ، فأخبره بجَميع ما دارَ فى مَجلسهم ، فكتب إسحاق إلى ابن شغُوف :

يا بن شَغُوف أما سَمعتَ بما قد صار فى الناس كُلِّهم عَلَمَا
أتاك عَمْرٌو فبـاتَ لَيْلتَـه فى كُلِّ ما يُشْتَهى كما زَعَما
حتَّى إذا ما الظلامُ خالطَه سَرَى دَبِيبًا فجامَع الخَدَما
ثُمَّتَ لم يَرْضَ أن يَفُوز بِذَا سِرًّا ولكنْ أبْدَى الذى كَتَما
حتَّى تَغَنَّى لفَرط صَبْوته صَوْتًا شفَى من فُؤاده السَّقَما
وابـأَبِى مُقْحَم لغِرَّته(٢) قلتُ له إذ خَلَوْت مُكْتتِما
تُحبُّ بالله من يَخصّك بالـ ـوُدِّ(٣) فما قال لا ولا نعما

فهجر ابنُ شَغوف عمرو بنَ بانة مدّةً وقَطَع عِشْرته .

غلمان ابن شغوف

وأخبرنى محمدُ بن العبّاس اليزيدىّ بهذا الخبر ، قال : حدّثنى مَيمونَ بن الأَزرق(٤) ، قال :

كان لمحمد بن شَغوف الهاشمى ثلاثةُ غلمان مُغَنِّين ، ومنهم اثنان صَقْلبيَّان محبوبان : خاقانُ ، وحُسين ، وكان خاقانُ أحسنَ الناس غِناءً ، وكان حُسين يُغَنِّى غناءً متوسِّطًا ، وهو مع ذلك أَضْرَبُ الناس ، وكان قليلَ الكلام جميلَ الأَخلاق ، أحسنَ الناس وجهًا وجِسْمًا ، وكان الغلامُ

(١) ب ، جـ ، س : «شفوف» بالفاء . وف،ط،ل : «شعوف» بالعين المهملة. (انظر الحاشية رقم : ٢ ، ص: ٥٦٠٢) . (٢) ب ، جـ، س : «لمزته» . (انظر الحاشية رقم :٥، ص : ٥٦٠٢) . (٣) انظر الحاشية (رقم : ٦ ص : ٥٦٠٢) .
(٤) ب ، جـ ، س : «ميمون بن هارون» .

الثالثُ فَحْلاً ، يقال له : حجّاج ، حَسن الوَجه ، رُوميٌّ ، [حسن] [١] الغناء ؛ فتعشّق عمرُو بن بانة منهم المعروفَ بحُسين ، وقال فيه :

وا بأَبِي مُقحَـــم لغِرته قلتُ له إذ خلوت مُكتتِمًا [٢]
تُحبُّ باللهِ من يخصُّك باا ودِّ فما قـــال لا ولا نَعما

ولم يَذكر غير هذا .

وقال محمد بنُ الحسن [٣] : حدّثني أبو الحُسين [٤] العاصميّ ، قال: دخلت أنا وصديقٌ لى على عمرو بن بانة فى يوم صائف ، فصادفْناه جالسًا فى ظلٍّ طويل مُمْتع [٥] ، فدَعانا إلى مُشاركته فيه ، وجَعل يُغنِّينا يومَنا [٦] كُلَّه لحنَه :

صوت

نِقابُكِ فاتنٌ لا تَفْتِنينا ونَشْرُكِ طَيِّبٌ لا تَحْرِمينَا [٧]
وخاتَمك اليَمانِي غيرَ شَكٍّ خَتَمْتِ به رِقابَ العالمَينا

الغناءُ لعمرو بن بانة ، هَزجٌ خفيف بالبنصر .

٥٤/١٤ قال : فما طَربتُ لغناء قطُّ طَربى له ، ولا سَمعتُ أشْجَى ولا أكثر نَغَمًا ، ولا أحسنَ ممّا غَنّاه [٨] .

هو و جعفر الطبال أخبرنى جحظة قال : حدّثنى أبو حشيشة ، قال : كنت يومًا عند عمرو بن بانة، فزاره خادمٌ كان يُحبُّه [فأقام

(١) التكلة من ط ، ل ، و . (٢) مر الشعر (ص : ٥٦٠٢) والتعليق عليه .
(٣) ب ، جـ ، س : « عمرو بن الحسين » . (٤) ل ، و : « أبو الحسن » .
(٥) ب ، جـ ، س : « ممتنع » . (٦) ط ، ف ، ل : « يومه » . (٧) النَّشر : ريح فم المرأة وأعطافها . (٨) ط ، ل ، و : « من غنائه » .

عنده][1] ، فطلب عمرو فى الدنيا كلّها مَن يضرب عليه ، فلم يجد أحدًا ، فقال له جعفرٌ الطبّال : إنْ أنا غنّيتكَ اليوم على عُود يُضرب به عليك ، أىُّ شىءٍ لى عندك[2] ؟ قال : مائة درهم ودَسْتيجة[3] نَبيذ. وكان جعفرٌ حاذقًا مُتقدِّما نادرًا طيِّبا[4] ، وكان نَذْلَ الهِمّة[5] ، فقال : أسْمِعنى مَخرج صوتِك ، ففعلَ ، فسوّى عليه طَبْله كما يُسوّى الوَتر ، واتّكأ عليه برُكبته ، وأوْقع عليه[6] ، ولم يزل عمرو يغنى بقية يومه على إيقاعه ، لا يُنكِر منه شيئًا حتّى انقضى يومُنا ، ودَفع إليه مائةَ درهم ، وأُحْضِرت[7] الدّستيجة ، فلم يكن له مَن يَحملها ، فحملها جعفرٌ على عُنُقه ، وغَطّاها بطَيْلسانه ، وانْصَرفْنا .

إبراهيم بن المهدى وجعفر الطبال فى أجر لم يوفه إياه

قال أبو حَشيشة :

فحدّثتُ بهذا الحديث إسحاقَ بنَ عمرو بن بَزيع ، وكان صديقَ إبراهيم بن المهدىّ ، فحدّثنى أنّ إبراهيم بن المهدىّ قال له : يا جعفر ، حَذِّقْ فلانةَ جاريتى ضَرْبَ الطَّبْل ، ولك مائةُ دينار أُعجِّل لك منها خمسين ؛ قال : نعم . فعُجِّلت له الخمسون وعلّمها ، فلما حَذِقَت طالبَ إبراهيمَ بتتمّة[8] المائة ، فلم يُعْطِه ، فاستعدَى عليه أحمدَ بن أبى

(١) التكلة من ط ، ل ، و . (٢) المختار : «إن أنا غنيتك اليوم عن عود يضرب به عليك ، أى شىء يكون لى عندك» . (٣) كذا فى جـ ، ط . وفى ل ، و : «دستجة» . وفى سائر الأصول : «دستيجة» . والصواب ما أثبتنا . وظاهر مما سيأتى بعد قليل أنها إناء كبير لا يحمل باليد . وهذا لا يتفق وما جاء فى القاموس (دستج) : «والدستيج» : آنية تحول باليد ، معرب : دستى» . وهذا أحد المعانى التى ساقها استينجاس فى معجمه . كما ذكر للكلمة معنى آخر لعله يكون المراد هنا ، وهو : «قدر من الفخار» . (٤) كذا فى ط ، و ، مختار الأغانى . والذى فى سائر الأصول : «بادرا نادرا» . (٥) كذا فى ط ، ل ، و . والذى فى سائر الأصول ، والمختار : «بذل الهمة» . (٦) كذا فى أكثر الأصول ، والمختار . وفى ط : «فأوقع عليه» . وفى ب ، س : «ووقع عليه» . (٧) الأصول : «وأحضر» . وما أثبتنا من المختار . (٨) المختار : «ببقية» .

دُوَاد[١] الحَسنىّ ، خليفتَه ، فأعْداه ، ووكّل إبراهيمُ وكيلاً ، فلما تَقدّم مع الوكيل إلى القاضي[٢] أراد الوكيلُ أن يَكْسِر حُجّة جعفر ، فقال : أصلحَ الله القاضي ، سَلْه : من أين له هذا الذى يَدّعي ؟ وما سببُه ؟ فقال جعفر : أصلح الله القاضي ، أنا رجلٌ طَبّالٌ ، وشارَطني إبراهيمُ على مائة دينار على أن أحذِّق جاريتَه فلانة ، وعَجّل لى بخَمسين ديناراً ، وَمنعني الباقيَ بعد أن رَضِي حِذْقَها ، فيُحضِر القاضي الجارية وطَبْلَها ، وأُحضِر أنا طَبلي ، ويَسْمعنا القاضي ، فإن كانت مِثلي قَضَى لى عليه ، وإلا حَذَّقْتُها فيه حتى يَرضى القاضي ؛ فقال له القاضي : قُمْ ، عليك لعنةُ الله ، وعلى مَن يرضى بذلك منك ومنها ، فأخذ الأعوانُ بيده فأقاموه .

هو ورزق خادم علويه

وقال عليُّ بن محمد الهشامي[٣] : حدّثني جدّى ابنُ حمدون ، قال :

كنت عند عمرو بن بانة يومًا ، ففتح باب داره فإذا بخادم أبيض شيخ قد دخَل يقُودُ بَغْلاً له عليه مَزادة[٤] ، فلما رآه عمرو صَرخ : لا إله إلا الله ، ما أعْجب أمْركِ يا دُنيا ! فقلت له : مالك ؟ قال : يا أبا عبد الله[٥] ، هذا الخادم رِزْقٌ ، غلام[٦] علّويه المغنى ، الذي يقول فيه الحُسينُ بن الضحّاك الشاعر :

يالَيت رِزقًا كان من رِزْقى ... ياليتَه حَظّى من الخَلْقِ

(١) س ، : « داود » ، تحريف . (٢) فى أكثر الأصول : « فلما تقدموا القاضى مع الوكيل » . وما أثبتنا من ط ، ل ، و ، والمختار .

(٣) كذا فى ط ، و ، وهو : على بن محمد بن نصر الهشامى . وقد مر . (انظر : فهرست هذا الكتاب) . وقد جاء مضطربا فى سائر الأصول هنا بين « البسامى » و « الشامى » .

(٤) المزادة : الراوية . (٥) ب ، ج ، س : « يا عبد الله » . (٦) ط ، ل : « خادم » .

قد صار إلى ما تَرى .

ثم غنّانى له فى هذا الشِّعر . فما سمعتُ أحسنَ منه منذ خُلقت .

* * *

نسبة هذا اللحن

صوت

يا ليت رِزْقًا كان من رِزْقى   يا ليتَه حَظِّى من الخَلْقِ

يا شادنًا مَلَّكْتُه رِقِّى   فلستُ أرجُو راحةَ العِتْقِ

الشِّعر للحُسين بن الضحّاك . والغناءُ لعمرو بنِ بانة ، ولَحنُه من الثقيل الأوّل بالوُسطى .

هو والمتوكل في بيت أمر له به

وقال علىُّ بن محمد الهشامىّ : حدّثنى جدّى – يعنى ابن حَمدون – قال :

كُنّا عند المُتوكِّل ، ومعنا عمرو بنُ بانة ، فى آخر يوم من شَعبان ، فقال له عمرٌو : ياأمير المؤمنين ، جَعلنى الله فِداءك ، تأْمرُ لى بمنزل ، فإنه لا مَنْزل لى يَسَعُنى . فأمر المتوكِّل عُبيدَ الله بن يحيى بأن يَبتاع له منزلاً يختاره . قال : وهَجم الصَّومُ وشُغِل عُبيدُ الله ، وانقطع عمرٌو عنّا ، فلما أَهَلّ شَوالٌ دعا بنا المُتوكِّلُ ، فكان أولَ صوت غنّاه عمرٌو فى شعر ، هذا :

٥٥/١٤

صوت

مَلّاكَ رِبِّى الأعيادَ(١) تُخلِقُها(٢) ... فى طُول عُمْرٍ ياسيّدَ النّاسِ
دُفِعتُ(٣)عن مَنْزل أمرْتَ به ... فإنّنى عنه مُباعَدٌ(٤) خاسِ(٥)
[فمُرْ بتَسْليمِهِ إلىَّ على ... رَغْم عَدُوّى بحُرمة الكاسِ](٦)
أعوذ باللهِ والخَليفةِ أنْ ... يَرْجع ما قلتُه على راسِى

لحن عمرو فى هذا الموضع هَزَج بالبنصر .

فدعا المُتوكِّل بعُبيد الله بن يحيى ، فقال له : لِمَ دافعتَ عَمْرًا بابتياع المنزل الذى كنت أمرتُك بابتياعه ؟ فاعْتلَّ بدُخول الصوم وتَشعُّب الأشغال . فتقدّمَ إليه ألّا يُؤخِّرَ ابتياعَ ذلك له ، فابتاعَ له الدار التى فى دُورِ سُرَّ مَن رَأى ، بحَضرة دار المُعلَّى بن أيوب . وفيها تُوفِّى عمرو .

ظفره دون المغنين بسبق عبدالله بن طاهر

أخبرنى محمدُ بن إبراهيم قَرِيض(٧) ، قال : سمعتُ أحمد بن أبى العلاء [يُحدِّث أستاذى ، يعنى : محمد بن داود بن الجرّاح](٨) ، قال :

جمع عبدُ الله بنِ طاهر بين المُغنِّين وأراد أن يَمتحنهم ، وأخرج بَدْرةَ دراهمَ سَبَقًا(٩)لمن تَقدَّم منهم وأحْسن ، فَحضره مُخارقٌ ، وعَلُّويه ،

---

(١) ملاك ربى الأعياد : متعك بها . (٢) كذا فى أكثر الأصول . وتخلقها : تبليها . والذى ب ، س : «تخلقها» ، بالقاف . (٣) ب ، س : «رفعت» . (٤) ب ، س : «مبعد» . (٥) الخاسى ، الخاسىء ، بالهمز ، وسهل : النائى . (٦) التكملة من ط ، ف ، ل ، و .
(٧) كذا فى ط ، ل ، و . وفيما سبق من الكتاب . (انظر : الفهرست) ، والذى فى سائر الأصول ، هنا : «قريص» ، بالصاد المهملة . (٨) التكملة من ط ، ف ، ل ، و .
(٩) السبق ، بالتحريك : الخطر يجعل بين المتسابقين .

وعمرو بن بانة ، ومحمدُ بن الحارث بن بُسْخُنَّر[١] ؛ فغنَّى علّويه فلم يصنَعْ شيئا ، وتَبِعه محمدُ بن الحارث ، فكانت هذه سَبيلَه ، وامتدت الأعينُ إلى مخارقٍ ، وعَمرو ، فبدأ مخارقٌ فَغنَّى :

إنِّى امرؤٌ مِن خَيْرهم   عَمِّى وخالِى من جُذامْ

فما نُهْنِه[٢] عمرٌو مع انقطاع نَفَسه[٣] حتَّى غَنَّى :

يا ربْعَ سَلَّامة بالمُنْحَنَى   بخَيْفِ سَلْعٍ جادكَ الوابلُ[٤]

وكان إبراهيمُ بن المهدّى حاضرًا ، فبكى طربًا وقال : أحسنتَ والله واسْتَحْقَقت ، فإن أعطيتَه وإلا فخُذه من مالى ، يا حَبيبى ، عنِّى أخَذْتَ هذا الصوت ، وقد والله زِدْتَ علىَّ فيه وأحْسنتَ غايةَ الإحسان ، ولا يزال صَوتى عليك أبدا ؛ فقال له عبدُ الله : مَن حكَمت له بالسَّبق فقد حَصَل ، وأمر له بالبَدْرة ، فحُمِلتْ إلى عَمرو .

رأى قريض فيه وفيمن كان معه من المغنين عند عبد الله ابن طاهر

ثمّ حدّثنا بعد ذلك :

أن إسحاق لقى عمرو بنَ راشد الخنَّاق ، فقال له : قد بَلغنى خَبرُ المجلس الذى جَمع عبدُ الله فيه المُغنِّين يَمتحنهم ، ولو شاء لكان فى

---

(١) ب ، س : « بشخبر » ، تصحيف . (انظر : فهرست هذا الكتاب) .
(٢) كذا فى ف ، ل ، و . يعنى : فما تلبث . والنهنهة : الكف والمنع ، والذى فى سائر الأصول : « نهنه » . (٣) نفسه ؛ أى : نفس مخارق ؛ أى : عند انتهاء الصوت .
(٤) الخيف : ما انحدر من غلظ الجبل . وسلع : جبل بسوق المدينة .

راحة من ذلك ؛ قلتُ : وكيف ؟ قال : أمّا مخارق فأحسنُ القوم غناءً ، إذا اتّفق له أن يُحْسن ، وقلّما يتفق له ذلك ؛ وأمّا محمد بن الحارث فأحْسنهمْ شمائلَ ، وأمْلحهم إشارةً بأطراف وَجهه فى الغناء ، وليس له غير ذلك ؛ وأمّا عمرو بنُ بانة فأعلمُ القوم وأرْقاهم ؛ وأما علّويه فمن أدخله ابنُ الزانية مع هؤلاء ؟

***

نسبة هذين الصوتين

صوت

إنّى امروٌ من خَيرْهمْ عمّى وخالى من جُذَامْ
خَوْدٌ كضَوء البَدْر أو أضْوَى لدَى اللّيْل التّمام[1]
يَجْرى[2] وشاحاها على نَحْرٍ نَقىٍّ كالرُّخام[3]

٥٦/١٤ والغناءُ لابن جامع ، رَمَل مطلق فى مَجرى البنصر ، عن إسحاق

***

صوت

يا خليلَىْ من بَنى شَيْبانْ أنا لاشَكَّ مَيّتٌ فابْكيانى
إنّ رُوحى لم يبْقَ منها سِوى شَىْء يَسير مُعلَّق بلِسَانى

(١) الخود : الحسنة الخلق الشابة . وأضوى : أضوأ ، بالهمز وسهل ؛ أى : أكثر سناء وإشراقاً . والليل التمام : أطول ما يكون من الليالى . (٢) كذا فى ف . وفى أ : « تجريه » . وفى سائر الأصول : « تخبره » . (٣) الوشاح ، بالضم والكسر : قلادة تنظم من خيطين من لؤلؤ وجوهر ، يخالف بينهما ، معطوف أحدهما على الآخر .

[خبر هذا الشعر الذى فيه الغناء]

الشّعر لأبى العتاهية[1] . والغناء لإبراهيم ، رَمَل بالوسطى ، عن عمرو والهشامىّ ، وابراهيم .

وهذا الشّعر يُخاطب به أبو العتاهية عبدَ الله ، وزائدةَ ، ابنى[2] مَعن ابن زائدة الشّيبانىّ ، وكان صديقًا وخاصًّا بهما . ثم إنّ يزيد بن مَعن غَضِب لمولاةٍ لهم ، يقال لها : سُعدى ، وكان أبو العتاهية يُشبِّب بها ، فضربه مائة سَوط ، فهَجاه وهَجا إخوته ، ثم أَصْلَح بينهم مَندلُ بن علىٍّ العبْدىّ ، وهو مولى أبى العتاهية ، فعادَ إلى ما كان عليه لهم .

فأخبرنى وكيعٌ ، قال : حدّثنى حمّادُ بن إسحاق ، عن أبيه ؛ وأخبرنى أحمدُ بن عُبيد الله بن عمّار ، قال : حدّثنى علىُّ بن محمد النّوفلىّ ، عن أبيه ، قالا :

قَولُ أبى العتاهية :

* يا خَليلىَّ من بنى شَيْبان *

يخاطب به عبدَ الله ، ويزيد ، ابنى مَعن بن زائدة . أو قال: عبد الله ، وزائدة[3] .

[بين أبى العتاهية وابن معن فى تعشق جارية]

أخبرنى ابنُ عمّار ، قال : حدّثنى محمدُ بنُ موسى بن حمّاد ؛ وأخبرنى محمدُ بن يحيى ، قال : حدّثنى محمدُ بن سَعيد ، قال : حدّثنا أبو سُوَيد عبدُ القوىّ بن محمد بن أبى العتاهية[4] ، قال :

---

(١) لم يرد هذا الشعر فى ديوان أبى العتاهية المطبوع فى بيروت سنة ١٩١٤م . (٢) ب ، س : « ابن » ، تحريف . (٣) ذكر ابن حزم فى جمهرة أنساب العرب (ص : ٣٢٦) أولاد معن بن زائدة : عبد الله ، والفضل ، وزائدة . كما ذكر أن يزيد « هو ابن أخى معن ، وهو يزيد بن مزيد بن زائدة . (٤) الأصول : « وقال حدثنى محمد بن سعيد أبو سويد عبد القوى عن محمد بن أبى العتاهية » . والتصويب مما سبق (ص : ١٢٢٨) .

كان أبو العتاهية فى حَداثته يَهوى امرأةً من أهل الحِيرة نائحةً[1] ، لها حُسنٌ وجمالٌ ودَماثةٌ ، وكان ممّن يَهواها أيضاً عبدُ الله بن مَعن بن زائدة أبو الفَضل ، وكانت مولاةً لهم ، يقال لها : سُعدى ، وكان أبو العتاهية مُغرمًا بالنّساء ، فقال فيها :

ألا ياذواتِ السّحق فى الغَرْب والشّرق   أفِقْنَ فإنَّ النَّيْكَ أشهَى من السّحْقِ[2]
أفِقْن فإنَّ الخُبز بالأُدْم يُشْتَهى   وليس يَسُوغ الخُبزُ بالخُبز فى الحَلْق
أراكُنَّ تَرْقعنَ الخُروقَ بمثلها   وأىُّ لَبيب يَرْقعَ الخَرْق بالخَرق
وهل يَصْلُح المِهراسُ إلّا بعُوده   إذا احْتيجَ منه ذاتَ يوم إلى الدّقِّ[3]

قال :

وقال فيه أيضا :

قلتُ للقَلب إذْ طَوى وَصْلَ سُعْدَى   لِهواه[4] البَعيـــدةِ الأنْساب
أنتَ مِثلُ الذى يَفِرُّ من القَطْـ   ـر حِذارَ النَّدَى إلى المِيزاب

قال محمد بن موسى[5] فى خَبره[6] :

فغَضب عبدُ الله بن مَعْنٍ لسُعْدى ، فضرب أبا العتاهيةِ مائةً ، فقال:

جَـــلَدتْنى بكَفِّها   بِنتُ مَعْن بن زائدَهْ

(١) ب ، س : « نافحة » ، تحريف .
(٢) لم يرد فى ديوانه : وقد مر فيما سبق (ص : ١٢٣٨) مع اختلاف يسير .
(٣) المهراس : الهاون . (٤) كذا فى الأصول . وإن صحت، فالمراد: الهوى ، مقصورا، بمعنى: الحب ، فمد للضرورة. والبيتان لم يردا فى ديوان أبى العتاهية. (٥) الأصول: «محمد بن محمد». والظاهر أنه محرف عما أثبتنا ، فلم يمر لمحمد بن محمد هذا ، ذكر. فأحد اللذين روى عنهما أبو الفرج هو: محمد بن موسى بن حماد ، كما مر (ص : ١٢٣٩) ؛ وسيتكرر هذا بعد قليل .
(٦) مر هذا الخبر والشعر مع خلاف فى المدخول إلى الشعر (ص : ١٢٣٩) .

جَلَدتْنى بكفِّها بِأَبى أنتِ جالده
جَلَدتْنى وبالَغتْ مائةً غيرَ واحده
اجْلِدِى اجْلِدِى اجْلِدِى إنّما أنتِ والده

حلم ابن معن فى ضربه أبى العتاهية

أخبرنى وكيع ، قال : حدّثنى أبو أيوب المدينى ، قال : احتال عبد الله بن معن فضَرَبَ أبا العتاهية ضربًا غيرَ مُبرِّح ، إشفاقًا من كثرة من يُغنّى(١) به ، فقال :

اجْلِدِى اجْلِدِى اجْلِدِى إنما أنت والده

شعر أبى العتاهية فى تهديد ابن معن له

٥٧/١٤ أخبرنى محمدُ بن يحيى ، قال : حدّثنا الغِلابىّ ، قال : حدّثنى مَهدىّ(٢) ، قال : تَهدّد عبدُ الله بن مَعن أبا العتاهية وخَوّفَه ونَهاه أن يَعْرِض لمولاته سُعْدَى ، فقال أبو العتاهية قولَه :

أَلا قُل لابن مَعن ذا(٣) الـ ـذِى فى الوُدِّ قد حالَا
لقد بُلِّغْتُ ما قال فما بالَيْتُ ما قالا
ولو كان من الأُسْد لما راعَ(٤) ولا هالا
فصُغْ ما كُنتَ حلَّيتَ به سَيْفَك خَلْخالا
فما تَصنع بالسَّيف إذا لم تَكُ قَتَّالا
ولو مَدَّ إلى أُذْنَيْـ ـه كَفَّيه لَمَا نالا

(١) كذا فى ل ، و ، وفيما سبق (ص : ١٢٣٩) . والذى فى سائر الأصول ، هنا : « إشفاقًا عن يغنى به » ، وهى ظاهرة التصحيف .

(٢) بهامش ، هو : مهدى بن سابق ، كما فيما مر مع هذا الخبر (ص : ١٢٣٨) .

(٣) ب ، جـ ، س : « والذى » . وما أثبتنا من سائر الأصول ، وما سبق . (٤) فيما سبق : « صال » .

قَصِيرُ الطُّول والطُّوْل فلا(١) شَبَّ ولا طالا
أرى قومَك أَبْطَا لَاوقد أصبحت بَطَّالا

لابن الأعرابى فى هجاء أبى العتاهية لابن معن

أخبرنى محمدُ بن يحيى، قال حدّثنى الحسنُ بن على الرازىّ، قال: حدّثنى أحمد بن أبى فَنَن، قال:

كُنّا عند ابن الأَعرابىّ فذكَر قول يحيى بن نَوفل فى عبد الملك بن عُمير القاضى:

إذا كَلَّمَتْهُ ذاتُ دَلٍّ لحاجة فَهمَّ بأن يَقْضى تَنحنح أو سَعَلْ

وأنّ عبد الملك بنَ عُمير (٢) قال: تركَنى والله وإنّ السُّعلة لتَعْرِض لى فى الخَلاء فأذكر قوله فأتْركها(٣)؛ قال: فقلتُ له(٤): هذا عبدُ الله بن مَعن ابن زائدة يقول له أبو العتاهية:

فصُغْ ما كنتَ حلَّيتَ به سَيْفَك خَلْخالا
وما تَصْنعُ بالسَّيف إذا لم تَكُ قَتَّالا

قال: فقال عبدُ الله: ما لبستُ السيفَ قطُّ فلَمحنى إنسانٌ إلّا قُلت: إنّه يحفظ شِعر أبى العتاهيةِ فىَّ، فينظر إلىّ بِسَببه. فقال ابن الأعرابىّ: اعجبوا لعَبْد يَهجو مولاه(٥)! وكان أبو العتاهية من موالى بنى شيبان.

ولأبى العتاهية فى هجائه ابن معن

وقال محمد بن موسى فى خبره:

---

(١) فيما سبق: «الطول والطيلة لا». والطيلة: العمر.
(٢) ب، جـ، س: هنا: «عبد الملك بن سليمان بن عمير»: (انظر: ص: ١٢٤١)
(٣) فيما سبق: «فتأهاب أن أسعل». (٤) فيما سبق: «فقلت لابن الأعرابى».
(٥) كذا فى ط، ل، و، وما سبق (ص: ١٢٤١). والذى فى سائر الأصول هنا: «اعجبوا إليه لعنه الله يهجو مولاه».

وقال أبو العتاهية يهْجو عبدَ الله بنَ مَعن :

لا تُكثِرا يا صاحِبىّ رَحْلِى[١] ... فى شَتْم مَن أكْثرَ من عَذْلِى
سُبحانَ من خَصَّ ابنَ معنٍ بما ... أرَى به من قِلّة العَقل
قال ابنُ معن وَجلَا نَفْسَه ... على مَن الجَلْوةُ[٢] يا أهْلى
أنا فَتاةُ الحىّ من وائلٍ ... فى الشَّرَف الباذخ[٣] والنُّبْل
ما فى بَنى شَيبان أهْلِ الحِجا ... جاريةٌ واحـــدةٌ مِثْـــلى
يا ليتَنى أبصَرتُ دَلّالةً ... تَدُلُّنى اليـــومَ على فَحْل
والَهْفتَا اليومَ على أمْرد[٤] ... يُلْصِق منّى القُرْطَ بالحَجْل[٥]
أتيتُه يومًا فصافحتُـــه[٦] ... فقَال دَعْ كَفّى وخُذْ رِجْلى
يُكنَى[٧] أباالفَضلِ فيا مَنرأى ... جاريةً تُكنى أبا الفَضل
قد نَقَّطتْ فى خدِّها[٨] نُقْطَةً ... مَخافةَ العَيْن من الكُحل
٥٨ / ١٤ إنْ زُرتَموها قال حُجّابُهـــا ... نحنُ عن الزُّوّارِ فى شُغل
مَولاتُنا خاليـــةٌ عِندَها ... بَعْلٌ ولا إذْنَ على البَعْل
قُولا لعبد الله لا تَجهلَنْ ... وأنتَ رَأس النُّوك والجَهل[٩]

(١) فيما سبق (ص: ١٢٣٦) :

« ياصاحبى رحلى لا تكثرا »

(٢) الجلوة : بالفتح وتثلث : عرض العروس على بعلها مجلوة. (٣) فيما سبق : « الشامخ ». (٤) فيما سبق :

« ويلى ويالهفى على أمرد »

(٥) الحجل ، بالفتح والكسر : الخلخال. (٦) فيما سبق :

« صافحته يوماً على خلوة »

(٧) فيما سبق : « تكنى ».

(٨) فيما سبق : « فى وجهها ». (٩) النوك ، بالضم والفتح : الجهل. ورواية البيت فيما سبق :

يا بنت معن الخير لا تجهلى ... وأين إقصار عن الجهل

أَتَجْلِد الناسَ وأنت امرؤٌ ... تُجْلَد فى الدُّبْر وفى القُبْل
تَبْذُل ما يَمْنع أهلُ النَّدَى ... هذا لَعَمرى مُنْتهى البَذْل
ما يَنبغى للناس أن يَنْسُبُوا ... مَن كان ذا جُودٍ إلى البُخل

ولأبى العتاهية فى ضربه ابن معن له

وقال(١) فى ضَرْبِهِ إياه :

ضَربتْنِى بكَفِّها بنتُ مَعْنٍ ... أوجَعتْ كَفَّها وما أَوْجعتْنِى
ولَعمرى لولا أَذَى كَفِّها إذ ... ضَربتْنى بالسَّوط ما تَركَتْنى

وله فى يزيد بن معن وقد توعده

أخبرنى ابنُ عمار ، قال : حدّثنى محمدُ بن موسى ؛ وأخبرنى محمد ابن يحيى ، قال حدّثنى جَبلة بن محمد(٢) ، قالا :

لما اتَّصل هجاءُ أبى العتاهية بعبد الله بن مَعن غَضِبَ من ذلك أخُوه يزيدُ بن مَعن ، [وتوعَّد أبا العتاهية](٣) فهجاه أبو العتاهية فقال :

بَنَى مَعْنٌ ويَهْدِمُه يزيدُ ... كذاك اللهُ يَفعلُ ما يُريدُ
فمَعْنٌ كان للحُسَّاد غَمًّا ... وهذا قد يُسَرُّ به الحَسود
يَزيدُ يزيدُ فى مَنْع وبُخْل ... ويَنقُصُ فى النَّوال(٤) ولا يَزيد

استعان عليه بنو معن بابنى على فكفاه

أخبرنى محمدُ بن يحيى ، عن جَبلة بن محمد ، قال : حدّثنى أبى ، قال :

هَجا أبو العتاهية بنى مَعن ، فمَضَوا إلى مَنْدلٍ وحَيَّانَ(٥) ، ابنَى علىٍّ العَنَزِيِّين الفَقِيهَيْن ، وكانا من سادات أهل الكُوفة ، وهما من بنى عَمرو

(١) مر (ص : ١٢٣٩) . (٢) كذا فى ط ، وكذا فيما سبق من هذا الكتاب (ص ١٢٤٠) . والذى فى سائر الأصول : «على بن محمد» . (٣) التكملة مما سبق (ص : ١٢٣٩) (٤) فيما سبق : «فى العطاء» . (٥) كذا فى ط ، و ، وفيما سبق (ص : ١٢٢٧ ، ١٢٤٠) . والذى فى سائر الأصول هنا : «جبان» ، بالباء الموحدة .

ابن عامر(١) ، بَطن مَن يَقْدُم(٢) بن عَنزة ، فقالوا لهما : نحن بيتٌ واحد وأهلٌ . ولا فَرْق بيننا(٣) ، وقد أتانا من مولاكم هذا مالو أتى مِن بعيدِ الوَلاء لوجَبَ أن تَرْدَعاه . فأَحْضَرَا أبا العتاهية ، ولم يكن يُمكنه الخلافُ عليهما ، فأَصْلحا بينه وبين :عبد الله ، ويَزيدَ ، ابنَىْ مَعن ، وضَمِنَا عنه خُلوص النِّية وعنهما ألّا يتَتَّبعاه(٤) بسُوء ، وكانا ممن لا يُمكن خلافُهما . فرجعت الحالُ إلى المودَّة والصفاء ، وجَعل الناسُ يَعذِلون أبا العتاهية فيما فَرطَ منه ، ولامه آخرون على صُلْحه لهم ، فقال :

ما لعُذَّالى ومالى أمَرُونى بالضَّلالِ
عَذَلُونى فى اغْتفارى لابن مَعْن واحْتمالى
أنا مِنه كنتُ أكْبَى زَندةً(٥) فى كُلّ حال
كُلُّ ما قد كان منه فلقُبْح فى فِعالى(٦)
إنَّما كانت يَمينى صَرَمَتْ(٧) جَهلاً شِمالى
مالُه بل نَفْسُه لى وله نَفْسى ومالى
قل لمن يعجَب من حُسـ ـن رُجُوعى وانْتقالى(٨)

(١) الأصول هنا : «عمرو بن عمرو» . . وما أثبتنا مما سبق (ص : ١٢٤٠) .
(٢) جمهرة أنساب العرب (ص : ٢٩٦) : «يذكر» .
(٣) كذا فى ط ، و ، وكذا فيما سبق (ص : ١٢٣٧) . والذى فى سائر الأصول هنا : «نحن واحد وأهل بيت لافرق بيننا» . (٤) فيما سبق : «يتبعاه» .
(٥) كذا فى الأصول ، هنا . والزندة: السفلى التى يقدح بها النار . والعود الأعلى : زند . وأكبى : أقل إيراء . والذى فيما سبق :

أنا منه كنت أسوأ عشرة فى كل حال

(٦) فيما سبق :

إن يكن ما كان منه فبجرى وفعالى

(٧) ط ، و : «ضربت» . وفيما سبق : «وقطعت من شمالى» . (٨) فيما سبق: «ومقالى» .

قد رأينا ذا كثيرًا ... جاريًا بين الرِّجال
رُبَّ وَصْلٍ (١) بعد صَدٍّ ... وقِلًى بعد وِصال (٢)

٥٨/١٤ أخبرنى محمدُ بن يحيى قال : حدّثنا محمد بنُ موسى ، قال :

رثاؤه زائدة ابن معن

كان أبو العباس زائدة بن مَعْنٍ صديقًا لأبى العتاهية ، ولم يُعِنْ أَخَوَيه (٣) عليه ، فماتَ ، فرثاه فقال :

حزِنتُ لموت زائدةَ بنِ مَعْنٍ ... حَقِيقٌ أن يَطُولَ عليه حُزْنِى
فَتَى الفِتيانِ زائدةُ المُصَفَّى ... أبو العبّاس كانِ أخى وخِدْنى
فَتَى قَومى (٤) وأىُّ فتىً تَوارتْ ... به الأكفانُ تحتَ ثَرًى ولِبْنِ (٥)
ألا يا قَبْرَ زائدةَ بنِ مَعْنٍ ... دَعوتُك كى تُجيبَ فلم تُجبنى
سَلِ الأيامَ عن أركان قَومى (٦) ... أصِبْنَ (٧) بهنّ رُكنًا بعد رُكْن

* * *

صوت

فما رَوضةٌ بالحَزْن طَيِّبةُ الثَّرَى ... يَمجُّ النَّدَى جَثْجاثُها وعَرارُها (٨)
بأطيبَ مِن أرْدانِ عَزّةَ مَوْهِنًا ... وقد أُوقِدتْ بالمَنْدَلِ الرَّطْبِ نارُها (٩)

---

(١) فيما سبق : « ود » . (٢) فيما سبق :

« وهوى بعد تقالى »

والتقالى : التباغض . (٣) فيما سبق (ص : ١٢٤٠) : « إخوته » . (٤) فيما سبق : « قوم » . (٥) اللبن ، بالكسر : ما يضرب من الطين للبناء ، لغة فى اللبن ، ككتف.

(٦) كذا فى أكثر الأصول ، وكذا فيما سبق . والذى فى ب ، س : « عن إن قوى » .

(٧) أصبن ، أى : الأيام . وفى ب ، جـ ، س : « أصبت » . (٨) الجثجاث : ريحانة طيبة الريح برية من أحرار البقل . والعرار : البهار البرى ، وهو حسن الصفرة طيب الريح .

(٩) موهنا : بعد هدء ، أى : بعد دخولنا فى الليل . والمندل : العود .

فإنْ خَفِيتْ كانت لِعَيْنَيك قُرَّةً ... وإنْ تَبْدُ يومًا لم يَعُمَّك عارها

من الخَفِراتِ البِيض لم تَرَ شِقْوةً ... وفى الحَسب المَكْنُون صافٍ نِجارها(١)

الشِّعر لكُثَيِّر . والغناء لمعبد فى الأوّل والثانى ، ولَحنُه من الثقيل الأوّل بالسبّابة فى مجرى الوسطى ، عن إسحاق .

وذكر عمرو بنُ بانة أنه لابن سُريج . وللغَريض فى الرابع والثالث ثقيل أوّل بالبِنصر ، عن عمرو ، وحَبَش .

وذكر الهشامىّ أنَّ فى الأوّل والثانى رملاً لابن سُريج بالوُسطى .

وذكر عمرو ، وحَبَش أنَّ فيه رَملاً لابن جامع بالبنصر .

وفى الأبيات خفيفُ ثقيل ، يقال : إنه لمَعبد ؛ ويقال إنه للغَريض ، وأحْسبه للغريض .

كثير وقطام صاحبة ابن ملجم

أخبرنى أحمدُ بن عبد العزيز ، قال : حدّثنا عمر بن شَبَّة ، هكذا موقوفًا لم يتجاوز ؛ وأخبرنى(٢) ....

أنَّ كُثيِّر بن عبد الرحمن كان غالياً فى التشيُّع ،وأخبر(٣) عن قَطامِ ، صاحبةِ ابن مُلْجَم(٤) ، فى قَدْمةٍ قدِمَها الكوفةَ ،

(١) النجار : الأصل . وفى الديوان (١ : ٩٢) .

* وفى الحسب المحض الرفيع نجارها *

(٢) كذا فى الأصول . وظاهر أن ثمة بقية له .

(٣) انظر القصة فى المحاسن والأضداد للجاحظ (ص : ١٦٠) .

(٤) قطام ، هى بنت شجنة ، من الرباب ، وكان على قتل منهم يوم النهر عشرة ، منهم أبوها وأخوها ، وكانت فائقة الجمال ، فلما رآها عبد الرحمن بن ملجم ، وهو الذى كان من نصيبه قتل على ، كاد ينسى ماجاء له وخطبها فكان من شرطها عليه قتل على ، فقال لها : فوالله ماجاء بى هذا المصر إلا قتل على ، فلك ماسألت . ثم كان من أمره ما كان من قتل على . (انظر الطبرى ٤ : ١١٠–١١١) .

فأرادَ الدُّخول عليها ليُوبِّخها ، فقيل له : لا تَرِدْها[١] فإنَّ لها جوابا ؛ فأبى وأتاها ، فوقَف على بابها فقرَعَه ، فقالت : من هذا ؟ فقال : كُثيِّر ابن عبد الرحمن الشاعر ؛ فقالت لبناتِ عمٍّ لها : تَنَيَّحنَ حتى يَدخل الرجلُ ، فولَجْنَ البيتَ ، وأَذِنَت له ، فدخلَ وتَنحَّت من بين يدَيه ، فرآها وقد ولَّت ، فقال لها : أنت قَطام ؟ قالت : نعم ؛ قال : صاحبة علىِّ بن أبى طالب عليه السلام ؟ قالت : صاحبة عبد الرحمن بن مُلْجم ؛ قال : أليس فيك قَتَل[٢] علىَّ بن أبى طالب ؟ قالت : بل مات بأَجَلِه ؛ قال : أمَا والله لقد كنتُ أُحبُّ أن أَراكِ ، فلما رأَيتُك نبَتْ عَينى عنك ، فما احْلوليتِ فى خَلَدى[٣] ؛ قالت : والله إنَّك لقصيرُ القامة ، عظيمِ الهامة ، قَبيحُ المنظر ، وإنك لكما قال الأوَّل : تسمع بالمُعَيدِىِّ خيرٌ من أن تراه[٤] ؛ فقال :

رأتْ[٥] رَجلا أَوْدَى السِّفارُ بوَجهه ... فلم يَبْقَ إلا مَنظرٌ[٦] وجَناجِنُ[٧]

فإنْ أَكُ معروقَ العظام فإنَّنى ... إذا وُزِنَ الأقوامُ بالقوم وازن

وإنِّى لِمَا اسْتَوْدعتِنِى من أمانة ... إذا ضاعت الأسرار للسِّرِّ دافِن

فقالت : أنت لله أبوكَ كُثيِّر عَزَّة ؟ قال : نعم ؛ قالت : الحمدُ لله الذى قَصَّر بك فصِرْتَ لا تعرفَ إلا بامرأة ؛ فقال : الأمر كذلكِ ، ٦٠/١٤

---

(١) المحاسن والأضداد : «أليس هو قتل على بن أبى طالب» .

(٢) ب ، س : «لا ترزها» . (٣) المحاسن : «فى صدرى» .

(٤) مثل يضرب لمن خبره خير من مرآه . وأول من قاله المنذر بن ماء السماء فى شقة بن ضمرة بن جابر النهشلى ، وكان يسمع به ويعجبه ما يبلغه عنه، فلما رآه قال هذا المثل . (مجمع الأمثال للميدانى ١ : ١١٦ - ١١٨) . (٥) الديوان (١ : ٢٠٠) . (٦) الجناجن : عظام الصدر ، وقيل : رؤوس الأضلاع ؛ واحدها : جنجن . (٧) معروق العظام : قليل اللحم على العظام .

فواللّٰه لقد سار بها شِعْرى ، وطار بها ذِكْرى ، وقَرُبَ من الخليفة مَجلسى ؛ وأنا لكما قلتُ :

فإن خَفيتْ كانت لعينك قُرَّةً   وإن تَبْدُ يومًا لم يُعمِّك عارُها[1]
فما رَوْضةٌ بالحَزْنِ طَيِّبة الثَّرى   يَمجُّ النَّدى جَثجاثُها وعَرارُها
بأَطْيبَ من أَرْدانِ عَزَّة مَوْهِنًا   وقد أُوقِدتْ بالمَندلِ اللَّدْنِ نارُها

فقالت : باللّٰه ما رأيتُ شاعرًا قطُّ، أنقصَ عقلاً منك ، ولا أضعفَ وَصْفًا ، أين أنت من سيّدك امرئ القيس حيث يقول :

أَلم تَرياني كلَّما جئتُ طارقًا   وَجدتُ بها طِيبًا وإن لم تَطَيَّبِ[2]

فخرج وهو يقول :

الحقُّ أَبْلَجُ لاتُخِيل[3] سَبيلُه   والحقُّ يَعرفه ذوو الألبابِ

* * *

صوت

هاكَ فاشْربْها خَليلى   فى مَدَى[4] اللَّيلِ الطَّويلِ
قَهْوةً فى ظِلِّ كَرْمٍ   سُبِيَتْ[5] من نَهر بِيلِ[6]
فى لسانِ المَرء منها   مِثْلُ طَعمِ الزَّنجبيل

---

(١) مر الشعر والتعليق عليه (ص : ٣٤٨) .
(٢) الطارق : الذى يأتى ليلا . (الديوان ١ : ٣١) . (٣) لاتخيل : لا تشكل . والرواية فى الديوان (١ : ٩٤) «لا تزيغ» ؛ أى : لاتميل. (٤) المختار(١ : ٣٨٥) : «فى دجى» .
(٥) وكذا فى تاريخ بغداد (ت : ٣٤٩٢) وسبى الخمر : حملها من بلد إلى بلد . وفى معجم البلدان(فى رسم : نهر بيل) : «سبئت» ، بالهمز .وسبأ الخمر : شراها .
(٦) نهر بيل ، لغة فى : نهر بين : طسوج من سواد بغداد .

قُل لمن يلحاكَ(١) فيها   مِن فَقيه(٢) أو نَبيل
أنتَ دَعْها وارْجُ أُخرَى   مِن رَحِيق السَّلْسبيل
تَعْطش اليومَ وتُسْقَى   فى غَد نَعْتَ الطُّلول (٣)

الشِّعر لآدم بن عبد العزيز بن عُمر بن عبد العزيز . والغناء لإبراهيم الموصلىّ ، هَزَج بالنِصر عن حَبَش ؛ ولإبراهيم بن المهدىّ فى الخامس والسادس والأوّل خفيف رمل بالوسطى ، عن الهشامىّ ؛ ولهاشم فيها ثانى ثقيل بالبنصر ، وقيل لعبد الرحيم(٤) .

(١) وكذا فى المختار : وتاريخ بغداد . والذى فى معجم البلدان : « ينهاك » .
(٢) وكذا فى المختار ، وتاريخ بغداد . والذى فى معجم البلدان : « وضيع » .
(٣) لم يرد هذا البيت فى كل من المختار ، وتاريخ بغداد ، ومعجم البلدان .
(٤) ب ، و : « لعبد الرحمن » .

الشعب
٩٢ شارع قصر العيني بالقاهرة
تليفون ٣١٨١٠

الثمن ٦٠ قرشا

رقم الايداع ١٩٦٩/٤٤٤٩



١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م

